

أَعْرَابُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيِّنَاتُهُ

تأليف الأستاذ

محيي الدين الدرويش

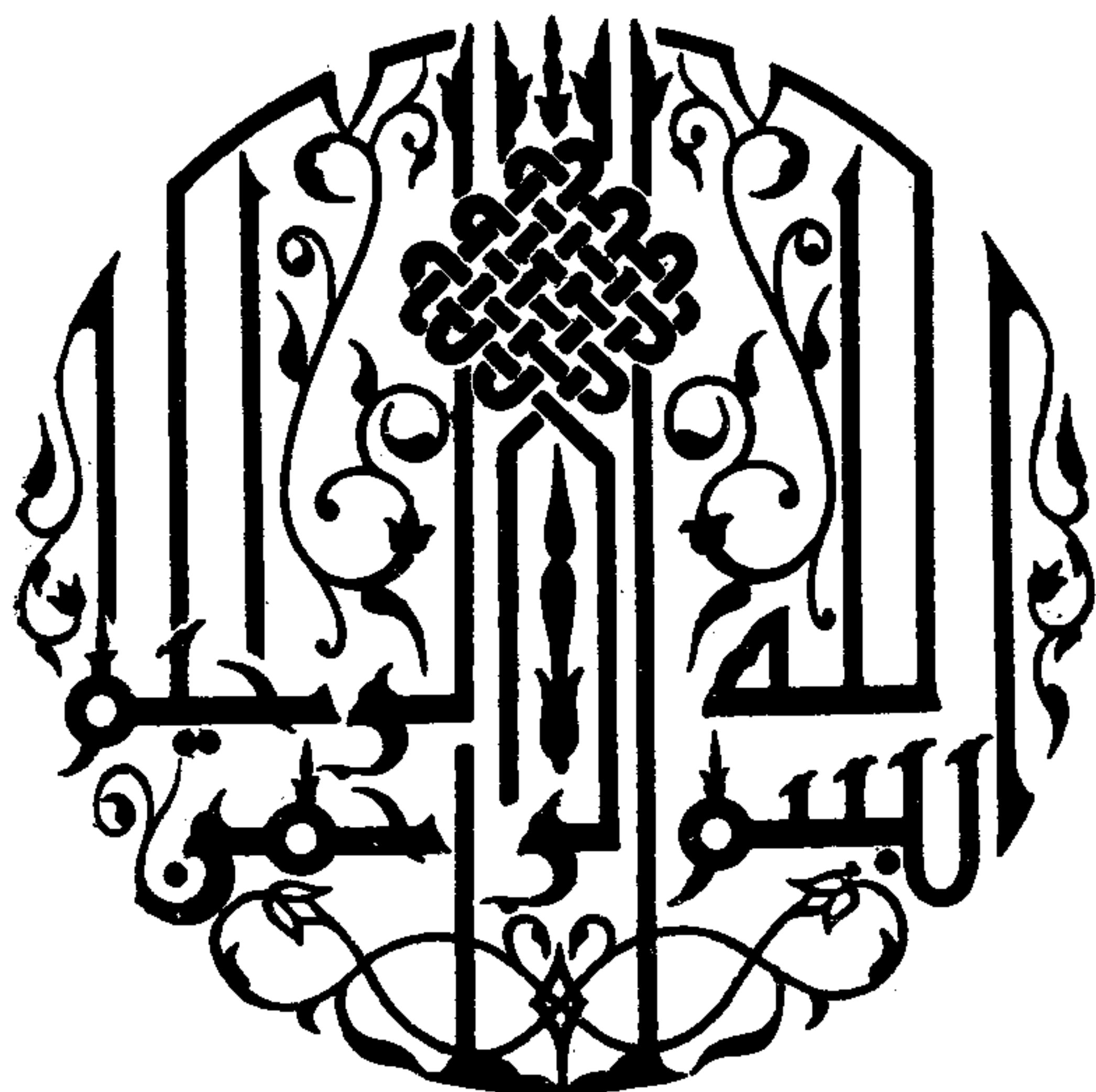
المجلد السادس

الجزء الثامن عشر — الجزء التاسع عشر — الجزء العشرون

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

الكامنة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

دار الإرشاد للشؤون الجامعية
مصر - سورية



الحمد لله الذي
وَبِيسْأَلُهُ

جميع الحقوق محفوظة

لدار الرّسّاد

حصص - سورية

الطبعة الثالثة

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - شارع مسلم البارودي - بناء خولي دصلاحي - ص.ب ٣١١ - هاتف ٢٢٥٨٧٧
بيروت - ص.ب ٦٣١٨ / ١١٣

الهيئة للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - بزمكة - جانب الهجرة والجوازات

ص.ب ٢٧٧ - هاتف ٢٤٣٢٤٥ - بيروت - ص.ب ٥٤٨٨ / ١١٣



فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ
أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا
﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِبَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ
لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكِرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ
مِنَ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا
فَبُورُوا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ
شِئْتُ لَتَخَذْتُ عَلَيْهِ اجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ
بِبَآوِيلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ
يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ
غَصَبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا
وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ

لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا
 كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ
 عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

اللفظة :

(إمراً) : الإمر العظيم المنكر ، قال أبو عبيدة : الإمر الداهية
 العظيمة وأنشد :

قد لقي الأقران مني فكراً داهية دها وأمراً إمراً

ويقال : أمر الإمر أي عظم وتفاقم وهذه المادة اللغوية غريبة
 تقول الأمر بالفتح : طلب إحداث الشيء وجمعه أوامر والأمر الشأن
 وجمعه أمور وأولو الأمر أهل الرياسة والعلماء ، والإمتر والإمتر
 الضعيف الرأي ، والأمير الأمر ، فتتغير معانيها بتغير شكلها .

(ترهقني) : تكلفني وفي المختار : رهقه غشيه وبابه طرب وأرهقا
 عسراً كلفه إياه .

(زكية) : طاهرة من الذنوب لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث ، وفي
 القاموس : زكا يزكو زكاء وزكوا ، وزكى يزكى زكى الزرع نما
 والرجل صلح وتنعم وزكاه الله بالتشديد أنماه وطهره وأصلحه ، وأخا
 زكاته وزكى ماله أدى عنه الزكاة ، وزكى نفسه مدحها .

(نكراً) : بضم فسكون وبضمتين : المنكر وهو أبلغ من الإمر لأن معه القتل بخلاف خرق السفينة فإنه يمكن تداركه وتلافيه وقيل : الإمر أبلغ لأن قتل النفس بسبب الخرق أعظم من قتل نفس واحدة .

(يضيفوهما) : يقال ضافه إذا كان له ضيفاً وحقيقته من الميل ، يقال ضاف السهم عن الغرض وأضافه وضيفه جعله ضيفاً وهم ضيوف وأضياف وضيغان ، ومن المجاز : أضاف إليه أمراً إذا أسنده إليه واستكفأه وفلان أضيفت إليه الأمور وما هو إلا مضاف أي دعي ، ونزلت به مضافة . قال :

و كنت إذا جاري دعا لمضوفة أشمر حتى يبلغ الساق مژري

الاعراب :

(فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في الأمور الثلاثة التي ألمعنا إليها والتي خفيت بواطنها عن موسى وبدأت له ظواهرها مستنكرة ، ولا بد من تقدير محذوف أي فانطلقا يمشيان ومعهما تابعهما يوشع بن نون وقد اكتفى بذكر المتبوع عن التابع أي على ساحل البحر يطلبان سفينة تقلهما فوجدا سفينة فركباها فأخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي فجعل موسى يعارضه ويقول الخ . وحتى حرف غاية وجر وإذا ظرف مستقبل وجملة ركبا في السفينة في محل جر بإضافة الظرف إليها ، وجملة خرقها جواب إذا وهو فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به . (قال : أخرقتها لتفرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرأ) قال - أي موسى - أخرقتها والهزة للاستفهام الإنكاري ،

لتفرق اللام للتعليل وتفرق فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام
التعليل وأهلها مفعول به ، وسيأتي سر نسيان نفسه في باب البلاغة ،
واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وجئت فعل وفاعل
وشيئاً مفعول به وإمراً صفة . (قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً)
الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نهي وقلب وجزم وإن واسمها
وجملة لن تستطيع معي صبراً خبرها . (قال لا تؤاخذني بما نسيت
ولا ترهقني من أمري عسراً) لا ناهية وتؤاخذني فعل مضارع مجزوم
بلا والنون للوقاية والفاعل مستتر تقديره أنت والياء مفعول به ، ومن
أمري حال لأنه كان في الأصل صفة لعسراً وعبراً مفعول به ثان
لترهقني . (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير
نفس لقد جئت شيئاً نكراً) فانطلقا الفاء للعطف وانطلقا فعل وفاعل
وحتى حرف غاية وجر وإذا ظرف مستقبل وجملة لقيا مضافة للظرف
وهي شرط إذا وغلاماً مفعول به ، والفاء حرف عطف وقتله عطف على
لقيا فهو داخل في حيز فعل الشرط بخلاف قوله « حتى إذا ركبا في
السفينة خرقها » بغير فاء فقد جعله هنا جواباً والعلة في هذه المخالفة ،
ان خرق السفينة لم يأت عقب الركوب مباشرة أما القتل فقد أتى عقب
لقاء الغلام مباشرة ، وقال هو جواب إذا ، أقتلت : الهمزة للاستفهام
الانكاري ونفساً مفعول به وزكية صفة ، وبغير نفس : الجار والمجرور
في موضع نصب على الحال من الفاعل أو المفعول أي قتله ظالماً أو
مظلوماً أو متعلق بقتلت ، واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف
تحقيق وجئت فعل وفاعل وشيئاً مفعول به ونكراً صفة . (قال ألم أقل
لك إنك لن تستطيع معي صبراً) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف
نهي وقلب وجزم وإن واسمها وجملة لن تستطيع معي صبراً خبرها ، وقد زاد
هنا لفظ لك لأن سبب العتاب أكثر وموجبه أقوى وقيل زاد لفظ لك

لقصد التأكيد كما تقول لمن توبخه : لك أقول وإياك أعني . (قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) إن شرطية وسألتك فعل ماض وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط وعن شيء جار ومجرور متعلقان بسألتك وبعدها ظرف متعلق بمحذوف صفة لشيء ، والفاء رابطة لجواب الشرط ولا فاهية وتصاحبني مجزوم بلا والياء مفعول به . (قد بلغت من لدني عذراً) قد حرف تحقيق وبلغت فعل وفاعل ومن حرف جر ولدن ظرف مبني على السكون في محل جر والجار والمجرور متعلقان ببلغت أو بسحذوف حال وعذراً مفعول به . (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها) الفاء عاطفة وانطلقا فعل وفاعل وحتى حرف غاية وجر وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وأتيا فعل وفاعل وأهل مفعول به وقرية مضاف إليه ، قيل القرية هي انطاكية ومعنى استطعما أهلها طلبا منهم الطعام على سبيل الضيافة ، وجملة استطعما أهلها لا محل لها لأنها جواب إذا ، واختار ابن هشام أن تكون صفة لقرية ، وكرر الأهل للتأكيد من باب إقامة الظاهر مقام المضمر وقد تقدمت شواهد أو للتقصي ليشمل الاستطعام والامتناع من الإكرام جميع أهلها . (فأبوا أن يضيفوهما) الفاء عاطفة وأبوا فعل وفاعل وأن وما في حيزها مفعول أبوا . (فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه) الفاء عاطفة ووجدا فعل وفاعل وفيها جار ومجرور متعلقان بوجدا وجداراً مفعول به وجملة يريد صفة لجداراً وفي معنى إسناد الإرادة للجدار بحث تمتع يطالعه القارئ في باب البلاغة وأن وما في حيزها مفعول يريد فأقامه الفاء عاطفة وأقامه فعل وفاعل مستتر ومفعول به أي رفعه ورممه وأصلحه . (قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً) لو حرف شرط غير جازم وشئت فعل وفاعل واللام واقعة في جواب لو واتخذت فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب لو

وعليه متعلقان بحذوف حال وأجرأ مفعول به • (قال هذا فراق بيني وبينك) هذا مبتدأ والاشارة الى الفراق المترتب على تكرار السؤال وفراق خبر وبينني مضاف إليه وسأغت اضافة بين الى غير متعدد لتكرير بين بالعطف بالواو وبينك عطف على بيني • (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) السين حرف استقبال وأنبئك فعل وفاعل مستتر ومفعول به وتأويل الباء حرف جر دخل على مضمون المفعولين الثاني والثالث وسيأتي تفصيل ذلك في باب الفوائد وما اسم موصول مضاف الى تأويل ولم حرف تقي وقلب وجزم وتستطع مضارع مجزوم بلم وصبراً مفعول به وعليه متعلقان بصبراً أي سأنبئك سر ما فعلت في الامور الثلاثة • (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) أما حرف شرط وتفصيل والسفينة مبتدأ والفاء رابطة وكانت كان واسمها المستتر والتاء تاء التانيث الساكنة ولما كان خبر كانت والجملة خبر السفينة وجملة يعملون في البحر صفة لمساكين وفي البحر متعلقان يعملون • (فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) الفاء عاطفة وأردت فعل وفاعل وأن أعيبها المصدر المؤول مفعول أردت والواو للحال وكان فعل ماض ناقص ووراءهم ظرف متعلق بحذوف خبر مقدم وهو بمعنى أمام ويجوز أن يكون بمعنى خلف وملك اسم كان المؤخر وجملة يأخذ صفة وكل سفينة مفعول به وغصبا مفعول مطلق مبين لنوع الأخذ ويجوز أن يكون المصدر في موضع نصب على الحال وفي الكلام تقديم وتأخير سيأتي سره العجيب في باب البلاغة • (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكهراً) الواو عاطفة وأما حرف شرط وتفصيل والغلام مبتدأ فكان الفاء رابطة وكان واسمها وخبرها فخشينا الفاء عاطفة وخشينا فعل وفاعل وأن وما في حيزها مفعول خشينا وطغيانا مفعول به ثان وكهراً عطف على

طفياً وجملة الجواب خبر الغلام وأسند الخشية الى نفسه لأن الله أطلعه على مال الغلام لو تناهت به المدة وانقشع الأجل ، أو لأنه حكى قول الله . (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً) فأردنا عطف على خشينا وأردنا فعل وفاعل وأن يبدلهما أن وما في حيزها مفعول يبدلهما وخيراً منه مفعول ثان وزكاة تمييز أي صلاحاً وتقى وأقرب رحماً عطف على خيراً منه زكاة ورحماً تمييز أيضاً أي رحمة بوالديه .

قال أبو حيان : وانتصب رحماً على المفعول له وأجاز الزمخشري أن ينصب على المصدر بأراد قال لأنه في معنى رحمهما وأجاز أبو البقاء أن ينتصب على الحال وكلاهما متكلف . فتأمل .

(وأما الجدار فكان لفلانين يتيمين في المدينة) الجملة معطوفة على ما تقدم والاعراب مماثل وفي المدينة صفة ثانية أو حال . (وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً) الواو عاطفة وكان فعل ماض ناقص وتحته ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وكنز اسمها المؤخر ولهما صفة وكان أبوهما صالحاً كان واسمها وخبرها . (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) فأراد عطف على ما تقدم وربك فاعل وأن يبلغا مفعول أراد وأشدهما مفعول به وقد تقدم تفسير الأشد ويستخرجا عطف على يبلغا والألف فاعل وكنزهما مفعول به ورحمة من ربك مفعول لأجله أي لولا أني أقمته لانقض وهوى وخرج الكنز من تحته قبل أن يصبحا قادرين على حفظ المال وتنميته واستثماره ولضاع بدداً . (وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً) الواو عاطفة وما نافية وفعلته فعل وفاعل ومفعول به والضمير يعود على مجموع ما ذكر وعن أمري جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي صادراً عن أمري وإنما هو بأمر الله وإلهامه

إياي وذلك مبتدأ وتأويل خبر وما مضاف إليه ولم حرف نفي وقلب
وجزم وتسطع أي تستطع فحذفت منه تاء الافتعال مجزوم بلم وعليه
متعلقان بصبراً وصبراً مفعول به .

البلاغة :

الفنون التي انطوت عليها الآيات الآتية لا يتسع لها صدر هذا
الكتاب إذا نحن حاولنا استجلاء غوامضها واكتناه خوافيها فلنض في
استقصائها جانحين إلى لغة النظر فأولها :

١ - نسيان نفسه عندما قال : « أخرقتها لتغرق أهلها » وهو بين
الراكين وهو جدير بأن ينهمك بأمر نفسه وما هو مقدم عليه من سوء
المصير وإنما حمله على المبادرة بالإنكار الالتهاب والحمية للحق فنسي
نفسه واشتغل بغيره في الحالة التي يقول فيها كل واحد : نفسي نفسي ،
ولا يلوي على مال ولا ولد وتلك حالة الغرق تذهل فيها العقول وتغرب
الأحلام ويضيع الرشد من الأبواب .

٢ - التورية في قوله « قال لا تؤاخذني بما نسيت » أخرج
الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان لإيهامه بأنه قد نسي
ليسط عذره في الإنكار وبعضهم يسمي هذا النوع من معاريض
الكلام ، والمعاريض جمع معراض وهو هنا إيهام خلاف المراد لئلا يلزم
الكذب وهو فن طريف من فنونهم ولعله أجمل أنواع التورية التي
سبق ذكرها وقد كان المتنبي ينجح إليه في قصائده وخاصة
الكافوريات قال :

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان

كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسي وأنت يمان

فشبيب هذا خارجي خرج على كافور الإخشيدي وقصد دمشق وحاصرها فيقال أن امرأة ألفت عليه رحيً فصرعته فانهمزم الذين كانوا معه لما مات ، ويقال إنه أكثر من شرب الخمر فحدث به صرع ففي ساعة القتال أته نوبة الصرع فتركه أصحابه ومضوا فأخذوه أهل دمشق وقتلوه وقد كان شبيب هذا من قيس ولم تزل بين قيس واليمن عداوات وحروب وأخبار ذلك مشهورة والسيف يقال له « يمانى » في نسبته إلى اليمن ومراد المتنبي من هذا البيت أن شبيباً لما قتل وفارق السيف كفه فكأن الناس قالوا لسيفه أنت يمانى وصاحبك قيسى ولهذا جانبه السيف وفارقه وهذه مغالطة حسنة .

ومن معارضض الكلام الحسنة قول أبي العلاء المعري في وصف الإبل :

صلب العصا بضرب قد دماها تود أن الله قد أفناها

إذا أرادت رشداً أغواها محال له من رقه إياها

فالضرب لفظ مشترك يطلق على الضرب بالعصا وعلى الضرب في الأرض وهو المسير فيها وكذلك دماها يطلق على شيئين أحدهما يقال : دماها إذا أسال دمه ودماه إذا جعله كالدمية وهي الصورة وكذلك لفظ الفناء فإنه يطلق على غيب الثعلب وعلى إذهاب الشيء إذا لم يبق منه بقية يقال أفناه إذا أذهبناه وأفناه إذا أطعمه حب الفناء وهو غيب الثعلب ، والرشد والغوى نبتان يقال أغواه إذا أضله وأغواه إذا أطعمه النوى ويقال طلب رشداً إذا طلب ذلك النبت وطلب رشداً إذا طلب الهداية .

ويروى في الأخبار الواردة في غزاة بدر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان سائراً بأصحابه يقصد بدرأ فلقبهم رجل من العرب فقال :

ممن القوم ؟ فقال النبي : من ماء ، فأخذ ذاك الرجل يفكر ويقول : من ماء من ماء لينظر من أي بطون العرب يقال لها ماء فصار النبي لوجهته وكان قصده أن يكتّم أمره وهذا من المغالطة المثلية لأنه يجوز أن يكون بعض بطون العرب يسمى ماء ويجوز أن يكون المراد أن خلقتهم من ماء وحاشى النبي أن يكذب .

٣ - توكيد الضميرين :

وذلك في قوله تعالى « قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً » في قصة قتل الغلام وهذا بخلاف قصة السفينة فإنه قال فيها « ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً » والفرق بين الصورتين أنه أكد الضمير في الثانية دون الأولى « ألم أقل إنك » وقال في الثانية « ألم أقل لك إنك » وإنما جيء بذلك للزيادة في مكافحة العتاب على رفض الوصية مرة بعد مرة والوسم بعدم الصبر وهذا كما لو أتى الإنسان ما نهته عنه فلمته وعنفته ثم أتى ذلك مرة ثانية أليس إنك تزيد في لومه وتعنيفه ؟ وكذلك فعل هاهنا فإنه قيل في الملامة أولاً « ألم أقل لك إنك » ثم قيل ثانياً : « ألم أقل لك إنك » وهذا موضع يدق عن العثور عليه بالنظرة العجيبة ولا يمكن اكتناه حسنه إلا بعد التأمل العميق وهذا فن جليل القدر ، بعيد الغور ، فللضمائر أسرار لا يدركها إلا الملهمون والمبدعون وهي ليست مجرد ضمائر تذكر كما ترد في كتب النحو وستأتي في كتابنا هذا صور رائعة عنه تبين مدى قدر المبين وتساميه عن الانداد .

التوكيد بالضمائر في الشعر :

وسنورد لك هنا الآن نماذج من التوكيد بالضمائر الوارد في الشعر تنهل العقول فمن بديع ما استظرفناه قول أبي تمام :

لا أنت أنت ولا الديار ديار خف الهوى وتولت الأوطار

فقوله « لا أنت أنت ولا الديار ديار » من المليح النادر لأنه هو هو والديار الديار وإنما مراده أن البواعث التي كانت تبعث على قبيل أنت منهم وأنت أنت ولو تأتت له ذلك الرأب صدع البيت ، ومع ولا الديار في عينه من الحسن تلك الديار . وقد حاول أبو الطيب أن ينسج على منوال أبي تمام فأسف ولم يلحق به إذ قال :

قبيل " أنت أنت وأنت منهم وجدك بشر الملك الهمام

فقوله « أنت أنت » من توكيد الضميرين المشار اليهما وفائدته المبالغة في مدحه ولكنه أفسد على نفسه ما أرادته لأن سبك البيت عار من الحسن وفيه تقديم وتأخير أفسداه أيضاً لأنه كان من حقه أن يقول: قبيل أنت منهم وأنت أنت ولو تأتت له ذلك الرأب صدع البيت ، ومع ذلك يبقى دون بيت أبي تمام العذب الرشيق وهذا مرده الى الذوق وهو الحكم في هذا الباب .

وروى صاحب الأغاني : أن عمرو بن ربيعة قال لزياد بن الهبولة : يا خير الفتيان أردد علي ما أخذته من إبلي فردها عليه وفيها فحلها فنازعه الفحل إلى الإبل فصرعه عمرو فقال له زياد : لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الإبل لكنتم أتم أتم فقال عمرو له : لقد أعطيت قليلاً وسمت جليلاً ، وجررت على نفسك ويلاً طويلاً » فقوله : لكنتم أتم أتم ، أي أتم الأشداء أو الشجعان أو ذوو النجدة والبأس إلا أن « أتم » الثانية تخصيصاً لهم بهذه الصفة دون غيرهم كأنه قال لكنتم أتم الشجعان دون غيرهم ولو مدحهم بأي شيء مدحهم به من وصف البأس والشدة والشجاعة لما بلغ هذه الكلمة أعني « أتم » الثانية .

٤ - الاستعارة المكنية :

في قوله تعالى : « فوجدا جداراً يريد أن ينبقض » فقد استعيرت الارادة للمشارفة والمدانة ويجوز أن يكون مجازاً عقلياً وهذا الخلاف مطرد في كل نسبة الى مالا يعقل كقول عمرو بن أبي ربيعة :

أبت الروادف والثديّ لقصصها مس البطون وأن تمس ظهورا

وسنيسط لك القول في هذا البيت بسطاً شافياً لتؤكد من حقيقة هذا الكلام فالإباء المنع الاختياري وقد شبه الروادف والثديّ لكبرها بمن يصح منه ذلك والكلام يحتمل إرادة التشبيه فهو مجاز علاقته المشابهة فيكون استعارة مكنية تبعية وقد لا يحتمل إرادة التشبيه ويكون عبارة عن مجرد إسناد الإباء اليها للدلالة على كبرها فيكون مجازاً عقلياً وفي الكلام أيضاً لف ونشر مشوش لأن مس البطون يرجع للثدي ومس الظهور يرجع للروادف ولا بد لإظهار معنى البيت تماماً من إيراد البيت الثاني وهو :

وإذا الرياح مع العشي تناوحت نبّهن حاسدة وهجن غيورا

يقال تناوح الجبلان أي تقابلا فالمراد بالتناوح التقابل بحيث يجيء بعض الرياح من أمامها وبعضها من خلفها فتظهر روادفها ونهودها وتلتصق الثياب بخصرها فيظهر ضموره فتنبه الحاسدة لها وتهيج الغيور لكراهية ذلك من الرياح • ومن هذا الضرب قول الحسن بن هانئ أبي نواس :

فاستنطق العود قد طال السكوت به

لا ينطق اللهو حتى ينطق العود

شبه العود بانسان على طريق الاستعارة المكنية ويصح أن يكون مجازاً عقلياً على نحو ما قدمنا لك .

وقول حسان بن ثابت :

ان دهرأ يلف شلمي بجمل لزمان يهم بالاحسان

وجمل اسم محبوبته ويروى بعدى يقول : إن الدهر الذي يجمع شلمي بسحبوتي لدهر يهم بالاحسان على طريق المكنية ولفظ الهم تخيل ويحتمل أن إسناد الهم له مجاز عقلي كإسناد اللف .

٥ - التقديم والتأخير :

ظاهر الكلام يقتضي تأخير قوله « فأردت أن أعيبها » عن قوله : « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً » لأن إرادة العيب مسببة عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب والجواب على ذلك أنه سبحانه قدم المسبب على السبب للعناية به ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين .

وفي الآية والتي بعدها أيضاً أسرار عجيبة أخرى وذلك بمخالفة الضائر فيهما فقد أسند في الأولى الفعل الى ضميره خاصة بقوله « فأردت أن أعيبها » وأسنده في الثانية الى ضمير الجماعة والمعظم نفسه في قوله « فأردنا أن يبدلهما ربهما » و « فخشينا أن يرهقهما » ولعل إسناد الأول الى نفسه خاصة من باب الأدب مع الله تعالى لأن المراد أن ثمة عيباً فتأدب بأن نسب الإغابة الى نفسه وأما إسناد الثاني الى الضمير المذكور فالظاهر أنه من باب قول خواص الملك أمرنا بكذا

أو دبرنا كذا وإنما يعنون بأمر الملك أو دبر ويؤيد ذلك قوله في الثالثة « فأراد ربك أن يبلغا أشدهما » فلم تأت الضمائر على نمط واحد وهذا من أرقى الأساليب وأحفلها بالمعاني الخصبة التي لا يمجهما السمع وتحتويها الآذان .

الفوائد :

١ - الأفعال التي تنصب مفاعيل ثلاثة هي أعلم وأرى وأنبا ونبأ وأخبر وخبر وحدث والأصل في هذه الأفعال أعلم وأرى اللذان كان أصلهما قبل دخول همزة النقل عليهما علم ورأى المتعديان لاثنين وأما الخمسة الباقية فليس لها ثلاثي يستعمل في العلم إلا خبر ولكنها ألحقت في بعض استعمالاتها بأعلم المتعدي الى ثلاثة لأن الإنباء والتنبؤ والإخبار والتخير والتحديث بمعنى الإعلام ، هذا وتستعمل الخمسة متعدية الى واحد بأنفسها والى مضمون الثاني والثالث أو مضمون الثالث وحده بالباء نحو حدثتك بخروج زيد وعليه يحمل قوله تعالى « سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً » وسيأتي مزيد بحث عن هذه الأفعال في موضعه إن شاء الله .

٢ - وراء :

هو لفظ يطلق على الخلف وعلى الأمام ومعناها هنا أمامهم وكون وراءهم بمعنى أمامهم قول قتادة وأبي عبيدة وابن السكيت والزجاج ولا خلاف عند أهل اللغة أن وراء يجوز بمعنى قدام وجاء في التنزيل والشعر ، قال الله تعالى : « من وراءه جهنم » وقال « ومن وراءه عذاب غليظ » وقال « ومن وراءهم برزخ » وقال لبيد :

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا يحني عليها الأصابع

وقال سوار بن المضرب السعدي :

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي

وقومي تميم والفلاة ورائيا

وقال آخر :

أليس ورائي أن أدب على العصا

فتأمن أعداء وتسأمني أهلي

وقال الفراء : « لا يجوز أن يقال للرجل بين يديك هو وراءك وإنما يجوز ذلك في المواقيت من الليالي والأيام والدهر تقول وراءك برد شديد وبين يديك برد شديد جاز الوجهان لأن البرد إذا لحقك صار من ورائك وكأنك إذا بلغت صار بين يديك » قال : « إنما جاز هذا في اللغة لأن ما بين يديك وما قدامك إذا توارى عنك فقد صار وراءك » وأكثر أهل اللغة على أن وراء من الأضداد .

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ ^ط قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا

مَكَّالَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ

عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا الْقَرْنَيْنِ ^ق إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُخَذَفُ فِيهِمْ

حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ
عَذَابًا نُّكَرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ
وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾

اللفظة :

(ذي القرنين) : اضطربت الأقوال فيه كثيراً فبينما يزعم مفسرو القرآن أنه غير الاسكندر المقدوني الكبير يقولون انه هو الذي بنى الاسكندرية مع أن الاسكندر الكبير هو بانيها ، ومعنى ذي القرنين انه لقب " لقب به لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقيها وغربيها أو لأنه كان له قرنان أي صغيرتان ، والعرب تسمي الذؤابة قرناً وجمعها قرون . قال مجنون ليلي لزوجها صبيحة عرسه :

بعيشك هل ضمت إليك ليلي قبيل الفجر أو قبلت فاها
وهل رفّت عليك قرون ليلي رفيف الأبقحانة في شذاها

وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشاً لأنه ينطح أقرانه واختلف في زمنه ومكانه اختلافاً يمكن الرجوع اليه في المطولات لأن هذا البحث غير داخل في نطاق كتابنا .

(حمئة) : أي كثيرة السواد من الحمأة أي الطين وفي المصباح والحمأة بسكون الميم طين أسود وقد حمئت البئر حمأً من باب تعب صار فيها الحمأة والعين الحمئة ماء يجري على الطين الأسود ، وقد

فرىء عين حامية أي حارة ويروى أن ابن عباس قرأ حمئة وكان عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله ابن عمر كيف تقرأ ؟ قال : كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجهه الى كعب الأبحار كيف تجد الشمس تغرب فقال : في ماء وطين فوافق قول ابن عباس ، وكان ثمة رجل فأنشد قول تبع :

قد كان ذو القرنين جدي مسلماً

ملكاً تدين له الملوك وتسجد

بلغ المغارب والمشارق يبتغي

أسباب أمر من حكيم مرشد

فرأى مغار الشمس عند مآبها

في عين ذي خلب وثأط حرمد

والخلب بضمين الحمأة وهي الطين والثأط الحمأة المختلطة بالماء فتزيد رطوبة وتفسد والحرمد الطين الأسود . مدح تبع ذا القرنين ثم قال انه بلغ مواضع غروب الشمس ومواضع شروقها يبتغي من الله أسباباً توصله لمقصده فرأى محل غبار الشمس عند مآبها أي رجوعها وفي عين متعلق بمغار وحال منه وقد أوّل أبو علي الجبائي ذلك تأويلاً طريفاً بأن ذلك على سبيل التخيل كما أن من ير الشاطئ الغربي من البحر المتسع ير الشمس تغرب فيه وفي الحقيقة تغرب في ظلمة وراء الارض لدورانها كما يقرر ذلك بدائه العلم .

الاعراب :

(ويسألونك عن ذي القرنين) الواو استئنافية ويسألونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به وعن ذي القرنين متعلقان بيسألونك . (قل سأتلو عليكم منه ذكراً) جملة سأتلو مقول القول وعليكم متعلقان بأتلو ومنه متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لذكر أو تقدم عليه وذكر مفعول به . (إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً) إن واسمها وجملة مكنا خبرها وله متعلقان بمكنا وفي الأرض متعلقان بمكنا أيضاً وآتيناه عطف على مكنا وهو فعل وفاعل ومفعول به ومن كل شيء متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لسبباً وسبباً مفعول به ثان لآتيناه . (فأتبع سبباً) الفاء عاطفة وأتبع فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وسبباً مفعول به وقيل هو يتعدى لاثنتين حذف أحدهما وتقديره فأتبع سبباً سبباً آخر أو فأتبع أمره سبباً قال يونس وأبو زيد : أتبع بالقطع عبارة عن المجد المسرع الحثيث الطلب وبالوصل إنما يتضمن الاقتفاء دون هذه الصفات . (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) حتى حرف غاية وجر وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة بلغ مضافة الى الظرف ومغرب الشمس مفعول به وجملة وجدها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وفي عين متعلقان بتغرب وحمئة صفة لعين . (ووجد عندها قوماً قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً) ووجد عطف على وجدها وعندها ظرف متعلق بوجد وقوماً مفعول به وقلنا فعل وفاعل وذا القرنين منادى مضاف وإما حرف شرط وتفصيل وأن تعذب مصدر مؤول في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف أي هو تعذيبك أو الرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف أي إما تعذيبك واقع ، ومن شواهد الرفع

حول الشاعر :

فسيروا فإما حاجة تقضيها منها

وإما مقييل صالح وصديق

أو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف أي إما أن تفعل التعذيب وإما أن تتخذ عطف على إما أن تعذب وفيهم متعلقان بتتخذ أو مفعول به ثانٍ لتتخذ وحسناً مفعول به أول أي أمراً ذا حسن . (قال : أما من ظلم فسوف نعذبه) أما حرف شرط وتفصيل ومن ظلم مبتدأ وجملة ظلم صلة فسوف الفاء رابطة وسوف حرف استقبال ونعذبه فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول والجملة خبر من . (ثم يرد الى ربه فيعذبه عذاباً نكراً) ثم حرف عطف وتراخ ويرد فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو والى ربه متعلقان يرد فيعذبه الفاء عاطفة ويعذبه فعل وفاعل ومفعول به وعذاباً مفعول مطلق ونكراً صفة . (وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى) وأما عطف على أما السابقة ومن مبتدأ وآمن صلة وعمل صالحاً فعل وفاعل مستتر ومفعول به أو صالحاً صفة لمفعول مطلق محذوف أي عملاً صالحاً فله الفاء رابطة وله خبر مقدم وجزاء تمييز وأعربها أبو حيان مصدراً في موضع الحال أي مجازى كقولك في الدار قائماً زيد وقيل اتصب على المصدر أي يجزى جزاء ، والحسنى مبتدأ مؤخر أي فله الفعل الحسنى جزاء . قال الفراء ونصب جزاء على التفسير أي لجهة النسبة أي نسبة الخبر المقدم وهو الجار والمجرور إلى المبتدأ المؤخر وهو الحسنى والتقدير فالفعل الحسنى كائنة له من جزاء الجزاء (وسنقول له من أمرنا يسراً) وسنقول فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن وله متعلقان بنقول ومن أمرنا متعلقان

بمحذوف حال لأنه كان صفة ليسراً وتقدم عليه ويسراً مفعول به أو مفعول مطلق أي لا تأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر .

الفوائد :

بحث طريف يتعلق بـ « في » :

ذهب ابن قتيبة إلى أن « في » بمعنى « عند » لأنها قد ترد بمعنى « في » وبمعنى « مع » قال الشاعر :

حتى إذا ألفت يداً في كافر

معناه عند كافر ، وقال الشاعر :

وفي الشر نجاة حين لا ينجيك إحسان

معناه ومع الشر ، وتكون في الآية بمعنى على كقوله تعالى : « ولأصلبكم في جذوع النخل » أي على جذوع النخل وقال عنترة :
بطل كأن ثيابه في سرحة

أي على سرحة ، وكما أن في تقع موقع على كذلك تعكس القضية كقول الشاعر :

ولقد سربت على الزمان بمعشر

أي في الظلام .

هذا ونقول إن الخطاب على حكم الحس في رأي العين لأن من وقف على شاطئ البحر المحيط أو قريباً من جبل عال رأى الشمس عند الغروب كأنها تدلت في نفس البحر أو خلف الجبل ، قال الله تعالى :

« حتى توارت بالحجاب » أي وراء الجبل ولولا أن اللفظ جاء على حكم الحسّ في الظاهر لما قال الله تعالى : « وجد عندها قوماً » ومن المعلوم عقلاً أن القوم لا يجلسون في قرن الشمس ولا هم عندها ولكن لما كان ذو القرنين قد توغل في جوب الأرض حتى انتهى إلى البحر المحيط من جهة الغرب كان الناظر يخيل إليه أن الشمس تغرب هناك وإذن فالخطاب ورد على حكم الحسّ في الظاهر وما أكثر ما تكذب الحواس وله مباحث تؤخذ من مظانها وليس من شرطنا البحث في هذه الموضوعات على جلالتها ويروي التاريخ أن لابن الهيثم كتاباً جليل القدر يقع في سبعة مجلدات في هذا العلم ولكنه فقد مع ما فقد من تراثنا العربي .

هذا وقد نظرف الشعراء فأشاروا إلى خداع الحس ، قال أبو العلاء المعري :

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته
والذنب للطرف لا للنجم في الصغر
وقال الخفاجي :

ولا ينال كسوف الشمس طلعتها
وإنما هو فيما يزعم البصر

ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ
عَلَىٰ قَوْمٍ لَّهَا نَجَعٌ لَّهُمْ مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا

بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ
وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَبْنَذُ
الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ
خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي
خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ
الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ
نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا
اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ
دَكَّاءً ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾

اللفظة :

(بين السدين) : بين الجبلين يروى أن ذا القرنين سدّ ما بينهما ،
وإطلاق السد على الجبل لأنه سد في الجملة ، وفي القاموس : السدّ
الجبل والحاجز ، أو لكونه ملاصقاً للسد فهو مجاز بعلاقة المجاورة
والقول الثاني هو المناسب لما قبله والتفاصيل في المطولات .

(يأجوج ومأجوج) : اسمان أعجيبان بدليل منع الصرف فيهما
للعلمية والعجمة وقيل بل هما عريان واختلف في اشتقاقهما فقليل من

أجيج النار وهو التهابها وشدة توقدها وقيل من الأوجة وهي الاختلاط أو شدة الحر وقيل من الأوج وهو سرعة العدو ، وإنما معنا من انصرف للعلمية والتأنيث وكلاهما من أج الظليم إذا أسرع أو من أجت النار إذا التهمت والأقوال في حقيقتهما كثيرة يمكن الرجوع إليهما في المطولات .

(خرجاً) : جعلاً من المال أو الخراج بتثليث الغاء وقد قرئ بها ومنه « الخراج بالضمان » ثم سمي ما يأخذه السلطان خراجاً ويقال للجزية الخراج فيقال أدى خراج أرضه ، ومن المجاز خرج فلان في العلم والصناعة خروجاً إذا نبغ وخرّجه فلان فتخرج وهو خريج المدرسة ، قال زهير يصف الخيل :

وخرّجها صوارخ كل يوم فقد جعلت عرائكها قلين
أي وأدبها كما يخرّج المتعلم .

(ردماً) : حازراً حصيناً موثقاً ، والردم أكبر من السد من قولهم ثوب مردم ، ومنه قول عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

المتردم الموضع الذي يسترقع ويستصلح لما اعتراه من الوهن والوهي والتردم أيضاً مثل الترثم وهو ترجيح الصوت مع تحزين ومعنى قول عنترة : لم يترك الأول للآخر شيئاً أي سبقني من الشعراء قوم لم يتركوا لي مسترقعاً أرقعه ومستصلحاً أستصلحه .

(زبر الحديد) : جمع زبرة كغرفة أي قطعة .

(الصدفين) بفتحين ، وضمين أيضاً ، وضم الأول وسكون الثاني ، وقد قرئ بالثلاث جميعاً مثني صدف بفتحين وصدف بضمين

وصُدِّفَ بضم الأول وفتح الثاني وبالعكس : منقطع الجبل أو ناصيته
وقد سميا بذلك لأنهما يتقابلان .

- (قطراً) بكسر فسكون النحاس المذاب على الحديد المحمى .
- (يظهره) يعلوا ظهره لارتفاعه وانملاسه .
- (نقباً) خرقاً لصلابته وثخاتته .
- (دكاء) بالمد أرض مستوية من قولهم ناقة دكاء أي لا سنام لها ،
ذلت بالدك وقرئ دكاً مصدر دك .

الاعراب :

(ثم اتبع سبباً) عطف على ظائرها وقد تقدم إعرابها . (حتى
إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها
سترأ) حتى حرف غاية وجر وإذا ظرف مستقبل وجملة بلغ مضافة الى
الظرف ومطلع بكسر اللام مكان الطلوع وسيأتي القول فيه في باب
الفوائد وجملة وجدها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة
تطلع مفعول ثان لوجدتها وعلى قوم متعلقان بتطلع وجملة لم نجعل صفة
لقوم ولهم في موضع نصب مفعول ثان لنجعل ومن دونها حال وسترأ
مفعول نجعل الأول لأن أرضهم لا أبنية فيها بل فيها أسراب فإذا طلعت
الشمس دخلوها وإذا ارتفع النهار خرجوا الى معاشهم وقيل المراد
بالستر اللباس فهم عراة أبداً . (كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً)
كذلك خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك وقد الواو عاطفة أو حالية
وقد حرف تحقيق وأحطنا فعل وفاعل وبما متعلقان بأحطنا ولديه صلة
الموصول وخبراً تمييز أو مفعول به وقد تقدم . (ثم اتبع سبباً) تقدم
إعرابه . (حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونها قوماً لا يكادون
يفقهون قولاً) بين السدين : انتصب بين على أنه مفعول به مبلوغ

كما انجر على الاضافة في قوله تعالى « هذا فراق بيني وبينك » وكما ارتفع في قوله « لقد تقطع بينكم » لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفاً وسيأتي تفصيل ذلك في باب الفوائد وجملة وجد لا محل لها لأنها جواب إذا ومن دونهما مفعول وجد الثاني وقوماً مفعول وجد الأول وجملة لا يكادون صفة لقوماً والواو اسم يكاد وجملة يفقهون خبرها وقولاً مفعول به • (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) يا أداة نداء وذا القرنين منادى مضاف وإن واسمها ومأجوج عطف على يأجوج ومفسدون خبر إن وفي الأرض متعلقان بمفسدون • (فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً) الفاء عاطفة وهل خرف استفهام ونجعل فعل مضارع وفاعل مستتر ولك مفعول نجعل الثاني وخرجاً مفعول نجعل الأول وعلى ومدخولها متعلقان بمحذوف صفة لخرجاً أي قائماً على هذا الشرط فعلى هنا على بابها أي للاستعلاء وبيننا الظرف متعلق بمحذوف مفعول تجعل الثاني وبينهم عطف على بيننا وسداً مفعول تجعل الأول • (قال ما مكنتي فيه ربي خير) ما اسم موصول في محل رفع مبتدأ وجملة مكنتي صلة وفيه متعلقان بمكنتي وربّي فاعل مكنتي وخير خبر المبتدأ • (فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً) الفاء الفصيحة وأعينوني فعل أمر وفاعل ومفعول به وبقوة متعلقان بأعينوني واجعل فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وبينكم الظرف مفعول اجعل الثاني وبينهم عطف عليه وردماً مفعول أجعل الأول ومعنى أعينوني بقوة أي بفعله وصنّاع يحسنون البناء وبآلة وسيأتي تفسيرها • (آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين) آتوني فعل أمر وفاعل ومفعول به أول وزبر الحديد مفعول به ثان وحتى حرف غاية وجر وإذا ظرف مستقبل وساوى فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو

ولا بد من تقدير محذوف للغاية أي فجاءوه بما طلب فبني، وجعل بين الصدفين الفحم والخطب حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما والظرف متعلق بساوى (قال اتفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً) جملة اتفخوا مقول القول وجملة قال لا محل لها لأنها جواب إذا وحتى غاية للنفخ وجملة جعله ناراً مضافة إلى الظرف وناراً مفعول جعل الثاني وجملة آتوني مقول القول وأفرغ مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وفاعله أنا وعليه متعلقان بأفرغ وقطراً مفعول به لأفرغ والتقدير وآتوني قطراً أفرغ عليه قطراً فحذف الأول لدلالة الثاني عليه والمسألة من باب التنازع ، فقد أعمل الثاني ولو أعمل الأول لقالوا آتوني أفرغه عليه قطراً إذ التقدير آتوني قطراً أفرغه عليه ومثله قوله تعالى : « هاؤم اقرءوا كتابيه » أعمل الثاني ولو أعمل الأول لقال « هاؤم اقرءوه كتابيه » وسيأتي القول فيه في حينه . (فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً) الفاء عاطفة على محذوف أي فجاء قوم يأجوج بعد أن أنهى بناءه وتسويته يحاولون أن يعلوه أو يثقبوه فما استطاعوا ، واستطاعوا فعل وفاعل وأن وما بعدها مصدر مؤول في محل نصب مفعول استطاعوا ، وما استطاعوا عطف على فما استطاعوا وله متعلقان بنقباً ونقباً مفعول به . (قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً) جملة هذا مقول القول وهذا مبتدأ ورحمة خبر والاشارة إلى السد لأنه مانع من خروجهم ومن ربي صفة لرحمة ، فاذا الفاء استئنافية واذا ظرف مستقبل وجملة جاء وعد ربي مضافة للظرف وجملة جعله لا محل لها ودكاء مفعول به ثان لجعل وكان الواو عاطفة أو حالية وكان وعد ربي كان واسمها وحقاً خبرها .

الفوائد :

١- أسماء الزمان والمكان تفيد زمان الفعل ومكانه وتصاغ من الثلاثي المجرد على وزن مَفْعَل بفتح العين وعلى وزن مَفْعِل بكسرها فوزن مفعِل بفتح العين للثلاثي المجرد المأخوذ من يفعل المضموم العين أو يفعل المفتوح العين في المضارع أو من الفعل المعتل الآخر مطلقاً فالأول مثل مكتب ومحضر ومحل من حل بالمكان والثاني مثل ملعب ومزرع والثالث مثل ملهى ومشوى وموقى وشذت ألفاظ جاءت بالكسر مع أنها مبنية من مضموم العين في المضارع وهي أحد عشر وهي المطلع والمنسك لمكان النسك أي العبادة والمجزر لمكان جزر الأبل وهو نحرها يقال جزرت الجزور أجزرها بالضم إذا نحرتها وجلدتها والمنبت لموضع النبات والمشرق والمغرب لمكان الشروق والغروب والمفرق لوسط الرأس لأنه موضع فرق الشعر وكذلك مفرق الطريق للموضع الذي يتشعب منه طريق آخر والمسكن موضع السكنى والمسقط موضع السقوط يقال هذا مسقط رأسي أي حيث ولدت وسقط رأسي والمرفق موضع الرفق والمسجد وهو اسم للبيت وليس المراد موضع السجود فقد كسروا هذه الألفاظ والقياس فيها الفتح .

ووزن مفعِل بكسر العين للثلاثي المجرد المأخوذ من يفعل الصحيح المكسور العين أو من المثال الواوي فالأول مثل مجلس ومحبس ومضرب ومبيت ومضيف والثاني مثل مورد وموعد .

وقد تدخل تاء التأنيث على أسماء المكان كالمزلة بفتح الزاي وكسرها فالمفتوح من باب فرح والمكسور من باب ضرب وهي اسم مكان من زل إذا سقط والمظنة لموضع الظن ومألفه وهو بفتح الظاء لأنه من ظن يظن بالضم والمقبرة لموضع القبر والمعبرة لموضع الشط

المهيا للعبور والمشرقة مثلثة الرء والمدرجة الطريق من درج يدرج دروجاً إذا مشى والموقعة بفتح القاف وكسرهما الموضع الذي يقع عليه والمشرقة بفتح الرء وضمتها أي موضع الشرب وتطلق أيضاً على الغرفة لأنهم كانوا يشربون فيها وهي أيضاً الأرض اللينة الدائمة النبات وإذا كثر الشيء بالمكان قيل فيه مفعلة بالفتح فيبنى اسم المكان من الاسماء مثل أرض مسبعة أي كثيرة السباع ومذابة أي كثيرة الذئب ومأسدة أي كثيرة الأسود ومبطخة أي كثيرة البطيخ ومقثأة أي كثيرة القثاء ومحيأة أي كثيرة الحياة ومفعاة أي كثيرة الأفاعي ومدرجة أي كثيرة الدراج بضم الدال وتشديد الرء وهو طائر جميل ملون الريش ويطلق على الذكر والأنثى .

أما وزنهما ما فوق الثلاثي فبكون على وزن المضارع بضم الميم المبدلة من حرف المضارعة وفتح ما قبل الآخر نحو مجتمع ومنتدى ومنتظر ومستشفى فهما يشبهان اسم المفعول والمصدر الميمي والتفرقة بينها بالذوق والقرينة .

٢ - الظرف :

الظرف قسمان : متصرف وغير متصرف :

فالمتصرف ما يستعمل ظرفاً وغير ظرف فهو يفارق الظرفية الى حال لا تشبهها كأن يستعمل مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً به أو نحو ذلك مثل شهر ويوم وسنة وليل . والظرف غير المتصرف ما يلزم النصب على الظرفية فلا يستعمل إلا ظرفاً منصوباً مثل قط وعوض وبيننا وبينما وإذا وأيان وأنى وذا صباح وذات ليلة ومنه ما ركب من الظروف مثل صباح مساء وليل ليل ومنه ما يلزم النصب على الظرفية أو الجر

بمن نحو قبل وبعد والجهات الست ولدى ولدن وعند ومتى وأين
وهنا وثم وحيث والآن وتفصيل ذلك في المطولات .

٣ - استطاع واسطاع :

قالوا : الأصل في اسطاع استطاع وان التاء حذفت تخفيفاً وفتحت
همزة الوصل وقطعت وهو قول الفراء وفي استطاع لغات : اسطاع
يسطيع بفتح الهمزة في الماضي وضم حرف المضارعة فهو من أطاع يطيع
وأصله يطوع بقلب الفتحة من الواو الى الطاء في أطوع إعلالاً له
حملاً على الماضي فصار أطاع ثم دخلت السين كالعوض من عين الفعل
هذا مذهب سيويه واللغة الثانية استطاع يستطيع بكسر الهمزة في
الماضي ووصلها وفتح حرف المضارعة وهو استفعل نحو
استقام واستعان .

* وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ۝١٩ وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ۝٢٠

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝٢١

أُحْصِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا

أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۝٢٢ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ

أَعْمَالًا ۝٢٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَاءِهِمْ فَحَبَّطْتَ
 أَعْمَلَهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا ﴿١١٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ
 بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١١٦﴾

اللفظة :

(يموج) : يختلط •

(الصور) : القرن ينفخ فيه والبوق •

الاعراب :

(وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) وتركنا فعل وفاعل
 وبعضهم مفعول به ويومئذ ظرف مضاف الى مثله متعلق بيموج وجملة
 يموج في بعض مفعول به ثان والتنوين في إذ عوض عن جملة كسا تقدم،
 وقد جعل بعضهم ترك متعدياً الى واحد فتكون جملة يموج في محل
 نصب على الحال • (وتنفخ في الصور فجمعناهم جمعاً) وتنفخ فعل ماض
 مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر وفي الصور متعلقان بتنفخ فجمعناهم
 الفاء عاطفة وجمعناهم فعل وفاعل ومفعول به وجمعاً مفعول مطلق •
 (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) وعرضنا عطف على ما تقدم
 وجهنم مفعول به ويومئذ ظرف مضاف الى مثله متعلق بعرضنا وللکافرين
 متعلقان بعرضنا أيضاً وعرضاً مفعول مطلق • (الذين كانت أعينهم في
 غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً) الذين صفة للکافرين أو

بدل منهم وجملة كانت صلة وأعينهم اسم كانت وفي غطاء خبر كانت وعن ذكرى صفة لغطاء وكانوا كان واسمها وجملة لا يستطيعون سمعاً خبرها . (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) الهزة للاستفهام الانكاري التويخي والذين فاعل وجملة كفروا صلة وان وما في حيزها سدت مسد مفعولي حسب ومن دوني مفعول ثان ليتخذوا وأولياء مفعول به أول . (إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً) إنا إن واسمها وجملة أعتدنا خبر وجهنم مفعول به وللکافرين حال لأنه كان صفة لنزلاً ونزلاً حال أي مفعلة لهم كالنزل يعد للضيف . (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً) جملة هل ننبئكم مقول القول وبالأخسرين دخلت الباء على مضمون المفعولين الثاني والثالث وأعمالاً تمييز وجمع التمييز وهو أصيل في الافراد لمشاكلة المميز وللايدان بأن خسرانهم إنما كان من جهات شتى لا من جهة واحدة . (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) الذين صفة للأخسرين أو بدل ويرجح أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف كأنه جواب لسؤال سائل ومن هم الأخسرون أعمالاً وجملة ضل صلة وسعيهم فاعل وفي الحياة متعلقان بضل والواو حالية وهم مبتدأ وجملة يحسبون خبر وان وما في حيزها سدت مسد مفعولي يحسبون وجملة يحسنون خبر أنهم وصنعاً مفعول ويجوز أن يعرب تمييزاً وجملة وهم يحسبون حال من فاعل ضل . (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم) أولئك اسم اشارة مبتدأ والذين خبره وجملة كفروا صلة وبآيات ربهم جار ومجرور متعلقان بكفروا ولقاءه عطف على آيات فحبطت عطف على كفروا وأعمالهم فاعل حبطت . (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) فلا نقيم عطف على ما تقدم والفاعل مستتر تقديره نحن ولهم متعلقان بنقيم ويوم القيامة متعلق بنقيم أيضاً ووزناً مفعول به أي

فلا يكون لهم عندنا وزن أو مقدار • (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً) ذلك مبتدأ وجزاؤهم خبر وجهنم بدل أو عطف بيان لقوله جزاؤهم ويجوز أن يعرب ذلك خبراً لمبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وجزاؤهم جهنم مبتدأ وخبر فتكون كل من الجملتين جملة برأسها ويجوز أن يعرب ذلك مبتدأ وجزاؤهم مبتدأ ثان وجهنم خبر جزاؤهم والجملة خبر المبتدأ الأول وهو ذلك وهذه الأوجه متساوية الرجحان ، وبما كفروا يجوز أن يتعلق بمحذوف خبر ذلك في أحد وجوهه أو بمحذوف حال أي بسبب كفرهم وما مصدرية واتخذوا عطف على كفروا وآياتي مفعول به أول ورسلي عطف على آياتي وهزواً مفعول به ثان •

البلاغة :

١ - الاستعارة المكنية :

في قوله تعالى « وتركنا بعضهم يومئذ يسوج في بعض » استعارة محسوس لمحسوس كما قسمنا أنواع الاستعارة فإن أصل الموج تحريك المياه فاستعير لحركة يأجوج ومأجوج لاشتراك المستعار والمستعار له في الحركة وهي استعارة مكنية تبعية أوهم الخلق يمجون •

٢ - جناس التصحيف :

وفي قوله تعالى « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » جناس التصحيف وهو أن يكون النقط فيه فارقاً بين الكلمتين على حد قول البحرى :

ولم يكن المغتر بالله إذ سرى ليعجز والمعتز بالله طالبه

الجناس وأقسامه :

الجناس ويقال له التجنيس والمجانسة والتجانس وكلها ألفاظ مشتقة من الجنس، وحده في الاصطلاح تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى وفائدته أن يميل بالسامع الى الإصغاء فإن مناسبة الالفاظ تحدث ميلاً وإصغاء اليها ولأن اللفظ المذكور إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوق إليه .

وفيما يلي أقسام الجناس باختصار :

- ١ - الجناس المركب : وهو أن يتألف من ركنين وهو قسمان :
- آ - أن يتشابه ركناه لفظاً لا خطأ كقول العباد الاصفهاني وكان يسير مع القاضي الفاضل في موكب السلطان وقد ثار الغبار :

أما الغبار فإنه	مما أثارتـه السنايك
والجو منه مظلم	لكن أنار به السنايك
يا دهر لي عبد الرحـ	م فلست أخشى من نايك

ويحكى أنه لما كان المعتمد بن عباد في سجن أغمات وطال عليه الحال قالت له جاريته لقد هنا هنا فأنشد على قولها :

قلت لقد هنا هنا	مولاي أين جاهنا
قلت لها : إلهنا	صيرنا إلى هنا

ب - أن يتشابه ركناه لفظاً وخطأ ومن أمثله :

عضنا السدر بنابه	ليت ما حل بنا به
------------------	------------------

ولأبي الفتح البستي :

إذا لم يكن ملك ذا هبة فدعه فدولته ذاهبه

٢ - الجناس الملفق :

وحده أن يكون كل من الركنين مركباً من كلمتين كقول بعضهم:

رعى الله دهرأ بكم قد مضى بلغت الأمانى به في أمان
وأيام أنس تولت لنا بأحلام عان بأحلى معان

٣ - الجناس المعنوي :

وهو مجرد صناعة مضمّنية وقد يأتي حسناً ، وهو أن يضم المتكلم
ركني التجنيس ويذكر ألفاظاً مرادفة لأحدهما فيدل المظهر على المضمّر
وأحسن ما سمعناه منه قول أبي بكر بن عبدون وقد اصطبّح بخمرة
وترك بعضها الى الليل فصارت خلاً :

ألا في سبيل الله كأس مدامة أتتنا بطعم عهده غير ثابت

حكّت بنت بسطام بن قيس صبيحة

وأضحت كجسم الشنفرى بعد ثابت

فصح معه جناسان مضمّران في صدر البيت وعجزه لأن بنت
بسطام بن قيس كان اسمها الصهباء والشنفرى اسمه ثابت وجعل جسمه
خلاً في مرثية خاله تأبط شراً حيث قال :

فاسقنيها يا سواد بن عمرو إن جسمي بعد خالي لخل

والخل المهزول ، وأما الجناس المضمر فهو بنت بسطام التي هي الصهباء وأما الذي في العجز فهو جسم ثابت الشنفرى الذي هو الخل والمعنى أن الخمر التي حكت سميتها بنت بسطام صباحاً وحكت جسم الشنفرى مساء أي كانت صهباء فصارت خلاً فظهر من كناية اللفظ جناسان مضمران الصهباء وهي الخمرة والصهباء وهي بنت بسطام وخل وهو المهزول وخل وهو ما يؤتدم به •

٤ - الجناس المطرف :

وهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفاً في طرفه الأول كقول عبد الله بن المعتز :

زارني والدجى أحمر الحواشي	والثريا في الغرب كالعنقود
وكان الهلال طوق عروس	بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول	طول الله فيك غيظ الحسود

فإن قوله الحسود زاد حرفاً على سود •

٥ - الجناس المحرف :

وهو ما اتفق ركناه في أعداد الحروف وترتيبها واختلفا في هيئة الحروف فقط، سمي بذلك لانحراف هيئة عن هيئة الآخر قال أبو العلاء:

والحسن يظهر في شيئين رونقه بيت من الشعر أو بيت من الشعر

٦ - الجناس اللفظي :

وهو ما تماثل ركناه لفظاً واختلف ركنيه عن الآخر خطأ ،

قال أبو تمام :

يسدون من أيّد عواص عواصم
تصول بأسياف قواضٍ قواضب

وقال البحتري :

من كل ساجي الطرف أغيد أجيد
ومهفّف الكشحين أحوى أحور

٧ - الجنس المطلق :

وهو ما اختلف ركناءه في الحركات والحروف فاشتبه بالمشتق
الراجع معناه الى أصل واحد وليس كذلك وهو جميل غير متكلف ،
ومنه قول أبي فراس :

سكرت من لحظه لا من مداوته
ومال بالنوم عن عيني تمايله
فما السلاف دهنتي بل سوافه
ولا الشمول ازدهنتي بشمايله
ألوى بعزمي أصداغاً لوين له
وغال صبري بما تحوي غلايله
وقد ولع أبو فراس بهذا اللون من الجنس فقال :
عذيري من طوالع في عذارى
ومن برد الشباب المستعار

وثوب كنت ألبسه أنيق
 أجرّر ذيله بين الجواري
 وما زادت على العشرين سني
 فما عذر المشيب إلى عذاري
 ومنه الحديث النبوي وهو « الظلم ظلمات يوم القيامة » .

٨ - الجنس المذيل :

وهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر بحرف أو أكثر في طرفه الأخير
 فكان له بشابة الذيل اللاحق بالثوب ، ومنه قول أبي تمام :

يسدون من أيّد عواص عواصم
 تصول بأسياف قواض قواضب
 ولحسان بن ثابت منه :

وكنّا متى يغز النبي قبيلة
 نصل جانبيها بالقنا والقنابل

٩ - الجنس اللاحق :

وهو ما أبدل من أحد ركنيه حرف واحد بغيره من غير مخرجه
 سواء كان الإبدال في الأول أو الوسط أو الآخر ، قال البحتري :

عجب الناس لاغترابي وفي الأطـ... .

...راف تلقى منازل الأشراف

وقعودي عن التقلب والأر
ض لمثلي رحيمة الأكناف
ليس عن ثروة بلغت مداها
غير أنني امرؤ كفاني كفافي
والأبي فراس الحمداني :

تعس الحريص وقلّ ما يأتي به
عوضاً عن الإلحاح والإلحاف
إن الغني هو الغني بنفسه
ولو أنه عاري المناكب حافي
ما كلّ ما فوق البسيطة كافياً
فإذا قنعت فكل شيء كافي

١٠ - الجناس المصحف :

وقد تقدم عند الكلام على الآية ، والأبي فراس فيه روائع ، استمع
إلى هذه المقطوعة :

ما كنت مذ كنت إلا طوع خلاني
ليست مؤاخذه الإخوان من شاني
يجني الخليل فأستحلي جنايته
حتى أدل على عفوي واحساني

إذا خلي لي لم تكثر اساءته
 فأين موقع إحسانني وغفراني
 يجني عليّ وأحنو صافحاً أبداً
 لا شيء أحسن من حانٍ علي جاني
 ١١ - الجناس التام :

وهو أن يتفق اللفظان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها
 وترتيبها وهو قسمان :

آ - الجناس التام المتماثل : وهو أن يكون اللفظان من نوع
 واحد كاسمين أو فعلين أو حرفين كقوله تعالى « ويوم تقوم الساعة
 يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة » •

وقول أبي تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب
 في حدّه الحد بين الجد واللعب

فجانس بين حد السيف والحد الفاصل بين الشيتين وهما اسمان ،
 وقد تفنن الشعراء فيه ولا سيما في عصور الانحطاط كقول الملك
 الصالح داود :

عيون من السحر المبين تبين
 لها عند تحريك الجفون سكون

تصول ببيض وهي سود فرندهما
 ذبول فتور والجفون جفون
 إذا أبصرت قلباً خلياً من الهوى
 تقول نه : كن مغرمًا فيكون
 ب - وان كانا من نوعين كاسم وفعل أو اسم وحرف أو فعل
 وحرف سمي الجناس المستوفى كقول أبي الفضل الميكالي :
 يا من يضع عمره في اللهو أمسك
 واعلم بأنك ذاهب كذهاب أمسك
 فجناس بين أمسك وهو فعل أمر وأمسك وهو اليوم الذي
 قبل يومك .
 أبو تمام والتجنيس :
 وقد بالغ أبو تمام في استعمال التجنيس وفيما يلي طائفة منها :
 قال :
 فأصبحت غرر الأيام مشرقة
 بالنصر تضحك عن أيامك الغرر
 فالغرر الأولى استعارة من غرر الوجه والغرر الثانية مأخوذة من
 غرة الشيء أكرمه . وقال في قصيدته فتح عمورية :
 عداك حر الثفور المستضامة عن
 برد الثفور وعن سلسالها الخصب

فالشغور جمع ثغر وهو واحد الأسنان ، وهو أيضاً البلد الذي
على تخوم العدو ، ثم قال فيها :

كم أحرزت قصب الهندي مصلته
تهتز من قصب تهتز في كذب

بيض إذا اتفتت من حجبها رجعت
أحق بالبيض أبداً من الحجب

فالقصب السيوف ، والقصب القدود على حكم الاستعارة وكذلك
البيض السيوف والبيض النساء وهذا من نادر أبي تمام الذي لا يتعلق
به أحد .

وقد أكثر أبو تمام من التجنيس في شعره فمنه ما أغرب فيه
وأحسن ومنه ما أتى مستقلاً نائياً كقوله :

قرت بقرآن عين الدين واشترت
بالأشترين عيون الشرك فاصطلمنا

فجانس بين قرت من قرت العين أي بردت سروراً وقرآن اسم مكان
واشترت : انشقت والأشترين اسم مكان أيضاً واصطلم : قطع
من أصله .

وأقبح من ذلك قوله :

فاسلم سلمت من الآفات ما سلمت

سلام سلمى ومهمل أورك السلم

جناس البحتري : أما البحتري فلم سف الى الحضيض الذي
أسف إليه أبو تمام ولم يأت بالتجنيس إلا جملاً مطبوعاً غير
متكلف كقوله :

إذا العين راحت وهي عين على الهوى

فليس بسرّ ما تسر الأضالع

فالعين الجاسوس والعين معروفة •

وما أجمل قول أبي العلاء المعري :

لم يبق غيرك إنساناً يلاذ به

فلا برحت لعين الدهر انساناً

ولأبي تمام تجنيس متكرر في البيت الواحد قال :

ليالينا بالرقمتين وأهلنا

سقى العهد منك العهد والعهد والعهد

فالعهد الأول المسقى هو الوقت والعهد الثاني هو الحفاظ من
قولهم فلان ما له عهد ، والعهد الثالث الوصية من قولهم عهد فلان الى
فلان وعهدت اليه أي وصاني وصيته ، والعهد الرابع : المطر وجمعه
عهاد ، قال ابن رشيق : « استثقل قوم هذا التجنيس وحق لهم » •

الفوائد :

١ - أفعال التصيير هي التي تدل على التحويل والانتقال من
حالة الى أخرى وهي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر هكذا قال
النحاة واعترض بعضهم ذلك بقوله ان معمولي هذه الأفعال متغايران

مفهوماً وخارجاً فلا يصح أن يدعى كونهما مبتدأ وخبراً لوجود اتحادهما خارجاً يبين لك ذلك أنك تقول صيرت الفقير غنياً والمعدوم موجوداً ولا يخفى أن صدق أحدهما على الآخر مستتبع ويجاب بأن نحو الفقير غني صحيح أي الفقير فيما مضى تجدد له الغنى وكذا المعدوم موجود إذ الوصف العنوانى لا يشترط وجوده دائماً بل يكفي وجوده في بعض الأوقات. وقال الشهابي القاسمي: ويسكن أن يجاب عن البحث بأن أريد أن أفعال التصيير لا يكون معمولاً لها متغايرين مفهوماً وخارجاً فهو ممنوع نحو قوله تعالى «وتركنا بعضهم يومئذ يسوج في بعض» فإن تركها هنا من أفعال التصيير مع صدق أحد مفعوليهما على الآخر وإيجاده معه خارجاً فإن المائج يصدق على بعضهم ويتحد معه خارجاً وإن أريد أنه قد يكون معمولاً لها كذلك فمسلم ولا يضير لأن أفعال الباب لا يجب أن تدخل على المبتدأ والخبر بل قد تدخل على غيرهما .

٢ - اعلم أن المميز يكون واحداً ويكون جمعاً فإذا وقع بعد عدد نحو عشرين وثلاثين ونحوهما لم يكن المميز إلا واحداً نحو قولك : عندي عشرون ثوباً وثلاثون عمامة لأن العدد قد دل على الكمية ولم يبق بنا حاجة إلا إلى بيان نوع ذلك المبلغ وكان ذلك مما يحصل بالواحد وهو أخف وأما إذا وقع مفسراً لغير عدد نحو : هذا أفره منك عبداً وخير منك عملاً جاز الأفراد والجمع لاحتمال أن يكون له عبد واحد وعبيد فإذا قلت : هو أفره منك عبداً أو خير منك أعمالاً دلت بلفظ الجمع على معنيين : النوع وانهم جماعة . قال الله تعالى : « قل هل تنبئكم بالأخسرين أعمالاً » ، فهم من ذلك النوع وإنه كان من جهات شتى لا من جهة واحدة وإذا أفردت فهم منه النوع لا غير .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ
 الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ
 كَانَتِ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتُ
 رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ
 أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا
 صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ؕ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

اللفظة :

(الفردوس) : الجنة من الكرم خاصة ، وقيل : بل ما كان غالبها
 كرمًا . وقيل : كل ما حوط فهو فردوس والجمع فراديس ، وقال المبرد :
 والفردوس فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والأغلب عليه من
 العنب ، وحكى الزجاج انها الأودية التي تنبت ضروباً من النبت ،
 واختلف فيه فقيل هو عربي وقيل أعجمي ، وقيل هو رومي ، وقيل
 فارسي ، وقيل سرياني ، وفي القاموس والتاج : الفردوس : بالكسر
 الأودية التي تنبت ضروباً من النبت والبستان يجمع كل ما يكون في
 البساتين تكون فيه الكروم وقد يؤنث ، عربية أو رومية نقلت أو
 سريانية ، وروضة دون اليمامة لبني يربوع ، وماء لبني تميم قرب
 الكوفة ، وقلعة فردوس بقزوين . الى أن يقول والفردسة السعة وصدر
 مفردس واسع أو ومنه الفردوس قال شارحه قوله : أو ومنه الفردوس أي

اشتقاقه كما نقله ابن القطاع وهذا يؤيد كونه عربياً ويدل له أيضاً قول حسان :

وان ثواب الله كل موحـد جنان من الفردوس فيها يخلد

(حولا) : الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عاذني حبها عوداً يعني لا مزيد عليه والحول بكسر الحاء وفتح الواو مصدر بمعنى التحول يقال حال عن مكانه حولا فهو مصدر كالعوج والصفر .

(المداد) : اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ، ويقال السمد مداد الأرض .

الاعراب :

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً) ان واسمها وجملة آمنوا صلة وجملة وعملوا الصالحات عطف على الصلة وجملة كانت خبر إن ولهم حال من نزلاً لأنه كان صفة وتقدم عليه وجنات الفردوس اسم كانت ونزلاً خبرها ويجوز أن يكون لهم الخبر ونزلاً حال . (خالدين فيها لا يفتنون عنها حولا) خالدين حال من الضمير في لهم وفيها متعلقان بخالدين وجملة لا يفتنون حالية وعنهما متعلقان بحولا وحولا مفعول يفتنون . (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) لو شرطية وكان البحر كان واسمها ومداداً خبرها ولكلمات صفة لمداد واللام واقعة في جواب لو وجملة نفد البحر جواب شرط غير جازم لا محل لها وقيل ظرف متعلق بنفذ وأن تنفذ المصدر مضاف لقبل

وكلمات ربي فاعل والواو لعطف ما بعده على جملة مقدرة مدلول عليها بما قبلها أي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلماته لو لم يجيء بثله مدداً ، ولو شرطية وجئنا فعل الشرط وجواب لو محذوف تقديره لنفد ولم تفرع ، وبثله متعلقان بجئنا ومدداً تمييز كقولك لي مثله رجلاً وسيأتي مزيد بحث في الفوائد عن جواب لو . (قل إنما أنا بشر مثلكم) إنما كافة ومكفوفة وأنا مبتدأ وبشر خبر ومثلكم صفة . (يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) جملة يوحى صفة لبشر وإلي متعلقان يوحى وانما كافة ومكفوفة ولكنها لم تخرج عن المصدرية فهي وما بعدها في محل رفع نائب فاعل وإلهكم مبتدأ وإله خبر وواحد صفة . (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وكان فعل ماض ناقص واسمها يعود على من وجملة يرجو خبرها ولقاء ربه مفعول به ، فليعمل الفاء رابطة لجواب الشرط واللام لام الأمر ويعمل فعل مضارع مجزوم بالام الامر وعملاً مفعول مطلق أو مفعول به وصالحاً صفة ولا يشرك لا ناهية ويشرك فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعبادة ربه متعلقان يشرك وأحداً مفعول يشرك .

الفوائد :

جواب لو :

سيأتي المزيد من أبحاث لو في هذا الكتاب فهي من الأدوات التي يكثر فيها القول ولذلك جعلناه موزعاً على الآيات وتكلم الآن عن جواب لو فنقول : إن جوابها إما ماض معنى نحو نعم العبد صهيب نو لم يخف الله لم يعصه أو ماض وضعاً وهذا إما مثبت فاقتترانه باللام نحو « لو نشاء لجعلناه حطاماً » أكثر من تركها نحو « لو نشاء جعلناه

أجاءاً « وهذه اللام تسمى لام التسوييف لأنها تدل على تأخير الجواب عن الشرط وتراخيه عنه كما أن اسقاطها يدل على التعجيل أي أن الجواب يقع عقب الشرط من غير مهلة ولهذا دخلت في « لو نشاء لجعلناه حطاماً » وحذفت في نحو « لو نشاء جعلناه أجاءاً » أي لوقته في المزن من غير تأخير والفائدة في تأخير جعله حطاماً وتقديم جعله أجاءاً تشديد العقوبة أي اذا استوى الزرع على سوقه وقويت به الاطماع جعلناه حطاماً ، أو لأن الزرع ونباته وجفافه بعد النضارة حتى يعود حطاماً مما يحتمل انه من فعل الزراع ولهذا قال تعالى : « أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » أو أنه من سقي الماء وجفافه من عدم السقي وحرارة الشمس أو مرور الأعصار فأخبر سبحانه أنه الفاعل لذلك على الحقيقة وانه قادر على جعله حطاماً في حال نموه لو شاء وإنزال الماء من السماء مما لا يتوهم أن لأحد قدرة عليه غير الله تعالى وهذا من عيون النكت فاعرفه وتدبره .

وإما أن يكون جواب لو منفيّاً بما فالأكثر تجرده من اللام ويقل اقترانه بها فالاول نحو « ولو شاء ربك ما فعلوه » والثاني نحو قوله :

ولو نعطي الخيار لما افرقنا ولكن لا خيار مع الليالي

فأدخل اللام على ما النافية ولا تدخل اللام على ناف غيرها وقيل قد تجاب لو بجملة اسمية مقترنة باللام نحو « ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير » فاللام في لمثوبة جواب لو وان بين الماضي والاسم تشابهاً من هذه الجهة وقال الزمخشري وانما جعل جوابها جملة اسمية دلالة على استمرار مضمون الجزاء ورد أبو حيان هذا في البحر فقال اللام في لمثوبة لام الابتداء لا الواقعة في جواب لو وهو

أحد احتمالي الزمخشري وقد تقدم ذلك في البقرة أي فتكون الجملة مستأنفة أو جواب لقسم مقدم وقال ابن هشام في المغني : « والأولى أن تكون لام لثبوت لام جواب قسم مقدر بدليل كون الجملة اسمية وأما القول بأنها لام جواب لو وأن الاسمية استعيرت مكان الفعلية تعسف » وأقول التعسف في تقديرها للقسم أكثر من جعل الجواب جملة اسمية .

سورة مريم

مَكِّيَّة وَأَيُّهَا الْمَكِّيُّونَ وَتَشْعَبُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيِّصَ ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً ۝ إِذْ نَادَىٰ
 رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ
 شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي
 وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِ
 يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝

اللغة :

(وهن) : في المصباح : « وهن يهن من باب وعد ضعف فهو
 واهن في الأمر والعمل والبدن ، ووهنته أضعفته يتعدى ولا يتعدى
 في لغة فهو موهون البدن والعظم والأجود أن يتعدى بالهزة فيقال :
 أوهنته والواهَن بفتحين لغة في المصدر ووهن يهن بكسرتين لغة قال
 أبو زيد : سمعت من الأعراب من يقرأ فما وهنوا » وفي القاموس
 وغيره : وهنه يهنه وهناً وأوهنه أضعفه ووهن وأوهن الرجل دخل
 في الوهن من الليل ووهن ووهن يهن ووهن يوهن وهناً ووهناً
 ووهن يوهن وهناً ضعف في الأمر أو العمل أو البدن وتوهن البعير

اضطجع والطائر أثقل من أكل الجيف فلم يقدر على النهوض والوهن مصدر ومن الرجال أو الإبل : الغليظ القصير والوهن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعة منه والموهن من الليل كالوهن ، والوهانة من النساء الكسلى عن العمل تنعماً •

(الموالى) : الذين يلونني في النسب كبنى العم والموالى جمع مولى وهو العاصب •

(عاقراً) : لا تلد ، قال في القاموس : عقرت تعقِر عَقْراً وعَقْراً وعَقَّاراً وعَقَّرت تعقُر عَقْراً وعَقَّارة وعَقَّارة وعَقَّرت المرأة أو الناقة صارت عاقراً أي حبس رحمها فلم تلد وعَقَّر عَقْراً الأمر لم ينتج عاقبة وعَقَّر عَقْراً الرجل دهش •

(ولياً) : ابناً وهو أحد معانيه الكثيرة •

الاعراب :

(كهيص ، ذكر رحمة ربك عبده زكريا) كهيص تقدم القول في فواتح السور واعرابها ومعانيها فارجع اليه وذكر خبر لمبتدأ محذوف أي هذا المتلو عليك من القرآن أو مبتدأ محذوف الخبر أي فيما يتلى عليك ذكر ، ورحمة ربك مضافة لذكر من اضافة المصدر لمفعوله والفاعل مستتر أي ذكر الله رحمة عبده زكريا وعبده مفعول به لرحمة وزكريا بدل من عبده أو عطف بيان له • (إذ نادى ربه نداء خفياً) إذ ظرف لما مضى من الزمن وهو متعلق برحمة ربك أي رحمة الله إياه وقت أن ناداه وقيل العامل فيه ذكر وقيل هو بدل اشتمال من زكريا ، وجملة نادى مضاف إليها الظرف والفاعل مستتر تقديره هو ونداء

مفعول مطلق وخفياً صفة . (قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً) ربي منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وان واسمها وجملة وهن العظم خبرها ومني حال واشتعل عطف على وهن والرأس فاعل وشيباً تمييز محول عن الفاعل أي انتشر الشيب في رأسي وسيأتي سر هذه الاستعارة في باب البلاغة . (ولم أكن بدعائك رب شقياً) الواو عاطفة ولم حرف تفي وقلب وجزم وأكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم واسمها مستتر تقديره أنا وشقياً خبرها وبدعائك متعلقان بشقياً ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة . (وإني خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتي عاقراً) وإني عطف على إني وهن والياء اسم ان وجملة خفت خبرها والموالي مفعول به ومن ورائي متعلقان بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالى ولا يجوز أن يتعلق بخفت لفساد المعنى ووجه فساد أن الخوف واقع في الحال لا فيما يستقبل فلو جعل من ورائي متعلقاً بخفت لزم أن يكون الخوف واقعاً في المستقبل أي بعد موته وهو كما ترى ، ظاهر الفساد وعبرة الزمخشري : « من ورائي بعد موتي وقرأ ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالى أي خفت فعل الموالى وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي ، وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالى من ورائي وهذا على معنيين أحدهما أن يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالى أي قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين . فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بوالى يرزقه ، والثاني أن يكون بمعنى قدّامي فيتعلق بخفت ويريد أنهم خفّوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد . وقال ابن هشام في المغني « الثاني قوله تعالى : وإني خفت الموالى من ورائي ،

فإن المتبادر تعلق من بخفت وهو فاسد في المعنى والصواب تعلقه بالموالي لما فيه من معنى الولاية أي وخفت ولايتهم من بعدي وسوء خلافتهم أو بمحذوف هو حال من الموالي أو مضاف إليهم أي كائنين من ورائي أو فعل الموالي من ورائي وأما من قرأ خفت بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء فمن متعلقة بالفعل المذكور . وكانت امرأتي عاقراً الواو عاطفة وكان واسمها وخبرها . (فهب لي من لدنك ولياً) الفاء الفصيحة أي وإلا فهب لي ، وهب فعل أمر ولي متعلقان بهب ومن لدنك حال وولياً مفعول به لهب . (يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضياً) جملة يرثني صفة لولياً ولذلك رفعت وقرئ بالجزم على أنه جواب الطلب ويرث عطف على يرثني ومن آل يعقوب متعلقان يرث ومفعول يرث محذوف تقديره الشرع والحكمة والعلم لأن الأنبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبراً ويرث من آل يعقوب الملك فعلى هذا تكون الياء في يرثني منصوبة بنزع الخافض أي يرث مني الحبورة ، واجعله فعل دعاء وفاعل مستتر ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة ورضياً مفعول به ثان لاجعله .

وقد استشكل بعضهم جملة يرثني صفة بناء على أن نبي الله يحيى مات قبل والده بأن دعاء النبي قد يتخلف وذلك لأنه بموته قبله لم يرثه ومعلوم ما يورث من الأنبياء ورأى هذا المستشكل أن الجملة مستأنفة لا صفة وأجيب بأن دعاء الأنبياء قد يتخلف وقد وقع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه سأل في ثلاثة أمور فاستجيب له في اثنين وتأخرت الإجابة في الثالث وقد اعترض القول بالاستئناف بأن مصاد الجملة حينئذ الإخبار وأخبار الأنبياء لا يتخلف قطعاً وأجيب بأن هذا الإخبار باعتبار غلبة الظن لأن نبي الله زكريا لما كان مسناً غلب على

ظنه أنه متى وهب له ولد يرثه . هذا وقد ذكر الجلال السيوطي الإشكال في كتاب شرح عقود الجمان وذكر مثل الجواب الذي أوردناه آنفاً ثم قال : « وأجاب الشيخ بهاء الدين بأن المراد إرث النبوة والعلم وقد حصل في حياته » . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنا معاشر الأنبياء لا نورث » ورواه البزاز بلفظ نحن معاشر الخ وتتمام الحديث : « ما تركناه صدقة » ونصب معاشر على الاختصاص بفعل محذوف وجوباً تقديره أخص وما تركناه ما موصولة في محل رفع بالابتداء وتركنا صلته والعائد محذوف أي تركناه وصدقة خبر ما ، والحكمة في أن الأنبياء لا يورثون أنه وقد وقع في قلب الإنسان شهوة موت مورثه ليأخذ ماله فنزّه الله أنبياءه وأهاليهم عن ذلك ولئلا يظن بهم مبطل انهم يجمعون المال لورثتهم ولأنهم كالآباء لأمتهم فيكون مالهم لجميع الأمة وهو معنى الصدقة العامة وأما قوله تعالى « فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب » وقوله « وورث سليمان » فالمراد الوراثة في العلم والنبوة وبهذا يندفع أن عدم الإرث مختص بنبينا صلى الله عليه وسلم ، فإن قيل إن الله أخبر عن بعضهم بقوله : « واني خفت الموالي » إذ لا تخاف الموالي على النبوة أجيب بأنه خاف من الموالي الاختلاف من بعده الرجوع عن الحق فتسنى ولداً نبياً يقوم فيهم . بقي هنا شيء لا بد من التنويه به وهو أن الأنبياء هل يرثون ؟ قال صاحب التتمة : إن النبوة مانعة من الارث وذكر البزاز الواعظ أنه روي : نحن معاشر الأنبياء لا نرث ولا نورث ويعارضه ما ذكر الماوردي في الاحكام السلطانية أنه صلى الله عليه وسلم ورث من أبيه أم أيمن الحبشية واسمها بركة وخمسة جمال وقطعة من غنم ومولاه شقران واسمه صالح وقد شهد بداراً وورث من أمه دارها ومن خديجة دارها .

البلاغة :

في هذه الآيات فنون عديدة نوجز القول فيها :

١ - الاختراس في قوله « نداء خفياً » وقد تقدم القول فيه وانه عبارة عن أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل أو لبس أو إيهام فيفطن لذلك حال العمل فيأتي في صلب الكلام بما يخلصه من ذلك كله وقد تقدمت أمثلة عديدة منه كما ستأتي له ظائر مشبهة وهو هنا في كلمة خفياً فقد أتى بها مراعاة لسنة الله في إخفاء دعوته لأن الجهر والاختفاء عند الله بيان فكان الأولى به أن يحترس مما يوهم الرياء أمام الناس الذين يحكمون على الظاهر ويجهلون حقيقة الدخائل أو لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبرة والشيخوخة ودفعاً للفضول الذي يطلق الألسنة بمختلف أنواع الملام وقيل احترس من مواليه الذين خافهم وقيل ليس في الأمر احتراس وانما الكلام جار على حقيقته لأن خفوت صوته ناتج عن ضعفه وهرمه حيث يخفت الصوت ويكل اللسان وتعشى العينان وتثقل الآذان على حد قول عوف بن محلم الخزاعي :

إن الثمانين وبلغتها - قد أحوجت سمعي الى ترجمان

وقد قيل في صفات الشيخ « صوته خفات ، وسمعه تارات » .

٢ - الاستعارة المكنية :

في قوله تعالى « واشتعل الرأس شيباً » شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإثارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ ثم أخرجه مخرج الاستعارة المكنية وأسند الاشتعال الى

مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميّزاً ولم يصف الرأس أي لم يقل رأسي اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة ونزید علی ذلك وجوه الشبه الأربعة الكامنة في هذا الخيال البعيد ، وهي :

آ - السرعة : وذلك أن النار حين تشتعل وتندلع ألسنتها فإنها تسرع في التهام ما تمتد اليه وهكذا الشيب لا يكاد يخط الرأس حتى بمتد بسرعة عجيبة •

ب - تعذر التلافي : وذلك أن النار إذا شبت وتدافع شؤبوبها وتطائر لهيبها اجتاحت كل ما تصادفه وذل لها الصخر والخشب على حد قول أبي تمام :

لقد تركت أمير المؤمنين بها للنار يوماً ذليل الصخر والخشب

فيغنوا لها الصخر ويذل الخشب ويستسلم لشؤبوبها كل ما يناله دون أن تجدي في ذلك حيلة وقد يتعذر على رجل الاطفاء إخماد لهيبها وكثيراً ما يصبح الماء بمثابة الحطب الذي يذكيها وكذلك الشيب ينتشر بسرعة غريبة في أجزاء الرأس ويتمادي في سرعته بحيث يتعذر بل يستحيل تلافيه ، وكثيراً ما يجنح الذين أصيبوا بالشيب الى تغطية شيبهم بالأصابع الكاذبة ليخفوا حقيقتهم وليستهوا قلوب الغانيات فلن يبدل ذلك شيئاً من الواقع الراهن •

ج - الألم : وكما أن النار لذاعة كواءة تؤلم من تلامسه فكذلك الشيب يؤلم الأشيب وقد صدت عنه الغواني واقتحمته العيون على حد قول ابن الرومي :

و كنت جلاء للعيون من القذى
 فقد أصبحت تقذي بشيبي وترمد
 هي الأعين النجل التي كنت تشتكي
 مواقعها في القلب والرأس أسود
 وقول أبي تمام :

يا نسيب الثغام ذنبك أبقى
 حسناتي عند الحسان ذنوباً
 لو رأى الله أن في الشيب خيراً
 جاورته الأبرار في الخلد شياً
 وجميع ذلك منقول عن عمر بن أبي ربيعة :

رأين الغواني الشيب لاح بعوارضي
 فأعرضن عني بالخدود النواضر
 ويرحم الله شوقياً عندما جلس على ضفاف البردوني في رحلة
 واستمع الى وشوشات الحلي ووسوسات الأساور وألفى نفسه يرتقي
 الى السبعين فصرخ :

شيئت أحلامي بقلب باكٍ ولمت من طرق الملاح شباكي
 ورجعت أدراج الشباب وورده أمشي مكانهما على الاشواك

وبجاني واه كأن خفوقه لما تلفت جهشة المتباكي

د - المصير : وكما أن مصير النار بعد أن تفعل أفاعيلها وتبلغ غايتها الخمود والانطفاء فالرماد كذلك مصير الانسان وناهيك بهذا المصير إيلاماً للنفس وارتماضاً للقلب فهذه أوصاف أربعة جامعة بين المشبه والمشبه به فتأمل هذا الفصل ، فله على سائر الفصول الفضل .

هذا وقد أوجزنا القول في عدم إضافة الرأس بالاكتهاء بعلم المخاطب ولا بد من إيضاحه الآن فنقول أن للاستعارة مطلوبات ثلاثة : المبالغة في التشبيه والظهور والإيجاز وكل استعارة تتناول واحداً من هذه المطلوبات أما هذه الاستعارة فقد تناولت المطلوبات الثلاثة بكاملها فإن الكلام أن يقال : شيب الرأس ولو جاء الكلام كذلك لأفاد الظهور فقط دون المبالغة واللفظ الأول يعطى عموم الشيب جميع نواحي الرأس كما أنك إذا قلت : اشتعلت نار البيت صدق ذلك على اشتعال النار في بعض نواحيه دون بقيته بخلاف ما إذا قلت اشتعل البيت ناراً فإن مفهوم ذلك اشتعال النار على كل البيت بجميع أجزائه فتنبه لهذا الفصل وإن طال بعض الطول فإنه كالحسن غير مملول .

هذا وقد اقتبس ابن دريد اشتعال الرأس شيئاً فقال في مقصورته:

واشتعل المبيض في مسوده

مثل اشتعال النار في جزل الغضا

هذا ولما كان الشيب عندهم عيباً قالوا : هو أشيب أي وصفاً على غير قياس لأن الوصف على أفعل إنما يكون من فعل كفرح وشرطه

الدلالة على العيوب أو الألوان وقال الشهاب الخفاجي انه على وزن الوصف من المصائب الخلقية فعدوه من العيوب، ولأبي الحسن الزوزني:

كهي الشيب عيأ ان صاحبه إذا
أردت به وصفاً له قلت أشيب

وكان قياس الأصل لو قلت شائبا
ولكنه في جملة العيب يحسب

فشائب خطأ لم يستعمل .

هذا وفي قوله واشتعل الرأس شيباً فن الإطناب فقد اتقل أولاً من شخت الدال على ضعف البدن وشيب الرأس إجمالاً الى هذا التفصيل لمزيد التقرير ، وثانياً من هذه المرتبة إلى ثالثة أبلغ منها وهي الكناية التي هي أبلغ من التصريح ، وثالثاً من هذه المرتبة الى رابعة أبلغ في التقرير وهي بناء الكناية على المبتدأ أي قولك : أنا وهنت عظام بدني ، ورابعاً من هذه المرتبة الى خامسة أبلغ وهي إدخال إن على المبتدأ أعني قولك إني وهنت عظام بدني ، وخامساً الى مرتبة سادسة وهي سلوك طريق الاجمال ثم التفصيل أعني إني وهنت العظام من بدني ، وسادساً الى مرتبة سابعة وهي ترك توسيط البدن لادعاء اختصاصها بالبدن بحيث لا يحتاج الى التصريح بالبدن ، وسابعاً الى مرتبة ثامنة وهي ترك جمع العظم إلى الأفراد لشمول الوهن العظام فرداً فرداً .

٣ - التجريد :

وذلك في قوله تعالى « فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من

آل يعقوب » وقد قدمنا القول فيه مختصراً وسنورده الآن مستوفى :
فنقول ان التجريد هو أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر
بمثاله له فيها مبالغة لكمالها فيه كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى
حيث يصح أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة وهو أقسام :

أ - أن يكون بمن التجريدية كقولهم لي من فلان صديق حسيم
ومنه الآية الكريمة ومثله للقاضي الفاضل في وصف السيوف :

تمدا إلى الأعداء منها معاصياً فترجع من ماء الكلي بأساور

ب - أن يكون بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه نحو
قول ابن هانيء :

وضربتم هام الكساء ورعتم بيض الخدور بكل ليث مخدر

وقال أبو تمام :

هتك الظلام أبو الوليد بقرة فتحت لنا باب الرجاء المقفل

بأتم من قمر السماء وإن بدا بدرأ وأحسن في العيون وأجبل

وأجل من قس إذا استنطقته رأياً وألطف في الأمور وأجزل

والمراد بأتم من قمر السماء نفس أبي الوليد •

ح - أن يكون بدخول في على المنتزع منه أو مدخول ضميره
كقوله تعالى « لهم فيها دار الخلد » أي في جهنم وهي دار الخلد ولكنه
انتزع منها داراً أخرى للمبالغة وقال المتنبي :

تنضي المواكب والأبصار شاخصة

منها الى الملك الميسون طائر

قد حزن في بشر في تاجه قسر في درعه أسد تدمى أظافره

فإن الأسد هو نفس المدوح ولكنه انتزع منه أسداً آخر تهويلاً
لأمره ومبالغة في اتصافه بالشجاعة والصولة .

د - أن يكون بدخول بين كقول ابن النبيه :

يهتز بين وشاحيها قضيب نقا حنائم الحلبي في أفنانه صدحت

هـ - ومنها أن يكون بدون توسط شيء كقول قتادة بن
سليمة الحنفي :

فلئن بقيت لأرحلن بعزة تحوي الغنائم أو يموت كريم

عني بالكريم نفسه فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كرمه
ولذا لم يقل أو أموت ، ولأبي تمام :

ولسو تراهم وإيانا وموقفنا

في موقف البين لاستهلالنا زجل

من حرقرة أطلققتها فرقة أسرت

قلباً ومن غزل في نحره عيذل

وقد طوى الشوق في أحشائنا بقرأ

عيناً طوتهن في أحشائها الكلل

ومراده بالبقر العين الذين أخبر عنهم أولاً بقوله ولو تراهم فكأنه
انتزع منهم موصوفين بهذه الصفة مبالغة فيها .

ز - ومنها أن ينتزع الانسان من نفسه شخصاً آخر مثله في
الصفة التي سيق الكلام لها ثم يخاطبه كقول أبي الطيب :

لا خيل عندك تهديها ولا مال

فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

فكأنه انتزع من نفسه شخصاً آخر مثله في فقد الخيل والمال
ومنه قول الأعشى :

ودّع هريرة إن الركب مرتحل

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

وقال أبو نواس وأبدع متغزلاً :

يا كثير النوح في الدمن لا عليها بل على السكن

سنة العشاق واحدة فإذا أحبيت فاستن

ومراده الخطاب مع نفسه ولذلك قال بعده :

ظن بي من قد كلفت به فهو يجفوني على الظن
بات لا يعنيه ما لقيت عين ممنوع من الوسن
رشأ لولا ملاحظته خلت الدنيا من الفتن

هذا والتجريد كثير في الشعر وستأتي أمثلة منه في مواضع أخرى
من هذا الكتاب .

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَتَّبِعُوْا اِلٰهًا غَيْرَ اللّٰهِ ۚ هُوَ الَّذِيْ خَلَقَ لَكُمْ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ ۚ يَوْمَ تَتُوبُ اِلَيْهِ اُمَمٌ سَابِقَةً بِالْاِثْمِ ۚ وَالَّذِيْنَ هُوَ مُوَدِّعٌ لِّهٖ الْاٰثِمِيْنَ ۚ
 (٧) قَالَ رَبِّ اَنِّىْ يَكُوْنُ لِىْ غُلَمٌ وَكَانَتِ اِمْرَاۤتِىْ عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ
 مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلٰى هٰٓئِنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ
 مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّىْ اٰيَةً قَالَ اٰيٰتُكَ اِلَّا
 تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلٰى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ
 فَاَوْحٰى اِلَيْهِمْ اَنْ سَبِّحُوْا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١) يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا خُذِ الْكِتٰبَ بِقُوَّةٍ
 وَءَاتَيْنٰهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنٰنًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكٰوَةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣)
 وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوْتُ
 وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥)

اللفظة :

(سميّاً) : السمي : المسمّى وهو فعيل بمعنى مفعول وأصله سميوا اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء أي مسمى يحيى قال الزمخشري : « وهذا شاهد على أن الاسامي السنع جديرة بالاثرة وإياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها أنه وأنوه وأنزه عن النبز حتى قال القائل في مدح قوم :

سنع الأسامي مسبلي أزر حمر تمس الأرض بالهدب

انتهى كلام الزمخشري وسنع الاسامي أي أسماؤهم حسنة يقال سنع الرجل كظرف فهو سنيع أي جميل وأسنع والمرأة سنعاء وسنع جمع أسنع كحمر في جمع أحمر من الصناعة وهي الجمال كما أفاده في الصحاح أي أسماؤهم حسنة فهي أنه وأنوه وأنزه عن النبز والحمر صفة الأزور وتمس صفة أخرى لها وهذب الشيء طرفه والمناسب للمعنى أن المراد به الجمع ويمكن أن تكون ضمته مفرداً كقفل وجسماً كفلك ويجوز أنه اسم جمع ولذلك جاء في واحده هذبه ، ومس الأرض بالأطراف كناية عن طولها بل عن غناها وقيل معنى السمي المثل والشبيه والشكل والنظير كما في القاموس وغيره فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في أسمائهم يعمر ويعيش إن كانت التسمية عربية وقد سموا ييموت أيضاً وهو يموت بن المزرع وقيل هو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة .

(عتياً) : في المختار : « عتا من باب سما وعتياً أيضاً بضم العين وكسرهما وهو عات فالعاتي المجاوز للحد في الاستكبار وعتا الشيخ

يعتو عتواً بضم العين وكسرهما كبر وولى « وقال الزمخشري : « أي بلغت عتياً وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من أجل الكبر والطعن في السن العالية أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتياً »

(آية) : علامة على حمل امرأتي •

(المحراب) : في القاموس : « المحراب : الغرفة ، وصدر البيت وأكرم مواضعه ومقام الامام من المسجد والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس » وأما المحراب المعروف الآن وهو طاق مجوف في حائط المسجد يصلي فيه الامام فهو محدث لا تعرفه العرب فتسميته محراباً اصطلاح للفقهاء ، هذا ما قاله الشهاب في حاشيته على البيضاوي ولكن المعنى اللغوي الذي ذكره الفيروزبادي ينطبق عليه وهو « مقام الإمام في المسجد » •

(الحكم) : الحكمة ومنه قول النابغة :

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت

الى حمام شرع وارد الشمد

قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا

إلى حمامتنا أو نصفه فقد

فحسبوه فألفوه كما ذكرت

ستاً وستين لم تنقص ولم تزد

والفتاة التي حكمت هي زرقاء اليمامة التي يضرب بها المثل في
حدة البصر نظرت الى حمام مسرع الى الماء فقالت :

ليت الحمام ليه إلى حمامتيه

ونصفه قديه تم الحمام ميه

فوقع في شبكة صياد فحسبوه فوجدوه ستاً وستين حمامة
ونصفه ثلاث وثلاثون فإذا ضم الجميع إلى حمامتها صار مائة وشرع
بكسر الشين ما يرفع وبه سمي الشرع وهو مثل الملاعة الواسعة يشرع
وينصب على السفينة فتهب فيه الرياح فتمضي بالسفينة ، ويروى شرع
جمع سريع وصفه به لأنه جمع في المعنى كما وصفه بوارد وهو مفرد
لأنه مفرد في اللفظ وروى الحمام أو نصفه بالرفع على إهمال ليتما
وبالنصب على أعمالها لأن ما الزائدة تكف ان وأخواتها ما عدا ليت
فيجوز أعمالها والغاؤها وأو بمعنى الواو وقد بمعنى حسب فهي اسم
أضيفت الى ياء المتكلم بغير نون الوقاية كما يقال حسبي والناء زائدة
لتحسين اللفظ كفاء فقط وكلاهما بمعنى اقته ، وحسبوه بتشديد السين
ليسلم البيت من الخبن وهو نوع من الزحاف معيب وقيل الحكم العقل
وقيل النبوة لأن الله أحكم عقله في صباه وأوحى اليه .

(وحناناً) : أي رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفاً وشفقة وأنشد :

وقالت حنان ما أتى بك ها هنا

أذو نسب أم أنت بالحي عارف

وهذا البيت لمنذر الكلبي وقبله ليتسق معناه :

وأحدث عهد من أمينة قطيرة

على جانب العلياء إذ أنا واقف

يقول : وأقرب عهد أي لقاء ورؤية لأمانة محبوبتي تصغير آمنة هو نظرة مني لها بجانب تلك البقعة إذ أنا واقف هناك أي حين وقوفي بها وفيه إشعار بأنه كان واقفاً يترقب رؤيتها فلما رآته قالت له : حنان أي أمري حنان ورحمة لك وهو من المواضع التي يجب فيها حذف المتبداً لأنه مصدر محول عن النصب وقولها : ما أتى بك هاهنا ؟ استفهام تعجبي أذو نسب أي أنت ذو نسب أم أنت عارف بهذا الحي ويجوز أن يكون أذو نسب بدلاً من ما الاستفهامية أي ما الذي حملك على المجيء هنا أو الذي دلتك عليه صاحب قرابة من الحي أي معرفتك به ويجوز أن الاستفهام حقيقي حكته على لسان غيرها لتلقنه الجواب بقولها : أذو نسب مع معرفتها سبب مجيئه وهو حبها فربما سأله أحد من أهلها فيجيبه بأحد هذين الجوابين وقيل حناناً من الله عليه ، وحن بمعنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في الرأفة والعطف وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة .

(عصياً) : صيغة مبالغة وأصل عصياً عصياً بوزن فاعل ادغمت الياء فيه وأتى بصيغة المبالغة لمراعاة الفواصل لأن المنفي أصل العصيان لا المبالغة فيه .

الاعراب :

(يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) يا حرف نداء وزكريا منادى مفرد علم مبني على الضم وقرىء زكرياء بالهمز على الأصل وإنا ان واسمها وجملة نبشرك خبرها والكاف مفعول به وبغلام جار ومجرور متعلقان بنشرك واسمه مبتدأ ويحيى خبره والجملة الاسمية صفة لغلام . (لم نجعل له من قبل سمياً) الجملة صفة ثانية لغلام وله مفعول

نجعل الثاني ومن قبل حال وسياً مفعول نجعل الأول • (قال رب
أنى يكون لي غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً)
رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وأنى اسم استفهام في محل
نصب على الظرفية المكانية وهو متعلق بالاستقرار في خبر يكون ولي
جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر يكون المقدم و غلام اسمها المؤخر
وكانت الواو للحال وكانت امرأتى عاقراً كان واسمها وخبرها والجملة
حالية وقد بلغت من الكبر جملة حالية أيضاً ومن الكبر متعلقان ببلغت
أو بمحذوف حال من عتياً لأنه كان صفة له وتقدم عليه وعتياً مفعول
بلغت ولا تلتفت الى الأعراب التي تكلفها العربون كاعرابها حالاً
وتسيزاً ومن زائدة وهذا لا يليق بكتاب الله • (قال : كذلك قال ربك
هو علي هين ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) قال فعل ماض
وفاعله مستتر قيل يعود على الله تعالى وقيل على جبريل وكذلك خبر لمبتدأ
محذوف أي الأمر كذلك أو نصب بقال أو بفعل محذوف تقديره أفعل
كذلك والاشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ، وقال ربك فعل وفاعل
وهو مبتدأ وعلي متعلقان بهين وهين خبر هو ولقد الواو حالية وقد
حرف تحقيق و خلقتك فعل و فاعل ومفعول به ومن قبل متعلقان بخلقتك
والواو حالية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتك فعل مضارع ناقص
مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف
واسم تك مستتر وشيئاً خبر تك وجملة ولم تك شيئاً حال متداخلة
وسوف يأتي بحث الشيء بين أهل السنة والمعتزلة وبراعة المتنبى في
هذا الباب • (قال ربي اجعل لي آية) رب منادى وقد تقدم اعرابه
واجعل فعل أمر ولي مفعول به ثان وآية مفعول به أول • (قال آيتك
أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً) آيتك مبتدأ وأن وما في حيزها خبر

والناس مفعول به وثلاث ليال نصب على الظرف والظرف متعلق بتكلم
وسوياً حال من فاعل تكلم أي حالة كونك بلا علة وسليم الأعضاء وقيل
سويّاً نسب على الصفة لثلاث بمعنى أنها كاملات • (فخرج على قومه
من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيّاً) الفاء استئنافية
وخرج فعل وفاعل مستتر وعلى قومه متعلقان بمحذوف حال ومن
المحراب متعلقان بخرج فأوحى عطف على خرج وأن تفسيرية لأنها
وقعت بعد جملة فيها معنى القول وسبحوه فعل أمر وفاعل ومفعول به
وبكرة ظرف زمان متعلق بسبحوه وعشيّاً عطف على بكرة ويجوز أن
تكون أن مصدرية مفعولة بالإيحاء • (يا يحيى خذ الكتاب بقوة
وآتيناه الحكم صبياً) يا يحيى منادى بمفرد علم وخذ الكتاب فعل أمر
وفاعل مستتر ومفعول به وبقوة حال من فاعل خذ والباء للملابسة أي
حال كونك ملتبساً بقوة واجتهاد وآتيناه الواو استئنافية وآتيناه فعل
وفاعل ومفعول به أول والحكم مفعول به ثان وصيماً حال من الهاء •
(وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقياً) وحناناً عطف على الحكم أي وآتيناه
حناناً أي رحمة ورقة في قلبه وعطفاً على الآخرين وقيل مفعول مطلق
لفعل محذوف وهو بعيد ومن لدنا متعلقان بمحذوف صفة لحنان وزكاة
عطف على حناناً وكان تقياً عطف على آتيناه وكان واسمها المستتر وتقياً
خبرها • (وبرّاً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً) وبرّاً عطف على تقياً
وبوالديه متعلقان ببرّاً ولم يكن عطف على وكان تقياً واسم يكن مستتر
تقديره هو وجباراً خبرها وعصياً نعت • (وسلام عليه يوم ولد ويوم
بموت ويوم يبعث حياً) الواو استئنافية وسلام مبتدأ وساغ الابتداء
به مع أنه نكرة لتضمنه معنى الدعاء وعليه خبر ويوم ظرف متعلق
بسلام وجملة ولد مضافة للظرف وما بعده عطف عليه وحياً حال •

البلاغة :

الايجاز في قوله تعالى « أنى يكون لى غلام » فظاهر الكلام يوهم أنه استبعد ما وعده الله عز وجل بوقوعه ولا يجوز لأجد به النبي النطق بسا لا يسوغ أو بسا في ظاهره الإيهام فجاء الكلام موجزاً وتقديره هل تعاد لنا قوتنا وشبابنا فنرزق بغلام ؟ أو هل يكون الولد لغير الزوجة العاقر ؟ وإذن فالمستبعد هو مجيء الولد منها بحالها ولكن الجواب أزال الاشكال إذ فيل له سيكون لكما الولد وأتسا بحالكما .

الفوائد :

اختلف أهل السنة والمعتزلة في الشيء فالمعتزلة يعتقدون أن الشيء يتناول الموجود والمعدوم الذي يصح وجوده فلا يتناول المستحيل إذن أما أهل السنة فلا يتناول الشيء عندهم إلا الموجود ، والآية تشهد لأهل السنة لأن قوله « ولم تك شيئاً » صريحة في ذلك ، وقد رفق المتنبي من طرف خفي بعيد هذا الخلاف ، فاستعمله في وصف الجبان وذلك في قصيدة مستجادة له في مديح سعيد بن عبد الله بن سعيد الكلابي المنبجي وهي مما قاله في صباه قال :

وضاقت الأرض حتى كاد هاربهم

إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً

وقد غفل شراحه عن حقيقة الخلاف المشتجر بين أهل السنة والاعتزال فذهبوا في تفسير هذا البيت كل مذهب قال ابن القطاع : « قد أُوخذ في هذا البيت ف قيل : كيف يرى غير شيء ، وغير شيء »

معدوم والمعلوم لا يرى ؟ وفيه تناقض . وليس الأمر كما قالوا بل أراد غير شيء يعبأ به » وقال أبو بكر الخوارزمي : « رأى في هذا البيت ليست من رؤية العين وإنما هو من رؤية القلب يريد به التوهم وغير الشيء يجوز أن يتوهم ومثله كثير » وقال الواحدي : « إذا رأى غير شيء يعبأ به أو يفكر في مثله ظنه إنساناً يطلبه وكذلك عادة الخائف الهارب كقول جرير :

ما زال يحسب كل شيء بعدهم

خيلاً تكرر عليهم ورجالا

قال أبو عبيد : لما أنشد الأخطل قول جرير هذا قال : سرقة والله من كتابهم « يحسبون كل صيحة عليهم » ويجوز حذف الصفة وترك الموصوف دالاً عليها كقوله عليه الصلاة والسلام : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » أجمعوا على أن المعنى لا صلاة كاملة فاضلة ، ويقولون : هذا ليس بشيء يريدون شيئاً جيداً . وقال بعض المتكلمين : إن الله خلق الأشياء من لا شيء فقل هذا خطأ لأن لا شيء لا يخلق منه شيء ومن قال إن الله يخلق من لا شيء جعل لا شيء يخلق منه والصحيح أن يقال يخلق لا من شيء لأنه إذا قال لا من شيء نفى أن يكون قبل خلقه شيء يخلق منه الأشياء » والصحيح ما قاله : أي إذا رأى غير شيء يخاف منه ، ومن هذا الوادي « حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » معناه يريد أو يطلبه أو يغنيه عن الماء أي شيئاً نافعاً مغنياً .

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا

﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا

سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ
 إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
 غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى
 هَيْنٌ ۖ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾

اللفظة :

(اتبذت) : الاتبذال الاعتزال والانفراد فقد تخلت مريم للعبادة
 في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس
 الناس وقيل غير ذلك والتفاصيل في المطولات وفي المصباح : « واتبذت
 مكاناً اتخذته بمعزل يكون بعيداً عن القوم » .

(بغياً) : البغي : الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند
 المبرد أي بغوي فأدغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام
 « هي فعيل ولو كانت فعولاً ل قيل بغو » كما قيل فلان نهو عن المنكر «
 وبغت فلانة بغاء بكسر الباء ومنه قيل للإماء البغايا لأنهن كن يباغين
 في الجاهلية يقال : قامت البغايا على رؤوسهم قال الأعشى :

والبغايا يركضن أكسية الأضر يج والشرعي ذ الأذيال

وفي القاموس وشرحه : « بغى يبغى من باب ضرب الشيء بغاء
 بضم الباء وبغياً بفتحها وبغى وبغية طلبه وبغى الرجل عدل عن الحق
 وعصى وبغى عليه استطال عليه وظلمه فهو باغ » فلعل اطلاقهم كلمة
 البغاء على العهر والزنا مأخوذ من هذا المعنى لأنه من دواعي ما يطلبه
 أهل الخنا والفجور .

الاعراب :

(واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً)
 واذكر الواو استئنافية واذكر فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت وفي
 الكتاب جار ومجرور متعلقان باذكر ومريم مفعول به واذ: قال أبو البقاء
 ما نصه : في إذ أربعة أوجه أحدها أنها ظرف والعامل فيه محذوف
 تقديره واذكر خبر مريم إذ انتبذت والثاني أن تكون حالا من المضاف
 المحذوف والثالث أن يكون منصوباً بفعل محذوف أي ويسن إذ
 انتبذت فهو على كلام آخر كما قال سيوريه في قوله تعالى « اتهموا خيراً
 لكم » وهو في الظرف أقوى وإن كان مفعولاً به والرابع أن يكون
 بدلاً من مريم بدل اشتمال لأن الاحيان تشتعل على الجثث ذكره
 الزمخشري وهو بعيد لأن الزمان إذا لم يكن حالا من الجثة ولا خبراً
 عنها ولا وصفاً لها لم يكن بدلاً منها وقيل إذ بمعنى أن المصدرية
 كقولك لا أكرمك إذ لم تكرمني أي لأئك لم تكرمني فعلى هذا يصح
 بدل الاشتمال أي واذكر مريم انتباذاً .

واضطرب قول ابن هشام فيها فينما يقول في صدد بحثه عن إذ
 « الوجه الثالث أن تكون بدلاً من المفعول نحو « واذكر في الكتاب
 مريم إذ انتبذت » فإذا بدل اشتمال من مريم على حد البدل في :
 « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه » يعود فيقول : « وزعم
 الجمهور أن إذ لا تقع إلا ظرفاً أو مضافاً إليها وأنها في نحو « واذكروا
 إذ كنتم قليلاً » ظرف لمفعول محذوف أي واذكروا نعمة الله إذ كنتم
 قليلاً ، وفي نحو إذ انتبذت ظرف لمضاف الى مفعول محذوف أي واذكر
 قصة مريم .

وقال شهاب الدين الحلبي المعروف بالسمين : « في إذ أوجه أحدها أنها منصوبة باذكر على أنها خرجت عن الظرفية إذ يستحيل أن تكون باقية على مضيها والعامل فيها ما هو نص في الاستقبال والثاني أنها منصوبة بسحذوف مضاف لمريم تقديره واذكر خبر مريم أو نبأها إذ اتبذنت فإذا منصوبة بذلك الخبر أو النبأ ، الثالث أنها بدل من مريم بدل اشتمال قال الزمخشري : لأن الأحيان مشتملة على ما فيها لأن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها لوقوع هذه القصة العجيبة فيه »

وجملة اتبذنت مضافة إلى إذ ومن أهلها حال ومكاناً ظرف متعلق باتبذنت أي في مكان وشرقياً نعت ويجوز أن يعرب مكاناً مفعولاً به على أن معنى اتبذنت أتت ، ونص المصباح يؤيد كونه مفعولاً به فتأمله في باب اللغة • (فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) الفاء عاطفة واتخذت فعل ماض وفاعل مستتر ومن دونهم مفعول به ثان وحجاباً مفعول به أول فأرسلنا عطف على فاتخذت واليها متعلقان بأرسلنا وروحنا مفعول به ، فتمثل عطف أيضاً ولها متعلقان بتمثل وبشراً حال وسوياً نعت وسوغ وقوع الحال جامدة وصفها وسيأتي مزيد بحث عنها في باب الفوائد • (قالت : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) ان واسمها وجملة أعوذ خبرها والجملة مقول القول وبالرحمن متعلقان بأعوذ ومنك متعلقان بأعوذ أيضاً وإن حرف شرط جازم وكنت فعل ماض ناقص والتاء اسمها وتقياً خبرها وجواب الشرط محذوف والمعنى إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فإني عائذة به منك • (قال إنا أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً) إنما كافة ومكفوفة وأنا مبتدأ ورسول ربك خبر واللام للتعليل وأهب فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ولك متعلقان بأهب وغلاماً مفعول به وزكياً صفة • (قالت : أنى يكون

لي غلام ولم يمسنني بشر ولم أك بغياً) أن اسم استفهام بمعنى كيف وقد تقدم اعرابه في قصة زكريا ولم يمسنني الواو حالية ولم حرف نفي وقلب وجزم ويمسنني مضارع مجزوم بلم والياء مفعول به وبشر فاعل ، ولم أك بغياً : لم حرف نفي وقلب وجزم وأك مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة للتخفيف واسم أك مستتر وبغياً خبرها . (قال كذلك قال ربك هو علي هين) كذلك خبر لمبتدأ محذوف وقد تقدم إعراب ظيرها . (ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً) لنجعله تعليل معطلة محذوف أي فعلنا ذلك أو هو معطوف على مضرر أي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية وآية مفعول به ثان لنجعله وللناس صفة لآية ورحمة منا عطف على آية وكان أمراً مقضياً كان واسمها المستتر وخبرها ومقضياً صفة .

الفوائد :

معنى بشراً سوياً :

تقدم بحث الحال الموطئة وانها ان تكون جامدة موصوفة وهذا أحد شروطها التي تبرر كونها جامدة وهو في الآية بشراً فهو حال من فاعل تمثل وهو الملك والاعتماد فيها على الصفة وهي سوياً وهو اسم مشتق لأنه صفة مشبهة ، وعبارة ابن هشام : « الثاني اتقسامها بحسب قصدها لذاتها وللتوطئة بها الى قسمين مقصودة وهو الغالب وموطئة وهي الجامدة الموصوفة نحو فتمثل لها بشراً سوياً » واعترض بعضهم على هذا الاعراب فقال : ان دعوى الحال تقتضي أن المعنى متمثل لها في حال كونها بشراً ولا يخفى انه وقت التمثيل ملك لا بشر فالأقرب انه منصوب بنزع الخافض أي فتمثل لها ببشر أي تشبه به وتصور بصورته .

واعلم أنه وقع هنا للبيضاوي مالا يليق حيث قال : « أتاها جبريل عليه السلام بصورة شاب أمرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتتحدث نطفتها إلى رحبها » فقوله ليهيج الخ عبارة غير لائقة بمريم مع التحقيق أن عيسى عليه السلام كان من عالم الأمر أي أمر التكوين الممثل بقوله تعالى : « إنا أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » إذ ليس ثم قول ولا كان ولا يكون وهذا وجه المسألة بين عيسى وآدم في قوله تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم » أي في التكوين بالأمر من غير واسطة ولا نطفة والنفخ المدلول عليه بقوله تعالى « فنفخنا فيه من روحنا » من قبيل التمثيل استعير لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها . لا حقيقة النفخ التي هي إجراء الريح إلى جوف صالح لإمساكها والامتلاء بها .

ولا يصح الاعتذار للقاضي البيضاوي بأنه نظر إلى العادة الإلهية الجارية بخلق المسببات عقب الأسباب لأن السبب لا بد أن يكون تاماً ونطفة المرأة وحدها ليست بسبب تام لحصول الولد وإنما تشل لها بصورة حسنة لتأنس به ولا تنفر منه وتصغي إليه وترهف السمع لسماع البشرى وكان بصورة أمرد لإلف النساء إلى الأطفال ومن قرب منهن وعدم الاحتشام منهن . أما رواية الزمخشري فهي : « وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجة بحائط أو بشيء يسترها وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها فإذا طهرت عادت إلى المسجد فينما هي في مغسلها أتاها الملك في صورة آدمي شاب وضيء الوجه ، جعد الشعر ، سوي الخلق ، لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئاً أو حسن الصورة مستوي الخلق وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر منه ولو بدا لها في

الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه » واستأنف الزمخشري كلامه فقال : « ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة ، الفائقة الحسن ، وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها ، وسبراً لعفتها ، وقيل : كانت في منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها الباب فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتلقي رأسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك » .

ونختم هذا الفصل الذي خالفنا فيه شرط كتابنا لأهميته بتذييل للشيخ عبد الرزاق الكاشي وهذا هو نصه : « إنما تمثل لها بشراً سوى الخلق حسن الصورة ، لتأثر نفسها به فتتحرك على مقتضى الجبلة أو يسري الأثر من الخيال في الطبيعة فتتحرك شهوتها فتزل كما يقع في المنام من الاحتلام ، وإنما أمكن تولد الولد من نطفة واحدة لأنه ثبت في العلوم الطبيعية : أن مني الذكر في تولد الجنين بسنزة الإنفحة من الجن ، ومنى الأنثى بسنزة اللبن : أي العقد من مني الذكر والانعقاد من منى الأنثى ، لا على معنى أن مني الذكر ينفرد بالقوة العاقدة ومنى الأنثى ينفرد بالقوة المنعقدة بل على معنى أن القوة العاقدة في مني الذكر أقوى ، وإلا لم يمكن أن يتحدا شيئاً واحداً ولم ينعقد مني الذكر حتى يصير جزءاً من الولد فعلى هذا إذا كان مزاج الأنثى قوياً ذكورياً كما تكون أمزجة النساء الشريفة النفس القوية القوى وكان مزاج كبدها حاراً كان المنى الذي ينفصل عن كليتها اليمنى أحر كثيراً من المنى الذي ينفصل عن كليتها اليسرى فإذا اجتمع في الرحم كان مزاج الرحم قوياً في الإمساك والجذب قام المنفصل من الكلية اليمنى مقام مني الرجل في شدة قوة العقد والمنفصل من الكلية اليسرى مقام منى الأنثى في قوة الانعقاد فيخلق الولد .

هذا وخصوصاً إذا كانت النفس متأيدة بروح القدس متقوية به يسري أثر اتصالها به الى الطبيعة والبدن ويغير المزاج ويمد جميع القوى في أفعالها بالمدد الروحاني فتصير أقدر على أفعالها بما لا يضبط في القياس» •

* فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ ۖ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَرَىٰ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْتَ بِهِ ۖ قَوْمُهَا تَحْمِلُهُ ۚ قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَأْتِيكِ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءَ ۖ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

اللفة :

(قصياً) : بعيداً من أهلها •

(فأجاءها) : يقال : جاء وأجاء لغتان بمعنى واحد والاصل في جاء أن يتعدى لواحد بنفسه فإذا دخلت عليه الهمزة كان القياس يقتضي تعديته لاثنتين إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل فصار بمعنى الجأء الى كذا ألا تراك لا تقول : جئت المكان وأجاءني زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه وظيره آتى حيث لم يستعمل إلا في الاعطاء ولم تقل آتيت المكان وآتانيه فلان •

(المخاض) : وجع الولادة ، وفي القاموس : مخض يسخض بتثنية الخاء في المضارع مخضاً اللبن استخرج زبده فهو لبن مخيض وممخوض ومخض الشيء حركه شديداً ومخض الرأي قلبه وتدبر عواقبه حتى ظهر له الصواب ومخضت بكسر الخاء تسخض بفتحها الحامل مخاضاً بكسر الميم ومخاضاً بفتحها ومخضت بالبناء للسجھول ، ومخضت بتشديد الخاء وتمخضت الحامل دنا ولادها وأخذ الطلق فهي ماخض والجمع مخض بضم الميم وتشديد الخاء ومواخض • وللسيم والخاء مجتمعين معنى يكاد يكون متقارباً فهي تشير الى الانزلاق ومنه مخر البحر والماء أي شقه مع صوت ومخط وامتخط معروفة •

(مت) : بكسر الميم وضمها يقال مات يمت ومات يموت •

(نسياً) : النسي بفتح النون وكسرهما بمعنى النسي كالذبح بمعنى المذبوح وكل ما من حقه أن يطرح ويرمى وينسى •

(سرياً) : السري فيه قولان : أحدهما أنه الرجل المرتفع القدر من سرور يسرو كشرف يشرف فهو سري فأعل إعلال سيد فلامه واو يقال هو سري من السراة والسروات ، قال بشامة بن حزن النهشلي :

وإن دعوت إلى جلتي ومكرمة يوماً سراة كرام الناس فادعينا

والثاني أنه النهر الصغير ويناسبه فكلي واشربي ، واشتقاقه من سري يسري لأن الماء يسري فيه فلامه على هذا ياء ، قال لبيد يصف حماراً وحشياً :

فمضى وقدمها وكانت عادة منه إذا هي عردت أقدامها

فتوسطا عرض السري فصداً مسجورة متجاوراً أقلامها

يقول إنه مضى خلف أتانته نحو الماء وقدمها أمامه واقدامها اسم كان وألحقها التاء لأنها بمعنى التقديم وعادة خبر كانت والتعريد التأخر والجبن فتوسطا أي الحمار والأتان عرض السري أي ناحية النهر الصغير فصداً أي شقاً عيناً مسجورة أي مملوءة .

(رطباً جنياً) : الرطب بضم ففتح ما فضج من البسر قبل أن يصير تمرأ والجنى فعيل بمعنى فاعل أي صار طرياً صالحاً للاجتماع .

(وقرى عيناً) : أي طيبي نفساً ولا تغتمى وارفضي ما أحزنك يقال قرت عينه تقر بفتح العين وكسرهما في المضارع وفي وصف العين بذلك تأويلان أولهما أنه مأخوذ من القر وهو البرد وذلك أن العين إذا فرح صاحبها كان دمعها بارداً وإذا حزن كان دمعها حاراً ولذلك قالوا في الدعاء عليه أسخن الله عينك والثاني أنه من الاستقرار والمعنى أعطاه

الله ما يسكن عينه فلا تطمح الى غيره وفي المصباح : وقرت العين من
باب ضرب قرّة بالضم وقروراً بردت سروراً وفي لغة أخرى من
باب تعب •

(صوماً) : صمتاً وخيل صائمة وصيام قال :

خيل صيام وخيل غير صامته تحت العجاج وأخرى تملك اللجما

وقيل المراد بصائمة وغير صائمة واقفة وغير واقفة •

وصامت الريح ركدت وصام النهار وصامت الشمس كبّدت
وجئته والشمس في مصامها وشاخ فصامت عنه النساء •

(فرياً) : الفري البديع من فرى الجلد ، والفري العظيم من الأمر
يقال في الخير والشر وقيل الفري العجيب وقيل المفتعل ومن الأول
الحديث في وصف عمر بن الخطاب : فلم أرى عبقرياً يفري فريه ،
والفري قطع الجلد للخز والاصلاح ، وفي المختار : « فري الشيء
قطعه لاصلاحه وبابه رمى وفري كذباً خلقه واقتراه واختلقه والاسم
الفرية وقوله تعالى : « شيئاً فرياً » أي مصنوعاً مختلقاً وقيل عظيماً
وأفري الأوداج قطعها وأفري الشيء شقه فانفري وتفري أي انشق ،
وقال الكسائي : أفري الأديم قطعه على جهة الإفساد وفراه قطعه على
جهة الاصلاح » •

الاعراب :

(فحملته فانتبذت به مكافأً قصياً) الفاء عاطفة على محذوف ،
تفديره فنفخ جبريل في جيب درعها فحملته وسيأتي سر هذا التعقيب

في باب الفوائد فانتبذت عطف على فحملته وبه جار ومجرور في موضع نصب على الحال وقد رmq سماءه أبو الطيب المتنبي في قصيدة يسدح بها علي بن مكرم بن سيار التميمي ويصف الخيل :

كأن خيولنا كانت قديماً تُسقى في قحوفهم الحليبا

فمرت غير فافرة عليهم قدوس بنا الجماجم والتربيا

يريد أن خيولهم لم تنفر منهم كأنها كانت في صغرها تسقى في قحوف رعوسهم اللبن يعني قحوف رعوس الأعداء والعرب كان من عاداتها أن تسقي كرام خيولها اللبن وقحف الرأس ما انضم على أم الدماغ ، والجمجمة العظم الذي فيه الدماغ فوطئت رعوسهم وصدورهم ولم تنفر عنهم فكأنها ألفتهم والتريب والتربية واحدة الترائب وهو موضع القلادة ومن طريف الأخطاء أن بعضهم تصدى لشرح هذا البيت ولما لم يعرف معنى التريب قال بالحرف : والتريب والتراب لغة في التراب • زاده الله فهماً !! •

ومكاناً مفعول فيه أو مفعول به وقد تقدم وقصياً صفة • (فأجاءها المخاض الى جذع النخلة) الفاء عاطفة للتعقيب وأجاءها فعل ماض ومفعول به مقدم والمخاض فاعل مؤخر والى جذع النخلة متعلقان بسحذوف حال وسيأتي السر في تعريف النخلة في باب البلاغة • (قالت : يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) يا حرف نداء والمنادى محذوف أو يا لمجرد التنبيه وليت واسمها وجملة مت خبرها وهي فعل وفاعل والظرف منصوب لأنه أضيف وهو متعلق بمت وهذا مضاف اليه وكنت الواو عاطفة وكان واسمها ونسياً خبرها ومنسياً تأكيد لنسياً لأنه بمعناه ولك أن تعربه نعتاً • (فنادها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً) الفاء عاطفة ونادها فعل ومفعول

به وفاعل مستتر يعود على الملك أو عيسى ومن تحتها متعلقان بناداهما أي في مكان أسفل من مكانها أو بمحذوف حال من فاعل أي ناداهما وهو تحتها وأن مفسرة لأن النداء فيه معنى القول دون حروفه ولا ناهية وتحزني مجزوم بلا ويجوز أن تكون مصدرية ، ولا نافية وتحزني منصوب بها وأن وما بعدها نصب بنزع الخافض المتعلق بالنداء والأول أسهل وقد حرف تحقيق وجعل ربك فعل وفاعل وتحتك ظرف متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني لجعل وسرياً هو المفعول الأول وسيأتي السر في علة انتزاع الحزن عنها بنسب وجود الطعام والشراب . (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) : الواو عاطفة وهزي فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والياء هي الفاعل وإليك متعلقان بهزي وبجذع النخلة أورده بن هشام في مغني اللبيب شاهداً على زيادة الباء في المفعول به وأكثر المعربين على ذلك ولكن الزمخشري قال بعد ذكر وجه الزيادة ما معناه : يحتمل انه نزل هزي منزلة اللازم وإن كان متعدياً ثم عداه بالباء كما يعدي اللازم والمعنى افعلي به الهز وتساقط مجزوم لأنه جواب الطلب وعليك متعلقان بتساقط ورطباً مفعول به وجنياً صفة ، وتساقط يتعدى بنفسه ومن أمثلته لا من شواهد لأن البحرى غير محتج بكلامه .

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها

ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وعن المبرد أن رطباً مفعول هزي وباء بجذع النخلة للاستعانة ولا يخفى ما فيه من التكلف بتأخير ما في حيز الأمر عن جوابه وستأتي أوجه زيادة الباء في باب الفوائد . (فكلي واشربي وقري عينا) الفاء الفصيحة أي إذا تم لك هذا كله فكلي ، وكلي فعل أمر والياء فاعل

وما بعده عطف عليه وعيناً تمييز من الفاعل لأنه منقول عنه إذ الأصل لتقر عينك . (فإما ترين من البشر أحداً) الفاء عاطفة وإن شرطية أدغمت نونها بما الزائدة وترين فعل الشرط وأصله ترأين بهمزة هي عين الفعل وياء مكسورة هي لامه وأخرى ساكنة هي ياء الضمير والنون علامة الرفع وقد حذفت لام الفعل لتحركها وافتتاح ما قبلها فقلت ألفاً فالتقت ساكنة مع ياء الضمير فحذفت لالتقاء الساكنين ، ومن البشر حال لأنه كان في الأصل صفة لأحداً وأحداً مفعول به . (فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم أنسياً) الفاء رابطة لجواب الشرط وقولي فعل أمر مبني على حذف النون والياء فاعل وإن واسمها وجملة نذرت خبرها والجملة مقول القول وسيرد إشكال أجبن عنه في باب الفوائد ، وللرحمن متعلقان بنذرت وصوماً مفعول به ، فلن الفاء استثنائية ولن حرف نهي ونصب واستقبال وأكلم منصوب بلن واليوم ظرف متعلق بأكلم وإنسياً مفعول به . (فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً) الفاء استثنائية وأتت فعل وفاعل مستتر والتاء للتأنيث وبه علقه أبو البقاء بمحذوف حال أي مصحوبة به وهو جميل ولا نرى مانعاً بتعلقه بأتت وقومها مفعول به وجملة تحمله حال ثانية إما من ضمير مريم وإما من ضمير عيسى في به ، قالوا فعل وفاعل ويا حرف نداء ومريم منادى واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وجئت فعل وفاعل وشيئاً مفعول به أي فعلت شيئاً وفرياً نعت ويجوز إعراب شيئاً على المصدرية أي نوعاً من المجيء غريباً . (يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً) يا حرف نداء وأخت هارون منادى مضاف أي يا شبيهته ، وهارون رجل صالح شبهوها به في عفتها وصلاحها وليس المراد منه أخوة النسب وقيل إنما عنوا هارون أخا موسى لأنها كانت من نسله والعرب تقول للتسمي

يا أخا تميم وقيل غير ذلك مما تراه في المطولات وما نافية وكان أبوك
امرأ سوء كان واسمها وخبرها وما كانت أمك بغياً عطف على الجملة
التي سبقتها أي ما دمت بهذه المثابة من مظنة العفة والصلاح فمن أين
لك هذا الولد؟ (فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً)
الفاء عاطفة وأشارت فعل وفاعل مستتر وإليه متعلقان بأشارت ، قالوا
فعل وفاعل وكيف اسم استفهام في محل نصب حال ونكلم فعل مضارع
وفاعل مستتر تقديره نحن ومن اسم موصول مفعول به وجملة كان
صلة واسم كان مستتر تقديره هو وفي المهد جار ومجرور متعلقان
بمحذوف حال وصيباً خبر كان وقد اعتبرنا كان على بابها من النقصان
ودلالتها على اقتران مضمون الجملة في الزمن الماضي من غير تعرض
للاقطاع كقوله تعالى : « وكان الله غفوراً رحيماً » وقد نشب بين علماء
العربية خلاف حول « كان » هنا نذكره مبسوطاً في باب الفوائد لما
تضمنه من فوائد . (قال : إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً)
جملة إني عبد الله مقول القول ولذلك كسرت همزة إن لوقوعها بعد
انقول وان واسمها وعبد الله خبرها وقد وصف نفسه بثماني صفات
أولها العبودية وجملة آتاني الكتاب حالية وهذه هي الصفة الثانية
والكتاب مفعول به ثان وجعلني نبياً فعل ماض وفاعل مستتر ومفعولاه
وهذه هي الصفة الثالثة . (وجعلني مباركاً أينما كنت) وجعلني مباركاً
عطف على وجعلني نبياً وهذه هي الصفة الرابعة وأينما اسم شرط جازم
في محل نصب على الظرفية المكانية والجواب محذوف مدلول عليه بما
تقدم أي أينما كنت جعلني مباركاً وهو متعلق بالجواب المحذوف وكان
تامة والتاء فاعلها ويجوز أن تكون الناقصة وأينما متعلق بمحذوف
خبرها المقدم . (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً) ما دمت ما
مصدرية ظرفية ودمت فعل ماض ناقص والتاء اسمها وحياً خبرها

والمصدر المؤول نصب على الظرفية والظرف متعلق بأوصاني وهذه هي الصفة الخامسة • (وبرا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً) وبرا بفتح الباء معطوف نسقاً على مباركاً أي وجعلني براً جعل ذاته براً لفرط بره ولك أن تنصبه بفعل مقدر بمعنى أوصاني تفادياً للفصل الطويل وهذه هي الصفة السادسة وبوالدتي متعلقان براً ولم يجعلني عطف على وجعلني وجباراً مفعول به ثان وشقياً صفة وهذه هي الصفة السابعة • (والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً) السلام مبتدأ وعلي خبره واختلف في معنى آل الداخلة على السلام فقليل هي للعهد لأنه تقدم ذكر السلام الموجه الى يحيى فهو موجه إليه أيضاً ، وقال الزمخشري : « والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضاً باللفظة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود وتحقيقه أن اللام للجنس وإذا قال وجنس السلام عليّ خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم ونظيره قوله تعالى : والسلام على من اتبع الهدى يعني أن العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام منكرة وعناد فهو مثته لنحو هذا من التعريض » ويوم متعلق بمعنى الاستقرار المتعلق به عليّ ولا يجوز نصبه للسلام للفصل بين المصدر ومعموله وجمله ولدت مضافاً إليها الظرف ويوم أبعث عطف على يوم ولدت وكذلك يوم أبعث وحياً حال وهذه هي الصفة الثامنة والأخيرة •

البلاغة :

التعريف :

وذلك في تعريف النخلة التي جاءها المخاض عندها وهذا التعريف لا يخلو إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم والصق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالماً عند الناس فإذا قيل

جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جنوع النخيل وإنما أن يكون من تعريف الجنس أي جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولأن النخلة أقل شيء صبراً على البرد وثمارها إنما هي من جمارها فلتوافقها لها مع جميع الآيات فيها اختارها لها وألجأها إليها .

الفوائد :

١ - خلاصة قصة ميلاد عيسى في القرآن الكريم :

هذا ولم يعن كتاب من الكتب الدينية بميلاد المسيح والدفاع عن طهارة والدته العذراء والإشادة بفضلها وتفضيلها على سائر النساء كما عني القرآن الكريم فقد وردت فيه عن ميلاد المسيح عليه السلام ، وحياته وجهاده في سبيل الدعوة إلى الله وإصلاح البشر عدة آيات في عدد من السور وقد أتت في براءة العذراء وقنوتها بما لم تأت به كتب أخرى بل كانت السورة الثانية الكبرى من القرآن الكريم وهي سورة آل عمران ، وعمران هو والد العذراء وكان عالماً من علماء الدين ولم تأت سورة من السور باسم سيدة من سيدات التاريخ غير اسم مريم وهي تحتوي على عدة آيات في ميلاد المسيح كما وردت آيات أخرى في هذا الحادث الجليل .

ولقد اصطفى الله آل عمران كما اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم على العالمين ، وكان عمران أبو مريم رجلاً تقياً ورعاً ، كما كانت زوجته صالحة تقية فلما حملت نذرت إلى الله أن يكون حملها خادماً للهيكل فلما وضعت وتبين لها أنها أنثى ، وليس الذكر كالأُنثى ، سمتها أمها مريم ولكن الله قبلها في الهيكل بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً .

ولم يعيش عمران حتى تشب مريم وتكبر فتوفي وهي صغيرة فكفلها زوج خالتها النبي زكريا وكانت مريم صديقة مباركة يفيض الله عليها من رزقه من حيث تعلم ولا تعلم فكان زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً كثيراً فيسألها قائلاً : يا مريم أتتى لك هذا فتجيبه : هو من عند الله .

وكانت مريم تتعبد في الهيكل بعيداً عن أهلها وعن الناس ، قد اتبنت مكاناً شرقياً في الناصرة من مدينة الجليل ، وكانت مخطوبة لرجل من أبناء عمومته اسمه يوسف النجار ولكن لم يتم زواجهما لأنها وهبت نفسها الى الله ولكن الله تعالى شاء أن يهب الى البشر من هذه الفتاة الطاهرة الكريمة التقية نبياً كريماً ، ورسولاً عظيماً ، ويجعل منها ومن ابنها آية للناس كما قال تعالى « وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » لم يتم زواج يوسف بمريم وبعث الله جبريل فبشرها بحملها بالسيد المسيح وهي في عزلتها تعبد الله وتخلص له العبادة والتقوى فعجبت لذلك وأجفلت وقالت : كيف يكون لي ولد ولم يمسنني بشر ، فكان الجواب عليها كما جاء في القرآن ، كما صور القرآن فزع مريم في سورة « مريم » حين جاءها الملك بهذه البشارة متمثلاً لها في صورة إنسان ظهر لها في عزلتها ، على حين غرة من أمرها فاستعازت بالله منه فهداً من روعها وأنبأها أنه مرسل من السماء ليهب لها غلاماً زكياً فجاء في هذه السورة « واذكر في الكتاب مريم الخ الآيات » وقد اتفق انجيل لوقا وانجيل برنابا والقرآن الكريم في حادث ولادة المسيح على أنه آية للناس ولم يكن نتيجة اتصال مريم بخطيبها يوسف النجار ، كما جاء في بعض الأناجيل الأخرى كإنجيل متى الذي نصّ على أن « يسوع بن يوسف النجار

ابن يعقوب بن متان بن اليعاذر ، ابن اليهود بن أخيم « الى آخر هذا النسب الذي يصل الى يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام .

فالقرآن الكريم نزل بأن مريم عذراء وانه بعد بشارة الملك لها بهذا الغلام الزكي حملت به وانتبذت مكاناً بعيداً عن الناس ، وعانت وحدها آلام وضعه حتى تمت الموت قبل هذا كما جاء في القرآن الكريم « فحملته فانتبذت به » الخ الآيات . خاطبها هذا الوليد الكريم في مهده وهدأ من روعها ، وطلب اليها أن تستعين على ضعفها بالرطب الجني ، والماء الهني أو خاطبها الملك .

وكان أن وقع ما خشيته مريم من اتهامها بالسوء ، فلما جاءت به الى قومها أنكروا عليها ، واتهموها بما هي براء منه ، فصامت عن الكلام وتولى الطفل الصغير في مهده الدفاع عن أمه الطاهرة النقية كما جاء في القرآن الكريم .

٢ - أسرار الفاءات :

وعندنا أن نتحدث عن أسرار الفاءات في قوله تعالى « فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً فأجاءها المخاض » في هذه الفاءات دليل على أن حملها به ووضعها إياه لأنه عطف الحمل والانتباز الى المكان الذي مضت اليه والمخاض الذي هو الطلق بالفاء وهي للفور ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التي هي للتراخي والمهلة ألا ترى أنه قد جاء في الأخرى : « قتل الانسان ما أكفره ، من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره » فلما كان بين تقديره في البطن وإخراجه مدة متراخية عطف ذلك بثم وهذا بخلاف قصة مريم عليها

السلام ، فانها عطفت بالفاء وقد اختلف الناس في مدة حملها ف قيل :
انه كحمل غيرها من النساء وقيل : لا بل كان مدة ثلاثة أيام ، وقيل :
أقل ، وقيل : أكثر ، وهذه الآية مزيلة للخلاف لأنها دلت صريحاً على
أن الحمل والوضع كانا متقاربين على الفور من غير مهلة وربما كان
ذلك في يوم واحد أو أقل أخذاً بما دلت عليه الآية . هذا ما ورد في
المثل السائر لابن الأثير ، وقد رد ابن أبي الحديد في الفلك الدائر على
ذلك بما أوردناه في سورة النحل من أن التعقيب على حسب ما يصح
إما عقلاً وإما عادة الى أن يقول : وليست الفاء للفور الحقيقي الذي
معناه حصول هذا بعد هذا بغير فصل ولا زمان كما توهمه هذا الرجل
ألا ترى الى قوله تعالى : « لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب »
فإن العذاب مترسخ عن الافتراء فلا يدل قوله تعالى في قصة مريم على
أن الحمل والمخاض كانا في يوم واحد .

قلت :

قلت : بحث ابن أبي الحديد متجه والذي قاله ابن الأثير لا يخلو
من ضعف وقد اختلف المفسرون في مدة حملها فقال ابن عباس تسعة
أشهر كما في سائر النساء وقال عطاء وأبو العالية والضحاك سبعة أشهر
وقال ابن عباس أيضاً في ساعة واحدة وقال آخر لثمانية أشهر وقال
آخرون ستة أشهر وقال آخرون ثلاث ساعات ورجح الامام الرازي
انه في ساعة وقال : « ويمكن الاستدلال له بوجهين » وذكر في الوجه
الاول ما قاله ابن الأثير وذكر في الوجه الثاني : « ان الله تعالى قال في
وصفه : ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن
فيكون فثبت أن عيسى عليه السلام لما قال الله له كن فكان وهذا مما

لا يتصور فيه مدة الحمل انما تعقل تلك المدة في حق من يتولد من النطفة» .

ومذهب الشافعية أن أكثر مدة الحمل أربع سنين وأقله ستة أشهر وقد ولد الضحاك بن مزاحم لستة عشر شهراً وشعبة ولد لستين وهرم بن سنان ولد لأربع سنين ولذلك سمي هرماً ومالك بن أنس حمل به أكثر من ثلاث سنين ، والحجاج بن يوسف ولد لثلاثين شهراً ، ويقال انه كان يقول : اذكروا ليلة ميلادي ، ويقال : إن عبد الملك بن مروان حمل به ستة أشهر والشافعي حمل به أربع سنين أو أقل ، والحنفية يقولون للشافعية : ما جسر إمامكم أن يظهر الى الوجود حتى توفي إمامنا ، ويجيبهم الشافعية بقولهم : بل إمامكم ما ثبت ظهور إمامنا .

القول الفصل في الفاء العاطفة :

والفاء في أصل وضعها للترتيب المتصل ، والترتيب على ضربين :

١ - الترتيب في المعنى : هو أن يكون المعطوف بها لاحقاً متصلاً بلا مهلة كقوله تعالى « خلقت فسواك فعدلك » والأكثر كون المعطوف بها متسبباً عما قبله كقولك : أملتة فمال وأقمتة فقام .

٢ - الترتيب في الذكر : وهو نوعان : أحدهما عطف مفصل على مجمل هو هو في المعنى كقولك توضأ فغسل وجهه ويديه ومسح رأسه ورجليه ومنه قوله تعالى : « ونادى نوح ربه فقال : رب إن ابني من أهلي ... » الآية .

وتكون عطفاً لمجرد المشاركة في الحكم بحيث يحسن بالواو كقول امرئ القيس : « بين الدخول فحومل » .

وتختص الفاء بعطف مالا يصلح كونه صلة على ما هو صلة كقولك الذي يطير فيغضب زيد الذباب فلو جعلت موضع الفاء واواً أو غيرها فقلت الذي يطير ويغضب زيد ، أو ثم يغضب زيد الذباب لم تعجز المسألة لأن يغضب زيد جملة لا عائد فيها على الذي فلا يصلح أن يعطف على الصلة لأن شرط ما يعطف على الصلة أن يصلح وقوعه صلة فإن كان العطف بالفاء لم يشترط ذلك لأنها تجعل ما بعدها مع ما قبلها في حكم جملة واحدة لإشعارها بالسببية كأنك قلت : الذي ان يطير يغضب زيد الذباب وقد يعطف بالفاء متراحياً كقوله تعالى : « والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى » إما لتقدير متصل قبله وإما لحمل الفاء على ثم .

الفاء الفصيحة :

وقد تحذف الفاء مع المعطوف بها إذا أمن اللبس وكذلك الواو فمن حذف الفاء قوله تعالى : « فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم » التقدير فامتثلتم فتاب عليكم وقوله تعالى : « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » معناه فأفطر فعليه عدة وهذه العاطفة على الجواب المحذوف يسببها أرباب المعاني « الفاء الفصيحة » قال صاحب الكشاف في قوله تعالى : « ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله » تقديره فعملوا به وعرفوا حق النعمة فيه والفضيلة وقالوا الحمد لله .

وقال صاحب المفتاح : « هو إخبار عما صنع بهما وعما قالاه كأنه قيل : نحن فعلنا الآيتاء وهما فعلا الحمد وهذا الباب كثير في القرآن وهو من جملة فصاحته ولهذا أسماها أرباب المعاني الفاء الفصيحة .

أما ابن الحاجب فقد قال : ان المعتبر ما يعد في العادة مرتباً من غير مهلة فقد يطول الزمان والعادة تقضي في مثله بانتفاء المهلة وقد تقصر والعادة تقضي بالعكس فإن الزمن الطويل قد يستغرب بالنسبة الى عظم الأمر فتستعمل الفاء وقد يستبعد الزمن القريب بالنسبة الى طول أمر يقضي العرف بحصوله في زمان أقل منه ، والذي يظهر من كلام الجبّارة أن استعمال الفاء فيما تراخى زمانه ووقوعه من الأول سواء قصر في أولاً وإنما هو بطريق المجاز » .

وقال الجرمي : لا تفيد الترتيب في البقاع ولا في الامطار بدليل « بين الدخول فحومل » مطرنا مكان كذا فمكان كذا إذا كان وقوع المطر فيهما في وقت واحد واعترض على معنى التعقيب بقوله تعالى : « الذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى » فإن إخراج المرعى لا يعقبه جعله غثاء أحوى أي يابساً أسود والجواب من وجهين :

آ - ان جملة فجعله غثاء أحوى معطوفة على جملة محذوفة وان التقدير فمضت مدة فجعله غثاء .

ب - ان الفاء نابت عن ثم والمعنى جعله غثاء وسيأتي تفصيل ذلك في حينه .

٣ - لماذا انقشع الحزن عنها بسبب وجود الطعام والشراب؟

ولا بد هنا من الاجابة على سؤال قد يرد فإن ظاهر الكلام يدل على أن حزنها سينقشع بسبب وجود الطعام والشراب وذلك في قوله تعالى : « فكلي واشربي وقري عينا » ومعلوم بأن حزنها لم يكن بسبب ذلك ، ولا هو ناجم عن فقدان الطعام والشراب ولكن السر في

ذلك أن التسلية ونسيان الحزن لم يقعا بها من حيث أنهما طعام وشراب ولكن من حيث أنهما معجزة باهرة ترهص لها ، وتلحظ باطل القوم وتثبت كذبهم وإرجافهم ، كما تثبت أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة وأنها بمعزل عما قرفوها به ثم ان الأمور الخارجة عن العادات لا يمكن إلا أن تكون إلهية ولحكمة نجهلها ومن ذلك ولادتها عيسى من غير فعل وهذا من عجائب الاساليب •

لماذا منعت من الكلام ؟

وهناك سؤال آخر قد يثب الى الذهن بعد هذا كله وهو : ان الله أمرها بأن تمتنع من الكلام لأمرين :

آ - أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون أقوى لحجتها وأرهص للمعجزة وبالتالي لإزالة عوامل الريبة المؤدية الى اتهامها بما يشين •

ب - تشريع الكراهية لأية مجادلة مع السفهاء وقد رفق الشاعر سماء هذا المعنى فقال :

يخاطبني السفه بكلم قبح وأكره أن أكون له مجيبا

٤ - مواضع زيادة الباء :

آ - في الفاعل وزيادتها تكون واجبة في فعل التعجب الوارد على صيغة الأمر نحو أحسن بزيد وعلة الزيادة إصلاح اللفظ وإعرابه أحسن فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض لأجل الصيغة وبزيد الباء حرف جر زائد وزيد فاعل

مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد وتكون غالبية وذلك في فاعل كفى التي بمعنى حسب والتي هي فعل لازم نحو كفى بالله شهيداً ولا تزداد الباء في فاعل كفى التي بمعنى أجزأ أو أغنى ولا التي بمعنى وقى والأولى متعدية لواحد نحو :

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

والثانية متعدية لاثنين كقوله تعالى « وكفى الله المؤمنين القتال » .
قال ابن هشام : « ووقع في شعر المتنبي زيادة الباء في فاعل كفى المتعدية لواحد قال :

كفى ثعلاً فخراً بأنك منهم

ودهر " لأن أمسيت من أهله أهل

ولم أر من انتقد عليه « وقد استعجل ابن هشام بهذا الحكم فقد انتقد عليه ذلك أبو البقاء في شرحه الممتع للديوان وأفاض في إعراب البيت كما انتقد المعري أيضاً ولسنا بصدد التحقيق في ذلك فلعلك ترجع إلى شرح أبي البقاء وإلى مغني اللبيب .

ب - في المفعول به نحو قوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » « وهزي إليك بجذع النخلة » وقول أبي الطيب :

كفى بجسمي نحولاً انني رجل

لولا مخاطبتي إياك لم ترني

ج - في المبتدأ نحو بحسبك درهم وخرجت فإذا يزيد وكيف بك فكيف اسم استفهام خبر مقدم وبك الباء حرف جر زائد والكاف في محل جر بالباء وفي محل رفع بالابتداء وقد ثابت الكاف عن أنت لدخول حرف الجر والمعنى كيف أنت إذا كان الأمر حاصلًا •

د - في الخبر وهو ينقاس في غير الموجب نحو ليس زيد بقائم وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون وفي غير الموجب متوقف على السماع •

هـ - في الحال المنفي عاملها كقوله :

فما رجعت بخائبة ركب حكيم بن المسيب متهاها

و - في التوكيد بالنفس والعين نحو جاء زيد بنفسه وبعينه •

هـ - مبحث هام حول كان :

قوله تعالى « كيف نكلم من كان في المهد صبياً » جرينا في اعرابها على أنها ناقصة واسمها مستتر تقديره هو وصياً خبرها ومن اعرابها كذلك الزمخشري ووعدنا أن ننقل الخلاف الذي ثار حولها لطرافته ولما فيه من رياضة ذهنية :

أما أبو البقاء فقد أعربها زائدة أي من هو في المهد وصياً حال من الضمير في الجار والضمير المنفصل المقدر كان متصلاً بكان وقيل كان الزائدة لا يستتر فيها ضمير فعلي هذا لا تحتاج الى تقدير هو بل يكون الظرف صلة من وقيل ليست زائدة بل هي كقوله « وكان الله عليماً حكيماً » وقيل هي بمعنى صار وقيل هي التامة ومن بمعنى الذي وقيل شرطية وجوابها كيف •

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين : في كان هذه أقوال :

آ - انها زائدة وهو قول أبي عبيد أي كيف نكلم من في المهد ،
وصيباً على هذا نصب على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور
والواقع صلة •

ب - انها تامة بمعنى حدث ووجد والتقدير كيف نكلم من وجد
صيباً وصيباً حال من الضمير في كان •

ح - انها بمعنى صار أي كيف نكلم من صار في المهد صيباً ،
وصيباً على هذا خبرها •

د - انها الناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة
بالزمان الماضي من غير تعرض للانقطاع كقوله تعالى « وكان الله غفوراً
رحيماً » ولذلك يعبر عنها بأنها ترادف لم يزل •

وقال ابن الأنباري في « أسرار العربية » كان هنا تامة وصيباً
منصوب على الحال ولا يجوز أن تكون ناقصة لأنه لا اختصاص لعيسى
عليه السلام في ذلك لأن كلاً كان في المهد صيباً ولا عجب في تكليم من
كان فيما مضى في حال الصبا •

وبعد كتابة ما تقدم وقعت على ما قاله أبو طاهر حمزة في رسالة
له سماها « المنيرة المعربة عن شرف الاعراب » وأنقل لك خلاصته ففيه
وجاهة وطرافة وهي تؤيد ما ذهبنا اليه من بقاء كان على وجهها قال :
« لكن الوجه ان كان من قصد الخبر الآن عن حالهم لأنهم أكبروا ذلك

في وقت كونه في المهد فكأنه قال : أكبروا تكليم صبي كائن في المهد
طملاً فيكون الكون من لفظ المخبر لا من لفظهم كقول الحطيئة
يصف الرياض :

يظل بها الشيخ الذي كان فانيا
يدب على عوج له نخرات

فلم يك فانياً قبل ديبه بل وقت ديبه فذكر الكون من
لفظ المخبر » •

قلت :

قلت : وهذا كله دندنة في غير طائل والأجود ما اخترناه واختاره
الزمخشري ويأتي في المرتبة بعده أن تكون زائدة أما تقديرها تامة
فبعيد جداً لأن عيسى لم يخلق ابتداء في المهد •

٦ - بغياً : أصله بغوياً اجتمعت فيه الواو والياء وسبقت احداهما
بالسكون فقلبت الواو ياء ثم أدغم الياء في الياء وإلا لو كان فعلاً
بسعى فاعل لحقته التاء وقال البيضاوي : « وهو فعول من البغي قلبت
واوه وأدغمت ثم كسرت العين اتباعاً ولذلك لم تلحقه التاء أو فعيل
بسعى فاعل لم تلحقه التاء لأنه للمبالغة أو للنسب كطالق » وقال
بعضهم : البغي خاص بالموث فلا يقال رجل بغي إنما يقال امرأة بغي
لكن نقل بعضهم عن المصباح انه يقال رجل بغي كما يقال امرأة بغي •

ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ مَا كَانَ
لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
﴿٢٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٦﴾ فَاخْتَلَفَ
الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٧﴾
أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُ تَنَالِكُ الْظَالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٨﴾
وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَرُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴿٣٠﴾

الاعراب :

(ذاك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) ذلك اسم
إشارة مبتدأ وعيسى خبره وابن مريم بدل وقول الحق مفعول مطلق
لفعل محذوف أي قلت ، أو مصدر مؤكد لمضمون الجملة كقولك هو
عبد الله حقًا واختار الزمخشري أن يكون منصوبًا على المدح بفعل
محذوف تقديره امدح ، هذا وقد فرق أبو حيان بين الاعرابين فقال :
« واقتصاب قول على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة أي هذه الأخبار
عن عيسى بن مريم ثابت صدق ليس منسوبة لغيرها أي أنها ولدت
من غير مس بشر كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل أي أقول
الحق وأقول قول الحق فيكون الحق هو الصدق وهو من إضافة

الموصوف الى الصفة » ، والذي نعت للقول إن أريد به عيسى وسمي قولاً كما سمي كلسة لأنه عنها نشأ أو صفة للحق نفسه وفيه متعلقان يمترون وجملة يمترون صلة الموصول . (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) ما نافية وكان فعل ماض ناقص والله خبرها المقدم وأن يتخذ مصدر مؤول اسم كان ومن زائدة وولد مجرور بمن لفظاً مفعول به منصوب محلاً وسبحانه مفعول مطلق لفعل محذوف . (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) تقدم اعراب أمثالها كثيراً ونعيد اعراب فيكون الفاء استئنافية ويكون مرفوع أي فهو يكون وكان هنا تامة وقرىء بنصب فيكون بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة بعد الطلب . (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة ولذلك كسرت همزة إن وقرىء بفتحها بحذف حرف الجر وان واسمها وربى خبرها وربكم عطف على ربى فاعبدوه الفاء الفصيحة وقد تقدم بحثها واعبدوه فعل أمر وفاعل ومفعول به وهذا مبتدأ وصراط خبر ومستقيم صفة لصراط والجملة حالية وسبي القول صراطاً مستقيماً تشبيهاً له بالطريق الآيل للنجاة . (فاختلف الأحزاب من بينهم) الفاء استئنافية واختلف الأحزاب فعل وفاعل ومن بينهم حال من الأحزاب والمعنى حال كون الأحزاب بعضهم وتفصيل اختلافهم وأنواع فرقهم يرجع اليها في الملل والنحل للشهرستاني وفي الفصل بين الملل والنحل لابن حزم الاندلسي وفي المطولات . (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) الفاء عاطفة وويل مبتدأ وساغ الابتداء بالنكرة لتضمنها معنى الدعاء وللذين خبر ويل وجملة كفروا صلة ومن مشهد متعلقان بويل ومشهد مصدر ميمي أي من شهودهم بمعنى حضورهم ويجوز أن يكون اسم زمان أو مكان . (أسمع بهم وأبصر يوم يأتونا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) أسمع فعل ماض أتى على صيغة الأمر أو مبني على

الفتح المقدر على الآخر الساكن والباء حرف جر زيدت في الفاعل الذي أتى ضمير نصب أو جر لمناسبة الباء وقد تقدم بحث التعجب مفصلاً والتعجب هنا مصروف إلى المخاطبين ، لكن مخففة مهسلة والظالمون مبتدأ وفي ضلال خبر ومبين صفة وأوقع الظاهر موقع المضر اشعاراً بأن ظلمهم بلغ الغاية وأربى على النهاية ويوم يأتونا متعلق بأسع وأبصر . (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) أنذرهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول ويوم الحسرة ظرف متعلق بأنذرهم والأحسن أن يكون مفعولاً به أي خوفهم نفس اليوم وإذا متعلق بالحسرة والمصدر المعرف بال يعمل في المفعول الصريح فكيف بالظرف ويجوز أن يكون بدلاً من يوم الحسرة فيكون مفعولاً لأنذر وبذلك يتأكد أن يوم الحسرة مفعول به لا ظرف ، وهم الواو حالية وهم مبتدأ وفي غفلة خبر وهم لا يؤمنون جملة حالية منتظمة مع سابقاتها والحالان إما من الضمير المستتر في قوله في ضلال مبين أي استقروا في ضلال مبين على هاتين الحالين السيئتين فتكون جملة وأنذرهم اعتراضاً وأما من المفعول في أنذرهم على هاتين الحالين السيئتين ، (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون) إن واسمها ونحن تأكيد لاسم نا الذي هو بمعنى نحن لأنه بمعنىنا وجملة نرث الأرض خبر إنا ومن عطف على الأرض وعليها متعلقان بمحذوف صلة من وإلينا متعلقان يرجعون ويرجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل ولك في الواو بقوله وإلينا أن تجعلها حالية أو عاطفة .

البلاغة :

المجاز المرسل في قوله « لكن الظالمون في ضلال مبين » والعلاقة الحالية والمراد جهنم فأطلق الحال وأريد المحل لأن الضلال لا يحل فيه

وإنما يحل في مكانه وكذلك قوله : وهم في غفلة والغفلة لا يحل فيها
أيضاً وإنما يحل بالمتالف التي توقع الغفلة أصحابها فيها •

وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ إِذْ قَالَ
لَأُبَيِّهَ يَتَاطَبَرُ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۖ
يَتَاطَبَرُ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا
ۖ يَتَاطَبَرُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۖ
يَتَاطَبَرُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا
ۖ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَنَّ إِلَهِي يَتْلُو بَرَاهِيمَ لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي
مَلِيًّا ۖ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۖ
وَأَعْتَزِّلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ
رَبِّي شَقِيًّا ۖ فَلَمَّا أَعْتَزَّلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ
لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۖ

اللفظة :

(الصّدِّيق) : من أبنية المبالغة ونظيره الضحّيك والنّطّيق والمراد أنه بليغ الصدق في أقواله وأفعاله وفي تصديق غيوب الله تعالى وآياته وكتبه وزسله .

(ملياً) : دهرأ طويلاً .

(حفيّاً) : في المختار : « وحفي به بالكسر حفاوة بفتح الحاء فهو حفي أي بالغ في إكرامه وإطافه والعناية بأمره ، والحفي أيضاً المستقصي في السؤال ومن الأول قوله تعالى : « انه كان بي حفيّاً » ومن الثاني قوله تعالى : « كأنك حفي عنها » . »

الاعراب :

(واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً) الواو استئنافية واذكر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وفي الكتاب متعلقان باذكر وابراهيم مفعول به وان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو وصديقاً خبر كان الأول ونبياً خبرها الثاني . (إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) إذ اختلف العربون فيها فعلقها الزمخشري وأبو البقاء وغيرهما بكان أو بصديقاً نبياً أي كان جامعاً لخصائص النبيين والصديقين حين خاطب أباه تلك المخاطبات وهذا مبني على عمل كان الناقصة وأخواتها في الظرف غير خبرها واسمها وفيه خلاف وأعربها الزمخشري وأبو البقاء وغيرهما أيضاً بدلاً من ابراهيم بناء على حذف مضاف أي نبأ ابراهيم فتكون جملة إنه كان صديقاً نبياً معترضة وفيه أيضاً انه مبني على تصرف إذ

وقد تقدم بحثها والقول بأنها لا تتصرف وجملة قال مضافة اليها الظرف ولأيه متعلقان يقال ويا حرف نداء وأبت منادى مضاف لياء المتكلم المعوض عنها بالتاء وقد تقدمت الإشارة الى ذلك ولا يجوز الجمع بين المعوض والمعوض عنه فلا يقال يا أبتى ويقال يا أبتا لكون الألف بدلاً من الياء وشبه ذلك سيبويه بأيتق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة وسيرد المزيد من هذا البحث في باب الفوائد مع ترجمة مستفيضة لسيبويه . ولم أصلها اللام الجارة وما الاستفهامية وقد تقدم أن ألفها تحذف إذا سبقها حرف جر وتنزل اللام معها منزلة الكلمة الواحدة فتكتب الألف ياء فتقول إلام وعلام وحتام وهي متعلقة مع مجرورها بتعبد وفاعل تعبد ضمير مستتر تقديره أنت وما اسم موصول مفعول به وجملة لا يسمع صلة وما بعدها معطوفة عليها وشيئاً مفعول به أو مفعول مطلق وقد تقدم تقريره . (يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً) يا أبت تقدم اعرابها وان واسمها وجملة قد جاءني خبرها ومن العلم متعلقان بجاءني ومن للتبويض وما اسم موصول فاعل وجملة لم يأتك صلة فاتبعني الفاء الفصيحة أي ان شئت الهداية والنجاة واتبعني فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به واهدك جواب الطلب ولذلك جزم والكاف مفعول به وصراطاً مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض وسوياً صفة لصراطاً . (يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً) لا ناهية وتعبد فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل مستتر تقديره أنت والشيطان مفعول به وإن واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر وللرحمن متعلقان بعصياً وعصياً خبر كان . (يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً) إن واسمها وجملة أخاف خبرها وأن يمسك ظرف مؤول مفعول به لأخاف وعذاب فاعل يمسك ومن

الرحمن صفة لعذاب فتكون عطف على أن يمسك واسم تكون مستتر تقديره أنت وللشيطان متعلقان بولياً ، وولياً خبر تكون ومعنى الولي هنا القرين . (قال : أرغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم) الهمزة للاستفهام الانكاري ورغب مبتدأ وسوغ الابتداء اعتماده على أداة الاستفهام وأنت فاعل سد مسدّ الخبر وأعربه الزمخشري خبراً مقدماً وأنت مبتدأ مؤخراً ولا موجب لذلك بعد وجود القاعدة وسيأتي تقريرها في باب الفوائد وما تخللها من أبحاث تذهل الألباب ، ويا حرف نداء وإبراهيم منادى مفرد علم مبني على الضم . (لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً) اللام موطئة للقسم وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتنته فعل مضارع مجزوم بلم ولأرجمنك اللام واقعة في جواب القسم كما هي القاعدة في اجتماع القسم والشرط وأرجمنك فعل مضارع مبني على الفتح والفاعل مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به واهجرني الواو عاطفة واهجرني معطوف على محذوف عند من يمنع عطف الانشائية على الخبرية والتقدير فاحذرني واهجرني ، على أن سبويه يجيز عطف الجملة الخبرية على الجملة الانشائية فليس هذا التقدير بلازم وملياً ظرف زمان متعلق باهجرني وقيل هو حال من فاعل اهجرني ومعناه سالماً سويّاً لا يصيبك من معرة . (قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي خفياً) سلام مبتدأ وسوغ الابتداء به ما فيه من معنى الدعاء والمراد بالدعاء هنا التوديع والازماع على الفراق و عليك خبر وسأستغفر السين للاستقبال وأستغفر فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا وإنما جاز له الاستغفار للكافر الرجاء بأن يوفق الى الايمان الموجب لغفران الذنوب ولك متعلقان بأستغفر وربّي مفعول به وجملة إنه تعليلية لا محل لها وإن واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو وخفياً خبرها وبّي متعلقان بخفياً . (وأعتزلکم

وما تدعون من دون الله (الواو عاطفة وأعتزلكم أي أترككم مرتحلاً من بلادكم والفاعل مستتر والكاف مفعول به وما الواو حرف عطف وما يجوز أن تكون موصولة أو مصدرية • وعلى كل حال موضعها نصب عطف على الكاف أو مفعول معه وجملة تدعون صلة ومن دون الله حال • (وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً) وأدعو عطف على أعتزلكم وفاعله مستتر تقديره أنا وربّي مفعول به وعسى فعل ماض من أفعال الرجاء واسمها مستتر وأن وما في حيزها هي الخبر واسم أكون مستتر تقديره أنا وبدعاء متعلقان بشقياً وربّي مضاف لدعاء وشقياً خبر أكون • (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً) لما ظرفية حينية أو رابطة واعتزلهم فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به وما يعبدون من دون الله تقدم اعرابها أي تركهم فعلاً من بابل الى الأرض المقدسة وجملة وهبنا لا محل لها لأنها جواب لما وله متعلقان بوهبنا واسحق مفعول وهبنا ويعقوب عطف على اسحق وكلاً مفعول به أول لجعلنا ونبياً هو المفعول الثاني • (ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً) ووهبنا عطف على وهبنا الأولى ولهم متعلقان بوهبنا أي لابراهيم وولديه ومن رحمتنا متعلقان بوهبنا أيضاً وجعلنا عطف على وهبنا ولهم في موضع المفعول الثاني لجعلنا ولسان صدق هو المفعول الاول وعلياً صفة لسان وهو الثناء الحسن كما سيأتي في باب البلاغة •

البلاغة :

١ - فن الاستدراج :

بلغت هذه الآيات ذروة البلاغة ، وانطوت على معاجز تذهل العقول فأول ما يطالعنا منها فن يعرف بالاستدراج وهو يقوم على

مخادعة المخاطب تقوم فيه الاقوال مقام الأفعال فلا يزال يترفق بالمخاطب ويداوره ويلالئنه حتى يسقط في يده ويستلين ويعلم استسلامه وهو يشبه أصحاب الجدل في الكلام والمنطق والفلسفة ولكن أولئك يتصرفون في المغالطات القياسية أما الشاعر أو الكاتب فهو في استدراجه يتصرف في المغالطات الخطابية . وقد أحسن الامام الزمخشري في تحليل هذا الفن وان لم يسمه فحلل هذا الفصل تحليلاً عجيباً وقد شاء ضياء الدين بن الأثير الذي استخرج هذا الفن أن يغير على فصل الزمخشري فنسفه برمته ونسبه اليه وسننصف الزمخشري من ساليه فننقل فصله برمته وعلى طوله فهو كالحسن غير ملول .

« اظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز ، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق ، وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللفظ والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصباً في ذلك بنصيحة ربه عز وعلا وذلك أنه طلب منه أولاً العلة في خطئه طلب منه على تماديه ، موقظ لإفراطه وتناهيه لأن المعبود لو كان حياً مميّزاً سميعاً بصيراً مقتدراً على الثواب والعقاب ، فافطاً ضاراً ، إلا أنه بعض الخلق لاستخفاف عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ، ولسجل عليه بالغى المبين والظلم العظيم وان كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له ، وثناءك عليه ، ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلاً أن يغني عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه أو تسنح لك حاجة فيكفيكها ، ثم تنسى بدعوتك إلى الحق مترفقاً به متلطفاً فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال :

إن معي طائفة من العلم وشيئاً منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف ، وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضلّ وتتيه ، ثم ثلث بتثييطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن ، الذي جسيع ما عندك من النعم من عنده ، وهو عدوك الذي لا يريد بك إلا كل هلاك وخزي ونكال ، وعدو أيك آدم وأبناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك فأنت إن حققت النظر عابد الشيطان إلا أن ابراهيم عليه السلام لإمعانه في الاخلاص ولا ارتقاء هسته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان إلا التي تختص منها برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وذريته ، كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه ، ثم ربع بتخوينه سوء العاقبة وبما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له ، وأن العذاب لاصق به ولكنه قال : أخاف أن يسلك عذاب ، فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جلسة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماه الله تعالى المشهود له بالفوز العظيم . . . فكذا ذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم ، وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله « يا أبت » توسلاً إليه واستعطافاً . . . أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظ العناد فناده باسمه ولم يقابل قوله يا أبت بقوله يا بني وقدم الخبر على المبتدأ في قوله « أرأغب أنت » لأنه كان أهم عنده وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته .

٢ - المجاز المرسل :

وفي قوله تعالى « وجعلنا لهم لسان صدق علياً » مجاز مرسل من إطلاق اسم الآلة وهي اللسان لأنها آلة الكلام وإرادة ما ينشأ عنها فعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهو العطاء فهو مجاز علاقته السببية .

الفوائد :

١ - المبتدأ الصفة :

قد يرفع الوصف بالابتداء إن لم يطابق موصوفه تشنية أو جمعاً فلا يحتاج الى خبر بل يكتفي بالفاعل أو فائبه فيكون مرفوعاً به ساداً مسدداً الخبر بشرط أن يتقدم الوصف بقي أو استفهام وتكون الصفة حينئذ بمنزلة الفعل فلا تثني ولا تجمع ولا توصف ولا تصغر ولا تعرف ويتناول الوصف اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والمنسوب ولا فرق بين أن يكون الوصف مشتقاً نحو : ما ناجح الكسولان وهل محبوب المجتهدون أو اسماً جامداً فيه معنى الصفة نحو هل صخر هذان المعاندان فصخر مبتدأ وهو اسم جامد بمعنى الوصف لأنه بمعنى صلب قاس وهذان فاعل لصخر أغنى عن الخبر ، وما وحشي أخلاقك فوحشي مبتدأ وهو اسم جامد فيه معنى الصفة لأنه اسم منسوب فهو بمعنى اسم المفعول وأخلاقك نائب فاعل له أغنى عن الخبر ولا فرق بين أن يكون النقي والاستفهام بالحرف أو بغيره نحو : ليس كسول ولدك وغير كسول أبنائك وكيف سائر أخواك غير انه مع ليس يكون الوصف اسماً لها والمرفوع بعده مرفوعاً

به ساداً مسد الخبر ومع غير ينتقل الابتداء اليها ويجر الوصف
بالإضافة اليها ويكون ما بعد الوصف مرفوعاً به ساداً مسد الخبر
وبذلك ينحل الإشكال الوارد في بيت أبي نواس :

غير مأسوف على زمن ينقضي بالهم والحزن

فغير مبتدأ لا خبر له بل لما أضيف اليه مرفوع يغني عن الخبر وذلك
لأنه في معنى النفي والوصف بعده مجرور لفظاً وهو في قوة المرفوع
بالابتداء أي فحركة الرفع التي على غير هي التي يستحقها هذا الاسم
بالإضافة لكنه لم كان مشغولاً بحركة الجر لأجل الإضافة جعلت
حركته التي كانت له بطريق الأصل من حيث هو مبتدأ على بطريق
العارية وعلى زمن في محل رفع نائب فاعل لمأسوف سد مسد الخبر
وجسلة ينقضي بالهم والحزن صفة لزمن وقد أورد بن هشام هذا البيت
في مغني اللبيب وأورد وجوهين آخرين تراهما بعيدين كل البعد وخاصة
الثالث الذي اعترف ابن هشام بتعصفه فليرجع اليهما •

فإن لم يقع الوصف بعد نفي أو استفهام فلا يجوز هذا الاستعمال
فلا يقال مجتهد غلامك بل تجب المطابقة نحو مجتهدان غلامك وحينئذ
يكون خبراً مقدماً وما بعده مبتدأ مؤخراً وأجازه الكوفيون لأنهم لم
يشترطوا اعتداد الصفة على النفي والاستفهام واستشهدوا بقوله :

خير بنو لهب فلاتك ملغياً مقالة لهبي إذا الطير مرت

فأعربوا قوله بنو لهب فاعلاً لخبر دون أن يعتمد على نفي أو
استفهام واعتذر البصريون عن البيت بأن خيراً على وزن فعيل وفعيل
على وزن المصدر كصهيل وزئير والمصدر يخبر به عن المفرد أو المثني

والجمع فأعطي حكم ما هو على زنته فهو على حد قوله تعالى « والملائكة بعد ذلك ظهير » ، وقد شايع أبو الطيب الكوفيين لأنه من الكوفة ولأن له كلفاً بمراغمة النحاة كما أشرنا الى ذلك غير مرة فقال بيته الممتع:

دع النفس تأخذ وسعها قبل بينها

فمفترق جاران دارهما العمر

فمفترق مبتدأ وجاران فاعل سد مسد الخبر ولا يجوز أن تقول إن مفترقا خبر مقدم لأنه كان يجب أن يطابق قوله جاران والحاصل : انه إذا رفع الوصف ما بعده فله ثلاثة أحوال :

١ - وجوب الابتداء إذا لم يطابق ما بعده في التثنية والجمع نحو أقائم أخوك .

٢ - وجوب الخبرية إذا طابق ما بعده في التثنية والجمع نحو أقائم أخوان أخوك .

٣ - جواز الوجهين إذا طابق ما بعده في التذكير والتأنيث نحو : أقائم أخوك وأقامة أختك .

ومحل جواز الوجهين ما لم يوجد مانع وجعل بعض العلماء من الموانع في قوله تعالى « أراغب أنت عن آلهتي » فتعين الابتدائية للزوم الفصل اذا جعلته خبراً بينه وبين معموله وهو الجار والمجرور ورد ذلك آخرون مدافعين عن الزمخشري بأن قوله عن آلهتي متعلق آخر أما الزمخشري وابن الحاجب فقد اشترطا في الأصل أن يكون المرفوع اسماً ظاهراً ولكن الزمخشري نفسه أجاز إعراب أنت فاعلاً لراغب .

٢ - عود إلى « يا أبت » :

تحدثنا عن اللغات في المنادى المضاف الى ياء المتكلم فأما التاء في يا أبت ويا أمت فتاء التأنيث بمنزلة التاء في قائمة وامرأة، قال سيبويه: سألت الخليل عن التاء في يا أبت لا تفعل ويا أمت فقال هذه التاء بمنزلة الهاء في خالة وعمة يعني أنها للتأنيث والذي يدل على أنها للتأنيث أنك تقول في الوقف يا أبة ويا أمة فتبدلها هاء في الوقف كقاعد وقاعده على حد خال وخاله وعم وعمه ودخلت هذه التاء كالعوض من ياء الاضافة والأصل يا أبي ويا أُمِّي فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة قبلها ثم دخلت التاء عوضاً عنها ولذلك لا تجتمعان فلا تقول يا أبتى ولا يا أمتي لئلا يجمع بين المعوض والمعوّض عنه ولا تدخل هذه التاء فيما له مؤنث من لفظه فلو قلت في يا خالي ويا عمي يا خالت ويا عمت لم يجز لأنه كان يلتبس بالمؤنث فأما دخول التاء على الأم فلا اشكال فيها لأنها مؤنثة . وأما دخولها على الأب فلمعنى المبالغة كما في راوية وعلامة .

٣ - من هو سيبويه :

وقد تردد اسم سيبويه كثيراً ولا بد لنا من القاء نظرة عاجلة على قصة حياته لأن فيها فائدة ولأنه ترك لنا في نحو البصريين الكتاب الذي خلد الى يومنا هذا ، وكان كتاب النحو الجامع حتى قيل فيه قرآن النحو .

فهو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي وهي نسبة الى الحارث بن كعب قبيلة يمنية وهذه النسبة بالولاء فقد كان سيبويه فارسياً فأما لقبه فسيبويه وقد غلب عليه وهو فارسي مركب مزجي من سيب أي التفاح وبوي أي الرائحة فمعناه رائحة التفاح على قاعدة

الأوصاف باللغة الفارسية سمي بذلك لطيب رائحته أو لجماله وحسن خلقه وقيل مركب من سيب وويه اسم صوت ويذكر بعض العارفين باللسان الفارسي أن ويه في هذا اللسان معناها مثل وشبهه ، فمعنى التركيب مثل التفاح وهكذا فطويه : مثل النفط وعمرويه : مثل عمرو .

حكم سيبويه :

والجاري على الألسنة سيبويه بفتح الباء والواو والهاء مكسورة وهذا حكم شائع في الاعلام المختومة بويه جاء في الكتاب قول سيبويه :

« وعمرويه عندهم بمنزلة حضرموت في أنه ضم الآخر إلى الأول وعمرويه في المعرفة مكسور في حال الجر والرفع والنصب غير منون وفي النكرة تقول هذا عمرويه آخر ورأيت عمرويه آخر » وتراه في الكتاب اقتصر على المشهور عند الناس وقد ينطق سيبويه بضم الباء وفتح الياء وسكون الهاء ويعزى هذا إلى العجم تجنبوا الصورة الأولى لأن ويه صوت ندبة .

مولده ونشأته :

ولد سيبويه في البيضاء من كورة اصطخر بفارس من أبوين فارسيين ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ ولادته وقد انتقل إلى البصرة فتلقى العلم فيها وكانت هي والكوفة المصيرين المبرزين في علوم العربية والدين ولا يعرف شيئاً عن أسرته إلا ما ذكر أنه مات بين يدي أخيه ولا ندري هل انتقلت معه إلى البصرة أسرته ونحن لا نرى لأبيه ذكراً ونرى بشاراً يهجوّه حين اشتهر أمره فيقول :

ظللت تغني سادراً في مساءتي وأمك بالمصيرين تعطي وتأخذ

ويظهر من هذا أن أمه كانت معه في العراق ولا ندري هل تزوج وفي حديث للفراء أن سيبويه كانت له جارية تخدمه وفي طبقات النحاة أن جاريته مزقت جزازات كتابه فطلقها فهل يريد بجاريته زوجته أو يريد بتطليقها إخراجها من بيته ؟ والظاهر انه لم يكن له زوج ولا ولد وآية ذلك انه بعد أن أخفق في بغداد في قصته مع الكسائي - على ما يأتي - لم يعد الى منزله بالبصرة .

كيف طلب النحو ؟

اختلف سيبويه الى حماد بن سلمة شيخ الحديث والرواية في البصرة في عصره فألقى عليه حماد الحديث : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من أحد من أصحابي إلا أخذت عليه ليس أبا الدرداء » فقال سيبويه ، وكان قد شدا شيئاً من النحو : ليس أبو الدرداء فقال حماد لحت يا سيبويه ، فقال سيبويه : لا جرم لأطلبن علماً لا تلتحنني فيه أبداً ، واتجه لدرس النحو فلزم الخليل وقد ظن سيبويه أن الواجب رفع ما بعد ليس ليكون اسماً لها ولم يكن عرف أسلوب ليس في الاستثناء وقد عرض سيبويه لذلك في الكتاب وأشبعه بياقاً وتعليلاً .

بوادر نبوغه وحرية فكره :

وكان أكثر تلقيه عن الخليل حتى انه إذا قال : قال أوسألته فإنه يعني الخليل ، وكان الخليل قد عرف له قدره وثقابة ذهنه وقوة فطنته فأبته علمه ونصح له في التعليم ، وأخذ عن غير الخليل : أخذ عن عيسى ابن عمر ويونس بن حبيب والأخفش الكبير أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد ويذكر أبو زيد الأنصاري انه اذا قال سيبويه : أخبرني الثقة فإننا يعنيه وأول ما ظهر من بوادر نبوغه ما حدث به الأخفش قال : كنت عند يونس

فقليل له: قد جاء سيبويه فقال أعوذ بالله منه فجاء فسأله فقال: كيف تقول: مررت به المسكين؟ فقال جائز أن أجره على البدل من الهاء فقال له: فمررت به المسكين بالرفع على معنى المسكين مررت به فقال هذا خطأ لأن المضمرة قبل الظاهر فقال له: إن الخليل أجاز ذلك وأنشد فيه أبياتاً فقال: هو خطأ، قال فمررت به المسكين بالنصب؟ فقال جائز، فقال على أي شيء؟ فقال على الحال، فقال أليس أنت أخبرتني أن الحال لا تكون بالألف واللام، فقال: صدقت ثم قال لسيبويه: فما قال صاحبك فيه؟ يعني الخليل، فقال سيبويه: قال انه ينصب على الترحم، فقال: ما أحسن هذا، ورأيت مغموماً بقوله نصبته على الحال. وكان سيبويه مع إجلاله للخليل يزيّف قوله ففي الكتاب: «وزعم الخليل انه يجوز أن يقول الرجل: هذا رجل أخو زيد إذا أردت أن تشبهه بأخي زيد وهذا قبيح لا يجوز إلا في موضع الاضطرار ولو جاز هذا لقلت هذا قصير الطويل تريد مثل الطويل فلم يجر هذا كما قبح أن تكون المعرفة حالاً كالنكرة إلا في الشعر».

بين سيبويه والكسائي:

وأتى الحظ والسعادة الكسائي وأصحابه فحلوا في بغداد محلاً رفيعاً وكان منهم مؤدبو أولاد الخلفاء وكانوا عند البصريين في النحو والادب أقل منهم معرفة وأضعف أسباباً وقد رأى سيبويه - وهو إمام البصريين - أن يزاحمهم في مركزهم فقصد بغداد وعرض على البرامكة أن يجمعوا بينه وبين الكسائي وينظره وكان واثقاً انه سيكون له الفلاح والظفر وبلغ الكسائي مقدم سيبويه وخشي مغبة المناظرة أن يزول سلطانه في بغداد فأتى جعفر بن يحيى بن برمك والفضل أخاه وقال: أنا وليكما وصاحبكما وهذا الرجل إنما قدم ليذهب محلي قالاً

فاحتل لنفسك فإننا سنجمع بينكما ويبدو أن فارسية سيبويه يقابلها فارسية الكسائي فهو أيضاً فارسي من ولد بهمن بن فيروز وكان أسدياً بالولاء فلم يكن لسيبويه ما يجعله أقرب الى قلوب البرامكة من الكسائي فدبر هو وأصحابه خطة كان لها ما توقعوه وهي : أن يتقدمه في مجلس المناظرة أصحابه فيسألوا سيبويه أسئلة ويتألبوا فيها عليه حتى اذا فترت همته وبان كلاله جاء الكسائي فوجد قرناً ذهب حده وعزب نشاطه فكان له ما أراد من صرعه وقد تقدمت قصة المسألة الزنبورية في موضع آخر من هذا الكتاب .

وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾
وَنَذَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا
أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ
وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ
رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا
﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا
سُجَّدًا وَبُكْيًا ﴿٥٨﴾

الاعراب :

(واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً)
 اذكر فعل أمر وفي الكتاب جار ومجرور متعلقان باذكر وموسى مفعول
 به وان واسمها وجملة كان خبرها ومخلصاً خبر كان وكان رسولاً نبياً
 عطف على كان الأولى • (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً)
 وناديناه عطف على ما سبق وهو فعل وفاعل ومفعول به ومن جانب
 متعلقان بناديناه والطور مضاف اليه والأيمن صفة لجانب قالوا لأنه
 كان يلي يسين موسى حين أقبل من مدين وقربناه عطف على ناديناه ونجياً
 حال من أحد الضميرين في ناديناه أو قربناه وهو فعيل بمعنى فاعل أي
 مناجياً • (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) ووهبنا عطف أيضاً
 وله متعلقان بوهبنا ومن رحمتنا متعلقان بوهبنا أيضاً ومعنى من هنا
 التبعية أي بعض رحمتنا أو للتعليل أي من أجل رحمتنا وأخاه مفعول
 به لوهبنا وهارون بدل ونبياً حال • (واذكر في الكتاب اسماعيل إنه
 كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً) اعرابها ظاهر وقد تقدم وجملة
 انه كان تعليلية • (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه
 مرضياً) جملة يأمر خبر كان وأهله مفعول به وبالصلاة متعلقان بيأمر
 وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره هو وعند ربه متعلقان
 بمرضياً ومرضياً خبر كان اجتمعت الياء والواو فقلبت الواو ياء وأدغست في
 الأخرى • (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً) تقدم
 اعراب مثيلاتها ولا بأس بذكر ما قاله الزمخشري بصدد إدريس
 وهذا نصه :

« قيل سمي إدريس لكثرة دراسته كتاب الله عز وجل وكان اسمه
 اخنوخ وهو غير صحيح لأنه لو كان إفعيلاً من الدرس لم يكن فيه

إلا سبب واحد وهو العلمية فكان منصرفاً فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس أعجمي وليس من الإبلّاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا إسرائيل بإسراء كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات ويجوز أن يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريباً من ذلك فحسبه الراوي مشتقاً من الدرس « وما أجمل حرية الرأي • (ورفعناه مكاناً علياً) رفعناه فعل وفاعل ومفعول به ومكاناً ظرف متعلق برفعناه وعلياً صفة وقد رويت أساطير كثيرة حول هذا الرفع ومرجعها المطولات • (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) أولئك مبتدأ أي الانبياء العشرة المذكورون في السورة والذين خبر أو بدل من اسم الإشارة وجملة أنعم الله عليهم صلة ومن النبيين حال ومن ذرية آدم بدل بإعادة الجار • (وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتينا) عطف على ما تقدم • (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً) جملة اذا تتلى عليهم وجوابها استئنافية لا محل لها إذا أعربنا الذين خبراً وإذا أعربنا الذين بدلاً فتكون هي الخبر وجملة خروا لا محل لها لأنها جواب إذا والواو في خروا فاعل وسجداً حال من الفاعل وبكياً عطف على سجداً جمع ساجد وباك والثاني شاذ لأن قياس فاعل من المنقوص أن يجمع على فعله كقاض وجمعه قضاة وباك وجمعه بكاة •

* نَخْلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ

فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ

عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا
وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ
عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًا ﴿٦٣﴾

اللفظة :

(خلف) : أي عقب وبعض اللغويين يستعملون الخلف بسكون اللام كما هنا في الشر فيقال خلف سوء و بفتحها في الخير فيقال خلف صالح ، قال في الكشف : « خلفه إذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعد في ضمان الشر » وقال اللحياني : الخلف بفتحين الولد الصالح والخلف بفتح فسكون الرديء .

(غياً) : كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد ، قال المرقش الأصغر :

أمن حلم أصبحت تنكت واجماً
وقد تعتري الأحلام من كان نائماً
فمن يلق خيراً يحمده الناس أمره
ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً
يقال غوي يغوي من باب ضرب انهك في الجهل .

الاعراب :

(فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً) الفاء عاطفة وخلف فعل ماض ومن بعدهم حال وخلف فاعل وجملة أضاعوا الصلاة صفة لخلف واتبعوا الشهوات عطف على أضاعوا الصلاة والفاء الفصيحة أي إن شئت أن تعلم عاقبتهم، وسوف حرف استقبال ويلقون فعل مضارع وفاعل وغياً مفعول به . (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) إلا أداة استثناء و « من » « إن جعلنا الاستثناء منقطعاً كانت إلا بمعنى لكن ومن مستثنى واجب النصب ووجه الانقطاع أن المستثنى منه كفار والمستثنى مؤمنون وهذا اختيار الزجاج واختار أبو حيان الاتصال وربما كان أظهر لأنه خطاب صالح لكل أمة وفيها من آمن ومن كفر وعلى كل حال هو واجب النصب لأن الكلام تام موجب ، وجملة تاب صلة وآمن عطف على تاب وعمل عطف أيضاً وصالحاً يجوز أن يكون مفعولاً به وأن يكون مفعولاً مطلقاً أي عملاً صالحاً ، فأولئك الفاء الفصيحة وأولئك مبتدأ وجملة يدخلون خبر والجنة مفعول به على السعة ولا يظلمون عطف على يدخلون وشيئاً مفعول مطلق ولك أن تجعله مفعولاً ثانياً بتضمين يظلمون معنى ينقصون . (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) جنات بدل من الجنة وعدن مضاف إليه من عدن بالمكان أي أقام وقد جرى مجرى العلم ولذلك ساغ وصفها بالتي والتي صفة لجنات عدن وجملة وعد صلة والرحمن فاعل وعد وعباده مفعول وبالغيب حال من عباده أي من المفعول والمعنى غائبة عنهم لا يشاهدونها ويحتمل أن يكون حالا من ضمير الجنة وهو الضمير العائد على الموصول أي وعدّها وهم غائبون عنها لا يرونها .

(إنه كان وعده مأتياً) إن واسمها والضمير يعود على الله تعالى أي الرحمن والمعنى أن الرحمن كان وعده مأتياً أو انه ضمير الشأن لأنه مقام تعظيم وتفخيم والجملة تعليلية مستأنفة وجملة كان خبر إن واسم كان يعود على الله تعالى أيضاً ووعدده بدلاً من ذلك الضمير بدل اشتمال ومأتياً خبرها ويجوز أن لا يكون فيها ضمير ، ووعدده اسمها ومأتياً خبرها واختار الجلال وشراحه أن يكون مأتياً مفعول بمعنى فاعل أي آتياً وام يرتضه الزمخشري فإنه قال : « قيل في مأتياً مفعول بمعنى فاعل والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها » والحق مع الزمخشري لأن ما تأتیه فهو يأتیک فلا موجب للتأويل . (لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً) الجملة حال من جنات عدن ولا نافية ويسمعون فعل مضارع والواو فاعل وفيها متعلقان بمحذوف حال أي حالة كونهم في الجنة ولغواً مفعول به أي مالا طائل تحته من الكلام وهو ما يشقشق به أكثر الناس في مجالسهم من ثلب للآخرين وتدخل في شؤون الناس أو من حديث تافه أشبه بالفضول ، وإلا أداة حصر وسلاماً بدل من لغواً أو يحمل على الاستثناء المنقطع وسيأتي تفصيل ذلك في باب البلاغة ولهم خبر مقدم ورزقهم مبتدأ مؤخر وفيها حال وبكرة ظرف متعلق بمعنى الاستقرار المستكن في الخبر المقدم وعشياً عطف على بكرة . (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً) اسم الإشارة مبتدأ والجنة خبر والتي صفة للجنة وجملة نورث صلة ومن اسم موصول مفعول نورث وجملة كان صلة واسم كان مستتر تقديره هو وجملة تقياً خبر كان .

البلاغة :

١ - توكيد المديح بما يشبه الذم وعكسه :

في قوله تعالى « لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً » فن رفيع من

فنون البلاغة وهو توكيد المدح بما يشبه الذم وقد سبقت الإشارة اليه في المائدة ولم نقسمه آنذاك فنقول انه ينقسم الى نوعين :

أ - أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح لذلك الشيء بتقدير دخولها في صفة الذم المنفية ومنه قول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

فقد جعل الفلول عيباً على سبيل التجوز بتأ لنفي العيب بالكلية كأنه يقول : إن كان فلول السيف من القراع عيباً فانهم ذوو عيب معناه إن لم يكن عيباً فليس فيهم عيب البتة لأنه لا شيء سوى هذا فهو بعد هذا التجوز والفرض استثناء متصل •

ب - ان تثبت لشيء صفة مدح وتعقب ذلك بأداة استثناء يليها صفة مدح أخرى لذلك الشيء نحو : أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وقال النابغة أيضاً :

فتى كملت أوصافه غير أنه جواد فما يبقى على المال باقيا

وأصل الاستثناء في هذا الضرب أن يكون منقطعاً لكنه لم يقدر متصلاً بل بقي على حاله من الانقطاع لأنه ليس في هذا الضرب صفة ذم منفية عامة يمكن تقدير دخول صفة المدح فيها فحينئذ لا يستفاد التوكيد فيه إلا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين في الضرب الاول ولهذا كان الضرب الاول أبلغ لإفادته التأكيد من الوجهين •

إذا عرفت هذا فاعلم أن في الآية الكريمة : « لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً » ثلاثة أوجه :

آ - أن يكون معناه إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة لغواً فلا يسمعون لغواً إلا ذلك وهو بهذا من وادي قول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

ب - انهم لا يسمعون فيها إلا قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة وهذا يتعين فيه الاستثناء المنقطع .

ج - ان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة وهي دار السلامة وأهلها أغنياء عن الدعاء بالسلامة فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام ، ففي الوجه الأول والثالث يتعين الاتصال في الاستثناء أما الأول فلجعل ذلك لغواً على سبيل التجوز والفرض وأما الثاني فواضح لأنه فيه اطلاق اللغو على السلام وأما الثالث فلحمل الكلام على ظاهره من دون تجوز أو فرض .

٢ - التشبيه التمثيلي البليغ :

وذلك في قوله تعالى « تلك الجنة التي نورث من عبادتنا من كان تقياً » فقد شبه عطاء الجنة لهم بالعطاء الذي لا يرد وهو الميراث الذي يرثه الوارث فلا يرجع فيه المورث أي نبقيا عليها من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثاة أقوى لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق من حيث أنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد ولا اسقاط والإرث في اللغة البقاء ، قال عليه الصلاة والسلام : « إنكم على إرث من إرث أبيكم ابراهيم » أي على بقية من

بقايا شريعته والوارث الباقي من أسماء الله تعالى أي الباقي بعد فناء خلقه وهو في الشرع انتقال مال الغير الى الغير على سبيل الخلافة .

وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

الاعراب :

(وما تنزل إلا بأمر ربك) الجملة مستأنفة مسوقة لحكاية قول جبريل حيث استبطأه الرسول عليه السلام لما سئل عن قصة أهل الكهف وذو القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ، كما تقدم ، فأبطأ عليه خمسة عشر يوماً وقيل أربعين حتى قال المشركون : ودعه ربه وقلاه ، فالواو استئنافية وما نافية وتنزل فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن وإلا بأمر ربك استثناء من أعم الاحوال فإلا أداة حصر وبأمر متعلقان بسحذوف حال فالتنزل نزول فيه ابطاء أو بسعنى النزول على الإطلاق ، قال الشاعر :

فلست لإنسي ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصبوب

وهذا البيت لرجل من عبد القيس يمدح الملك النعمان بن المنذر وقيل لأبي وجرة يمدح عبد الله بن الزبير وقبله :

تعاليت ان تعزى الى الانس جلة

ولانس من يعزوك فهو كذوب

أي لست منسوباً لإنسي ولكن لملك وبالغ في ذلك حتى جعله
نازلاً من جهة السماء يصوب أي يقصد الى جهة معينة والملاك مفعل
بتقديم العين من الألوكة بالفتح وهي الرسالة وقال أبو عبيدة هو مفعل
على اسم المكان من لأك إذا أرسل ولعله جاء على مفعل لتصوير أن
الرسول مكان الرسالة وقال ابن كيسان : هو فعّال من الملك فالهمزة
زائدة وعلى كل يخفف بالنقل فيقال ملك .

(له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) له خبر مقدم وما
موصول مبتدأ مؤخر والجملة حال من ربك والظرف متعلق بمحذوف
صلة الموصول وأيدينا مضافة للظرف وما خلفنا عطف على ما بين أيدينا
وما بين ذلك عطف أيضاً . (وما كان ربك نسياً) الواو حرف عطف
وما نافية وكان واسمها وخبرها . (رب السموات والأرض وما بينهما)
رب السموات والأرض خبر لمبتدأ محذوف أي هو رب السموات
والأرض ويجوز أن يعرب بدلاً من ربك . (فاعبدوا واصطبر لعبادته
هل تعلم له سمياً) الفاء هي الفصيحة ولا حاجة لتأويل الكلام بجعلها
عاطفة من باب عطف الانشاء على الخبر أي إذا عرفت ربوبيته الكاملة
فاعبدوا واصطبر عطف على اعبدوا ولعبادته متعلقان باصطبر وقد أحسن
الزمخشري في الفهم حيث جعل العبادة بمثابة القرن تقول للمحارب
اصطبر لقرنك أي اثبت له فيما يورد عليك من شداته وصولاته والمراد
لا تضق ذرعاً ولا تهن قوة إذا تأخر عنك الوحي ولا تبتئس لشماتة
الكافرين فما هي إلا غمرة ثم تنجلي ، وظلمة ثم تنحسر وهل حرف

استفهام معناه النفي وتعلم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت
وسبياً مفعول به والسبي هو الشريك في الاسم .

الفوائد :

عطف الانشاء على الخبر وبالعكس :

منعه البيانون وبعض النحاة وأجازه بعض النحاة قال أبو حيان :
وأجاز سيويه ذلك واستدل بقول امرئ القيس :

وإن شفائي عبرة مهراقة وهل عند رسم دارس من معول

فجملته إن شفائي الخ خبرية وجملته وهل عند رسم الخ جملة
انشائية عطفاً على الخبرية وقول الآخر :

تُناغي غزالاً عند باب ابن عامر

وكحلّ مآقيك الحسان يائمه

وقول الآخر :

وقائلة خولان فانكح فئاتهم وأكرومة الحين خلوكما هيا

ورد ابن هشام هذه الاقوال فقال رداً على أبي حيان : « وأما
ما نقله أبو حيان عن سيويه فغلط عليه وأما بيت امرئ القيس
فالاستفهام خرج معناه الى النفي كما ذكرنا ، وأما قوله فانكح فئاتهم
فهو معطوف على فعل أمر محذوف مفهوم من المبتدأ أي تنبه لخولان
وأما وكحلّ مآقيك الخ فيتوقف على النظر فيما قبله من الأبيات وقد

يكون معطوفاً على أمر مقدر يدل على المعنى أي فافعل كذا وكحل كما قيل في لأرجمنك واهجرني ان التقدير فاحذرني واهجرني ملياً لدلالة لأرجمنك .

وَيَقُولُ الْإِنْسَنُ إِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ
الْإِنْسَنُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ
وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى
بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾
ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

اللفظة :

(جثياً) : بضم الجيم وكسرهما وبهما قرىء جمع جاث من جثا
يجثو أجثى ويجثي لغتان : أي جلس على ركبتيه أو قام على أطراف
أصابعه فهو جاث .

(صلياً) : بكسر الصاد وضمها وبهما قرىء مصدر صلي بكسر
اللام وفتحها النار أي دخلها .

الاعراب :

(ويقول الانسان انذا ما مت لسوف اخرج حياً) الواو استئنافية ويقول الانسان فعل مضارع وفاعل وأل فيه للجنس والهمزة للاستفهام بمعنى النفي وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بفعل محذوف دل عليه قوله لسوف اخرج لأن اللام تمنع من تعليقه بأخرج المذكورة لأن ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وما زائدة وجملة مت صلة واللام لام الابتداء وسوف حرف استقبال واخرج فعل مضارع مبني للسجول وفائب الفاعل مستتر تقديره أنا وحياً حال وساغ اجتماع اللام وهي تمحض الفعل للحال وسوف وهي تمحضره للاستقبال ان اللام هنا لمجرد التوكيد وإنما جردت اللام من معناها لتلائم سوف دون أن تجرد سوف من معناها لتلائم اللام لأنه لو عكس هذا للفت سوف إذ لا معنى لها سوى الاستقبال وأما اللام فانها إذا جردت من الحال بقي لها التوكيد فلم تلغ . (أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً) أولاً: الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة ولا نافية ويذكر فعل مضارع معطوف على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف والانسان فاعل وأنا : ان واسمها وجملة خلقناه خبر أنا وان وما بعدها في تأويل مصدر مفعول يذكر ومن قبل الجار والمجرور متعلقان بيذكر ولم الواو حالية ولم حرف نفي وقلب وجزم ويك فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف واسمها ضمير مستتر تقديره هو ، وشيئاً خبر يك والمضاف الى قبل محذوف تقديره قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقاءه وقدره بعضهم قبل بعثه . (فوريك لنحشرنهم والسياطين) الفاء عاطفة والواو للقسم وربك مجرور بواو القسم وهما متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم وفائدة هذا القسم سترد في باب البلاغة

واللام واقعة في جواب القسم ونحشرنهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به والشياطين عطف على الهاء أو الواو بمعنى مع والشياطين مفعول معه . (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً) ثم حرف عطف للتراخي ولنحضرنهم عطف على لنحضرنهم وحول ظرف مكان متعلق بنحضرنهم وجهنم مضاف اليه وجثياً حال . (ثم لنزغن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً) ثم لنزغن عطف على لنحضرنهم ومن كل شيعة متعلقان بنزغن وأيهم اسم موصول بمعنى الذي وحركتها عند سيبويه حركة بناء لخروجها عن النظائر أي لأنها أضيفت وحذف صدر صلتها وهي في محل نصب مفعول به لنزغن وأشد خبر لمبتدأ محذوف والجملة صلة أي وعتياً تمييز وعلى الرحمن متعلقان بأشد أو بمحذف حال وسيأتي مزيد بحث في هذه الآية في باب الفوائد . (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً) ثم حرف عطف للترتيب والتراخي واللام للابتداء ونحن مبتدأ وأعلم خبر وبالذين متعلقان بأعلم وهم مبتدأ وأولى خبر والجملة صلة وبها متعلقان بأولى وصلياً تمييز وقيل صلياً جمع صال فاتصب على الحال وفي التمييز فائدة وهي التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب لاشتراكهم فيه . (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً) الواو عاطفة وإن نافية ومنكم صفة لمبتدأ محذوف تقديره أحد أي ما منكم أحد وإلا أداة حصر وواردها خبر وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو أي الورد وحتماً خبرها ومقضياً صفة لحتماً . (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) ثم ننجي عطف على ما تقدم وفاعل ننجي مستتر تقديره نحن والذين موصول مفعول واتقوا صلة ونذر عطف على ننجي والفاعل مستتر تقديره نحن والظالمين مفعول به وفيها متعلقان بنذر أو

بجثياً ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من جثياً لأنه في الأصل صفة لنكرة قدم عليها فنصب على الحال ، وجثياً حال أو تجعلها منفعولاً ثانياً لنذر أي تركهم فيها جثياً •

البلاغة :

١ - فن القسم :

في قوله تعالى « فوركك لنحشرنهم » فن القسم وهو أن يريد المتكلم الحلف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخر له وتعظيم لشأنه أو تنويه لقدره أو ما يكون ذمماً لغيره أو جارياً مجرى الغزل والترقق أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد فقد أفاد القسم هنا أمران أحدهما أن العادة جرت بتأكيد الخبر باليمين والثاني أن في إقسام الله تعالى باسمه مضافاً إلى رسوله صلى الله عليه وسلم رفعةً منه لقدره وتنويهاً بشأنه كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله « فوركك السماء والأرض إنه لحق » وسيأتي تحقيق ذلك في مواضعه •

وقد توسّع الشعراء في القسم لأن فيه حلاوة ورفعةً لشأن المتغزل به ، وما أطف قول عبد المحسن الصوري وهو من أبرع ما سمعنا :

يا غزالاً قد رمى باللحظ قلبي فأصابا
بالذي ألهم تعذبي ثياك العذابا
والذي ألبس خديك من الورد نقابا
والذي أودع في فيك من الشهد شرابا
والذي صير حظي منك هجراً واجتنابا

ما الذي قالته عينا ك لقلبي فأجابا
ولا بن خفاجة الاندلسي :

لا وسحر بسين أجفانكم فتن الحب به من فتننا
وحديث من مواعيدكم تحسد العين عليه الأذنا
مارحلت العيس عن أرضكم فرأت عيناى شيئاً حسنا

وبطغ العباس بن الأحنف الغاية بقوله :

واني ليرضيني قليل نوالكم وإن كان لا أرضى لكم بقليل
بحرمة ما قد كان بيني وبينكم من الود إلا عدتم بجميل
وأبدع أبو الطيب بقوله :

أحيا وأيسر ما قاسيتُ ما قتلا
والبين جار على ضعفي وما عدلا

والوجد يقوى كما تقوى النوى أبداً
والصبر ينحل في جسي كما نحلا

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت
لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

بما يجفنيك من سحر صلي دقلا
يهوى الحياة وأما إن صدت فلا

٢ - الافتنان :

وذلك في قوله تعالى « ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » والافتنان هو أن يفتن المتكلم فيأتي في كلامه بفنين إما متضادين أو مختلفين أو متفقين والآية التي نحن بصددنا جمعت بين المتضادين : جمعت بين الوعد والوعيد ، بين التبشير والتحذير وما يلزم من هذين الفنين من المدح للمختصين بالبشارة والذم لأهل النذارة وستأتي منه أمثلة عديدة في القرآن الكريم .

ومن الجمع بين المتضادين في الشعر قول عبد الله بن طاهر بن الحسين ونسبهما في الكامل لأبي دلف :

أحبك يا ظلوم وأنت مني مكان الروح من جسد الجبان
ولو أني أقول مكان روجي خشيت عليك بادرة الطعان

فاظر كيف جمع في هذا الشعر بين الغزل والحماسة والغزل لين والحماسة شدة وقال عنتره وأبدع :

إن تغد في دوني القناع فأنني طب بأخذ الفارس المستلثم

وهذا من أحسن ما قيل في هذا الباب فإنه جمع فيه بين الغزل والحماسة والجد والهزل فأتى فيه بنادرة طريفة وطرفة غريبة حيث قال بعد وصفها بستر وجهها دونه بالقناع حتى صار ما بين بصره وبين وجهها كالليل المغدف الذي يحول بين الأبصار والمبصرات : انني طب بأخذ الفارس المستلثم يقول : إن تتبرقي دوني فأنني خير لدربتي بالحرب بأخذ الفارس الذي سترته لأمته ، وحالت دوني ودون مقاتلته فأبرز

الجد في صورة الهزل فجاء في بيته مع الافتتان التندير الطريف وعبر
عن معناه اللطيف بهذا اللفظ الشريف .

وجمع الحطيئة بين المدح والهجاء في بيت واحد من قصيدة يسدح
بها بغيضاً ويهجو الزبرقان وقد شكاه الزبرقان بسببها الى عمر
بن الخطاب :

قد ناضلونا وسلوا من كناتهم

مجداً تليداً ونبلاً غير أنكاس

ومعنى هذا البيت لا يعرفه إلا من عرف أن عادة العرب إذا منوا
على أسير أعطوه نبلاً من نبلهم عليها اشارة تدلّ على أنها لأولئك القوم
لا تزال في كناته ، فقال الحطيئة لهذا المدوح الذي عناه بهذا المدح :
إن عداك لما فاخروك سلوا من كناتهم تلك التي أعطيتها لهم حتى مننت
عليهم تشهد لك بأنهم عتقاؤك فكان هذا مجداً تليداً لك لا يقدرّون
على جحده تثبته لك هذه النبل التي ليست بأنكاس يعني الصائبات
التي لا تنكب إذا ناضلت بها عن الغرض وهذا غاية المدح للمدوح
ونهاية الهجاء لعداء إذ أخبر بأنهم مع معرفتهم بفضله عليهم يفاخرونه
بما إذا أظهروه أثبت له الفضل عليهم وهذا غاية الجهل منهم والغباوة .

ومن الجمع بين الهجاء والمدح أو الفخر قول أبي العلاء المعري :

بأي لسان ذامني متجاهل عليّ وخفق الريح فيّ ثناء

تكلم بالقول المضللّ حاسد وكل كلام الحاسدين هراء

أتمشي القوافي تحت غير لوائنا ونحن على قوالها أمراء

ولاسار في عرض المساواة بارق وليس له من قومنا خفراء

فهو إذ يفخر بنفسه يهجو أبناء جنسه الذين يتطاولون وهم قصار
ويدعون المعرفة والجهل يكتنفهم أولم يقل لهم مخاطباً :

غدوت مريض العقل والدين فالقني لتخبر أبناء العقول الصحائح

والروح العلائية معروفة فلا لزوم للشرح والتبسط .

أما الجمع بين التهنة والتعزية فهو غريب حقاً وهو يحتاج الى
الكثير من شغوف الطبع ورهافة الحس للاجادة فيه ومن أجل ما سمعنا
منه مثل قول المعزّي ليزيد بن معاوية عندما جلس في دست الخلافة
وأنت الوفود مهنة معزية بأبيه فلما اجتمعوا لم يفتح على أحد بسا فتح
به لهم باب القول حتى تقدم هذا المتقدم ذكره فاستأذن في الكلام فلما
أذن له قال : آجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزية وبارك الله لك في العطية
فلقد رزئت عظيماً وأعطيت جسيماً ، رزئت خليفة الله ، وأعطيت خلافة
الله ، فاصبر على ما رزئت ، واشكر على ما أعطيت وأنشد :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة

واشكر جاء الذي بالملك أصفاك

لا رزء أصبح في الأقوام تعلمه

كما رزئت ولا عقبى كعباك

أصبحت راعي أمور الناس كلهم

فأنت ترعاهم والله يرعاك

وفي معاوية الباقي لنا خلف

إذا نعت ولا نسمع بمنعاً

ففتح للناس باب القول : فقالوا وكان له فضل السبق .

وقال أبو نواس للعباس بن الفضل يعزیه بالرشيد ويهته
بخلافة الأمين :

تعزّ أبا العباس عن خير هالك

بأكرم حي كان أو هو كائن

حوادث أيام تدور صروفها

لمنّ مساوٍ مرةً ومحاسن

وفي الحيّ بالميت الذي غيّب الثرى

فلا أنت مغبون ولا الموت غابن

٣ - فن الالتفات :

في قوله تعالى : « وإن منكم إلا واردها ... الخ » الالتفات على أحد القولين وهو مفرع على إرادة العموم من الأول فيكون المخاطبون أولاً هم المخاطبين ثانياً إلا أن الخطاب الأول بلفظ الغيبة والثاني بلفظ الحضور وأما إذا بنينا على أن الأول إنما أريد منه خصوص على التقديرين جميعاً فالثاني ليس التفتاً وإنما هو عدول عن خطاب خاص لقوم معينين إلى خطاب العامة والقول في الورد على جهنم طويل يرجع فيه إلى المطولات .

الفوائد :

نقاش طويل حول أيهم :

وعداك بنزید من البحث حول أيهم في قوله تعالى « ثم لنزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً » قال أبو حيان في شرح التسهيل : « وسأل الكسائي في حلقة يونس لم لا يجوز أعجبي أيهم قام فقال : أي كذا خلقت » أي كذا وضعت وقال ابن السراج موجهاً قول الكسائي بالمنع ما معناه إن أياً وضعت على العموم والإبهام فإذا قلت يعجبي أيهم يقوم فكأنك قلت يعجبي الشخص الذي يقع منه القيام كائناً من كان ولو قلت أعجبي أيهم قام لم يقع إلا على الشخص الذي قام فأخرجها ذلك عما وضعت له من العموم ولذلك يشترط في عاملها أن يكون مستقبلاً متقدماً عليها نحو « لنزعن من كل شيعة أيهم أشد » وذلك لأجل الفرق بين الشرطية والاستفهامية وبين الموصولة لأن الشرطية والاستفهامية لا يعمل فيهما إلا متأخر والمشهور عند الجمهور أفرادها وتذكيرها وقد ثوث وتثنى وتجمع عند بعضهم فتقول آية وأيان وأيتان وأيون وآيات وهي معربة فقليل مطلقاً وهو قول الخليل ويونس والأخفش والزجاج والكوفيين وقال سيبويه تبنى على الضم إذا أضيفت لفظاً وكان صدر صلتها ضميراً محذوفاً وقال الزجاج مستنكراً : ما تبين لي أن سيبويه غلط إلا في موضعين هذا أحدهما فإنه يسلم أنها تعرب إذا أفردت فكيف يقول بينها إذا أضيفت •

وزعم المانعون أن أياً في الآية استفهامية وإنها مبتدأ وأشد خبره ثم اختلفوا في مفعول نزع فقال الخليل محذوف والتقدير لنزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد وقال يونس المفعول الجملة وعلقت نزع عن العمل فيها وقال الكسائي والأخفش المفعول كل شيعة ومن زائدة وقد رد

ابن هشام هذه الاقوال كلها حيث قال ويرد أقوالهم أن التعليق مختص بأفعال القلوب وانه لا يجوز أن يقال لأضربن الفاسق بالرفع بتقدير الذي يقال فيه هو الفاسق وانه لم يثبت زيادة من في الايجاب .

ونورد هنا ما قاله أبو البقاء لوجازته وشموله قال « قوله أيهم أشد يقرأ بالنصب شاذاً والعامل فيه لنزعن وهي بمعنى الذي ويقرأ بالضم وفيه قولان : أحدهما انها ضمة بناء وهو مذهب سيوريه وهي بمعنى الذي وانما بنيت هاهنا لأن أصلها البناء لأنها بمعنى الذي ومن الموصولات إلا أنها أعربت حملاً على كل أو بعض فإذا وصلت بجملة تامة بقيت على الاعراب وإذا حذف العائد عليها بنيت لمخالفتها بقية الموصولات فرجعت الى حقها من البناء بخروجها عن قضايرها وموضعها نصب بنزع الخافض ، والقول الثاني هي ضمة الاعراب وفيه خمسة أقوال أحدها انها مبتدأ وأشد خبره وهو على الحكاية والتقدير لنزعن من كل شيعة الفريق الذي يقال أيهم فهو على هذا استفهام وهو قول الخليل والثاني كذلك في كونه مبتدأ وخبراً واستفهاماً إلا أن موضع الجملة نصب بنزعن وهو فعل معلق عن العمل ومعناه التمييز وهو قريب من معنى العلم الذي يجوز تعليقه كقولك علمت أيهم في الدار وهو قول يونس والثالث أن الجملة مستأنفة وأي استفهام ومن زائدة أي لنزعن كل شيعة وهو قول الأخفش والكسائي وهما يجيزان زيادة من في الواجب ، والرابع أن أيهم مرفوع بشيعة لأن معناه تشيع والتقدير : لنزعن من كل فريق يشيع أيهم وهو على هذا بمعنى الذي وهو قول المبرد والخامس أن نزعن علقت عن العمل لأن معنى الكلام معنى الشرط والشرط لا يعمل فيما قبله والتقدير لنزعنهم تشيعوا أم لم يتشيعوا أو ان تشيعوا ومثله لأضربن أيهم غضب أي ان غضبوا أو لم يغضبوا وهو قول يحيى عن الفراء وهو أبعدهما عن الصواب » .

وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِبَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
 أَيُ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ
 قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِئَاءَ ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ
 الرَّحْمَنُ مَدَدًا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ
 فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ
 اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ
 مَرَدًّا ﴿٧٦﴾

اللفظة :

(مقاماً) : بفتح الميم اسم مكان من قام أو مصدر ميمي وقرىء
 مقاماً بالضم فيكون أيضاً اسم مكان أو مصدراً ميمياً من أقام الرباعي
 المزيد والمرادها موضع القوم .

(ندياً) : الندي المجلس ومجتمع القوم وحيث يتكدون
 ويقال النادي .

(أثناً) : الأثاث : متاع البيت والمال ويقال أثّ يثّ ويأث
 ويؤث أثناً وأثوثاً وأثاثاً النبات أو الشعر : التفّ وكثر فهو
 أثّ وأثيث .

(رئياً) : فعل بسعنى مفعول ومعناه لمنظر فهو كالطحن والذبح
بسعنى المطحون والمذبوح من رأيت على القلب كقولهم راء في رأى أو
من الري الذي هو النعمة والترف من قولهم ريان النعيم •

الاعراب :

(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا) الواو استئنافية
وإذا شرط مستقبل وجملة تتلى مضافة للظرف وعليهم متعلقان بتتلى
وآياتنا نائب فاعل وبينات حال من آياتنا أي واضحات مبينات المقاصد
والمعاني وجملة قال الذين كفروا لا محل لها لأنها جواب • (للذين
آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً) للذين آمنوا متعلقان بقال
وجملة آمنوا صلة وأي استفهامية مبتدأ وخير خبر ومقاماً تمييز
وأحسن عطف على خير وندياً تمييز • (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم
أحسن أثاثاً ورئياً) كم خبرية في محل نصب مفعول أهلكنا وأهلكنا
فعل وفاعل ومن قرن تمييز غير صريح لكم لأن تمييز كم الخبرية كثير
ما يكون مجروراً بمن وسيأتي تفصيل لذلك وهم مبتدأ وأحسن خبر
والجملة في محل نصب صفة لكم الخبرية ألا ترى أنك لو تركت هم
لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية هذا ما ذكره الزمخشري
وتابعه أبو البقاء على أن هم أحسن صفة لكم ونص أصحابنا
على أن كم الاستفهامية والخبرية لا توصف ولا يوصف بها ،
وأثاثاً تمييز ورئياً عطف عليه ويجوز أن يكون صفة لقرن • (قل من
كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدأ) من اسم شرط جازم مبتدأ
وكان فعل الشرط وهو فعل ماض ناقص واسمها مستتر يعود على من
وفي الضلالة خبر كان والفاء رابطة للجواب واللام لام الأمر ويمدد

فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وله متعلقان يمدد والرحمن فاعل ومدأ مفعول مطلق . (حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة) حتى حرف غاية وجر متعلق بالجواب وهو فسيعلمون وقيل مستأنفة أي تبدأ بعدها الجمل قال الشهاب في حاشية البيضاوي : وحتى هنا حرف ابتداء أي تبدأ بعدها الجمل أي تستأنف فليست جارة ولا عاطفة، وهكذا حيث دخلت على إذ الشرطية ، وجملة رأوا مضافة للظرف وما مفعول به وجملة يوعدون صلة وإما حرف شرط وتفصيل والعذاب والساعة بدل من ما والمعنى : يستمرون في الطغيان إلى أن يعلموا إذا رأوا العذاب أو الساعة من هو شر مكاناً وأضعف جنداً . (فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً) الفاء واقعة في جواب إذا وهذا ما يرجح جعل إذا للغاية وسيعلمون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل ومن موصولة مفعول به وهو مبتدأ وشر خبر والجملة صلة ويجوز أن تكون من استفهامية في محل رفع بالابتداء وهو مبتدأ ثان وشر خبر المبتدأ الثاني وهو وخبره خبر من وعندئذ تكون الجملة معلقة لفعل الرؤية فالجملة في محل نصب مفعول يعلمون . (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) لك أن تجعل الواو استئنافية فتكون الجملة مستأنفة ولك أن تجعلها عاطفة فتعطف الجملة على جملة الشرط المحكية بالقول أي وقل يزيد الله ويزيد الله الذين اهتدوا فعل مضارع وفاعل ومفعول به وجملة اهتدوا صلة وهدى تمييز أو مفعول به ثان ليزيد . (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً) والباقيات مبتدأ والصالحات صفة وخير خبر الباقيات وعند ربك الظرف متعلق بخير وثواباً تمييز وخير مرداً عطف على خير ثواباً أي مرجعاً وعاقبة ومنغبة .

الفوائد :

١ - من الداخلة على التمييز :

اختلف في معنى من التي يصرح بها مع التمييز فقليل للتبعيض ولذلك لم تدخل في نحو طاب نفساً لأن نفساً ليست أعم من المبهم الذي انطوت عليه الجملة وقال الثلويين : زائدة عند سيبويه لمعنى التبعيض ويدل على صحته انه عطف على موضعها نصباً قال الحطيئة :

طافت أمانة بالركبان آونةً يا حسنه من قوام ما ومنتقبا

وأمانة بضم الهمزة اسم امرأة وآونة بالمد نصب على الظرفية والشاهد في قوله من قوام فإنه تمييز جر بمن الزائدة في الكلام الموجب ولهذا عطف منتقباً على محلها بالنصب وما زائدة لتوكيد الكلام وقال ابن هشام : انها لبيان الجنس وقد سبقه الزمخشري الى ذلك لأن المشهور من مذاهب النحويين ما عدا الأخفش أن من لا تزداد إلا في غير الإيجاب .

٢ - معنى التفضيل :

قل : ما معنى التفضيل في قوله « والباقيات الصالحات خير ثواباً وخير مرداً » وهل ثمة من شك وهل للمفاخر شرك في الثواب والمرد وأجيب بجوابين أولهما انه من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء أي أبلغ في حره من الشتاء في برده وثانيهما أن اسم التفضيل ذكر على سبيل المشاكلة لكلامهم السابق وقال الشهاب في حاشيته على البيضاوي : « وهذا جواب عما تخيل كيف فضلوا عليهم في خيرية الثواب والعاقبة والتفضيل يقتضي المشاركة وهم لا ثواب لهم وعاقبتهم لا خير فيها » .

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِعَايَتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَا لَا وِلْدًا ۖ أَطَّلَعَ
 الْغَيْبَ أَمْ آتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ (٧٨) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ
 وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۖ (٧٩) وَنَرِيهِ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۖ (٨٠)
 وَآتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۖ (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ
 بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۖ (٨٢) أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى
 الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ۖ (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۖ (٨٤)

اللفظة :

(أطلع) أصله أطلع حذفتم همزة الوصل وبقيت همزة الاستفهام المفتوحة واطلع يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال اطلع الأمر وعليه : علمه ويقال أيضاً : اطلع طلع العدو بكسر الطاء وسكون اللام عرف باطن أمرهم وقد توهم بعضهم انه لا يتعدى إلا بعلى فأعرب الغيب بترع الخافض وإنما هو من قولهم اطلع الجبل إذا ارتقى الى أعلاه وطلع الشية قال جرير :

إني إذا مضر عليّ تحدثت لاقيت مطلع الجبال وعورا

فمطلع اسم مكان من اطلع المشدّد أصله اطلع على بناء الافتعال فقلبت التاء طاء وأدغمت فيما قبلها وهو في البيت نصب على الظرفية والوعور جمع وعر أي صعب مفعول لاقيت أو مطلع هو المفعول به

ووعوراً حال يقول : إذا تقولت على مضر مالا أرتضيه أو حدثتها نفسها
بقتلي تمرست بالصعاب ولا أبالي بها وسيأتي مزيد بحث عن استعمالها
في الآية في باب البلاغة .

(ونمد) : مضارع مد الشيء يمدّه من باب نصر أطاله وبسطه
وجذبه ومدّ الحبل فامتدّ وهذا ممدّ الحبل قال ابن مقبل :

وللشمس أسباب كأن شعاعها ممدّ حبال في خباء مطنّب

وتمدّد الأديم وطراف ممدّد وأمد الجيش وضم إليه ألف رجل
مدداً وللميم مع الدال خاصة التمدد كأن أصل المادة يشمل غيرها من
الفروع وهذه من ميزات لغتنا العربية الخالدة ويقال مدحه وامتدحه
أطال الثناء عليه ، ومدخ فلاناً بالخاء المعجمة أمدّه بالعون خيراً كان أم
شراً عمله ، وتمدخ تكبر وتطاول ولا يخفى ما في الكبرياء والتطاول
من تمدد واتفاخ ، ومدر المكان طاله وامتد إليه ومدر الحوض شد
خصاص حجارته بالمدر وهو الطين العلك الذي لا يخالطه رمل وهو
سريع الامتداد إذا طينت به الحائط أو سيعته ، ومدس الجلد ونحوه
دلكه ليمتد ، ومدشت عينه : امتد عليها الظلام وارتخى عصبها ومدشت
يده نحلت وضوّلت فظهرت للرائي ممتدة لقلة اللحم عليها ، والمدش
بفتحيتين ظلمة تمتد على العين من جوع ورخاوة عصب اليد وتسدل
بالمنديل شده على رأسه أو اعتم به وهو قريب من معنى الامتداد ،
ومدّن المدائن بناها ومصرها وجدد بناءها فامتدت عرضاً وطولاً
والمدينة مجتمع بيوت زادت وامتدت فسميت مدينة ومنها سميت مدينة
بثرب ومدينة السلام أي بغداد والمدائن مدينة قرب بغداد كان فيها إيوان
كسرى وسميت بالجمع لكبرها وامتدادها وفيها يقول البحري سنيته
ويشير إليها بقوله :

حضرت رحلي الهموم فوجهت الى أبيض المدائن عنسي
أتسلى عن الهموم وآسى لمحلّ من آل ساسان درس

ومدحه أي مدحه وقد تقدم والمدى الغاية الطويلة الممتدة وأمدى
فلاًقاً وماداه أمهله وأمدى الرجل تقدمت به السن وامتدت وتسادى في
عنه دام على فعله وامتد في فجوره والمدية بضم الميم الشفرة الكبيرة
الممتدة وهذا من غريب أمر لغتنا الشريفة .

(ونرثه) : أي نسلبه منه ونأخذه بأن نخرجه من الدنيا خالياً من
ذلك والمراد نزوي عنه ما يقوله من أنه سيناله في الآخرة .

(تؤزهم) : الأز : الاستفزاز والتهيج وشدة الازعاج وهذه من
أغراب مواد اللغة العربية كلها تدل على هذا المعنى والأز أيضاً شدة
الصوت ومنه أز الرجل أزا وأزيراً أي غلاً واشتد غليانه حتى سمع
له صوت وفي الحديث « فكان له أزيز » وفي القاموس : وأزّت انقدر
تؤز بالضم وتؤز بالكسر أزا وأزيراً وأزازاً بالفتح اشتد غليانها وأز
النار أوقدها وأز الشيء حركه شديداً « وفي اللسان والأساس وغيرهما :
هالني أزيز الرعد وصدّني أزيز الرحي وهزيزها وأزه على كذا :
أغراه به وحمله عليه بازعاج وهو يأتز من كذا : يستعص منه وينزعج
وتأزر المجلس هاج بمن فيه جميع ذلك يدل على الحركة والازعاج ،
وأزب الماء يأزب بالضم والكسر جرى مسرعاً والمئزاب مجرى الماء
والجمع مأزيب ، وأزج البيت بناء طولاً وعرضاً ، وأزحت قدمه زلت ،
وأزر يأزر بالكسر بالشئ أحاط به والنبات التف وأزره مؤازرة
عاونه وبادر الى إغاثته والأزر القوة والظهر يقال شد به أزره أي ظهره
والمئزر معروف ويقال شد للأمر مئزره إذا تشمر له وسارع اليه ، وأزف

يَأْزِفُ بِالْفَتْحِ أَزْكَفًا وَأَزَوْفًا اقْتَرَبَ وَأَزَفَ الرَّجُلُ عَجَلَ وَأَزَفَهُ إِزْأَفًا
 أَعْجَلَهُ وَأَزَفَتِ الْآزِفَةُ اقْتَرَبَتِ الْقِيَامَةُ وَفُلَانٌ يَمْشِي الْأَزْفَى بِثَلَاثِ حَرَكَاتٍ
 أَيِ يَمْشِي سَرِيعًا ، وَالْمَأْزِقُ الْمَضِيقُ وَمَوْضِعُ الْحَرْبِ ، وَأَزَلَ يَأْزِلُ وَقَعَ
 فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ ، وَأَزَمَهُ أَزَمًا وَأَزَوْمًا عَضَهُ وَالْحَبْلُ أَحْكَمُ فَتْلُهُ وَتَأَزَمَ
 الْقَوْمُ أَصَابَتْهُمْ أَزْمَةٌ وَالْأَزْمَةُ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسَكُونِ الزَّايِ وَالْأَزْمَةُ
 الشَّدَّةُ وَالضَّيْقَةُ وَأَزَى الرَّجُلُ حَاذَاهُ وَدَانَاهُ وَجَلَسَ إِزَاءَهُ أَيِ أَمَامَهُ وَفِي
 كُلِّ ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى الْحَرَكَةِ وَحَرْفِ الزَّايِ أَجْمَالًا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وَمَا هُوَ
 قَرِيبٌ مِنْهُ وَسَيَأْتِيكَ مَا هُوَ مُعْجَبٌ مِنْ غَرِيبِ أَمْرِهِ •

(وولدا) : الولد اسم مفرد قائم مقام الجمع والولد بضم الواو
 وسكون وقد قرئ بها بمعنى الولد فهما لغتان وقيل بل هي جمع
 لولد نحو أُسْدٌ وَأَسَدٌ وَعُرْبٌ وَعَرَبٌ •

الاعراب :

(أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً) الهمزة للاستفهام
 التعجبي والفاء على حالها من التعقيب كأنه قال أخبرك أيضاً بقصة هذا
 الكافر عقب حديث أولئك ورأيت هنا بمعنى أخبرني وقد تقدم بحثها
 مفصلاً والذي هو مفعولها الأول وجملة كفر بآياتنا صلة وقال عطف
 على كفر ، لأوتين اللام جواب لقسم مقدر ونائب الفاعل مضمرة تقديره
 أنا ومالا مفعول به ثانٍ لأوتين وولداً عطف على مالا • (أطلع الغيب
 أم اتخذ عند الرحمن عهداً) الهمزة للاستفهام واطلع فعل ماضٍ وفاعله
 هو يعود على الكافر قيل هو العاصي بن وائل وستأتي قصته في باب
 الفوائد وأم حرف عطف معادل للهمزة واتخذ فعل ماضٍ وفاعله مستتر
 يعود عليه وعند الرحمن مفعول به ثانٍ لاتخذ وعهداً مفعول به أول •

(كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً) كلا حرف ردع وزجر وفيها أقوال كثيرة سنوردها في باب الفوائد وسنكتب فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن وصدره بالسین من باب ما يقوله المتوعد لخصمه سوف أتقم منك يعني لا تغتر بطول الزمان فإن الانتقام آتيك أو سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا ، وما مفعول به وجسلة يقول صلة ونمد عطف على نكتب وله متعلقان بمد ومن العذاب حال لأنه كان صفة لمداً ومداً مفعول مطلق أو مفعول به ان كان بمعنى المدد . (ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً) ونرثه عطف على نمد والفاعل نحن والهاء منصوب بنزع الخافض وما مفعول به والتقدير ونرث منه ما يقوله ويجوز أن تكون الهاء هي المفعول به وما بدل اشتمال من الهاء والمعنى نرث ما عنده من المال والأهل والولد وجسلة يقول صلة ويأتينا عطف على ما تقدم والفاعل مستتر تقديره هو ونا ضمير فصل فاعل وفرداً حال (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً) واتخذوا فعل وفاعل وحذف المفعول الأول وهي الأوثان المفهومة من سياق الحديث ومن دون الله حال وآلهة هي المفعول الثاني ، ليكونوا اللام لام التعليل ويكونوا فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد اللام والواو اسمها ولهم حال وعزاً خبر يكونوا . (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) كلا تقدم أنها حرف ردع وزجر لتعززهم بها سيكفرون فعل مضارع مرفوع وبعبادتهم متعلقان بيكفرون أي سيجحدون عبادتها وينكرونها ، فالمصدر أضيف الى مفعوله ويكونون عطف على يكفرون والواو اسمها وعليهم حال وضداً خبر يكونون ووحده وهم جمع لمحا لأصله لأنه في الأصل مصدر والمصادر لا تشي ولا تجمع أو لأنه مفرد في معنى الجمع وللزمخشري في توحيد الضد كلام حسن سننقله في باب البلاغة . (ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على

الكافرين تؤزهم أزا) ألم الهزمة للاستفهام التقريري ولم حرف نهي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله أنت وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تر وأن واسمها وجملة أرسلنا خبرها والشياطين مفعول به وجملة تؤزهم حالية وأزا مفعول مطلق . (فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً) الفاء الفصيحة أي إن عرفت هذا كله فلا تعجل وعليهم متعلقان بتعجل وإنما كافة ومكفوفة وجملة نعد لهم حالية وعداً مفعول مطلق .

البلاغة :

١ - الاستعارة المكنية :

١ - الاستعارة المكنية في قوله « اطلع الغيب » فقد شبه الغيب المجهول المثلث بالاسرار بجبل شامخ الذرا لا يرقى الطير الى مداه فهو مجهول تتحطم عليه آمال الذين يريدون استشفاف آفاقه واحراك تهاويله ثم حذف الجبل أي المشبه به وأخذ شيئاً من خصائصه ولوازمه وهو الاطلاع والارتقاء واستشراف مغيباته والغرض من هذه الاستعارة السخرية البالغة كأنه يقول أوبلغ هذا مع حقارته وتفاهة أمره وصغار شأنه أن ارتقى الى الغيب المحجب بالاسرار المطلسم بالخفاء ؟

٢ - توحيد الضد :

قال الزمخشري : « فإن قلت : لم وحد ؟ قلت وحد توحيد قوله عليه الصلاة والسلام « وهم يد على من سواهم » لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامنهم وتوافقهم » والواو في يكفرون يجوز أن تعود على الآلهة أي يجحدون عبادتهم لها أو للمشركين أي ينكرونها لسوء المغبة والمصير .

الفوائد :

أوجه كلاً :

للنحاة في هذه اللفظة مذاهب ستة :

١ - مذهب جمهور البصريين كالخليل وسيبويه وأبي الحسن الأخفش وأبي العباس المبرد أنها حرف ردع وزجر وهذا معنى لائق بها حيث وقعت في القرآن الكريم وقد زجر بها العشاق لائمهم فقال أحدهم وهو عروة بن أذينة على الأرجح :

يقلن لقد بكيت فقلت : كلاً وهل يبكي من الطرب الجليد؟
ولكن أصاب سواد عيني عويد قذى له طرف حديد
فقلن فما لدمعها سواء أكلتا مقلتيك أصاب عود؟

٢ - مذهب النضر بن شميل أنها حرف تصديق بمعنى نعم فتكون جواباً ولا بد حينئذ من شيء يتقدمها لفظاً أو تقديرًا.

٣ - مذهب الكسائي وأبي بكر بن الأنباري ونصر بن يوسف وابن واصل أنها بمعنى حقاً .

٤ - مذهب أبي عبد الله الباهلي أنها رد لما قبلها وهذا قريب من الأول .

٥ - أنها صلة في الكلام بمعنى إي كذا قيل وفيه نظر فإن إي حرف جواب مختص بالقسم .

٦ - أنها حرف استفتاح وهو قول أبي حاتم .

هذا وقد ذكرت كلا في خمس عشرة سورة مكية وجسلة ما ذكرت
ثلاث وثلاثون مرة •

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ
إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا
﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ
السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ
دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ عَائِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ
لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ
هَلْ يُحِصُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

اللفظة :

(وفدًا) : الوفد مصدر وفد بفتح واء وفداً ووفوداً ووفادة وإفادة •

إلى أو على الأمير قدم وورد رسولاً فهو وافد ، وجمع وافد وهم القوم
يجتمعون فيردون البلاد ويفدون على الأمير ونحوه •

(ورداً) : القوم الواردون الى الماء عطاشاً قد تقطعت أعناقهم
من العطش •

(إداً) : بالكسر والفتح العجب وقيل العظيم المنكر والإداة الشدة
وآدني الأمر أثقلني وعظم علي إداً وفي القاموس « الإد والإداة بكسرهما
العجب والأمر الفظيع والداهية والمنكر كالإد بالفتح وأدته الداهية تؤده
بالضم وتثده بالكسر وتأده بالفتح دهته » •

(وداً) : مودة ومحبة وفي المصباح « وودته أوده من باب تعب
وداً بفتح الواو وضما أجيبته والاسم المودة وودت لو كان كذا أيضاً
وداً وودادة تسنيته » وفي المختار : « الود بضم الواو وفتحها وكسرهما
المحبة فهي مثلثة الواو والأرجح الضم وبها قرأ السبعة وقرئ في غير
السبعة بفتحها وكسرهما ويحتمل أن يكون المفتوح مصدراً والمضوم
والمكسور اسمين » •

(لدا) : جمع ألد أي شديد الخصومة وجميل قول الزمخشري :
« اللد الشداد والخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد أي في كل شق
من المراء والجدال لفرط لجاجهم » وفي الأساس : « رجل ألد وألندد
ويكسندد وفيه لدد وقوم لدد ولادّه ملادة ولداداً وهو شديد اللداد
ونركت فلاّ يتردد ويتلدد يتلفت وضربه على ليديّ عنقه وهما
صفحتاها وضربه على متلددّه على عنقه قال :

ولو شئت فجتني من القوم جيرة

بعيدة بين العجب والمتلدد

(ركزاً) : الركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون .

(وتحس) : بضم التاء مضارع أحسّ وفي المصباح : « الحس والحسيس الصوت الخفي وحسه حساً فهو حسيس مثله قتله قتلاً فهو قتيل وأحس الرجل الشيء احساساً علم به يتعدى بنفسه مع الألف قال تعالى : « فلما أحس عيسى منهم الكفر » ، وربما زيدت فيه الباء فحس أحس به على معنى شعر به وحسست به من باب قتل لغة فيه والمصدر الحس بالكسر يتعدى بالباء على معنى شعرت أيضاً » .

الاعراب :

(يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً) الظرف منتصب بفعل محذوف قدره بعضهم باذكر وقدره التزمخشري بقوله « نصب يوم بمضمر أي يوم نحشر ونسوق تفعل بالفريقين مالا يحيط به الوصف » وقال غيره العامل فيه قوله فيما بعد « لا يملكون » وجملة نحشر مضافة الى الظرف وفاعل نحشر ضمير مستتر تقديره نحن والمتقين مفعول به والى الرحمن متعلقان بنحشر ووفداً حال وقد تكرر ذكر الرحمن في هذه السورة ست عشرة مرة . (ونسوق المجرمين الى جهنم ورداً) عطف على الجملة السابقة وورداً حال أيضاً أي واردين كما يرد العطاش اليهم مشاة عطاشاً يكاد يقتلهم الظم . (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حال الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم ولا علاقة لها بالفريقين المتقدمين فلا تافية ويملكون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل تعود على الناس كلهم والشفاعة مفعول به وإلا أداة حصر ومن اسم موصول محله الرفع على البدل من

الواو أو النصب على الاستثناء المتصل وجملة اتخذ صلة وعند الرحمن ظرف متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني لاتخذ وعهداً هو المفعول الأول واختار أبو البقاء والزمخشري أن يكون الاستثناء منقطعاً هذا وقد اضطربت الأقوال في هذه الآية ولهذا سنفرد بها بحثاً خاصاً في باب انقوائد • (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً) جملة اتخذ الرحمن ولداً مفعول انقول واتخذ الرحمن ولداً فعل وفاعل ومفعول به • (لقد جئتم شيئاً إداً) اللام موطئة للقسم وقد خرف تحقيق وجئتم فعل وفاعل وشيئاً مفعول به وإداً صفة • (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأ) تكاد من أفعال المقاربة العاملة عمل كان والسموات اسمها وجملة يتفطرن خبرها والنون فاعل ومنه جار ومجرور متعلقان يتفطرن وتنشق الأرض فعل مضارع وفاعل وتخر الجبال فعل مضارع وفاعل وهذا مصدر في موضع الحال أي مهدودة أو مفعول مطلق لأنه مصدر على غير لفظ الفعل وإنما هو مرادفه لأن الخور هو السقوط والهدم واختار الزمخشري أيضاً أن يكون مفعولاً لأجله أي لأن تهد وهـ يستعمل متعدياً ولازماً فعلى الوجه الأول هو متعد لأنه صيغ منه معنى اسم المفعول وعلى الثاني هو لازم لأن خر لازم ومرادفه يجب أن يكون مثله فتأمل هذا فانه دقيق • (أن دعوا للرحمن ولداً) أن وما في حيزها مصدر فيه ثلاثة أوجه البدلية من الهاء في منه فهو كقوله :

على حالة لو أن في القوم حاتماً على جوده لذن بالماء حاتم

فقد روي حاتم مجروراً لأنه بدل من ضمير جوده وستحدث في باب الفوائد عن هذا البيت والنصب بنزع الخافض والجار والمجرور في محل نصب مفعول لأجله علل الهد بدعاء الولد للرحمن والرفع بأنه فاعل هدأ أي هدها دعاء الولد للرحمن •

ودعوا فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين وللرحمن متعلقان بدعوا وولداً مفعول دعوا الثاني والأول محذوف تقديره معبودهم لأن معنى دعوا سموا وهي تتعدى لاثنيين ويجوز دخول الباء على الثاني تقول دعوت ولدي يزيد ودعوت ولدي زياداً، وقال الشاعر :

دعني أخاها أم عمرو ولم أكن أخاها ولم أرضع لها بلبان

وقال آخر :

ألا رب من يدعى نصيحاً وإن يغيب

تجده بغيب منك غير نصيح

وقال الزمخشري : « اقتصر على أحدهما الذي هو الثاني طلباً للعموم والإحاطة بكل ما دعا له ولداً ، أو من دعا بمعنى الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام : من ادعى إلى غير مواليه وقول الشاعر :

إنا بني نهشل لا ندعي لأب عنه ولا هو لا بالأبناء يشرينا

أي لا تنسب إليه » . (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً) الواو حالية أو عاطفة وما نافية وينبغي فعل مضارع وللرحمن متعلقان به وأن يتخذ مصدر مؤول في محل رفع فاعل وولداً مفعول به . (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً) إن نافية وكل مبتدأ ومن مضاف إليه وفي السموات والأرض متعلقان بمحذوف صلة من ويجوز أن تكون من نكرة موصوفة بالجار والمجرور لأنها وقعت بعد كل نكرة ولعله أولى وإلا أداة حصر وآتي الرحمن خبر وعبداً جال

من الضمير المستتر في آتي • (لقد أحصاهم وعدهم عدأ) اللام موطئة
للقسم وقد حرف تحقيق وأحصاهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به
وعدهم عطف على أحصاهم وعدأ مفعول مطلق • (وكلهم آتية يوم
القيامة فرداً) الواو عاطفة وكلهم مبتدأ وآتية خبر ، وكل إذا أضيف
الى معرفة ملفوظ بها نحو كلهم وكل الناس فالمنقول أنه يجوز أن يعود
الضمير مفرداً على لفظ كل فتقول كلكم ذاهب ويجوز أن يعود جمعاً
مراعاة للمعنى فتقول كلكم ذاهبون أما إن حذف المضاف المعرفة
فالمسحوق من العرب الوجهان لأن الأول أنكره بعضهم ، ويوم القيامة
ظرف متعلق بآتية وفرداً حال • (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن وداً) ان واسمها وجملة آمنوا صلة وجملة عملوا
الصالحات عطف على آمنوا وجملة سيجعل خبر ان ولهم مفعول يجعل
الثاني والرحمن فاعل ووداً مفعول يجعل الاول وهذا الجعل بالنسبة
للدنيا طبعاً أي يزرع في قلوبهم مودة من غير تودد منهم • (فإنما يسرناه
بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً) الفاء الفصيحة لأنها عطفت
على مقدر كأنه قيل بلغ هذا المنزل عليك وبشر به وأنذر فإنما يسرناه
وانما كافة ومكفوفة وقد أفادت التعليل لهذا المقدر ويسرناه فعل ماض
وفاعل ومفعول به وبلسانك متعلقان بمحذوف حال أي جارياً ، لتبشر
اللام للتعليل وتبشر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل
وبه متعلقان بتبشر والمتقين مفعول به وتنذر معطوف وبه متعلقان بتنذر
وقوماً مفعول به ولداً صفة • (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) كم خبرية
مفعول مقدم الأهلكنا وقبلهم ظرف متعلق بأهلكنا ومن قرن تمييز وقد
تقدم تقريره والمراد أمة • (هل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً)
هل حرف للاستفهام الانكاري وتحسّ فعل مضارع وفاعله مستتر
تقديره أفت ومنهم حال لأنه كان صفة لأحد ومن حرف جر زائد وأحد

مجرور بمن لفظاً مفعول به منصوب محلاً أو حرف عطف وتسمع عطف على تحسولهم حال وركزاً مفعول به .

البلاغة :

انطوت خواتيم سورة مريم على فنون عديدة :

أولها : التكرار فقد تكرر ذكر الرحمن كما قلنا ست عشرة مرة في السورة معظمها في خواتيمها والفائدة فيه انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره وخلق لهم جميع متطلباتهم التي بها قوام معاشهم فهل اعتبر الانسان ؟ أم لا يزال الغطاء مسدولاً على عينيه والوقر يغشى أذنيه ؟ فمن أضاف اليه ولداً جعله كالاناسي المخلوقة وأخرجه بذلك عن استحقاق هذا الاسم الجدير به وحده .

وثانيها : الالتفات في قوله « لقد جئتم » التفت من الغيبة الى الخطاب لمشافهتهم بالأمر المنكر الذي اجترحوه ، والبدع العجيب الذي ارتكبوه .

الفوائد :

١ - قلنا ان أقوال المعربين اضطربت في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الى آخر الآية وقد اخترنا ما رأيناه - في نظرنا - أمثل الأوجه وننقل فيما يلي لمعاً من أقوالهم مع التعليق عليها بما يناسب المقام فقد تورط الزمخشري ، وجلّ المعصوم ، بقوله « ويجوز أن تكون - أي الواو في يملكون - علامة للجمع كالتي في أكلوني البراغيث » من جهتين الأولى إنه نسب الى القرآن وهو أبلغ الكلام أردأ اللغات

وأشدها نكراً حتى لقد ضرب المثل بقبحها والثانية انه إذا جعله علامة لمن فقد كشف معناه وأفصح بأنها متناولة جمعاً ثم أعاد على لفظها بالإفراد ضمير اتخذ ففيه الاعادة على لفظها بعد الاعادة على معناها بما يخالف ذلك وهو مستنكر عندهم لأنه اجمال بعد ايضاح وذلك تعكيس على طريق البلاغة وانما محجتها الواضحة الايضاح بعد الاجمال .

وقال البيضاوي : « إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً » إلا من تحلى بما يستعد به ويستأهل أن يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله تعالى أو إلا من اتخذ من الله إذناً فيها كقوله تعالى : « لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن » من قولهم عهد الأمير الى فلان بكذا إذا أمره به ومحل الرفع على البدل من الضمير أو النصب على تقدير مضاف أي إلا شفاعة من اتخذ » وهو شبيه بالرأي الذي جنحنا اليه إلا أنه جنح الى القول بأن الاستثناء منقطع . وعبارة أبي حيان : « والضمير في لا يملكون عائد على الخلق الدال عليهم ذكر المتقين والمجرمين إذ هم قسماء والاستثناء متصل ومن بدل من ذلك الضمير أو نصب على الاستثناء ولا يملكون استئناف اخبار » ثم أورد أقوالاً عديدة ضرب عنها صفحاً .

وقال أبو البقاء « لا يملكون حال إلا من اتخذ في موضع نصب على الاستثناء المنقطع وقيل هو متصل على أن يكون الضمير في يملكون للمتقين والمجرمين وقيل هو في موضع رفع بدلاً من الضمير في يملكون ».

وفي الكرخي شارح الجلالين « قوله أي الناس قدره تمهيداً لجعل الاستثناء في قوله إلا من اتخذ منصلاً لدلالة ذكر الفريقين المتقين والمجرمين إذ هما قسماء وقيل ضمير يملكون عائد على المجرمين المراد بهم الكفار ، قال بعضهم لا يملكون أن يشفعوا لغيرهم كما يملك المؤمنون » وحسبنا ما تقدم فقد طال مجال القول .

٢ - عودة الى بيت الفرزدق :

ونعود الى بيت الفرزدق وهو من أبيات له يعتذر عما وقع منه في السفر مع دليله عاصم العنبري حين ضل عن الطريق والايات هي :

فلما تصافنا الأداة أجهشت الى غصون العنبري الجراضم
فجاء بجلسود له مثل رأسه ليشرب ماء القوم بين الصرائم
على حالة لو أن في القوم حاتماً على جوده لضمن بالماء حاتم

والتصافن اقتسام الماء القليل بالصفن وهو وعاء صغير لنحو الوضوء والأداة ظرف الماء وجمعها أداوى وإيقاع التصافن عليها مجاز لأنها محل الماء والمراد تقاسمنا الماء فهو مجاز مرسل علاقته المحلية والجهش والاجهاش تضرع الانسان الى غيره وتهيته للبكاء اليه كالصبي الى أمه ، وغصون الجلد مكاسره ، وإسناد الاجهاش اليها مجاز عقلي أو مجاز مرسل علاقته المحلية أيضاً لأنها محل ظهور أثره والجراضم واسع البطن كثير الأكل والمراد بالجلمود إناء صلب كبير مثل رأسه أي رأس العنبري وفيه إشارة بارعة إلى حمقه لأن افراط الرأس في العظم أمانة البلادة وفي الصلابة أيضاً إشارة الى ذلك وقوله بين الصرائم جمع صريمة وهي منقطع الرمل إشارة الى أنهم كانوا في مفازة عمياء لا ماء بها على حالة ضنكة بحيث لو ثبت في تلك الحالة أن حاتماً في القوم مع جوده المشهور لبخل بالماء وعلى بمعنى في ورواية المبرد في كامله على ساعة .

سورة طه

مكية وآياتها خمس وثلاثون ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرَةً
لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾

اللفظة :

(العلا) : ويجوز كتابتها بالياء والألف لأن الفعل علا يعلو وعلي
يعلى وهي المرتبة والرفعة وقال السيوطي وأبو البقاء : هي جمع عليا
ككبرى وكبر فكتبت بالياء •

(استوى) : لها في اللغة معان كثيرة قال في القاموس : « استوى
الشيء اعتدل واستقام يقال : سويت الشيء فاستوى واستوى الرجل :

استقام أمره وانتهى شبابه وبلغ أشده ، واستوى عليه : ظهر واستوى
واستوى على ظهر الدابة استقر ، يقال : استوى على سرير الملك كناية
عن التملك واستوى الى الشيء قصده واستوت به الأرض هلك ودفن
فيها واستوى الطعام نضج • وأصل الفعل الثلاثي سَوِيَ يَسْوِي
سَوًى الرجل : استقام أمره •

وقال في الأساس : « استوى الشيطان وتساويا وساوى أحدهما
صاحبه وفلان يساويك في العلم وساوى بين الشيئين وسوَّى بينهما
وساويت هذا بهذا وسويته قال الراعي :

بجُرْدٍ عليهنَّ الأجلَّة سَوَّيت

بضيف الشتاء والبنين الأصاغر

أي يصونها صيانة الضيوف والأطفال وسويت المعوج فاستوى
ورزقك الله تعالى ولداً سوياً لا داء به ولا عيب وهما على سوية من
الأمر وسواء وفيه النصفة والسوية وهما سَوَاء وهم سواسية في الشر
وأتما سيان وما هو بسيّ لك وفعل القوم كذا ولا سيما زيد ومكان
سَوًى : وسط بين الحدين وجاءوا سوى فلان وسَوَاءَه « فرآه في
سَوَاء الجحيم » في وسطها وضرب سواءَه وسطه وضربه على مستوى
مَقَرَّقه قال بعض بني أزنم :

نحن من خير مَعَدٍّ نسرا ولنا قِدَمًا على الناس المهمل

إذ ضربنا الصِّمَّة الخير على مستوى مفرقه حتى انفجـل

ورجل سَوَاء القدم : مستويها ليس لها أخمص ، ومن المجاز :
إذا صليت الفجر استويت اليك قصدتك قصداً لا ألوي على شيء

« ثم استوى الى السماء » واستوى على الدابة والفراش والسرير
وانتهى شبابه واستوى واستوى على البلد » وسيأتي المراد به في الآية
في باب البلاغة .

(الثرى) : في المصباح : « الثرى وزان الحصى ندى الأرض ،
وأثرت الأرض بالألف كثر ثراها والثرى أيضاً : التراب الندي فإن لم
يكن ندياً فهو تراب ولا يقال له حينئذ ثرى » وفيه أيضاً : « نديت
الأرض ندى من باب تعب فهي ندية مثل تعب وبعدي بالهمز والتضعيف
وأصابها نداوة وندوة بالضم والتثقيب » وفي الأساس واللسان
وغيرهما : « شهر ثرى ، وشهر ترى ، وشهر مرعى أي تكون
الأرض ندية أولاً ثم تثرى الخضرة ثم يطول النبات حتى يصلح للراعية
وثرى المطر التراب يثريه وهو مثرى وثرى التراب فهو ثرى وثرى
التراب نديته وثرى السوق » .

(وأخفى) سيأتي الكلام فيها في باب الاعراب .

الاعراب :

(طه) تقدم القول في فواتح السور واعرابها . (ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقى) ما نافية وأنزلنا فعل وفاعل وعليك متعلقان بأنزلنا
والقرآن مفعول به ولتشقى اللام للتعليل وتشقى فعل مضارع منصوب
بأن مضمرة بعد اللام وسيأتي المراد بالشقاء في باب الفوائد .
(إلا تذكرة لمن يخشى) إلا أداة حصر وتذكرة مفعول لأجله والاستثناء
منقطع ، قال أبو البقاء ولا يجوز أن يكون مفعولاً من أجله لأنزلنا
المذكورة لأنها قد تعدت الى مفعول له وهو لتشقى فلا تتعدي الى آخر
من جنسه ولا يصح أن يعمل فيها لتشقى لفساد المعنى ، وقيل تذكرة

مصدر في موضع الحال واختار الزمخشري أن تكون تذكرة مفعولاً لأجله قال : « وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل إلا أن الأول وجب مجيئه مع اللام لأنه ليس لفاعل الفعل المعلن ففاته شريطة الالتصاف على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماع الشرائط » وعلى هذا جرى معظم المعريين والمفسرين ، قال الكرخي في تعليقه على عبارة الجلال السيوطي : « أشار الى أن الاستثناء منقطع وأن تذكرة مفعول من أجله والعامل أنزلناه المقدر لا المذكور وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة لقوله ما أنزلنا وتعدى في لتشقى باللام لاختلاف العامل لأن ضمير أنزلنا لله وضمير لتشقى للنبي فلم يتحد الفاعل واتحد في تذكرة لأن المذكر هو الله تعالى وهو المنزل فنصب بغير لام » وأنكر أبو علي الفارسي أن يكون مفعولاً لأجله أو بدلاً من لتشقى قال وإنما هو منصوب على المصدرية أي أنزلناه لتذكر به تذكرة ، وإنما أوردنا هذه الأقوال على تباينها وتدافعها لأننا لم نستطع الترجيح بينها . (تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى) مفعول مطلق لفعل محذوف وتقديره نزلناه تنزيلاً فحذف وجوباً على حد قول ابن مالك :

والحذف حتم مع آت بدلاً من فعله كندلاً اللذ كاندلاً

وأجاز الزمخشري فيه وجوهاً كلها واردة فقال « في نصب تنزيلاً وجوه : أن يكون بدلاً من تذكرة إذا جعل حالاً لا إذا كان مفعولاً له لأن الشيء لا يعلل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمراً وأن ينصب بأنزلنا لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة أنزلناه تذكرة ، وأن ينصب على المدح والاختصاص ، وأن ينصب بيخشى مفعولاً به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن وإعراب بين » وممن متعلقان بتنزيلاً وجملة خلق الأرض والسماوات صلة والعلی صفة . (الرحمن

على العرش استوى) الرحمن خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو أو مبتدأ
وعلى العرش متعلقان باستوى وجملة استوى خبر ثان لـ « هو » المقدرة
أو خبر الرحمن وسيأتي معنى الاستواء على العرش في باب الفوائد .
(له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) له خبر مقدم
وما مبتدأ مؤخر وفي السموات صلة وما في الأرض عطف على ما في
السموات وما بينهما كذلك وما عطف على ما وتحت الثرى ظرف متعلق
بمحذوف صلة ما . (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) الواو
استثنائية مسوقة لبيان شرع الله تعالى في دعائه وإن شرطية وتجهر فعل
الشرط وفاعله مستتر تقديره أنت وبالقول جار ومجرور متعلقان بتجهر
فإنه الفاء رابطة لأن الجواب جملة اسمية وإن واسمها وجملة يعلم السر
خبرها وأخفى عطف على السر أي أخفى منه فهو اسم تفضيل من خفي
بمعنى استتر وغاب وأجاز بعضهم أن يكون فعلاً ماضياً أي وأخفى
الله عن عباده غيبه وعندنا أن ذلك غير جائز لأنه من جهة اللفظ يلزم منه
عطف الفعلية على الاسمية إن كان المعطوف عليه هو الجملة الكبرى
أو عطف الماضي على المضارع إن كان المعطوف عليه الجملة الصغرى
وكلاهما دون الأحسن ومن جهة المعنى واضح أن المقصود الحض على
ترك الجهر باسقاط فائدته من حيث إن الله يعلم السر وما هو أخفى منه
فكيف يبقى للجهر فائدة وكلاهما على هذا التأويل مناسب لترك الجهر
وأما إذا جعل فعلاً فيخرج عن مقصود السياق ، وأعلم أنهم قد يحذفون
من من أفعّل إذا أريد به التفضيل ومعنى الفعل وهم يريدونها فتكون
كالمنطوق بها نحو زيد أكرم وأفضل فلم تأت بألف ولا م كما لم تأت
بها مع من لأن الوجود حكماً كالوجود لفظاً أي : يعلم السر وأخفى
منه والذي يدل على ارادة من أن أخفى لا ينصرف كما لا ينصرف آخر
من قولك مررت برجل آخر إذا أردت من معه وإن لم تذكره وإنما

نكره للمبالغة في الخفاء • (الله لا إله إلا هو له الاسماء الحسنی)
الله مبتدأ وجملة لا إله إلا هو الاسمية خبر وقد تقدم اعراب لا إله إلا
هو مفصلاً وله خبر مقدم والاسماء مبتدأ مؤخر والحسنی صفة
للأسماء والجملة خبر ثان • ومعلوم أن جمع التكسير في غير العقلاء
يعامل معاملة المؤنثة الواحدة •

الفوائد :

١ - روى التاريخ : ان أبا جهل والنضر بن الحارث قالاه :
إنك شقي لأنك تركت دين آبائك فأريد رد ذلك بأن دين الاسلام وهذا
القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في ادراك كل سعادة وما فيه
الكفرة هو الشقاوة بعينها وروى انه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل
حتى اسفدت قدماه أي تورمت كما في الصحاح فقال له جبريل عليه
السلام أبق على نفسك فإن لها عليك حقاً ويحتمل أن يراد لا تتعب
نفسك بفراط أسفك على كفر قريش إذ ما عليك إلا البلاغ ، ولم يكتب
عليك أن يؤمنوا بعد ان لم تفرط في أداء الرسالة واسداء الموعدة
الحسنة • والشقاء يجيء في معنى التعب قال ابن كيسان : « وأصل
الشقاء في اللغة العناء والتعب ومنه قول المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

٢ - الاستثناء المنقطع :

استثناء الشيء من غير جنسه لأمعنى له ولا مورد من ذلك فليست
فيه « إلا » للاستثناء على سبيل الأصل وإنما هي بمعنى « لكن » وهو

ما يسوونه « الاستثناء المنقطع » ومع ذلك فلا بد من الارتباط بين المستثنى منه والمستثنى ومن ذلك قوله تعالى « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى » أي لكن أنزلناه تذكرة فتذكرة مستثنى من المصدر المؤول من تشقى بأن المضمر بعد لام التعليل لأن المعنى ما أنزلنا القرآن لشقائك .

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِنُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾

اللفظة :

(آنست) : أبصرت والایناس الإبصار البين الذي لا شبهة فيه
ومنه إنسان العين لأنه يبصر به الأشياء وقال جرير :

إن العيون التي في طرفها حور
 قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
 يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
 وهن أضعف خلق الله انسانا
 وفي قوله إنسانا تورية بديعة •

(بقبس) : القبس : الجذوة من النار •

(طوى) : اسم علم للوادي ويقراً بغير تنوين على أنه معرفة مؤنث
 علم للبقعة وقيل هو معدول وإن لم يعرف لفظ المعدول عنه فكأن
 أصله طاوي فهو في ذلك كجمع وكتع وقال في القاموس : « وطوى
 بالضم والكسر وينون وادٍ بالشام » وقال علماء النحو : وأما طوى
 فمن منع صرفه فالمعتبر فيه التأنيث باعتبار البقعة لا العدل عن طاو ولأنه
 أي العدل قد أمكن غيره وهو التأنيث فلا وجه لتكلف العدل •

(أخفيها) : سيأتي الكلام عنها في الاعراب •

(فتردى) : في المختار : ردى من باب صدى أي هلك وأركاه
 غيره وردى في البئر تردى يردي إذا سقط فيها أو تهور من جبل •

الاعراب :

(وهل أتاك حديث موسى) انواو للاستئناف والجملة استئنافية
 مسوقة لسرد قصة موسى ليتأسى به النبي صلى الله عليه وسلم في تحمل

أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد ومعاناة الأهوال ، وأتاك فعل ومفعول به وحديث موسى فاعل والاستفهام للتقرير ومعناه أليس قد أتاك حديث موسى ؟ وقيل معناه : قد أتاك حديث موسى . (إذ رأى ناراً فقال لأهله : امكثوا إني آنست ناراً) الظرف متعلق بالحديث لأنه حدث أو بضمير تقديره اذكر وجملة رأى مضاف إليها الظرف وناراً مفعول به فقال عطف على رأى ولأهله متعلقان بقال وجملة امكثوا مفعول القول وجملة إني تعليل للأمر بالمكوث وان واسمها وجملة آنست خبرها وناراً مفعول به . (لعلني آتيكم منها بنفيس أو أجد على النار هدى) لعل واسمها وجملة آتيكم خبرها ومنها متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لقبس أو حرف عطف وأجد معطوف على آتيكم وفاعل أجد مستتر تقديره أنا وعلى النار جار ومجرور متعلقان بأجد وهي على مكانها للاستعلاء على حد قول الأعشى :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار في يفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمخلق

أي أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد . وهدى مفعول به أي يهديني الطريق ويدلني عليها قال الفراء : أراد هادياً فذكره بلفظ المصدر أو عبر بالمصدر لقصد المبالغة على حذف المضاف أي ذا هدى . (فلما أتاها نودي يا موسى) الفاء عاطفة على محذوف والتقدير فيسم شطر النار ولما ظرفية حينية أو رابطة وأتاها فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة نودي لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ويا موسى حرف نداء ومنادى . (إني أنا ربك فاخضع فعليك إنك بالوادي المقدس طوى) إن واسمها وأنا تأكيد للضمير أو مبتدأ وربك خبر إني أو خبر أنا

والجملة خبر إن والأول أولى ، فاخلع الفاء الفصيحة واخلع فعل أمر وفاعل مستتر ونعليك مفعول به وجملة إنك تعليل للخلع وان واسمها وبالوادي خبرها والمقدس صفة وطوى بدل أو عطف بيان وقد تقدم القول في منعه من الصرف أو عدم منعه في باب اللغة • (وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) الواو عاطفة وأنا مبتدأ وجملة اخترتك من الفعل والفاعل والمفعول به خبر ، فاستمع الفاء عاطفة واستمع فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت ولما متعلقان باستمع وجملة يوحى صلة ويوحى بالبناء للجهول • (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) الجملة بدل من « ما » في لما يوحى وان واسمها وأنا تأكيد للضمير أو مبتدأ والله خبر إنني أو خبر أنا والجملة خبر إن وجملة لا إله إلا أنا خبر ثان فاعبدني الفاء الفصيحة واعبدني فعل أمر وفاعل مستتر والنون للوقاية والياء مفعول وأقم الصلاة عطف على اعبدني ولذكري متعلقان بأقم وهو مصدر مضاف لمفعول أي لتذكرني فيها وقيل المصدر مضاف للفاعل أي لذكري إياك • (إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) إن واسمها وخبرها وأكاد فعل مضارع ناقص من أفعال المقاربة واسمها مستتر تقديره أنا وجملة أخفيها خبر أي أريد إخفاء وقتها أو أقرب أن أخفيها فلا أقول إنها آتية ويجوز أن يراد أكاد أظهرها وفعل أخفى من الأضداد وسيرد له مزيد بحث في باب البلاغة ، ولتجزى اللام للتعليل وتجزى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وهو متعلق بأخفيها أو بآتية وجملة أكاد أخفيها اعتراضية بينهما وكل نفس نائب فاعل وبما متعلقان بتجزى وجملة تسعى صلة ويجوز أن تكون ما مصدرية أي بجزاء سعيها على حذف مضاف • (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) الفاء الفصيحة ولا ناهية ويصدنك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد

وهو في محل جزم بلا الناهية والكاف مفعول به وعنها متعلقان ببيصدقك ومن فاعل وجملة لا يؤمن صلة وبها متعلقان بيؤمن واتبع هواه فعل وفاعل مستتر ومفعول به فتردى الفاء فاء السببية وتردى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء بفتحة مقدرة على الألف •

البلاغة :

فن الابهام :

في قوله تعالى « لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » وهو فن رفيع ينطوي على الكثير من جلائل المعاني ودقائقها وهو ضد الإيجاز وضد الاطناب وحده أن يأتي المتكلم الى المعنى الواحد الذي يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل فيدل عليه باللفظ الكثير لا لقصد افهام البليد وسماع البعيد ولا للتقرير والتوكيد ، بل للتيان بمعنى يتشعب إلى عدة أمور كل واحد منها مستقل المفهومية فقد قال لعلي آتيكم منها بقبس ولم يبت في الأمر لئلا يعد ما ليس بمستيقن من الوفاء به وما أجملها حكمة تكون درساً للذين يكيلون الوعود جزافاً ولا يفكرون في الوفاء بها ثم قال لعلي أجد على النار هدى وهذا يحتوي على معنى آخر ثم يتشعب فالهداية هي المعنى الرئيسي ثم ان الهداية قد تكون بالنار نفسها بخاصة الاضاءة الكامنة فيها وإما بواسطة القوم الذين يقومون بإيقادها ويفهم من هذا ضمنا أنه ضل مع أهله الذين يرافقونه وهم امرأته بنت شعيب وقد ولدت في الطريق ابناً في ليلة شاتية مظلمة باردة وقيل مثلجة فلما اسقط في يده آنس النار فقال ما قال ثم قد يقصد بالهداية معناها المجازي الآخر أي لعلي أهتدي بنور العلم لأن أفكار الأبرار مغمورة بالهم فتبارك قائل هذا الكلام •

وفي قوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » ابهام وهو فن عجيب يقول فيه المتكلم كلاماً يحتمل معنيين متغايرين لا يتميز أحدهما عن الآخر فكلمة أخفيها أولاً تعني أموراً منها :

آ - أي أكاد أخفيها فلا أقول هي آتية لفرط إرادتي إخفاءها ولولا ما في الإخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به .

ب - أكاد أخفيها عن نفسي .

ثم انه جاء في بعض اللغات أخفاء بمعنى خفاء فهي من الأضداد أي أكاد أظهرها لقرب وقتها وبه فسر قول امرئ القيس :

فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

أي إن تكتموا الضغائن التي بيننا نكتمها نحن أيضاً ولا تظهرها .
على أن أحسن محامل الآية الكريمة هو أن يكون المراد أكاد أزيل خفاءها أي أظهرها إذ الخفاء الغطاء وهو أيضاً ما تجعله المرأة فوق ثيابها يسترها ثم تقول العرب أخفيته إذا أزلت خفاءه كما تقول أشكيت وأعتبته إذا أزلت شكايته وعته .

قال أبو علي القالي : « وقال اللحياني : خَفَيْتُ الشيء أخفيه خَفِياً وخَفِياً إذا استخرجته وأظهرته وأنشد لامرئ القيس :

خفاهنّ من أفاقهنّ كأنما خفاهن ورق من سحب مركب

قال أبو علي : وغيره يروي : من عشي مُجَلِّب أي مصوت ويقال : اختفيت الشيء أي أظهرته وأهل الحجاز يسمون النباش

المختفي لأنه يستخرج أكله من الموتى وأخفيت الشيء أخفيه إخفاء إذا سترته قال الله عز وجل : « أكاد أخفيها » وهي قراءة العامة أي أظهرها وقال أبو عبيدة : أخفيت الشيء كتمته وأظهرته ويقال دعوت الله خفية وخفية أي في خفض .

مجموعة من الاضداد في اللغة :

هذا ومن الاضداد الجلل للعظيم وللهين فمن الأول قول الشاعر :

ولئن عفوت لأعفون جلا ولئن سطوت لأوهن عظمي

ومن الثاني قول امرئ القيس لما قتل أبوه :

بقتل بني أسد ربهم ألا كل شيء سواه جلل

ومنها : غابر للذهاب والآتي ، والجون للأبيض والأسود والبين للبعد والقرب ، والصريم : الليل والنهار ، والناصح الأبيض والأسود ، والامم للعظيم واليسير ، والناهل للريان والظمان ، ووراء بمعنى قدام وخلف ، وبعث الشيء اذا بعته من غيرك وبعته اشتريته ، وشعبت الشيء : أصلحته وشققته ، والصارخ للمستغيث والمغيث ، والهاجد للمصلي بالليل والنائم ، والوهدة : الارتفاع والانحدار ، والتعزيز للاكرام والاهانة ، والتقريط للمدح والذم ، وترب للغني والفقير ، والاهماد للسرعة في السير والاقامة ، وعسعس : إذا أقبل وإذا أدبر ، والقرء للحيض والطهر .

وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمْوَسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا

وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَعَارِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمْوَسَى

﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾

اللفظة :

(أهش) : في المصباح : هَشَّ الرجل هَشًّا من باب رد : صال بعصاه وفي التنزيل « وأهش بها على غنمي » وهش الشجرة هَشًّا ضربها ليتساقط ورقها وهش الشيء يهش من باب تعب هشاشة لان واسترخى فهو هش وهش العود يهش أيضاً هشوشاً صار هَشًّا سريع الكسر وهش الرجل هشاشة إذا ابتسم من بابي تعب وضرب .

(جناحك) : سيأتي تفسيرها في باب البلاغة .

الاعراب :

(وما تلك بيمينك ياموسى) الواو عاطفة وما اسم استفهام للتقرير مبتدأ وتلك خبره ويمينك متعلق بمحذوف حال وهي تشبه قوله تعالى « وهذا بعلي شيخاً » والعامل في الحال المقدرة اسم الإشارة ويا موسى نداء فما اسم نكرة في موضع رفع بالابتداء والتقدير أي شيء تلك بيمينك وهي مبنية لتضمنها همزة الاستفهام وإنما جيء بها لضرب من الاختصار وذلك أنك إذا قلت ما بيدك فكأنك قلت : أعصا بيدك أم سيف أم خنجر ونحو ذلك مما يكون بيده وليس عليه إجابتك

عما بيده إذا لم تأت على المقصود فجاءوا بما وهو اسم واقع على جميع
 مالا يعقل مبهم فيه وضمنوه همزة الاستفهام فاقتضى الجواب من أول
 وهلة فكان فيه من الإيجاز ما ترى . (قال : هي عصاي أتوكأ عليها
 وأهش بها على غنمي) هي مبتدأ وعصاي خبره وجملة أتوكأ عليها حالية
 وقيل مستأنفة وأهش بها على غنمي عطف على أتوكأ عليها وبها متعلقان
 بأهش وكذلك على غنمي وتعدية أهش بعلى يفيد معنى التهويل
 والتخويف للغنم . (ولي فيها مآرب أخرى) هذا هو الجواب الرابع
 الذي أجاب به موسى عن سؤال واحد وسيأتي سر ذلك في باب البلاغة
 ولي خبر مقدم وفيها حال ومآرب جمع مأربة بثلاث الراء مبتدأ مؤخر
 وأخرى صفة لمآرب ، وهذه المآرب الأخرى سيرد قسم كبير منها في باب
 البلاغة كما يرد تلخيص مفيد لكتاب العصا للجاحظ . (قال : ألقها
 يا موسى) جملة ألقها مقول القول ويا موسى نداء . (فألقاها فإذا هي
 حية تسعى) ألقاها فعل وفاعل ومفعول به والفاء عاطفة وإذا للمفاجأة
 وهل هي ظرف أم حرف ؟ تقدم بحث ذلك مفصلاً ، وهي مبتدأ وحية
 خبر وجملة تسعى حال أو خبر ثان وقد تقدم ذكر المسألة الزنبورية بين
 سيبويه والكسائي . (قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى)
 جملة خذها مقول القول والواو حرف عطف ولا تاهية وتخف فعل
 مضارع مجزوم بلا الناهية والسين حرف استقبال ونعيدها فعل مضارع
 والفاعل مستتر تقديره نحن وسيرتها منصوب بنزع الخافض أي الى
 سيرتها وهذا أسهل الأعراب وقيل هي ظرف قالوا « السيرة من السير
 كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت
 الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الأولين فنصبت على الظرف أي
 سنعيدها في طريقتهما الأولى » وأجاز آخرون كأبي البقاء وبه بدأ أن
 تكون بدل اشتمال من ضمير المفعول لأن معنى سيرتها صفتها وطريقتهما

وأتى الزمخشري بإعراب آخر مهد له وحسنه قال « ووجه ثالث حسن وهو أن يكون سنعيدها مستقلاً بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد ذهابها كما أنشأناها أولاً ونصب سيرتها بفعل مضمير أي تسير سيرتها الأولى » والأولى صفة لسيرتها على كل حال . (واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى) واضمم عطف على ألقها ويدك مفعول به والفاعل مستتر تقديره أنت والى جناحك جار ومجرور متعلقان باضمم وتخرج جزم لأنه جواب الطلب وبيضاء حال ومن غير سوء متعلقان ببيضاء لما فيها من معنى الفعل نحو ابيضت من غير سوء وليكون الاحتراس كاملاً كما سيأتي في باب البلاغة أو متعلقان بتخرج وآية حال ثانية من فاعل تخرج أيضاً وأخرى صفة لآية واختار الزمخشري وجهاً آخر لنصب آية وهو « باضمار نحو خذأودونك وما أشبه ذلك » ولا نرى داعياً لذلك . (لنريك من آياتنا الكبرى) اللام للتعليل ونريك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وهو تعليل لمحذوف متعلق به أي أمرناك بما ذكرنا لنريك بها أي بيدك ومن آياتنا متعلقان بمحذوف على أنه حال من الكبرى وتكون الكبرى على هذا مفعولاً ثانياً لنريك أو صفة للمفعول الثاني على الأصح والتقدير لنريك الآية الكبرى من آياتنا أي حال كونها من آياتنا وقيل غير ذلك وما ذكرناه أولى فلا داعي لذكره .

البلاغة :

قد تستوعب هذه الآية أجلاً ضخمه لما انطوت عليه من ضروب البلاغة وذلك ما نهدف اليه من كتابنا ، ولكننا سنجتزئ بقدر الامكان فنقول :

١ - فن التلفيف :

في قوله تعالى « وما تلك بيمينك يا موسى » الى آخر ما أجاب به موسى صلوات الله عليه من الاجوبة الاربعة فن طريف لم يرد ذكره حتى الآن وهو فن التلفيف ، وحدّه اخراج الكلم مخرج التعليم بحكم أو أدب لم يرد المتكلم ذكره وانما قصد ذكر حكم خاص داخل في عموم الحكم المذكور الذي صرح بتعليسه ، وهذا التعريف المطول نعتقد أنه يحتاج الى بيان وهو أن يسأل السائل عن حكم هو نوع من أنواع جنس تدعو الحاجة الى بيانها كلها أو أكثرها فيعدل المسئول عن الجواب الخاص عما سئل عنه من تبين ذلك النوع ويجاب بجواب عام يتضمن الابانة على الحكم المسئول عنه وعن غيره بدعاء الحاجة الى بيانه فنقول موسى جواباً عن سؤال الله تعالى له « هي عصاي » هو الجواب الحقيقي للسؤال ثم قال : « أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى » فأجاب عن سؤال مقدر كأنه توهم أن يقال له : وما تفعل بها ؟ فقال معدداً منافعها ولم يقع ذلك من موسى عليه السلام إلا لأمر ثلاثة :

آ - بغية الشكر لله تعالى الذي رزقه تلك العصا التي وجد فيها من المآرب مالا يوجد في مثلها .

ب - ان المقام مقام خطاب الحبيب وهو يقتضي البسط والاسهاب .

ج - تعظيم مساءلة ربه له عن منافعها فابتدأه بالجواب عن السؤال المقدر قبل وقوعه أدباً مع ربه .

والواقع أن السؤال إذا كان وارداً على شيء ظاهر فذلك السؤال إنما يتوجه الى أمر يتعلق به بحسب مقتضى الحال وإلا كان عبثاً لظهوره

كما إذا سألت شخصاً عن لبس ثياب السفر بقولك : ما هذا الثوب ؟ فإنك لا تسأل عن نفس الثوب وما هيته بل إنما سألت عن سبب لبسه فكأنك قلت : ما سبب عزيمتك ؟ فجواب اللابس حينئذ أن يقول : أريد سفر كذا ولو أجاب بأنه كتان مثلاً عدّ لاغياً فكذلك هاهنا لما كان السؤال عن أمر ظاهر فيكون متوجهاً الى ما يتعلق بالعصا من منافعها فكأنه قال : ما تفعل بما في يمينك يا موسى ؟ فلذلك قال : هي عصاي أتوكأ عليها ... الآية فإن قلت : أو كان قوله تعالى : وما تلك بيمينك سؤالاً عما لا يتعلق بالعصا فكان حقّ الجواب أن يقول : أريد أن أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولكان قوله : هي عصاي ضائعاً غير مطابق للسؤال كما في السؤال عن لبس السفر .

قلت : هذا السؤال وإن كان عما يتعلق بالعصا لكنه تعالى لما علم أنه سيرد عليها الصورة الثعبانية عند سحر السحرة وكان ذلك مقام أن يخاف موسى بمشاهدة الصورة المنكرة التي ليس يعهد لها فأراد تثبيت ماهيتها وعوارضها في نفسه لئلا يدهش عند ورودها عليه فلذلك قال : ما تلك ليحجب عن ماهيتها أيضاً كما يجب عن منافعها لزيادة التثبيت فحاصل معنى الجواب حينئذ هي عصاي أعرفها بالذات والعوارض وإن صورتها مقررة في نفسي لا تنفع إلا منافع أمثالها فإني قديماً أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى .

واختار « تلك » مع قرب المشار اليه إما لتحقيقه بالنسبة الى جناب كبريائه أو للتعظيم لاشتغالها على الأمور العجيبة والمنافع الكثيرة .

٢ - التقرير :

وفيها أيضاً التقرير وهو بالاستفهام فإنه سبحانه عالم بما يمينه وإنما أراد أن يقر موسى ويعترف بكونها عصا ويزداد علمه بما يمنحه الله

في عصاه فلا يعتريه شك إذا قلبها الله ثعباناً بل يعرف أن ذلك كائن
بقدره الله وأنه هين عليه يسير •

عصا موسى وما فيها من أقوال :

هذا وقد صنف الجاحظ كتاباً سماه كتاب العصا وهو جزيل
الفائدة ونورد فيما يلي أضماميه منه ، فقد جمع الله لموسى بن عمران
في عصاه من البرهانات العظام والعلامات الجسام ما عسى أن يفي ذلك
بعلامات عدة من المرسلين قال الله تبارك وتعالى فيما يذكر في عصاه :
« إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما »
الى قوله « و لا يفلح الساحر حيث أتى » فلذلك قال الحسن بن هانئ
- أبو نواس - في شأن خصيب وأهل مصر حين اضطربوا عليه :

منحتكم يا أهل مصر نصيحتي

ألا فخذوا من ناصح بنصيب

ولا تثبوا وثب السفاه فتركبوا

على حد حامى الظهر غير ركوب

فإن يك باق إفك فرعون فيكم

فإن عصا موسى بكف خصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية

أكل لحيات البلاد شروب

ألم تر أن السحرة لم يتكلفوا تغليط الناس والتمويه عليهم إلا بالعصا ولا عارضهم موسى إلا بعصاه ، ألا ترى أنهم لما سحروا أعين الناس واسترهبوهم بالعصي والجبال لم يجعل الله للجبال من الفضيلة في إعطاء البرهان ما جعل للعصا ؟ وقدرة الله على تصريف الجبال في الوجوه كقدرته على تصريف العصا .

ثم تحدث الجاحظ بأسلوبه العذب السمع عن الشجر ومنافعها مما تأتي الإشارة إليه في حينه ، وأورد قصصاً مأثورة عن الاتفاع بالعصا ، وما كان لها عند العرب من شأن فأورد قصة عامر بن الظرب العدواني - حكم العرب في الجاهلية - لما أسنّ واعتراه النسيان أمر بنته « عسرة » أن تقرع بالعصا إذا هو فـه عن الحكم وجار عن القصد وكانت من حكيّات بنات العرب ، حتى جاوزت في ذلك مقدار صـحـر بنت لقمان ، وهند بنت الخس وخمعة بنت حابس وكان يقال لعامر ذو الحلم ولذلك قال الحارث بن ولة :

وزعتم أن لا حلم لنا إن العصا قرعت لذي الحلم

وقال الفرزدق :

فإن كنت أنساني حلم مجاشع

فإن العصا كانت لذي الحلم تفرع

قلت :

قلت : هذا ما رواه الجاحظ بصدد قرع العصا ، وليس هذا القول حاسماً ففي أول من قرعت له العصا خلاف طويل فليل هو عامر

ابن الطرب كما ذكر الجاحظ وقيل هو قيس بن خالد ذو الجدين وقيل هو عمرو بن حممة الدوسي ولكن الأشهر ما رواه الجاحظ •

وذكر العصا عندهم يجري في معان كثيرة تقول العرب : « العصا من العصية ، والأفعى بنت حية » تريد أن الأمر الكبير يحدث عن الأمر الصغير ، ويقال : طارت عصا فلان شققاً ويقال : فلان شق عصا المسلمين ولا يقال شق ثوباً ولا غير ذلك مما يقع عليه اسم الشق وقال المضرّس الأسدي :

وألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قر عيناً بالإياب المسافر

ويقال لبني أسد « عبيد العصا » يعني أنهم ينقادون لكل من حالفوا من الرؤساء وتسمي العرب كل صغير الرأس « العصا » وكان عمرو بن هبيرة صغير الرأس قال سويد بن كراع العكلي :

فمن مبلغ رأس العصا أن يئنا

ضغائن لا تنسى وإن قدم الدهر

وكان والبة بن الحباب الأسدي أحد من أخذ عنهم أبو نواس وكان شاعراً ماجناً صغير الرأس فقال أبو العتاهية في رأس والبة ورؤوس قومه :

رؤوس عصي كنّ من عود أثلة

لها قادح يفري وآخر مخرب

قلت :

قلت : هذا وكان والبة قد هاجى بشاراً وأبا العتاهية فغلباه وفر
الى الكوفة منهما ومما قاله في أبي العتاهية :

كان فينا يكنى أبا اسحق وبها الركب سار في الآفاق
فتكنى معتمها بعتهاء يا لها كنية أتت باتفاق
خلق الله لحيه لك لا تنفك معقودة بداء الحلاق

ودخل عمرو بن سعد بن أبي وقاص على عمر بن الخطاب حين
رجع اليه من عمل حمص وليس معه إلا جراب وإداوة وقصعة وعصا
فقال له عمر : ما الذي أرى بك من سوء الحال ، أم ما تصنع ؟ فقال :
وما الذي تراني ؟ ألبست تراني صحيح البدن ، معي الدنيا بحذافيرها ؟
قال : وما معك من الدنيا ؟ قال معي جراي أحمل فيه زادي ، ومعني
قصعتي أغسل فيها ثوبي ، ومعني إداوتي أحمل فيها مائي لشراي ،
ومعني عصاي إن لقيت عدواً قاتلته ، وإن لقيت حية قتلته ، وما بقي
من الدنيا تبع لما معي .

ومن جميل القول في العصا وما يجوز فيها من المنافع والمرافق
تفسير شعر غنية الاعرابية في شأن ابنها وذلك انها كان لها ابن " شديد
العرامة كثير التلفت الى الناس مع ضعف أسر ، ودقة عظم ، فواثب مرة
فتى من الأعراب فقطع الفتى أته وأخذت غنية دية أته فحسنت حالها
بعد فقر مدقع ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت الدية فزادت دية أذه
في المال وحسن الحال ثم واثب بعد ذلك آخر فقطع شفته فلما رأت

ما قد صار عندها من الابل والغنم والمتاع والكسب بجوارح ابنها
حسن رأيها فيه فذكرته في أرجوزة لها تقول فيها :

أحلف بالمروءة حقاً والصفاء أنك خير من تفاريق العصا

ف قيل لابن الأعرابي : ما تفاريق العصا ؟ قال : العصا تقطع
ساجوراً وتقطع عصا الساجور فتصير أوتاداً ويفرق الوتد فتصير كل
قطعة شظاظة فإن كان رأس الشظاظ كالعلكة صار للنجتي مهاراً وهو
العود الذي يدخل في أنف النجتي (والنجتي الجمل الخراساني) وإذا
فرق المهار جاءت منه تواد والسواجير تكون للكلاب والأسرى
من الناس .

وسئل عن قوله « ولي فيها مآرب أخرى » قال : لست أحيط
بجميع مآرب موسى عليه السلام ولكني سأنبئكم جملاً تدخل في باب
الحاجة الى العصا من ذلك : انها تحمل للحية والعقرب والذئب والفحل
الهائج ولعير العانة في زمن هيج الفحول وكذلك فحول الجحور في
المروج ويتوكأ عليها الكبير الدانف والسقيم المدنف والأقطع الرجل
والأعرج فإنها تقوم مقام رجل أخرى ، وقال أعرابي مقطوع الرجل :

الله يعلم أني من رجالهم وإن تخدّد عن متنيّ أطماري
وإن رزئت يداً كانت تجمّلني وإن مشيت على زج ومسمار

والعصا تنوب للأعشى عن قائده وهي للقصار والفاشكار والدباغ
ومنها المفأد للملكة (أي الخشبة يحرك بها الرماد الحار) والمحراك
للتنور وهي لدق الجص والجبسين والسسم ولخبط الشجر وللفيج
(ساعي البريد والدولة) وللمكاري فانهما يتخذان المخاصر فاذا طال

الشوط وبعدت الغاية استعانا في حضرهما وهروولتهما في أضعاف ذلك بالاعتماد على وجه الأرض وهي تعدل من ميل المفلوج وتقيم من ارتعاش المبرسم (المصاب بمرض البرسام) ويتخذها الراعي لنفسه ، وكل راكب لمركبه ، ويدخل عصاه في عروة المزود ويسبك بيده الطرف الآخر وربما كان أحد طرفيها بيد رجل والطرف الآخر بيد صاحبه وعليها حمل ثقيل ، وتكون — إن شئت — وتبدأ في حائط وإن شئت ركزتها في الفضاء وجعلتها قبلة وإن شئت جعلتها مظلة وإن جعلت فيها زُجاً كانت عنزة وإن زدت فيها شيئاً كانت عكازاً ، وإن زدت فيها شيئاً كانت مطرداً وإن زدت فيها شيئاً كانت رمحاً ، والعصا تكون سوطاً وسلاحاً .

ونجتزئ بما تقدم من كتاب الجاحظ ونعود الى مآرب موسى فقد ذكر في الكشف « وقيل في المآرب كانت ذا شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيهما وألقى عليها الكساء واستظل ، وإذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه » .

٣ - الاستعارة المكنية :

في قوله « واضسم يدك الى جناحك » الجناح معروف وقيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكره وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر سمياً جناحين لأنه يجنحهما عند الطيران أي يسيلهما والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج .

٤ - الاحتراس والكناية :

وفي قوله « تخرج بيضاء من غير سوء » فن الاحتراس وقد تقدم ذكره والسوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة وكان جذية بن الوضاح أبرص فكنوا عنه بالأبرش لأن البرص أبغض شيء الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة فكان جديراً أن يكنى عنه ولا أحسن ولا ألطف من كنيات القرآن كما يأتي ولو أنه لم يذكر من غير سوء لتوهم أن البياض قد ازداد حتى صار برصاً فأتى بقوله من غير سوء دفعاً لذلك التوهم .

أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي
 ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَخْلَلْ عُقَدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا
 قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ
 أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأُشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ
 كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

اللفظة :

(وزيراً) : مشتق من الوزر لأنه يتحمل عن الملك أوزاره أي أثقاله فهو معين على أمر الملك وقائم بأمره وقيل بل هو مشتق من الوزر بفتحين وهو الملجأ ومنه قوله تعالى : « كلا لا وزر » وقيل بل

هو مشتق من المؤازرة وهي المعاونة وفي القاموس الأزرق الاحاطة والقوة والضعف فهو من الأضداد، والتقوية والظهر .

الاعراب :

(إذهب الى فرعون انه طغى) إذهب فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت والى فرعون متعلقان بإذهب وان واسمها وجملة طغى خبرها وجملة إنه طغى تعليلية لا محل لها . (قال رب اشرح لي صدري) قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة و اشرح فعل دعاء ولي متعلقان بأشرح وصدري مفعول به وذكر كلمة لي لفائدة سترد في باب البلاغة . (ويسر لي أمري) عطف على اشرح لي صدري . (واحلل عقدة من لساني) عطف على اشرح وعقدة مفعول به ومن لساني متعلقان بمحذوف صفة لعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لساني وسيأتي ما قيل في العقدة في باب البلاغة . (يفقهوا قولي) يفقهوا فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب والواو فاعل وقولي مفعول به . (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي) الواو عاطفة واجعل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولي في محل نصب مفعول ثان ووزيراً مفعول به أول ومن أهلي صفة لوزيراً وهارون بدل من وزيراً وأخي بدل من هارون ويجوز أن يكون وزيراً مفعولاً ثانياً وهارون مفعولاً أول وقدم الثاني عليه اعتناء بأمر الوزارة ولي متعلقان بمحذوف حال أو بنفس الجعل ومن أهلي صفة ويجوز أن يكون وزيراً هو المفعول الاول ومن أهلي هو الثاني وجميع هذه الأوجه متساوية الرجحان . (اشدد به أذري وأشركه في أمري) اشدد فعل دعاء وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وبه متعلقان بأشدد وأذري مفعول به وأشركه عطف على اشدد والهاء مفعول به وفي أمري

متعلقان بأشركه وقرىء اشد وأشركه مضارعين مجزومين بالطلب •
 (كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً) كي حرف مصدرية ونصب
 واستقبال وسيأتي بحثها في باب الفوائد ونسبحك فعل مضارع منصوب
 بكي وفاعل نسبحك ضمير مستتر تقديره نحن وكثيراً صفة لمصدر
 محذوف أو صفة لظرف محذوف فهي مفعول مطلق أو مفعول فيه
 ونذكرك كثيراً عطف على نسبحك كثيراً • (إنا كنا بصيراً) إن
 واسمها وجملة كنت خبر والتاء اسم كنت وبنا متعلقان ببصيراً وبصيراً
 خبر كنت •

البلاغة :

١ - الزيادة :

زيادة « لي » في قوله تعالى « وأشرح لي صدري ويسر
 لي أمري » والكلام تام بدونها وقد ذكر الزمخشري سراً ونذكر الثاني
 فيما بعد قال : « فإن قلت « لي » من قوله أشرح لي صدري ويسر
 لي أمري ما جدواه والكلام مستتب بدونها ، قلت : قد أبهم الكلام
 أولاً فقليل أشرح لي ويسر لي فعلم أن ثم مشروحاتاً وميسراً ثم بين ورفع
 الإبهام بذكرهما فكان أكد لطلب الشرح والتيسير لصدري وأمره »
 أما السر الثاني فهو أن تكون فائدتها الاعتراف بأن منفعة شرح الصدر
 وتيسير الأمر راجعة إليه وعائدة عليه فإن الله عز وجل لا ينتفع بارساله
 ولا يستعين بشرح صدره تعالى وتقدس •

٢ - التنكير :

وفي تنكير العقدة من قوله تعالى « واحلل عقدة من لساني » دلالة

على أنه لم يسأله حل جميع عقد لسانه بل حل بعضها الذي يمنع الافهام
بدليل قوله « يفقهوا قولي » كأنه قال واحلل عقدة من عقد لساني
وهذه العقدة ناشئة كما يروى عن جمرة وضعها في فمه وهو صغير
وقصتها في المطولات .

الفوائد :

بحث كي :

(كي) أحد أحرف النصب وهي قسمان :

١ - المصدرية وهي الداخل عليها اللام لفظاً نحو لكي لا تأسوا
أو تقديرأ نحو جئتك كي تكرمني اذا قدرت الاصل لكي وائك خذفت
اللام استغناء عنها بنيتها فإن لم تقدر اللام فهي :

٢ - التعليلية ، فأما المصدرية فناصبه بنفسها وأما التعليلية فجارة
والناصب بعدها أن مضرة لزوماً في النثر وقد تظهر في الشعر :

فقلت أكل الناس أصبحت مانحاً

لسانك كيما ان تغرّ وتخدع

وهذا مذهب سيوييه والخليل وجمهور البصريين أما الكوفيون
فيرون أن كي ناصبة دائماً تقدمتها اللام أو لم تتقدمها .

قال أبو حيان : وأجمعوا على أنها يجوز الفصل بينها وبين معمولها
بلا النافية وما الزائدة وأما الفصل بغير ما ذكر فلا يجوز عند البصريين .

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى
 إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٧﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ
 فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لَهٗ
 وَالْقَبْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٨﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ
 فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ
 عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا
 فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴿٣٩﴾

اللفظة :

(السؤال) : الطلبة وهو قتل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز
 والأكل بمعنى المأكول .

(التابوت) : الصندوق من خشب .

(اليَم) : البحر وأراد به نهر النيل .

الاعراب :

(قال قد أوتيت سؤالك يا موسى) جملة قد أوتيت مقول القول
 وأوتيت فعل ماض مبني للمجهول والتاء نائب فاعل وسؤالك مفعول

به ثان لأوتيت • (ولقد مننا عليك مرة أخرى) الواو استئنافية واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق ومننا فعل وفاعل وعليك متعلقان بمننا ومرة ظرف أو مفعول مطلق وأخرى صفة لمرة • (إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى) إذ ظرف يفيد هنا التعليل وهو متعلق بمننا وجملة أوحينا مضافة إليها الظرف وإلى أمك متعلقان بأوحينا وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر هو مفعول مطلق أو موصولة فهي نائب فاعل وجملة يوحى صلة وهي تفيد الإبهام وسترده في باب البلاغة • (أن اقدفيه في التابوت فاقدفيه في اليم) أن مفسرة لأن الوحي بمعنى القول واقدفيه فعل أمر وفاعل ومفعول به وفي التابوت متعلقان باقدفيه ، فاقدفيه في اليم عطف على فاقدفيه في التابوت ولم تختلف الضمائر لأن المحذوف هو موسى عليه السلام • (فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له) الفاء عاطفة واللام لام الأمر ويلقه فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وعلامة جزمه حذف حرف العلة والهاء مفعول به واليم فاعل وهذا أمر معناه الخبر ولكونه أمراً لفظاً جزم جوابه في قوله يأخذه وسيأتي مزيد بيان له في باب البلاغة وبالساحل متعلقان بيلقه أو بمحذوف حال أي ملتبساً به ويأخذه جواب الطلب والهاء مفعول وعدو فاعل ولي صفة وعدو له عطف على عدو لي • (وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني) الواو حرف عطف وألقيت فعل وفاعل وعليك متعلقان بألقيت ومحبة مفعول به ومني صفة لمحبة أي محبة عظيمة كائنة مني فلا جرم أحبك كل من رآك ويجوز تعليق مني بألقيت ولتصنع عطف على علة مضمرة مفهومة من سياق الكلام أي لتحب من الناس ، ولتصنع : اللام للتعليل وتصنع فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن مضمرة بعد اللام وعلى عيني حال أي لتربي ويحسن إليك وأنا مراعيك ومراقبك وكالك وكالك وسيأتي بحث المجاز المرسل هنا في

باب البلاغة • (إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله ؟)
 إذ ظرف للتعليل متعلق بألقيت أو بتصنع أو بسحذوف تقديره اذكر
 وجملة تمشي مضاف إليها الظرف وأختك فاعل فتقول عطف على تمشي
 وهل حرف استفهام وأدلكم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا
 والكاف مفعول به وعلى من متعلقان بأدلكم وجملة يكفله صلة •
 (فرجعناك الى أمك كي تقر عينها ولا تحزن) الفاء عاطفة على محذوف
 للإيجاز تقديره فأجيبناك الى طلبها فجاءت أمه فقبل موسى ثديها •
 ورجعناك فعل وفاعل ومفعول به والى أمك متعلقان برجعناك وكي حرف
 ناصب وتقر منصوب بكى وعينها فاعل ولا تحزن عطف على كي تقر •
 (وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً) وقتلت فعل وفاعل
 ونفساً مفعول قتل وقد قتل موسى القبطي ببصر واسسه قاب قان وكان
 طباعاً لفرعون وكانت سن موسى إذ ذاك ثلاثين سنة ، فنجيناك
 الفاء عاطفة ونجيناك فعل وفاعل ومفعول به ومن الغم متعلقان بنجيناك
 وفتناك فعل وفاعل ومفعول به وفتوناً مفعول مطلق إذا كان مصدراً
 وهو الأرجح كالقعود والجلوس والشكور والشبور واللزوم أو منصوب
 بنزع الخافض إذا كان جسع فتنة أي بضروب من الفتن والمعنى ابتليناك
 وامتحنناك بأنواع من الشدائد • (فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت
 على قدر يا موسى) الفاء عاطفة ولبثت فعل وفاعل وسنين ظرف زمان
 متعلق بلبثت قيل مكث عند النبي شعيب في مدين عشر سنوات وتزوج
 خلالها ابنته وقيل ثمانياً وعشرين سنة منها مهر ابنته وهو عشر حجج
 حيث قضى أوفى الأجلين ، وفي أهل مدين متعلقان بلبثت ومدين مضاف
 لأهل ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث ثم حرف عطف وجئت فعل
 وفاعل وعلى قدر حال أي موافقاً لما قدر لك أو مستقراً على قدر معين

ويا موسى نداء ، وقد اقتبس هذا التركيب جرير بقوله مادحاً عمر
ابن عبد العزيز :

أتى الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر

البلاغة :

فنون هذه الآيات البيانية كثيرة جداً نورد أهمها فيما يلي :

١ - التفسير بعد الابهام :

فأولها التفسير بعد الابهام وهذا النوع يؤتى به لتفخيم أمر المبهم
وإعظامه لأنه يطرق السمع بعد أن كان متعلقاً بشيء مبهم فتترنح
الجوارح ، ويذهب بلب السامع كل مذهب وعلى هذا النحو جاء قوله
تعالى « قال قد أوتيت سؤالك يا موسى ، ولقد مننا عليك مرة أخرى »
فابهم الكلام وأتى به مجملًا ليتعلق الذهن ، ويتطلع ما عسى أن يكون
السؤال ؟ وما هي المنّة الأخرى ؟ وما عسى أن يردفها من منن وآلاء ؟
انه يتشوف للتعرف ، ويحاول اكتناه الحقيقة فيأتي قوله بعد ذلك مفسراً
ما أبهم ، فيقول « إذ أوحينا الى أمك ما يوحي أن اقذفه في التابوت
فاقذفه في اليم » فإن قلت ما هي المنّة الأولى ؟ وما هي المنّة الثانية ؟
وهل بعد ذلك من منن ؟ قلت ان مجموع المنن التي امتن الله بها على
نبيه موسى ثمان منن :

آ - قوله إذ أوحينا إلى قوله « وعلو له » .

ب - قوله : « وألقيت عليك محبة مني » الخ .

ج - قوله : « ولتصنع على عيني » الى قوله « من يكفله » .

- د - قوله : « فرجعناك الى أمك » الى قوله « ولا تحزن » •
- هـ - قوله : « وقتلت نفساً فنجيناك من الغم » •
- و - قوله : « وفتناك فتوة » •
- ز - قوله : « فلبثت في أهل مدين » الى قوله « يا موسى » •
- ح - قوله : « واصنعتك لنفسي » •

٢ - الابهام :

أما الابهام المجرد فقوله « ما يوحى » وهو كثير شائع في القرآن الكريم ومثله في الشعر قول دريد بن الصمة في رثاء أخيه :

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبَ رَأْسَهُ

فلما علاه قال للباطل : ابعده

وسيرد منه المزيد المطرب •

٣ - المجاز العقلي :

المجاز العقلي : في قوله تعالى « فليلقه اليم بالساحل » أسند الإلقاء الى اليم وهو لا يعقل ولكنه يمثل مشيئة الله وإرادته التي لا تخطئ ولا يعزب عنها شيء ، أسند اليه الإفضاء المقرر في عالم الغيب ودنيا المشيئة كأنه ذو تمييز يطيع الأمر ويمثل رسمه •

٤ - التنكير :

نكر المحبة وأسندها اليه سبحانه ، لأمرين هامين :

١ - مافي التنكير من الفخامة الذاتية كأنها محبة تملو على
الحب المتعارف المتبادل بين المخلوقات •

٢ - مافي اسنادها اليه من الفخامة الاضافية أي محبة عظيمة
مني وقد زرعته في القلوب وركزتها في السرائر ومنطويات الضسائر
فسبحان المتكلم بهذا الكلام •

٥ - المجاز المرسل :

في قوله على عيني مجاز مرسل فقد أراد بالعين المحبة أي على
المحبة مني لأن العين رائدها وسببها فالعلاقة السببية قال أبو عبيدة
وابن الأنباري : إن المعنى لتغذى على محبتي وإرادتي تقول أتخذ
الأشياء على عيني أي على محبتي ، قال ابن الأنباري : العين في هذه الآية
يقصد بها قصد الارادة والاختيار ، من قول العرب : فلان على عيني أي
على المحبة مني قيل واللام متعلقة بمحذوف أي فعلت ذلك لتصنع وقيل
متعلقة بالقيت •

وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِعَايَتِي وَلَا تَنْبِأَ

فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّبِنَا

لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ

أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَاتِيَاهُ فَقُولَا

إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ

بِعَايَةِ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾

اللفظة :

(واصطنعتك) : اخترتك لي من بين الناس جميعاً ، وسيأتي المزيد من بحث المجاز في هذا التعبير الرشيق •

(تنيا) : تفترا والونى الفتور والتقصير يقال ونى يني ونياً كوعد يعد وعداً إذا فتر والاسم الونى وهو الفتور وونى فعل لازم لا يتعدى وزعم بعض النحاة انه يكون من أخوات زال واثقك فيعمل عملها بشرط النفي يقال : ما ونى زيد قائماً أي ما زال زيد قائماً وفي المصباح : ونى في الأمر ونياً من باب تعب ووعد ضعف وفتر فهو وان وفي التنزيل « ولا تنيا في ذكرى » وتوانى في الأمر توانياً : لم يبادر الى ضبطه ولم يهتم به فهو متوان أي غير مهتم ولا محتفل « وهو في الآية من باب وعد لأجل كسر النون إذ لو كان من باب تعب لكان بفتحها وقد أشار في الأساس إلى امكان عمل هذا الفعل عمل لا يزال قال : « ولا يني يفعل : لا يزال يفعل وامرأة وناة : فيها فتور » وفي القاموس : « الونى كفتى التعب والفترة ضد ويمد وئى يني وثياً ووئياً ووئاء وونية ونية ووئى وأوناه وتوانى هو وناقة وانية : فطرة طليح وامرأة وناة وأناة وأنية : حليلة بطيئة القيام والقعود والمشى والمينا مرفأ السفينة ويمد وجوهر الزجاج والونية كاللؤلؤة كالوناة أو العقد من الدر » •

(يفرط) : يقال فرط يفرط من باب قعد علينا فلان إذا عجل بمكروه •

الاعراب :

(واصطنعتك لنفسي) فعل ماض وفاعل ومفعول به ولنفسى متعلقان به . (اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري) اذهب فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وأنت ضمير منفصل تأكيد للضمير المستتر والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير المراد بالاصطناع وأخوك عطف على الضمير المرفوع وعلامة رفعه الواو والكاف مضاف اليه وبآياتي حال لأن الباء للمصاحبة أي مصحوبين بآياتي ومعتصمين بها وليست للتعدي لأن المراد إظهار الآيات للناس لا مجرد الذهاب الى فرعون والواو حرف عطف ولا ناهية وتنيا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والألف فاعل وفي ذكري متعلقان بتنيا ، قيل « في » هنا بمعنى عن أي عن عبادتي ولم أره لأحد فالأولى أن تبقى على حقيقتها من الظرفية كأنه اشتمل على التقصير ، لكن قال في المعنى « والظاهر أن معنى ونى عن كذا جاوزه ولم يدخل فيه وونى فيه دخل فيه وفتر » وهذا يرجح انها للظرفية لا للمجاورة . (اذهبوا الى فرعون إنه طغى) اذهبوا فعل وفاعل والى فرعون متعلقان ياذهبوا وان واسمها وجملة طغى خبرها . (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) الفاء عاطفة وقولا فعل أمر وفاعل وله متعلقان بقولا وقولا مفعول مطلق ولينا صفة ولعل واسمها وجملة يتذكر خبرها أو حرف عطف ويخشى عطف على يتذكر وسيأتي معنى الترجي هنا وبصورة عامة في باب الفوائد . (قالوا ربنا إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) قالوا فعل ماض وفاعل وربنا منادى مضاف وإن واسمها وجملة نخاف خبرها وأن وما في حيزها مفعول نخاف وعلينا متعلقان يفرط أو حرف عطف أن يطغى عطف على أن يفرط . (قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى) لا ناهية وتخافا فعل مضارع

مجزوم بلا والألف فاعل وجسلة لا تخافا مقول القول وجسلة إنني معكسا
 تعليلية لعدم الخوف وان واسمها والظرف متعلق بمحذوف خبرها
 وجسلة أسمع خبر ثان أو حالية وأرى عطف على أسمع . (فأتياه فقولا
 إنا رسولا ربك) فأتياه الفاء هي الفصيحة وأتياه فعل أمر وفاعل
 ومفعول به فقولا عطف على فأتياه وإن واسمها ورسولا خبرها وربك
 مضاف إليه . (فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم) الفاء هي
 الفصيحة أيضاً وأرسل فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت ومعنا ظرف
 مكان متعلق بأرسل وبني إسرائيل مفعول به ولا تعذبهم لا ناهية
 وتعذبهم مجزوم بلا والهاء مفعول به . (قد جئناك بآية من ربك
 والسلام على من اتبع الهدى) جملة قد جئناك حالية جرت من جملة إنا
 رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا
 مدعومة بالآيات والدلائل الظاهرة الدالة عليها وقد حرف تحقيق
 وجئناك فعل ماض وفاعل ومفعول به وبآية متعلقان بجئناك ومن ربك
 صفة لآية والواو استئنافية والسلام مبتدأ وعلى من اتبع الهدى خبر .

الفوائد :

اهتم العلماء اللغويون والنحاة بمعنى الرجاء في قوله تعالى
 « لعله يتذكر أو يخشى » وسنلخص الأوجه التي ذكرها هؤلاء لأن
 إيرادها بنصوصها لا يتسع له المجال ، فالرجاء يحتمل الأمور التالية :

١ - أن يكون الترجي هنا على بابه وذلك بالنسبة الى المرسل
 وهو موسى وهارون أي اذهباً على رجائكما في إيمانهم
 وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله فهو
 يفرغ جهده ويبذل ما في وسعه ويستحيل أن يرد ذلك في حق الله تعالى

إذ هو عالم بالعواقب والمغاب وعن سيبويه « كل ما ورد في القرآن من لعل وعسى فهو من الله واجب » وهذا صريح في أن الترجي يستحيل بقاءه على معناه في حق الله تعالى .

٢ - ان لعل تفيد التعليل فهي بمثابة كي وهذا قول الفراء قال : كما تقول : اعمل لعلك تأخذ أجرك أي كي تأخذ أجرك .

٣ - انها استفهامية أي هل يتذكر ويخشى وهذا قول مردود لأنه يستحيل الاستفهام في حق الله تعالى .

ما يقوله النحاة :

ويقول النحاة إن لعل للتوقع وعبر عنه قوم بالترجي في الشيء المحبوب نحو لعل الحبيب قادم ومنه قوله تعالى : « لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » والاشفاق في الشيء المكروه نحو « فلعلك باع نفسك » أي قاتل نفسك والمعنى أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك وقد تقدم بحثه والاشفاق لغة الخوف يقال أشفقت عليه بمعنى خفت عليه وأشفقت منه بمعنى خفت منه وحذرتة .

وقال الأخفش والكسائي : وتأتي لعل للتعليل نحو : ما يقول الرجل لصاحبه : افرغ من عملك لعلنا نتغدى واعمل عملك لعلك تأخذ أجرك أي لتتغدى ولتأخذ ، ومنه « لعله يتذكر » أي ليتذكر وقال في المغني : ومن لم يثبت ذلك يحمله على الرجاء ويصرفه للمخاطبين أي اذهبا على رجائكما .

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾
 قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ
 ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي فِي
 كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا
 وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ
 نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي
 الْأَبْصَارِ ﴿٥٤﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً
 أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾

الاعراب :

(إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) إن واسمها
 وجملة قد أوحى خبر والينا متعلقان بأوحى وأن وما في حيزها في تأويل
 مصدر نائب فاعل لأوحى وأن واسمها وعلى من خبرها وجملة كذب صلة
 وتولى عطف على كذب . (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى) أي فأتياه وقالوا
 جميع ما ذكر ، فالفاء عاطفة على مقدر ومن اسم استفهام مبتدأ وربكما
 خبر والجملة مقول القول ولم يذكر هارون لأنه تبع وردء ووزير له
 وقيل غير ذلك مما لا طائل تحته . (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ

ثم هدى) ربنا مبتدأ والذي خبره وجملة أعطى صلة وكل شيء مفعول به أول وخلقه مفعول به ثان وقيل خلقه أول مفعولي أعطى وكل شيء ثانيهما وقدم للاهتمام أي أعطى خليقته « وهي جمع الخلائق » كل شيء يحتاجون إليه وقرئ خلقه على أنه فعل والمفعول الثاني محذوف للعلم . ثم هدى عطف على أعطى أي أعطى كل شيء صورته وأفرغته في مسلاخه الخليق بما نيط به من خصائص ومنافع وهدى كل مخلوق إلى ما خلق له ، وفي هذا الإيجاز كلام طويل يطالعه القارئ في باب البلاغة . (قال فما بال القرون الأولى) الفاء عاطفة وما استفهام مبتدأ وبال خبر والقرون مضاف إليه والأولى صفة . (قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) علمها مبتدأ وعند ربي الظرف متعلق بمحذوف خبر وفي كتاب حال أو في كتاب هو الخبر وعند ربي حال أو هما خبران أو هما خبر واحد على حد قولك الرمان حلو حامض أي مزوجلة لا يضل مستأنفة وقيل صفة لكتاب والعائد محذوف تقديره في كتاب لا يضله ربي أو لا يضل حفظه ربي ، وربى فاعل يضل ولا ينسى عطف على لا يضل وسيأتي في باب الفوائد ما قاله العلماء في معنى هذه الآية . (الذي جعل لكم الأرض مهاداً وسلك لكم فيها سبلاً) الذي خبر لمبتدأ محذوف أي هو وجملة جعل صلة ولكم حال لأنه كان صفة لمهاداً والأرض مفعول به أول ومهاداً مفعول به ثان وسلك فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو ولكم متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لسبلاً وفيها متعلقان بسلك وسبلاً مفعول به . (وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى) وأنزل عطف على ما تقدم ومن السماء متعلقان بأنزل وماء مفعول به فأخرجنا الفاء عاطفة وأخرجنا فعل وفاعل وبه متعلقان بأخرجنا وأزواجاً مفعول به ومن نبات صفة لأزواجاً وشتى صفة لأزواجاً أو حال منه لأنه وصف وأجاز الزمخشري

أن يكون صفة للنبات • (كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات
لأولي النهى) كلوا فعل أمر وفاعل والجملة معمولة لحال محذوفة أي
قائلين أو آذنين في الانتفاع بها ، مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلقوا
بعضها وارعوا عطف على كلوا وأنعامكم مفعول به لارعوا وإن حرف
مشبه بالفعل وفي ذلك خبر إن المقدم ولآيات اللام المزحلقة وآيات اسم
إن المؤخر ولأولي النهى صفة لآيات والنهى مضاف لأولي وهي جسع
نهيه وقيل اسم مفرد • (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
تارة أخرى) منها متعلقان بخلقناكم وفيها متعلقان بنعيدكم ومنها متعلقان
بنخرجكم وتارة ظرف متعلق بنخرجكم وأخرى صفة لتارة •

البلاغة :

١ - الإيجاز :

في قوله تعالى « ثم هدى » إيجاز بليغ لأنه حذف جسلاً لا يقع
عليها الحصر لأنه ليس بالمتاح إحصاء المخلوقات الحية وغير الحية ،
العاقلة وغير العاقلة التي خلقها الله ولكل منها عمله الميسر له على حد
قوله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق له » فمن العسير بل من
المستحيل أن يتحدث أحد عن المرتفعات العامة واعطاء كل مرتفق الى
صاحبه المخلوق له السذي عرف كيف يرتفق بما أعطي وكيف
يتوصل اليه ولهذا أحسن الزمخشري بقوله : « والله در هذا الجواب
ما أحصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان
طالباً للحق » ثم إن للإيجاز فائدة أخرى وهي أن فرعون أراد أن
يصرف موسى عليه السلام بعد أن أوشك أن يفضحه ويبطل خرافاته ،
الى ما لا يعنيه من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات

والأساطير فأجابه موسى بأن ذلك ليس من خصائص الرسالة وانما علمه عند ربي فلما سأله عن ربه أوجز الكلام على هذا الشكل البديع •

٢ - الالتفات :

من الغيبة الى لفظ التكلم على الحكاية لكلام الله عز وجل والفائدة منه التنبيه على ظهور ما في الارض من الدلالة على كمال القدرة الإلهية والحكمة التي لا تطيش وانقياد المخلوقات جميعاً لمشيئته وقيل لا التفات في الكلام لأنه يشترط في الالتفات أن يكون في كلام المتكلم الواحد يصرف كلامه على وجوه شتى وما نحن فيه ليس من ذلك فإن الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام قوله لفرعون : علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ثم قوله : الذي جعل لكم الأرض مهاداً الى قوله فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى فإما أن يجعل من قول موسى فيكون من باب قول خواص الملك : أمرنا وعمرنا وانما يريدون الملك وليس هذا بالالتفات وإما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله : ولا ينسى ثم ابتداء الله تعالى وصف ذاته بصفات انعامه على خلقه فليس التفاتاً أيضاً وانما هو انتقال من حكاية الى انشاء خطاب •

وقد يبدو هذا الرد وجيهاً لأول وهلة ولكن نذكر أن موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على لفظ الغيبة فقال : الذي جعل لكم الأرض مهاداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجاً من نبات شتى فلما حكاه الله تعالى عنه أسند الضمير الى ذاته لأن الحاكي هو المحكي في كلام موسى فمرجع الضميرين واحد وهذا الوجه دقيق وهو أقرب الوجوه الى الالتفات •

الفوائد :

حول « لا يضل ربي ولا ينسى » :

أقرب ما يقال في تقي الضلال والنسيان عن الله تعالى وهو غني عن النفي لأنه علام الغيوب أن يقال هو من باب التعريض والمعنى : ان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل ، أي لا يضل كما تضل أنت يا مدعي الربوبية بالجهل والصلف والوقاحة •

وقال القفال : « هناك فرق بين يضل وينسى أي لا يضل عن الاشياء ومعرفتها وما علمه من ذلك لم ينسه فاللفظ الاول إشارة الى كونه عالماً بكل المعلومات واللفظ الثاني دليل على بقاء ذلك العلم أبداً الآباد وهو إشارة الى تقي التغير » •

هذا، واختلف في معنى لا يضل ربي ولا ينسى على أقوال :

الاول : انه ابتداء كلام تنزيه لله تعالى عن هاتين الصفتين وقد تم الكلام عند قوله في كتاب •

الثاني : ان معنى لا يضل لا يخطئ •

الثالث : ان معناه لا يغيب •

الرابع : ان معناه لا يحتاج الى كتاب ولا يضل عنه علم شيء من الاشياء ولا ينسى ما علمه منها •

الخامس : ان هاتين الجملتين صفة لكتاب والمعنى ان الكتاب غير ذاهب عن الله ولا هو فاس له •

وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
 مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ۖ فَاجْعَلْ
 بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ
 مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ
 كِبَادَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ
 بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا
 النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ ۖ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ
 أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَىٰ ﴿٦٣﴾

اللمعة :

(ضحى) : الضحى : شروق الشمس بعد طلوعها وقد ست
 العرب ساعات النهار بأَسَاءَ فالأولى الذرور ثم البروغ ثم الضحى ثم
 الغزاة ثم الهاجرة ثم الزوال ثم الداوك ثم العصر ثم الأصيل ثم الصبوب
 ثم الحدود ثم الغروب •

ويقال فيها : البكور ثم الشروق ثم الإشراف ثم الرأد ثم الضحى
 ثم المتسوع ثم الزوال ثم الهاجرة ثم الأصيل ثم العصر ثم الطفل
 ثم الغروب •

(فيسحتكم) : يهلككم من أسحت الرباعي وهي لغة نجد وتسمي أي أهلك ويقال سحت وهي لغة الحجاز وأصل هذه المادة تدل على الاستقصاء والنفاذ ومنه سحت الحالق الشعر أي استقصاه فلم يترك منه شيئاً ويستعمل في الإهلاك والإذهاب وفي القاموس « سحت يسحت من باب فتح وسحتت بالتشديد اكتسب السحت أي المال الحرام وسحته أهلكه واستأصله وذبحه وسحت الشحم عن اللحم قشره وسحت وجه الأرض محاه وأسحت : أفسده وأهلكه واستأصله » .

الاعراب :

(ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى) اللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق وأريناه فعل ماض من رأى البصرية ولكنها تعلت الى اثنين لدخول همزة النقل عليها ونا ضمير متصل في محل رفع فاعل والهاء مفعول به أول وآياتنا مفعول به ثان وكلها تأكيد لآياتنا فكذب وأبى عطف على أريناه وقد مرت آيات موسى التسع ثم الآيتان الأخيرتان وهما العصا وثرع اليد . (قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى) قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو أي فرعون وجملة أجئتنا مقول القول والهمزة للاستفهام الانكاري وجئتنا فعل وفاعل ومفعول به ولتخرجنا اللام للتعليل وتخرج فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ونا مفعول به ومن أرضنا متعلقان بتخرجنا وبسحرك متعلقان بتخرجنا . (فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى) الفاء الفصيحة واللام جواب قسم محذوف تقديره والله لنأتينك وبسحر متعلقان بنأتينك ومثله صفة لسحر ويجوز أن يتعلق بسحر بمحذوف حال أي متلبسين بسحر مثله في الغرابة يعارضه ويدحضه ، فاجعل الفاء عاطفة واجعل فعل أمر

وفاعله أنت وبيننا ظرف متعلق بمحذوف مفعول به ثان وبينك عطف وموعداً مصدر ميمي مفعول به أول وجملة لا تخلفه صفة لموعداً ونحن تأكيد للضمير في تخلفه والواو عاطفة ولا نافية وأنت عطف على الضمير في تخلفه ومكافئاً بدل من موعداً بتقدير مضاف أي مكان موعداً أو تعرب مكافئاً منصوباً بنزع الخافض أي في مكان أو تنصبه بالمصدر وهو موعداً. وسوى صفة أي وسطاً وهو بضم الواو وكسرهما وهذا وجه من أعراب أخرى ستأتي في باب الفوائد. (قال: موعداً كم يوم الزينة وإن يحشر الناس ضحى) موعداً كم مبتدأ ويوم الزينة خبر وإن وما بعدها عطف على يوم الزينة إما على اليوم فيكون محل المصدر الرفع وإما على الزينة فيكون محله الجبر والناس نائب فاعل وضحى ظرف متعلق يحشر وسيأتي بحث يوم الزينة والعلة في اختياره . (فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى) الفاء عاطفة وتولى فعل ماض وفرعون فاعل فجمع عطف على فتولى وكيده مفعول به على حذف مضاف أي ذوي كيده وهم السحرة ثم حرف عطف وأتى عطف على جمع وعبر بـثم للدلالة على أنه استغرق وقتاً في جمع السحرة ورسم الخطط . (قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذباً) قال فعل ماض ولهم متعلقان به وموسى فاعل وويلكم مصدر للدعاء أمات العرب فعله فهو منصوب بفعل محذوف ولا ناهية وتفتروا فعل مضارع مجزوم بلا وعلى الله متعلقان بتفتروا وكذباً مفعول به . (فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افتري) الفاء فاء السببية ويسحتكم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بالنهاية وبعباب متعلقان بيسحتكم وقد الواو حالية وقد حرف تحقيق وخاب فعل ماض ومن فاعل وجسلة افتري صلة . (فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرؤا النجوى) الفاء عاطفة وتنازعوا فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة والواو فاعل وأمرهم مفعول به أو منصوب بنزع الخافض وبينهم ظرف

متعلق بسحذوف حال وأسروا عطف على تنازعوا والنجوى مفعول به أي أخفوها أي انهم تشاوروا في السر • (قالوا : إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) إن مخففة من الثقيلة ومهمله وهذان اسم إشارة للمثنى في محل رفع مبتدأ واللام الفارقة وساحران خبر هذان وجملة يريدان صفة لساحران وإن وما في حيزها مفعول يريدان ومن أرضكم متعلقان بيخرجاكم بسحرهما حال أي متلبسين بسحرهما ويذهبا عطف على يخرجاكم وبطريقتكم متعلقان بيذهبا والمثلى صفة لطريقتكم •

البلاغة :

في قوله « لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى » فن رد العجز على الصدر وسماء المتأخرون التصدير وهو أخف على السمع وأليق بالمقام وقد تقدم البحث فيه ونضيف هنا أن ابن المعتز قسمه ثلاثة أقسام :

الأول ما وافق آخر كلمة في المصراع الأول آخر كلمة في المصراع الثاني أو كانت مجانسة لها كقول بعضهم :

يلقى إذا ما كان يوم عرمم في جيش رأي لا يقل عرمم

والقسم الثاني ما وافق آخر كلمة في البيت أول كلمة منه كقول الآخر :

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى سريع

والقسم الثالث ما وافق آخر كلمة في البيت بعض كلمة في الصدر منه كقوله :

سقى الرمل صوب مستهل غمامه

وما ذاك إلا حب من حل بالرمل

وقال الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع : « والذي يحسن أن يسمي القسم الأول تصدير التقفية والثاني تصدير الطرفين والثالث تصدير الحشو » • والامثلة على ذلك كثيرة •

الفوائد :

كثر اختلاف المعربين في قوله تعالى « فاجعل بيننا موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى » والحق انه من معضلات التراكيب وقد اخترنا في الاعراب أمثل الوجوه وأقربها الى المنطق وأدناها الى السهولة، بقيت هناك أمور لا بد من ايضاحها :

موعداً : اختلف فيه على الأوجه التالية :

أ - اسم زمان ويرجحه قوله « قال موعدكم يوم الزينة » والمعنى عيّن لنا وقت اجتماع ولذلك أجابهم بقوله : « موعدكم يوم الزينة » •

ب - اسم مكان ويرجحه قوله « مكاناً سوى » والمعنى بئس لنا مكاناً معلوماً نعرفه نحن وأنت فتأتيه •

ج - مصدر ميمي بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف أي مكان وعد ويؤيد هذا قوله « لا نخلفه نحن ولا أنت » لأن المواعدة توصف بالخلف وعدمه وهذا ما اخترناه •

فإن جعلته زماناً لزمك شيان : أن تجعل الزمان مخلفاً وأن يفضل عليك ناصب مكاناً وإن جعلته مكاناً لزمك أيضاً أن توقع

الاخلاف على المكان وأن لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة فبقى أن يجعل مصدراً بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف أي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكاناً بدل من المكان المحذوف •

وجوز أبو علي الفارسي وأبو البقاء أن ينتصب مكاناً على المفعول الثاني لاجعل قالاً وموعداً على هذا مكان أيضاً ولا ينتصب بموعداً لأنه مصدر قد وصف يعني أنه يصح مفعولاً ثانياً ولكن بشرط أن يكون الموعد بمعنى المكان ليطابق الخبر •

وجعل الحوفي انتصاب مكاناً على الظرف وانتصابه باجعل فتحصل في نصب مكاناً خمسة أوجه :

- ١ - أنه بدل من مكاناً المحذوف •
- ٢ - أنه مفعول ثانٍ للجعل •
- ٣ - أنه نصب باضمار فعل •
- ٤ - أنه منصوب بنفس المصدر •
- ٥ - أنه منصوب على الظرف بنفس اجعل •

وانسا أوردنا هذه الأقوال لأنها قريبة ولأن استيعابها مفيد للغاية فتدبر •

فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفَا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾

قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِيمَاً أَنْ تُلْقَى وَإِمَاً أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ

الْقُورَ فَإِذَا حَبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى
 (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ
 الْأَعْلَى (٦٨) وَالَّتِي مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ
 سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا
 ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠)

اللفظة :

(فأجمعوا) : أي ازمعوا كيدكم واجعلوه مجعاً عليه حتى
 لا تختلفوا كالمسألة المجع عليها ويقال : اجتمعوا الأمر واجمعوا عليه ،
 وفلانة بجتمع أي عذراء وضربه بجمع كفه واستجمع لفلان أمره
 واستجمع السيل واستجمع الفرس جرياً قال يصف السراب :

ومستجمع جرياً وليس ببارح تباريه في ضاحي المتان سواعده

أي مجاريه واستجمع الوادي إذا لم يبق منه موضع إلا سال وعن
 بعض العرب : الرثمة وفلج لا يستجمعان إنما يسيلان في نواحيهما
 وأضواجهما ، واستجمع القوم ذهبوا كلهم وجمعوا لبني فلان إذا
 حشدوا لقتالهم « ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » وأجمنت القدر
 غلياً قال امرؤ القيس :

ونحش تحت القدر نوقدتها بغضا الغريف فأجمنت تغلي

ومن الكناية: فلانة قد جمعت الثياب أي كبرت لأنها تلبس الدرع والخمار والملحفة •

(فأوجس) : الإيجاس : الاضممار وإيجاس الخوف اضرار شيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجيلة البشرية •

(تلقف) : تبتلع وأصله التناول بسرعة قال في القاموس : لقِف يلقف من باب تعب لقفاً والتقف الشيء تناوله بسرعة •

الاعراب :

(فأجمعوا كيدكم ثم اتوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى)
الفاء الفصيحة أي إذا كان الأمر كما ذكر من كونهما ساحرين المخ فأجمعوا كيدكم واجعلوه مجماً بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وأجمعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وكيدكم مفعول به إذا اعتبرت أجمعوا متعدية وبعضهم لم يعتبرها متعدية فيكون كيدكم منصوباً بنزع الخافض ثم اتوا عطف على أجمعوا وصفاً حال وإنما أمرهم بذلك لإدخال الرهبة في صدور الرائيين ، وقال أبو عبيدة : الصف موضع المجمع ويسمى المصلى الصف قال الزجاج : وعلى هذا دعناه ثم اتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم يقال أتيت الصف بمعنى أتيت المصلى فعلى هذا يكون اتصابه على المفعولية • وقد الواو اعتراضية وقد حرف تحقيق وأفلح فعل ماض واليوم ظرف متعلق بأفلح ومن فاعل أفلح وجملة استعلى صلة • (قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى) إما حرف شرط وتفصيل ومعناها هنا التخيير ولا يكون إلا بعد الطلب ، وأن وما بعدها في

تأويل مصدر منصوب بفعل محذوف تقديره اختر أحد الأمرين أو مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر القاؤك أو مبتدأ والخبر محذوف والتقدير إلقاؤك أول وإما أن تكون عطف على ما تقدم واسم نكون مضمّر تقديره نحن وأول خبرها ومن مضاف إليه وجملة ألقى صلة . ويجوز أن تكون ان وما في حيزها في محل نصب بفعل مضمّر أي اختر إلقاءك أولاً أو القاءنا . (قال بل ألقوا فإذا جبالهم وعصيتهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) بل حرف اضراب وعطف وألقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل فإذا الفاء عاطفة على محذوف تقديره فألقوا فإذا وإذا هذه للمفاجأة وقد تقدم أنها حرف أو ظرف ثم اختلف أهو ظرف مكان أو زمان وسننقل قول الزمخشري فهو غاية الغايات قال :

« والتحقيق فيها أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصباً لها وجملة تضاف إليها خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى « فإذا جبالهم وعصيتهم » ففاجأ موسى وقت تخيل سعي جبالهم وعصيتهم وهذا تشيل والمعنى على مفاجأته جبالهم وعصيتهم مخيلة إليه السعي » .

وجبالهم مبتدأ وعصيتهم عطف عليه وجملة يخيل إليه خبر جبالهم وإذا جعلت إذا خبراً فتكون جملة يخيل إليه حال ومن سحرهم متعلقان بيخيل وأنها وأن واسمها وجملة تسعى خبر أن وأن وما بعدها في تأويل مصدر نائب فاعل ليخيل أي يخيل إليه سعيها وجعل الزمخشري المصدر بدل اشتغال من الضمير في جبالهم وعصيتهم . (فأوجس في نفسه خيفة موسى) الفاء عاطفة وأوجس فعل ماض ، وفي نفسه متعلقان بأوجس

وخيفة مفعول به وموسى فاعل • (قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى)
 قلنا فعل وفاعل وجملة لا تخف مقول القول ولا ناهية وتخف فعل
 مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل مستتر تقديره أنت وجملة انك
 مستأنفة كتعليل للنهي عن الخوف الذي ساوره لطبع البشرية من ضعف
 القلب وإن كان متيقناً من أن الله ناصره وأنهم لن يصلوا اليه بسوء
 وإن واسمها وأنت تأكيد أو ضمير فصل أو مبتدأ والأعلى خبر إن أو
 خبر أنت والجمله خبر إن وسيأتي الكلام على المبالغة في هذا التعبير
 في باب البلاغة • (وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا) وألق الواو
 عاطفة وألق فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره
 أنت وما مفعول به وفي يمينك متعلقان بمحذوف صلة ما وسيأتي سر
 هذا الإبهام في باب البلاغة وتلقف جواب الطلب مجزوم وعلامة جزمه
 السكون وفاعل تلقف ضمير مستتر تقديره هي وما مفعول به وجمله
 صنعوا صلة أي ما زوروه وكذبوا فيه • (إن ما صنعوا كيد ساحر
 ولا يفلح الساحر حيث أتى) تعليل لقوله تلقف وإن واسمها وجمله
 صنعوا صلة وكيد ساحر خبر إن ، وقد درج المصحف على كتابة ما متصلة
 بأن ، ويجوز أن تكون ما مصدرية والاعراب واحد ولا الواو حالية
 أو عاطفة ولا نافية ويفلح الساحر فعل مضارع وفاعل وحيث ظرف
 مكان مبني على الضم متعلق بيفلح وجمله أتى مضافة الى الظرف •
 (فألقى السحرة سجداً قالوا : آمنا برب هارون وموسى) الفاء عاطفة
 على جملة محذوفة تقديرها فألقى موسى عصاه فتلقفت كل ما صنعوه
 فألقى السحرة فعل ماض مبني للمجهول والسحرة نائب فاعل وسجداً
 حال من السحرة قالوا فعل وفاعل وجمله آمنا مقول القول وهو فعل
 وفاعل ورب هارون وموسى متعلقان بآمنا •

البلاغة :

في هذه الآيات فنون من البيان تذهل العقول ، فأولها :

١ - فن الاستدراج وقد تقدم القول فيه وهو بالاضافة الى ما فيه من البلاغة ينطوي على نكت دقيقة في استدراج الخصم واضطراره الى الإذعان والتسليم فقد شاء السحرة في بادئ الأمر استدراج موسى ثقة منهم بأنهم فائزون عليه وكأنما ألهمهم الله حسن الأدب مع موسى في تخيره واعطائه النصفة من أنفسهم عندما قالوا « فاجعل بيننا وبينك موعداً لانخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى » فقوضوا ضرب الموعد اليه ولكن موسى استدرجهم بإلهام من الله عز وجل أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم ليكون الحق أبلغ على رؤوس الأشهاد فيكون أفضح بيدهم وأهتك لسترهم ولما استدرجوه الى التخيير في الإلقاء أيكون هو البادئ أم يكونون هم البادئين استدرجهم هو إلى أن يجعلهم مبتدئين بما معهم ليكون القاؤه العصا بعد قذفاً بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق فما أروع هذا الكلام .

٢ - فن توكيد الضميرين ، وقد تتساءل وما علاقة البحث النحوي بالبلاغة ؟ والضمائر وتوكيد بعضها لبعض مذكورة في كتب النحو ونقول ان المسألة أجل وأسمى من النحو ، والنحاة بمعزل عن هذا الفن الرفيع ونعني بتوكيد الضميرين أن يؤكد المتصل بالمنفصل كقولك إنك أنت أو يؤكد المنفصل بمنفصل مثله كقولك أنت أنت أو يؤكد المتصل بمتصل مثله كقولك إنك إنك لعالم وإنما يؤتى بمثل ذلك في معرض المبالغة وهو من أسرار علم البيان ومن ذلك قوله تعالى « قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين » فإن إرادة السحرة

الإلقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده لأنهم لم يصرحوا بما في أنفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم موسى بمثله الى توكيد ما هو نهم بالضيرين اللذين هما نكون ونحن دلّ ذلك على أنهم يريدون التقدم عليه والإلقاء قبله لأن من شأن مقابلة خطابهم موسى بمثله إن كان قالوا : إما أن تلقي وإما أن تلقي لتكون الجملتان متقابلتين فحيث قالوا عن أنفسهم « وإما أن نكون نحن الملقين » استدل بهذا القول على رغبتهم في الإلقاء قبله ومنه أيضاً قوله تعالى « فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنا أنى الأعلى » فتوكيد الضيرين ها هنا في قوله إنا أنى الأعلى أنفى للخوف من قلب موسى وأثبت للغلبة والقهر ولو قال : لا تخف إنا أنى الأعلى أنت الأعلى لم يكن له من التقرير والاثبات لنفي الخوف ما لقوله « إنا أنى الأعلى »

وفي هذه الكلمات الثلاث ست فوائد :

١ - « إن » المشددة التي من شأنها الاثبات لما يأتي بعدها وتأكيداً وقد نص علماء المعاني على أن الخبر يكون مع إن طلبياً أو إنكارياً لا ابتدائياً كقولك زيد قائم ثم تقول : إن زيدا قائم ففي قولك إن زيدا قائم من الاثبات لقيام زيد ما ليس في قولك زيد قائم .

٢ - تكرير الضير في قوله « إنا أنى أنت » ولو اقتصر على أحد الضيرين لما كان بهذه المثابة في التقرير لغلبة موسى والاثبات لقهره .

٣ - لام التعريف في قوله « الأعلى » ولم يقل أعلى أو عال لأنه لو قال ذلك لكان قد نكره وكان صالحاً لكل واحد من جنسه كقولك رجل فإنه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال وإذا قلت الرجل فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف وجعلته علماً فيهم وكذلك جاء قوله « إنا أنى الأعلى » أي دون غيرك .

٤ - لفظ أفعل الذي من شأنه التفضيل ولم يقل العالي فهو أعلى من كل عال .

٥ - لفظ العلو الدال على أن الغلبة ثابتة له من جهة العلو ومعلوم أن الغرض من قوله « الأعلى » الغلبة إلا أن في الأعلى زيادة وهي كونها صادرة عن مكان عال .

٦ - الاستئناف وهو قوله تعالى : « لا تخف إنك أنت الأعلى » ولم يقل لأنك أنت الأعلى فكان ذلك أبلغ في إيقان موسى عليه السلام بالغلبة والاستعلاء وأثبت ذلك في قرارة نفسه بما لا يدع أي مجال للشك .

هذا وقد تقدم نوع من هذا الفن وسيرد غيره في حينه ومواضعه ان شاء الله ، بقي أن نتحدث عن اختيار موسى يوم الزينة فما هو هذا اليوم ؟

يوم الزينة :

قل فيه يوم عاشوراء ، ويوم النيروز ، ويوم عيد كان لهم في كل عام وكانوا يتخذون فيه سوقاً ويتزينون ويظهرون فيه كل بهارجهم إذ يحشر فيه الناس منذ ضحوة النهار حتى المساء .

٣ - فن الابهام :

وذلك في قوله « مافي يمينك » فقد أبهمها لأمرين متضادين أولهما استصغار أمرها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيتهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي بيدك فانه بقدرة الله تعالى يتلقفها على وحدته

وكثرتها وصغره وعظمتها ، وثانيهما تعظيم أمرها أي لا تعباً بهذه
الأجرام الكبيرة الكثيرة فإن في يمينك شيئاً هو أعظم منها كلها فآلقها
تسحقها وتطرح بها بإذن الله ، وقد يقول قائل كيف يحتقر العصا ؟
والجواب ان المقصود بتحقيروها في جنب القدرة الإلهية تحقير كيد
السحرة بطريق الأولى لأنها إذا كانت وهي الحقيرة الضئيلة التي لا يؤبه
بها بالنسبة للقدرة الإلهية قد طاحت بما أتوا به من أضاليل مسوّهة
وأكاذيب مخترعة فما ظنك بكيدهم وأقل شيء يذهب به وهذا معنى
دقيق قل من يتفطن له ، وقد رmq سماءه شاعر الخلود أبو الطيب المتنبى
فقال من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار ويذكر الأسد وقد أعجله
فضربه بسوطه :

أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادّخرت الصارم المصقولا ؟

والمعنى إذا كنت تلقى هذا الاسد وهو أقوى الحيوانات وأشجعها
بسوطك فلن خبأت صارمك المصقول ؟

ولأصحاب البلاغة أيضاً طريق في علو المدح بتعظيم جيش عدو
المدح ليلزم من ذلك تعظيم جيش المدح وقد قهره واستولى عليه
وقد رmq سماءه أبو الطيب إذ وصف جيش الروم الذي لاقاه
سيف الدولة فبالغ في تعظيم أمره وتصوير عدده البالغة والغاية هي
أن يتناهى في تعظيم أمر سيف الدولة وجيشه فقال في وصف
جيش الروم :

أتوك يجرون الحديد كأنهم سروا بجياد ما لهن قوائم

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم

جعل الروم يبرقون لكثرة ما عليهم من الحديد ولم يفرق بين
سيوفهم وبينهم لأن على رءوسهم البيض والمغافر وثيابهم الدروع فهم
كالسيوف وأشار بهذا الوصف الى كثرة سلاح هذا الجيش تمهيداً
للاشارة الى قوته :

خمس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفي أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وأمة
فما تفهم الحداث إلا التراجم
فلله وقت ذوب الغشّ ناره
فلم يبق إلا صارم أو ضبارم

وستأتي تنمة هذا الوصف البديع في موطن آخر من مواطن
البلاغة التي رفق أبو الطيب سماء القرآن فيها •

نكتة أخرى في الابهام :

وهناك نكتة أخرى سوى قصد التعظيم والتحقير وهي أن موسى
عليه السلام أول ما علم أن العصا آية من الله تعالى عندما سأله :
وما تلك يمينك يا موسى ثم أظهر له تعالى آيتها فلما دخل وقت الحاجة
الى ظهور الآية منها قال تعالى : وألق ما في يمينك ليتيقظ بهذه الصيغة
للوقت الذي قال الله تعالى له « وما تلك يمينك » وقد أظهر له آيتها
فيكون ذلك تنبيهاً له وتأنيساً حيث خوطب بما عهد أن يخاطب به وقت

ظهور آيتها وذلك مقام يناسب التأنيس والتشيت في موقف يزايل
الوقار أشد النفوس قوة ورباطة .

٤ - فن التكرير :

وقد تقدم كثيراً بحثه والاشارة اليه وذكر نماذج رائعة منه
وسياتي المزيد والأكثر وهنا في هذه الآيات تكرر لفظ الإلقاء ولكنه
تكرر لم يطرده على وقيرة واحدة وانما هو لفظ واحد في معنيين
متضادين متناقضين تفل بهما سبحانه عباده من غاية الكفر والعناد ،
الى نهاية الايمان والسداد فما أعظم الفرق بين الإلقاءين : لقد ألقوا
حبالهم وعصيتهم للكفر والجحود . ثم ألقوا رءوسهم بعد ساعة
لشكر والسجود .

قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ؕ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ
السِّحْرَ فَلَا قِطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ
النَّخْلِ وَلِتَعْلَمُنَّ أَيْنَ أُشِدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا
مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ؕ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ
الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مِّنْ يَّأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَّأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ

عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّتُ عَدْنٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾

الاعراب :

(قال آمنتكم له قبل أن آذن لكم) جملة آمنتكم مقول القول والقائل هو فرعون وآمنتكم الهمزة للاستفهام والتقريع والتوبيخ حذفت الهمزة الأولى وسهلت الثانية وهو فعل ماض وفاعل وله متعلقان بآمنتكم وقبل ظرف متعلق بآمنتكم أيضاً وأن آذن لكم المصدر المؤول مضاف لقبول . (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) ان واسمها واللام المرحلة وكبيركم خبرها والذي صفة وجملة علمكم السحر صلة والسحر مفعول به ثان لعلمكم ، أي أن موسى لكبيركم أي معلمكم وأستاذكم وأعلامكم درجة في صناعة السحر ، قال الكسائي : الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه قال : جئت من عند كبير ، وقال الواحدي : والكبير في اللغة الرئيس ولهذا يقال للمعلم الكبير ، وأراد فرعون من ذلك إلقاء الشبهة على الناس وإدخالها في صدورهم ليستريبوا ولا يؤمنوا وإلا فقد علم أنهم لم يتعلموا من موسى ولا كان رئيساً لهم ولا صلة بينه وبينهم . (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) الفاء الفصيحة واللام موطئة للقسم وأقطعن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر تقديره أنا وأيديكم مفعول به وأرجلكم عطف على أيديكم ومن خلاف حال بمعنى مختلفة ومن ابتدائية كأن القطع ابتدئ من مخالفة العضو للعضو . (ولأصلبنكم في جذوع النخل) الواو حرف عطف ولأصلبنكم عطف على لأقطعن

وفي الظرفية شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف في
الظرف وهو متعلق بأصلبنكم وسيأتي مزيد بحث عنه في باب البلاغة •
(ولتعلمن أيما أشد عذاباً وأبقى) ولتعلمن عطف على لأصلبنكم وأيما
استفهامية مبتدأ وأشد خبر والجملة في محل نصب سادة مسد مفعولي
تعلمن لأن الفعل علق بأي الاستفهامية ويجوز أن تكون أي موصولية
وبنيت لأنها أضيفت وحذف صدر صلتها وقد تقدمت نظائرها كثيراً
وعندئذ تكون هي المفعول به لتعلمن وأشد خبراً لمبتدأ محذوف
تقديره هو وجملة أشد صلة الموصول وأبقى عطف على أشد •
(قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا) لن حرف
نهي ونصب واستقبال ونؤثرك مضارع منصوب بلن والكاف مفعول
به والفاعل مستتر تقديره نحن والجملة مقول قولهم وعلى ما متعلقان
بنؤثرك وجملة جاءنا صلة ومن البينات متعلقان بمحذوف حال والذي
عطف على ما وأخروا ذكر الباري من باب تقديم الأدنى على الأعلى
وسيرد بحث التقديم والتأخير في باب البلاغة وقيل الواو للقسم والذي
مجرور بواو القسم أي مقسم به وهو الله تعالى وفطرنا صلة والجار
والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم وجواب القسم محذوف
تقديره لا نؤثرك على الذي جاءنا من الحق • (فاقض ما أنت قاض إنما
تقضي هذه الحياة الدنيا) الفاء الفصيحة واقض فعل أمر مبني على
حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وما مفعول به وأنت
مبتدأ وقاض خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة
لالتقاء الساكنين وجملة أنت قاض صلة والعائد محذوف أي قاضيه وإنا
كافة ومكفوفة على الأرجح وتقضي فعل مضارع والفاعل مستتر تقديره
أنت ومفعول تقضي محذوف تقديره لباتك أو مأربك وهذه ظرف
والحياة بدل والدنيا صفة والظرف متعلق بتقضي ويجوز أن تكون ما

موصولة أو مصدرية وهي اسم إن والخبر هو الظرف ويجوز إعراب هذه الحياة الدنيا مفعولاً به على السعة . (إنا آمنا برينا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى) إن واسمها وجملة آمنا خبرها وبرينا متعلقان بآمنا واللام للتعليل ويغفر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ولنا متعلقان بيغفر وما عطف على خطايانا أي ليغفر لنا خطايانا ويغفر لنا أيضاً الذي أكرهتنا عليه ولك أن تجعل الواو ابتدائية وما مبتدأ وجملة أكرهتنا صلة والخبر محذوف أي مرفوع عنا وملقى عن كواهلنا وعليه متعلقان بأكرهتنا ومن السحر حال والله مبتدأ وخير خبر وأبقى عطف على خير (إله من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا) إن واسمها ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويأت فعل الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة وفاعل يأت مستتر تقديره هو وربّه مفعول به والهاء مضاف إليه ومجرماً حال من فاعل يأت فإن الفاء رابطة لجواب الشرط وإن حرف مشبه بالفعل وله خبرها المقدم وجهنم اسمها المتأخر وجملة لا يموت فيها حالية من الهاء في له أو من جهنم وفيها متعلقان ييموت ولا يحيا عطف على يموت . (ومن يأت مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) ومن يأت مؤمناً تقدم إعراب ظيورها وجملة قد عمل الصالحات صفة للمؤمنين فأولئك الفاء رابطة وأولئك اسم إشارة مبتدأ ولهم خبر مقدم والدرجات مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر أولئك وجملة فأولئك في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من والعلی صفة للدرجات . (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) جنات عدن بدل من الدرجات العلى أو خبر لمبتدأ محذوف وجملة تجري من تحتها الأنهار

صفة لجنات وخالدين فيها حال من « من » وفيها متعلقان بخالدين وذلك مبتدأ وجزاء خبر ومن مضاف اليه وجمله تزكى صلة .

البلاغة :

معنى لأصلبنكم في جذوع النخل :

قوله « ولأصلبنكم في جذوع النخل » في الكلام استعارة مكنية تبعية وتقريرها انه شبه استعلاء المصلوب على الجذع بظرفية المقبور في قبره ثم استعمل في المشبه « في » الموضوعه للمشبه به أعني الظرفية فجرت الاستعارة في الاستعلاء والظرفية وبتبعيتها في على وفي واذن ، ففي على بابها من الظرفية وهذا أصح الاقوال فيها وقيل ان في بمعنى على فلا يكون في الكلام استعارة .

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي
الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ
فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾
يَبْنِي إِسْرَاءَ يَلَقَدْ أَهْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٨٠﴾ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا
تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾
وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾

اللغة :

(يَبَساً) : بفتحين قال في القاموس : يَبَس الشيء يَبِس من بابي علم وحسب يَبَساً وَيُبَساً واتَّبَس كان رطباً فجف فهو يَبَس وَيَبَس وَيَابَس وَيَبُوس وَيَبِيس وَأَيَبَس « وسمع بعض العرب : جَمَرَت الخبز كي يَابَس ظهره : جعلت عليه الجمر وقد يَبَسَتْ : إذا ذهب نداها وعود يَابَس وعيدان يَبَس والسفينة لا تجري على يَبَس « طريقاً في البحر يَبَساً وهي ترعى اليبس واليبيس : ما يَبَس من النبات فاستعمال العامة للنبات اليبيس ليطبخ في غير أوانه لا غبار عليه ومن المجاز قد يَبَس ما بينهما : إذا تقاطعا ولا توبس الثرى بيني وبينك قال جرير :

أتغلب أولي حلقة ما ذكرتكم بسوء ولكني عتبت على بكر
فلا توبسوا بيني وبينكم الثرى فإن الذي بيني وبينكم مثري

(دركاً) : بفتحين أي أن يدركك فرعون وجنوده والدرك والدرك بفتحين وبفتح الدال وسكون الراء اللحاق وادراك الحاجة وأقصى قعر الشيء يقال بلغ الغواص درك البحر ويقال فرس درك الطريدة أي يدركها ومنه قولهم : ما لحقك من درك فعليّ خلاصه فاستعمال رجال الدرك صحيح لا غبار عليه .

الاعراب :

(ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي) الواو عاطفة أو استئنافية واللام جواب للقسم المحذوف وأوحينا فعل وفاعل والى موسى متعلقان بأوحينا وأن مفسرة وأسر بقطع الهمزة من أسرى فعل

أمر مبني على حذف حرف العلة وبعبادي متعلقان بأسر أي سر بهم ليلاً .
 (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى) فاضرب
 عطف على أسر أي اجعل ، من قولهم ضرب له في ماله سهماً وضرب
 اللبن عمله فقول العامة : ضرب لبناً لا غبار عليه . ولهم متعلقان
 باضرب أي قائم مقام المفعول الثاني وطريقاً مفعول به أول وفي البحر
 صفة ويبساً صفة ثانية وهو وصف لما يثول اليه كما سيأتي في باب
 البلاغة أو مصدر وصف به مبالغة كرجل عدل وصدق وجملة لا تخاف
 حالية من فاعل اضرب أي اضرب غير خائف أو صفة لطريقاً والعائد
 محذوف أي لا تخاف فيه أو هي جملة مستأنفة والأول أظهر ولا نافية
 وتخاف فعل مضارع مرفوع وفاعله أنت ودركاً مفعول به وجملة
 ولا تخشى عطف على لا تخاف . (فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من
 اليم ما غشيهم) الفاء عاطفة وأتبعهم فعل ماض متعد لاثنين حذف
 ثانيهما والتقدير فأتبعهم فرعون عقابه والهاء هو المفعول الأول وقيل
 الباء زائدة في المفعول الثاني والتقدير فأتبعهم فرعون جنوده فهو كقوله
 تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » وأتبع قد جاء متعدياً إلى اثنين
 مصرح بهما قال « وأتبعناهم ذرياتهم » وقيل هو بسعنى تبع يتعدى
 لواحد فتكون بجنوده في محل نصب على الحال فغشيهم الفاء عاطفة
 وغشيهم فعل ماض والهاء مفعوله أي غمرهم وما فاعل وجملة غشيهم
 صلة وهو من الإبهام وسيأتي الكلام عنه مرة ثانية في باب البلاغة .
 (وأضل فرعون قومه وما هدى) الواو عاطفة مع تقديم وتأخير في
 الكلام لأن اضلاله قومه كان قبل العرق طبعاً وأضل فعل ماض وفرعون
 فاعل وقومه مفعول به وجملة وما هدى عطف على أضل وسيأتي الكلام
 عن هذا العطف في باب البلاغة والتهكم فيه . (يا بني إسرائيل قد
 أنجيناكم من عدوكم) يا حرف نداء وبني إسرائيل منادى مضاف وقد

حرف تحقيق وأنجيناكم فعل ماض وفاعل ومفعول به ومن عدوكم متعلقان بأنجيناكم . (وواعدناكم جانب الطور الايسن ونزلنا عليكم المن والسلوى) وواعدناكم عطف على أنجيناكم وواعدناكم فعل وفاعل ومفعول به أول وجانب الطور مفعول به ثان على حذف مضاف أي اتيان جانب ولا يكون ظرفاً لأنه محدود ، والأيمن صفة لجانب ونزلنا عطف على ما قبله لتتمة تعداد النعم الدنيوية والدينية المترادفة عليهم وعليكم متعلقان بنزلنا والمن مفعول به والسلوى عطف على المن وقد تقدم ذكرهما والنداء إما أن يكون لبني إسرائيل بعد انجائهم من البحر وإهلاك فرعون وجنوده وإما أن يكون موجهاً الى اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، خوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم ومع ذلك كبروا بالنعمة وغمطوها وجحدوها فهم علة العلل في مختلف ظروف الزمان والمكان ، وهم أداة تعطيل السلام في كل آن . (كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطفوا فيه فيحل عليكم غضبي) كلوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ومن طيبات متعلقان بكلوا وما مفعول به وجملة رزقناكم صلة ولا تطفوا الواو عاطفة ولا ناهية وتطفوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل وفيه متعلقان بتطفوا فيحل الفاء السببية ويحل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة لأنه وقع في جواب النهي وعليكم متعلقان بيحل وغضبي فاعل وقيل هو معطوف فيكون نهياً أيضاً . (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) الواو عاطفة ومن شرطية مبتدأ ويحلل فعل الشرط وعليه متعلقان بيحلل وغضبي فاعل يحلل والفاء رابطة لجواب الشرط وقد حرف تحقيق وهوى فعل ماض أي هلك والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من على التحقيق . (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) الواو عاطفة وإن واسمها واللام المزحلقة

وغفار خبر إن ولمن متعلقان بغفار وجملة تاب صلة وآمن وعمل عطف وصالحاً مفعول به أو صفة لمصدر محذوف أي عمل عملاً صالحاً ثم اهتدى عطف متأخر باعتبار الانتهاء لبعده عن أول الاهتداء أو للتفاوت بين المرتبتين فإن الاستمرار في التوبة والإيمان والعمل الصالح هو الشرط الأساسي لقبول الأعمال .

البلاغة :

في هذه الآيات أفاين متنوعة من الفنون ندرجها فيما يلي :

١ - المجاز المرسل :

وذلك في قوله يسأ لأنه لم يكن حين خاطبه الله تعالى يسأ ولكن باعتبار ما يثول إليه كقوله تعالى « إني أراني أعصر خمراً » وقد تقدم القول فيه مفصلاً .

٢ - الابهام :

وذلك في قوله « فغشيهم من اليم ما غشيهم » أي علاهم وغمرهم من الأمر الهائل الذي ليس في طوقهم احتمالاه مالا يمكن ادراك كنهه ولا سبر غوره وهو من جوامع الكلم التي يقل لفظها ويتشعب القول في معناها .

٣ - التهكم :

تقدم القول فيه مراراً وهو هنا في قوله « وما هدى » والمعروف أن التهكم هو أن يأتي المتكلم بعبارة والمقصود عكس معناها كقوله « إنك لأنت الحليم الرشيد » وغرضهم وصفه بضد هذين الوصفين وأما قوله تعالى « وما هدى » فمضمونه هو الواقع فهو حينئذ مجرد

إخبار عن عدم هدايته لقومه فأين التهمك ؟ ولكن العرف في مثل ما هدى زيد عمراً بثبوت الهداية لزيد في نفسه ولكنه يؤخذ عليه انه لم يهد عمراً ولكن فرعون ضالٌّ في نفسه بل ان الضلال مركوز في سليقته كامن فيه كمون الطباع الاصيله فكيف يتوهم انه يهدي غيره وإذن فهو جمع بين المثلبتين واكتنفه الشر من ناحيتين فحق لمثله وقد صار مهزأة ان يتهمك به ويكون أداة للتهمك .

٤ - المجاز العقلي :

وفي قوله تعالى « وواعدناكم جانب الطور الايمن » فإن لقائل أن يقول ان المواعدة كانت لموسى عليه السلام فكيف أضيف اليهم ، وإيضاح الجواب الدقيق الذي لم أر من وفتاه حقه أنه مجاز عقلي أسند المواعدة اليهم من قبل الله كما تسند الأمور المدركة الى من ليس له ادراك على حد المجاز العقلي وهذا من أسس ما يصل اليه الأسلوب اللبق تقول لابن صديقك المتعسف المرتطم في حساة الهوان لقد عرفتكم أهل حجا وتصون ، تريد أن تنسب اليه ما هو بعيد عنه بعد الامور المدركة عن غير العقلاء حين تنسب اليهم على طريق المجاز العقلي .

* وَمَا أَجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ

أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ

بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا

قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ

أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾

اللفظة :

(على أثري) : الأثر بقية الشيء والجمع آثار وأثور والخبر
وخرج في أثره وإثره : بعده واثثره وتأثره تبع اثره والأثر فرند
السيف ويكسر كالأثير والجمع أثور •

(السامري) : في القاموس : الذي عبد العجل وكان علجاً من
كرمان أو عظيمًا من بني إسرائيل ينسب الى قبيلة من بني اسرائيل
يقال لها السامرة نسبة الى مقاطعة في فلسطين ، قال في المنجد : وهم
قوم « يخالفون اليهود في نقاط دينية جوهرية منها أنهم لا يقرون من
كتب الوحي إلا أسفار موسى الخمسة المعروفة بالتوراة وانهم يقولون
بواجب العبادة لا في اورشليم ولكن على جبل جريزيم جنوبي شكيم »
وقال في الخازن « واسمه موسى بن ظفر » •

الاعراب :

(وما أعجلك عن قومك يا موسى) الواو عطف على محذوف
يفهم من السياق والتقدير فسار موسى لحضور الميقات مع قوم
مخصوصين وهم السبعون الذين اختارهم موسى من بين قومه ليذهبوا
معه الى جبل الطور ليأخذوا التوراة ، عجل من بينهم شوقاً الى كلام
ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وخلفهم وراءه فقال له تعالى :
وما أعجلك وسميأتي المزيد عن هذا السؤال في باب البلاغة • وما اسم
استفهام مبتدأ وأعجل فعل ماض وفاعل مستتر تقديره هو يعود على ما
والكاف مفعول به والجملة خبر ما وعن قومك متعلقان بأعجلك •
(قال هم أولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى) هم مبتدأ وأولاء
خبر وعلى أثري خبر ثان أو حال وعجلت فعل وفاعل والواو حال

بتقدير قد أو عاطفة واليك متعلقان بعجلت ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وحرف النداء محذوف ولترضى اللام للتعليل وترضى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام لتعليل والجار والمجرور متعلقان بعجلت أيضاً كأنه تعليل لعجلته • (قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري) قال فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله والفاء الفصيحة أي إن شئت أن تعلم مصير قومك ، وإن واسمها وجملة قد فتنا خبرها وهي فعل وفاعل وقومك مفعول به وأضلهم السامري فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر • (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفاً) تقدم القول في فاء التعقيب انها قد تتخلف في وقتها دون أن يحدث فاصل فلم يرجع موسى إلا بعد أن استوفى الأربعين يوماً وأخذ التوراة ، ورجع فعل ماض وموسى فاعل والى قومه متعلقان برجع وغضبان أسفاً حالان • (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً) يا حرف نداء وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة ، ألم الهمزة للاستفهام الانكاري ويعدكم فعل مضارع مجزوم بلم والكاف مفعول به وربكم فاعل ووعداً مفعول مطلق وحسناً صفة • (أفتال عليكم العهد أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي) الهمزة للاستفهام والفاء حرف عطف على محذوف وطلال فعل ماض وعليكم متعلقان بطلال والعهد فاعل وأم حرف عطف معادل للهمزة وأردتم فعل وفاعل وأن وما في حيزها مفعول أردتم وعليكم متعلقان بيحلّ وغضب فاعل يحلّ ومن ربكم صفة لغضب فأخلفتم الفاء حرف عطف وأخلفتم عطف على أردتم وموعدي مفعول أخلفتم •

البلاغة :

الاستفهام من الله تعالى لا يقع لاستدعاء المعرفة ولكنه يخرج عن

معناه الأصلي لأغراض آخر تدرك من سياق الكلام وقد أفاد السؤال هنا أغراضاً نوجزها فيما يلي :

أ - لتعريف المسئول بما يجهله من أمور وقد أراد سبحانه تعريفه بفتنة قومه فقد قيل انهم كانوا نحو ستمائة ألف نفس ما نجا منهم من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفاً .

ب - تبكيت المسئول وتفهيمه وتنبيهه الى خطر ما جاء به من نرك القوم وافساح المجال للسامري كي يضلهم لأنه مغرق في الضلالة وماهر في الإضلال .

ج - تعليم المسئول آداب السفر وهي : انه ينبغي على رئيس القوم أن يتأخر عنهم في السير ليكون نظره محيطاً بهم وناظراً فيهم ومهيماً عليهم ، وقاطعاً الطريق على كل فتنة قد تتسرب الى صفوفهم .

على أن موسى عليه السلام أغفل هذه الامور ولعله ملهمٌ بها ومطلع عليها ولكن الشوق الى لقاء الله والمصارعة الى ميعاده ألهب قلبه فلم يملك عنان صبره الجامح وذلك شأن الموعود بما طال حنينه اليه يودّ لو امتطى أجنحة الطير واستبق الساعات وهل ثمة ما يلهب الشوق مثل مواعدة الله ؟

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا

يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٩٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونَ مِنْ قَبْلُ يَنْقُومُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ^ط وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿١٠٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْزُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ^ط ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعُنِ أَفْعَصَبْتَ أَمْرِيَ ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَبَتِي وَلَا بِرَأْسِي ^ط إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمُرِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ^ط فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ^ط وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ ^ط وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ^ط لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

اللفظة :

(بملكنا) : بقدرتنا مصدر ملك وهو مثلث الميم وفي القاموس وشرحه التاج ملك يملك من باب تعب مملكا ومثلكا وميلكا بفتح الميم وضمها وكسرهما وملكة ومملكة بفتح اللام ومملكة بكسرهما

ومسلكة بفسها الشئء اءءواء قاءراً على ءءصرف والاسءءءاء به وملك على القوم : اسءولى علىهم وملك على فلان أمره اسءولى علىه وملك نفسه قدر على ءبسها وملك المرأة ءزوجها •

(أوزاراً) : أثقالاً وأرءءوا بها ءلى القبط ءى اسءعاروها منهم وأرءءوا بالأوزار انها آءام وءبعاء لأنهم اسءعاروها منهم ولىس لهم فىها ءق •

(ءوار) : بضم ءءاء صوء البقر والعءاءىل وعبر بالءسء مع أنه لا ىقال للءاقل : ولأن الءسء لا ىقال إلا للأنسان ءغلىباً وءشبىها له بالءاقل كأنه ءاىر البقر ولا ىقال ءسء لءىر الإنسان إلا للزءفران وىقال ءساد بفتح الءىم أىضاً وللءم إذا ىبس وىقال له ءاسء أىضاً •

(ىا ابن أم) : سىأتى فى باب الفواءء •

(فقبضء) : قبض ىقبض من باب ءلس ىىءه الشئء وعلى الشئء : أمسكه ىىءه وضم علىه أصابعه وقبض ىىءه عن الشئء : امءنم عن إمساكه وقبضه عن الأمر أنءاء وقبضه الله أماءه وقبض الشئء : ءلاف بسطه ووسعه وقبض الطائر ءناءه : ءمعه وقبض الءار ونءوها ءسلمها وقبض منه المال : أءءه لنفسه وقبض قبضة أءءها وىقال فبص بالصاد المءملة لأنها ءءعاقبان فى ءثر من الءلساء ءورء أهمها فىما ىلى :

قال ىعقوب بن السكىء : وقبضء قبضة وقبضء قبضة وىقال : إن القبضة أقل من القبضة وقال ءىره : القبص بأطراف الأصابع والقبض بالكف ءلها وىقال عاء الى ضئضئه وصئضئه أى الى أصله والهمز الأصل وأنشد :

أنا من ضئىء صدق بخ ومن أكرم حُذُل
من عزاني قال به° به° سِنْخُ ذا أكرم أصل

الحُذُل : الحِجْر وقال اللحياني : بخ بخ وبه به تقال للانسان
إذا عَظَّمَ ، وقال أبو عمرو : ما يَنْثُوصُ بِحاجة وما يقدر على أن
يَنْثُوصَ أي يتحرك ومنه قوله عز وجل : « ولات حين مناص » ومناص
ومناض واحد ويقال : أنقاص وأنقاض بمعنى واحد وقال الأصمعي :
المُنْقَاض : المنقعر من أصله والمنقاص : المنشقّ طولاً وقال أيضاً :
مضمض لسانه وممصص لسانه إذا حركه وقال اللحياني : يقال : إنه
لَتَصِلَ أَصْلَالٌ وَضِلَّ أَضْلَالٌ والصل الحية التي تقتل إذا نهشت من
ساعتها ويقال مصمص إناءه ومضمضه إذا غسله فقول العامة مصمص
العظم صحيح لا غبار عليه .

(بصرت) : بصر بالشيء بضم الصاد وأبصره بمعنى علمه وهو
من باب ظرف ويقال بصر بالكسر من باب علم .

(مساس) : بكسر الميم مصدر ماس وستأتي حقيقة هذا التركيب
في باب الاعراب .

الاعراب :

(قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) قالوا فعل وفاعل وما نافية
وأخلفنا فعل وفاعل وموعده مفعول به وبملكنا جار ومجرور متعلقان
بمخنوف حال أي حال كوننا مالكين أمرنا ولكننا غلبنا على أمرنا من
جهة السامري وكيده . (ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم) الواو

عاطفة ولكن واسمها وحملنا فعل ماضي بالبناء للسجھول ونا فائب فاعل وأوزاراً مفعول به ثان ومن زينة القوم صفة . (فقدفناها فكذلك ألقى السامري) الفاء عاطفة وقدفناها فعل وفاعل ومنفعل وهو معطوف على محذوف أي فقال لنا السامري أقذفوها في النار لأن موسى تأخر عنكم بسببها فقدفناها الفاء حرف عطف وكذلك نعت لمصدر محذوف وقد تقدم كثيراً وألقى السامري فعل وفاعل . (فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار) الفاء عاطفة وأخرج فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على السامري والعطف على فأضلهم السامري لئلا يتوهم أنه من كلامهم ولهم متعلقان بأخرج وعجلاً مفعول به وجسداً حال من عجلاً ولكن يشكل على هذا الأعراب الذي اختاره عدد من المفسرين أن صاحب الحال لا يكون إلا معرفة ولعل هذا العجل الذي أخرجه السامري من الحفرة التي فيها تراب اثر حافر الرسول الى موسى كما سيأتي صار بحكم المعرفة نقول ولا مانع من إعرابه بدلاً من عجلاً وجملة له خوار من الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر صفة . (فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي) الفاء حرف عطف وقالوا فعل وفاعل وهذا مبتدأ وإلهكم خبر وإله موسى عطف على إلهكم فنسي الفاء حرف عطف ونسي فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على موسى أي نسي ربه فذهب يطلبه وقيل الضمير يعود على السامري أي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر . (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً) الهمزة للاستفهام والفاء حرف عطف ولا نافية ويرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وأن مخففة من الثقيلة ولا نافية ويرجع فعل مضارع واسم أن المخففة ضمير الشأن أي انه ، وفاعل يرجع مضمرة تقديره هو يعود على العجل واليهم متعلقان يرجع وقولا مفعول به ولهذا ارتفع الفعل بعدها . (ولقد

قال لهم هارون من قبل (الواو حرف عطف واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وقال لهم هارون فعل ماض وفاعل ومن قبل متعلقان بمحذوف حال أي قبل رجوع موسى • (يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري) يا حرف نداء وقوم منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة وإنما كافة ومكشوفة وفتنتم فعل ماض مبني للمجهول والتاء نائب فاعل والميم علامة جمع الذكور وبه متعلقان بفتنتم وإن ربكم الرحمن أن واسمها وخبرها والفاء الفصيحة واتبعوني فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به وأطيعوا أمري عطف على اتبعوني • (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) لن حرف نهي ونصب واستقبال ونبرح فعل مضارع ناقص منصوب بلن واسمها ضمير مستتر تقديره نحن وعليه متعلقان بعاكفين وعاكفين خبر نبرح ، حتى حرف غاية وجر ويرجع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والينا متعلقان يرجع وموسى فاعل وهذا التعليق الذي جعلوه غاية لعكوفهم لم يكن منهم إلا تسويفاً وتعللاً ليس من قبيل الوعد بترك عبادته بعد رجوع موسى • (قال يا هارون ما منعك إذا رأيتهم ضلوا) ما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة منعك خبر وإذا ظرف متعلق بمنعك وجملة رأيتهم مضافة للظرف ورأيتهم فعل وفاعل ومفعول به وجملة ضلوا حالية أو مفعول به ثان لرأيتهم إذا اعتبرتها قلبية • (أن لا تتبعني أف عصيت أمري) أن حرف مصدرى ونصب ولا مزيدة أي أي شيء منعك من اتباعي في الغضب لله وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ، والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على مقدر وعصيت فعل ماض وفاعل وأمرى مفعول به • (قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) يا ابن أم يا حرف نداء وابن أم اسمان مبيانان على الفتح لتركبهما تركب الأعداد مثل خمسة

عشر أو الظرف مثل صباح مساء فعلى هذا ليس ابن مضافاً الى أم بل هو مركب معها فحركاتها حركة بناء وقد تقدم تفصيل هذا التركيب في « الأعراف » وعلى كل فهما في محل نصب منادى وانما اقتصر في خطابه على الأم مع أنه شقيقه لأن ذكر الأم أعطف لقلبه ، ولا ناهية وتأخذ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل مستتر تقديره أنت وبلحيثي متعلقان بتأخذ ولا برأسي عطف على بلحيثي . قيل كان موسى مجبولاً على الحدة والغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون غير الله أن أخذ برأس أخيه وبشعر وجهه يجره إليه . (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي) ان واسمها وجملة خشيت خبر إن وأن وما في حيزها مفعول خشيت وجملة فرقت مفعول القول وبين ظرف مكان متعلق بفرقت وبني إسرائيل مضاف اليه ولم ترقب قولي عطف على فرقت أي وخشيت أن تقول لم ترقب قولي وعلى هذا يكون الضمير في قولي واقعاً على موسى ، ويجوز عطفها على خشيت فيكون الضمير في قولي واقعاً على هارون . (قال فما خطبك يا سامري) قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على موسى والفاء عاطفة أو استئنافية وما استفهامية مبتدأ وخطبك خبر ويا حرف نداء وسامري منادى مفرد علم . (قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول) جملة بصرت مفعول القول وفاعل قال هو أي السامري ، وبما متعلقان ببصرت وجملة لم يبصروا به صلة ، فقبضت عطف على بصرت وقبضة مفعول به ، وهي مصدر مرة من قبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر ، ومن أثر صفة لقبضة وأثر مضاف والرسول مضاف اليه على تقدير محذوفين أي من أثر حافر فرس الرسول والمعنى من تربة موطنه ، وتفصيل القصة في المطولات وسنلخص لك ما قالوه في باب البلاغة (فنبذتها وكذلك سوت لي

(تفسي) فنبذتها عطف على قبضت أي ألقبها ، وكذلك نعت لمصدر محذوف وقد تقدم وسولت لي تفسي فعل وفاعل أي زينت لي تفسي .
 (قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس) قال فعل ماض وفاعله يعود على موسى ، فاذهب الفاء عاطفة واذهب فعل أمر فاعله أنت ، فإن الفاء عاطفة وإن حرف مشبه بالفعل ولك خبرها المقدم وفي الحياة متعلقان بمحذوف حال وأن وما بعدها اسم إن ولا نافية للجنس ومساس اسم لا والخبر محذوف فهو مبني مع لا الجنسية والمراد به النهي أي لا تمسني ولا أمسك ، ومساس مصدر ماس كقتال مصدر قاتل ، قال الزمخشري : « عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أظم منها وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعاً كلياً وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضاً وإذا اتفق أن يماس أحداً رجلاً أو امرأة حم الماس والمسوس فتحامي الناس وتحاموه » . (وإن لك موعداً لن تخلفه) وإن حرف مشبه بالفعل ولك خبرها المقدم وموعداً اسمها المؤخر ولن حرف هي ونصب واستقبال وتخلفه منصوب بلن ونائب الفاعل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به ثان . (واقظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنك في اليم نفساً) واقظر الواو عاطفة واقظر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وإلى إلهك متعلقان باقظر ، والذي صفة وجملة ظلت صلة وظلت فعل ماض ناقص ، وأصله ظللت بلامين وأولاهما مكسورة حذفت تخفيفاً ، وعليه متعلقان بعاكفاً وعاكفاً خبر ظلت ، ولنحرقنه اللام موطئة للقسم ونحرقنه فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به ، ثم حرف عطف لنسفنك مثل نحرقنه وفي اليم متعلقان بنسفنك ونسفاً مفعول مطلق .
 (إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً) إنما كافة

ومكفوفة وإلهكم مبتدأ والله خبره والجملة مستأنفة والذي نعت وجملة لا إله إلا هو صلة وقد تقدم اعرابها كثيراً ووسع فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وكل شيء مضاف إليه وعلماً تمييز من فاعل وسع .

البلاغة :

الايجاز في هذه الآيات واضح جداً وهو في كل واحدة ، لأن تسلسل الحوادث يقتضي تقدير جمل لا بد منها ، وقد أشرنا إليها إشارات واضحة تجزىء عن إعادتها ولكننا نورد هنا إيجازاً بالحذف ورد في قوله تعالى « فقبضت قبضة من أثر الرسول » فقد حذف المضاف مكرراً هنا والتقدير من أثر حافر فرس الرسول وهذا الحذف شائع كثيراً في القرآن كقوله تعالى « ولكن البر من اتقى » وقوله « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون » فحذف المضاف الى يأجوج ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية في قوله تعالى : « واسأل القرية » أي أهل القرية وقد ورد في الشعر أيضاً ومما جاء منه قول الخزيمي يرثي أبا الهندام وهو من شعراء الحماسة :

إذا لاقيت قومي فاسألهم كفى قوماً بصاحبهم خيراً
هل أعفو عن أصول الحق فيهم إذا عسرت وأقتطع الصدورا

أراد أنه يقتطع ما في الصدور من الضغائن أي يزيل ذلك بإحسانه من عفو وغيره فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وحذف المضاف أكثر من حذف المضاف إليه ومما جاء من حذف المضاف إليه في القرآن الكريم قوله تعالى « لله الأمر من قبل ومن بعد » أي من قبل الغلب ومن بعده .

خلاصة قصة السامري :

هذا وسنخرج عن النطاق الذي ترسمناه في هذا الكتاب وهو نطاق الاعراب واللغة والبيان فنورد لمحة خاطفة عن قصة السامري لعلاقتها بنا نحن بصدد تاركين للقارىء مجال الرجوع الى المطولات .
ففي الوقت الذي حل ميعاد الذهاب الى الطور أرسل الله الى موسى جبريل راكباً حيزوم فرس الحياة ليذهب به ، فأبصره السامري فقال :
إن لهذا شأنًا فقبض قبضة من أثر تربة موطنه فلما سأله موسى عن قصته قال : قبضت من أثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل ، وقيل انه كلما وضعت الفرس حافرها على شيء اخضر ، فعرف أن للتراب الذي تضع الفرس حافرها عليه شأنًا وقيل غير ذلك مما لا تطمئن اليه النفس ويحتاج الى كثير من التمهيص .

الفوائد :

صاحب الحال :

الأصل في صاحب الحال التعريف لأنه محكوم عليه بالحال وحق المحكوم عليه أن يكون معرفة لأن الحكم على المجهول لا يفيد غالباً ، ويقع صاحب الحال نكرة بسوغ يقربه من المعرفة وذلك في المواضع التالية :

١ - إذا تقدمت عليه الحال نحو في الدار جالساً رجل ، وقول

كثير عزة :

لمية موحشاً طلل يلوح كأنه خلل

وفي المغني ان تقديم حال النكرة عليها ليس لأجل تسوية الحال فيها بل لئلا يلتبس الحال بالصفة .

٢ - أن يكون صاحبها مخصوصاً بوصف كقول الشاعر :

نجيت يا رب نوحاً واستجبت له في فلك ماخر في اليم مشحونا

فمشحوناً حال من فلك لوصفه بساخر .

٣ - أن يكون صاحبها مخصوصاً بإضافة كقوله تعالى « في أربعة أيام سواء للسائلين » فسواء حال من أربعة لاختصاصها بالاضافة الى أيام .

٤ - أن يكون صاحبها مخصوصاً بمفعول نحو : عجبت من ضرب أخوك شديداً ، فشديداً حال من ضرب لاختصاصه بالعمل في الفاعل وهو أخوك .

٥ - أن يكون صاحبها مخصوصاً بعطف نحو : هؤلاء أناس وعبد الله منطلقين ، فمنطلقين حال من أناس لاختصاصه بالعطف عليه وهو عبد الله .

٦ - أن يكون صاحبها مسبوقاً بنفي كقوله تعالى « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم » فجملة ولها كتاب معلوم حال من قرية لكونها مسبوقة بالنفي ، وقد مرّ أن الزمخشري يرد هذا القول ويجعل الجملة صفة لقرية وانما توسطت الواو بينهما لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف .

٧ - أن يكون صاحبها مسبوقاً بنهي كقول الطرماح :

لا يركنن° أحد الى الاحجام يوم الوغى متخوفاً لحسام

فستخوفاً حال من أحد لأنه مسبوق بالنهي •

٨ - أن يكون صاحبها مسبوقاً باستفهام كقول أحد الطائين :

يا صاح هل حم عيش باقياً فترى

لنفسك العذر في إبعادها الأمل

فباقياً حال من عيش لكونه مسبوقاً بالاستفهام بهل ، وصاح منادى مرمخ صاحب على غير قياس وحم بالحاء المهملة بسعنى قدر والإبعاد مصدر أبعد والأمل مفعوله •

هذا وقد يقع صاحب الحال نكرة بلا مسوغ كقولهم عليه مائة بيضاً ، فييضاً بلفظ الجمع حال من مائة وليس تمييزاً خلافاً للسبرد لأن تمييز المائة لا يكون جمعاً منصوباً ولا مجروراً وهو من أمثلة سيبويه ، وفي الحديث : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً ووراءه رجال قياماً ، فقياماً حال من رجال وهو نكرة بلا مسوغ •

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ^ج وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ

لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿٢٠٠﴾

خَالِدِينَ فِيهِ ^ط وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿٢٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ^ج

وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿٢٠٢﴾ يَخْفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿٢٠٣﴾

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿٢٠٤﴾

اللفظة :

(وزراً) : حملاً ثقيلاً والمراد بها هنا العقوبة الثقيلة المرهقة الباهظة ، سماها وزراً تشبيهاً لها في ثقلها على من يحل به العقاب بالحمل الثقيل ينوء به الكاهل ويرزح الحامل تحت عبئه الفادح .

(زرقاً) : جمع أزرق وسبب اختياره لعيونهم يوم القيامة لوجهين :

١ - ان الزرقة أبغض شيء من ألوان العيوب الى العرب لأن الروم كانوا أعداءهم وهم زرق العيون ومن أقوالهم في صفة العدو : « أسود الكبد ، أصهب السبال ، أزرق العين » فأصهب من الصهبة بالصاد المهسلة وهي حمرة أو شقرة في الشعر ، والسبال : ما على الشارب من الشعر ومقدم اللحية والاثنان مرادان بها هنا وقال بشار في وصف البخيل :

وللبخيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود

وهو من أبيات ممتعة نوردتها بكاملها :

ظل اليسار على العباس ممدود	وقلبه أبداً بالبخل معقود
إن الكريم ليخفي عنك عسرته	حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل	زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرهت أن تعطي القليل ولم	تقدر على سعة لم يظهر الجود
أورق بخير ترجي للنوال فما	ترجي الشار إذا لم يورق العود
بثّ النوال ولا تمنعك قلتة	فكل ما سدّ فقراً فهو محسود

٢ - ان المراد العمى لأن حدة من يذهب نور بصره تزدق •
(يتخافتون بينهم) أي يخفضون أصواتهم ويخفونها لما لحقهم من الرعب والهول وفي المختار : خفت الصوت سكن وبابه جلس والمخافة والتخافت والخفت بوزن السبت : أسرار المنطق •

(أمثلهم) : أفضلهم وأعدلهم رأياً أو عملاً في الحياة الدنيا وجسعه أمائل ومثّل ومؤثته مثلى ، وأمائل القوم خيارهم ، والطريقة المثلى الشبهى بالحق ويقال المريض اليوم أمثل أي أحسن حالة ، وقال امرؤ القيس يصف الليل من معلقته :

وليل كموج البحر أرخى سدوله	عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه	وأردف إعجازاً وناء بكل كل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجل	بصبح وما الإصباح منك بأمثل

الاعراب :

(كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً)
كذلك : نعت لمصدر محذوف أي كما قصصنا يا محمد هذه القصة ونقص فعل مضارع فاعله مستتر تقديره نحن وعليك متعلقان بنقص ومن أنباء صفة لموصوف محذوف هو مفعول به لنقص أي نقص نبأ من أنباء ، وما مضاف إليه وجملة قد سبق صلة ، وقد الواو عاطفة وقد حرف تحقيق وآتيناك فعل ماض وفاعل ومفعول به ومن لدنا حال لأنه كان صفة لذكراً ، وذكرنا مفعول به ثان أي قرآنًا • (من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً) من شرطية في محل رفع مبتدأ وأعرض فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر تقديره هو

وعنه متعلقان بأعرض والفاء رابطة وان واسمها وجملة يحمل خبرها والفاعل مستتر تقديره هو ويوم القيامة ظرف متعلق بيحمل ووزراً مفعول وجملة من أعرض في محل نصب نعت لذكر أي قرآناً منظوياً مشتملاً على هذه القصص يحمل المعرض عنها وزراً كاملاً يوم القيامة . (خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً) خالدين حال وفيه متعلقان بخالدين والضمير يعود للوزر أي في العقاب المتسبب عنه ففي الكلام مجاز كما سيأتي ، وساء الواو حالية أو عاطفة وساء فعل ماض من أفعال الذم وقد تقدم كثيراً وفاعله مستتر مميز بنكرة وهو حملاً والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم ، ولهم متعلقان بقول مقدر أي يقال لهم هذا الكلام ، وقيل هي كاللام في هيت لك أي لمجرد البيان فراجع سورة يوسف . ويوم القيامة ظرف متعلق بساء وحملاً تمييز . (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً) الظرف بدل من يوم القيامة وجملة ينفخ مضافة الى الظرف وينفخ فعل مضارع بالبناء للمجهول وفي الصور متعلقان ينفخ ، ونحشر الواو عاطفة ونحشر فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن والمجرمين مفعول به ويوم ظرف أضيف الى ظرف مثله متعلق بنحشر والتنوين في إذ عوض عن جملة وزرقاً حال من المجرمين . (يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً) الجملة حال من المجرمين أو مستأنفة مسوقة لبيان حالهم في ذلك اليوم ويتخافتون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل وبينهم ظرف متعلق يتخافتون ، وإن لبثتم جملة منصوبة بقول دل عليه يتخافتون والقول نصب على الحال أي قائلين في السر ، وان نافية ولبثتم فعل وفاعل وإلا أداة حصر وعشراً ظرف زمان ذهاباً الى الليالي لأن الشهور غررها الليالي فتكون الأيام داخلة تبعاً وتخافتهم فاجم عن الرعب الذي داخلهم ، فكان أيام الدنيا لم تكن شيئاً مذكوراً

فهم يتذكرون أيام السرور التي سنحت لهم في الدنيا كيف مرت عليهم
كظل الطائفة .

(نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً)
نحن مبتدأ وأعلم خبر وبما متعلقان بأعلم وجملة يقولون صلة ، وإذ
ظرف متعلق بأعلم وجملة يقول مضافة إلى الظرف وأمثلهم فاعل وطريقة
تمييز وإن نافية ولبثتم فعل وفاعل وإلا أداة حصر ويوماً ظرف متعلق
بلبثتم .

البلاغة :

المجاز المرسل في قوله « خالدين فيه » أي في الوزر ، والوزر
لا يقام فيه ولكن أراد العقاب المتسبب عن الوزر ، فالعلاقة فيه السببية .

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا
قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ
الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا
﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ عِندَ
﴿١١٠﴾ * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا

﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا
 هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ
 يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا
 تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ
 زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾

اللفظة :

(قاعاً) : القاع : أرض سهلة مطمئة قد اخرجت عنها الجبال
 والآكام والجمع أقتواع وأقتووع وقيع وقيعان وقيعة ، وقيل هو
 المنكشف من الأرض ، وقيل المستوي الصلب منها ، وقيل مالا نبات
 فيه ولا بناء .

(صفصفاً) : الصفصف : الأرض المستوية الملساء كأن أجزاءها
 صف واحد من كل جهة ، وفي القاموس : المستوي من الأرض ، وقاع
 صفصف مستو مطمئن فهو بمثابة التأكيد للقاع لأنه بمعناه .

(أمتاً) : الأمت هو التنوُّ السير ، يقال مدَّ حبله حتى ما فيه
 أمت وقيل : الأمت هو التل وهو قريب من الأول وقيل الشقوق في
 الأرض وقيل الآكام وفي القاموس « أمتَه يَأْمَتُه قدره وحزره كأمتته
 وقصده وأجل مأموت مؤقت والأمت المكان المرتفع والتلال الصغار
 والانخفاض والارتهاع والاختلاف في الشيء والجمع أمات وأموت »

والضعف والوهن والطريقة الحسنة والعوج والعيب في الفم وفي الثوب والحجر وأن يغلظ مكان ويرق مكان والمؤمّت المملوء والمتهم بالشر ونحوه والخمر حرمت لا أمت فيها أي لا شك في حرمتها » •

(همساً) : الهمس : الصوت الخفي وهو مصدر همست الكلام من باب ضرب إذا أخفيته ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت أخفافها إذا مشت •

(وعنت) : في المختار : عنا يعنو من باب سما يسمو سواً فالألف محذوفة قبل تاء التأنيث لالتقاء الساكنين إذا ذل وخضع ومنه العناة جمع عان وهو الأسير •

(هضمًا) : الهضم : النقص ، تقول العرب : هضمت لزيد من حقه أي نقصت منه ، ومنه هضم الكشحين أي ضامرهما ، قال امرؤ القيس :

إذا قلت هاتي نولين تمايلت علي هضم الكشح ريا المخلخل

ورجل هضم ومهضم أي مظلوم ، وهضمته واهتضمته وتهضمته كله بمعنى •

الاعراب :

(ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً) الواو للاستئناف والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير تعنتهم واصرارهم على الجدل والمكابرة والاستهزاء ، ويسألونك فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والكاف مفعول به ، فقل الفاء عاطفة وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وجملة ينسفها مقول القول والهاء مفعول به مقدم وربّي

فاعل مؤخر ونسفاً مفعول مطلق • (فيذرها قاعاً صنفصفاً) الناء عاطفة وبذرها فعل مضارع والفاعل مستتر تقديره هو أي الله تعالى والهاء مفعول به وقاعاً لك أن تعربها حالاً من الضمير المنصوب أو مفعولاً به ثانياً لتضمنين يذر معنى التصيير ، وصفصفاً حال ثانية أو بدل من المفعول الثاني وأعربها بعضهم صفة له • (لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) الجملة حال ثالثة أو حال أولى ولا نافية وترى فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت وفيها متعلقان بترى وعوجاً مفعول به ولا أمتاً عطف • وسيأتي مزيد من التقرير حول هذه الآية في باب البلاغة • (يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له) الظرف متعلق بيتبعون أو بدل من يوم القيامة المتقدم وقد تقدم تقرير إضافة يوم إلى الظرف ويتبعون الداعي فعل مضارع وفاعل ومفعول به ولا نافية للجنس وعوج اسمها مبني على الفتح وله خبرها وجملة لا عوج له حال من الداعي أو صفة لمصدر محذوف أي يتبعونه اتباعاً لا عوج له ويجوز أن تكون مستأنفة والأول أظهر لأن الضمير في له يعود عليه أي لا عوج لدعائه بل يسمع جميعهم فلا يميل إلى أناس دون أناس • (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً) الواو عاطفة وخشعت الأصوات فعل وفاعل وللرحمن متعلقان بخشعت والفاء عاطفة ولا نافية وتسمع فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو وإلا أداة حصر وهمساً مفعول به لأن الاستثناء مفرغ • (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً) الظرف متعلق بتنفع واذا مضاف ولا نافية وتنفع الشفاعة فعل مضارع وفاعل ، وإلا أداة حصر ومن يجوز فيه أن يكون مفعولاً لتنفع وعندئذ تكون من واقعة على المشفوع ويجوز أن يكون بدلاً من الشفاعة على قاعدة المستثنى المنفي أو النصب على الاستثناء المتصل من الشفاعة ولا بد في هذين الوجهين من تقدير مضاف تقديره إلا شفاعة من أذن له وإذا

اعتبر مستثنى منقطعاً وجب نصبه فتلخص فيه أربعة أوجه متقاربة
الرجحان ورجح الزمخشري الرفع على البدلية وتبعه القاضي البيضاوي .

وجملة أذن له الرحمن صلة ورضي له قولاً عطف على أذن له
ورجح أبو البقاء النصب على المفعولية . (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم
ولا يحيطون به علماً) الجملة استئنافية مسوقة لتقرير علمه تعالى
ما تقدمهم من الأحوال وما يستقبلهم ، ويعلم فعل مضارع مرفوع
وفاعله مستتر تقديره هو وما مفعول به وبين ظرف متعلق بمحذوف
صلة الموصول وأيديهم مضافة لبين ، وما خلفهم عطف على ما بين
أيديهم ، ولا يحيطون لك أن تجعل الواو عاطفة ولك أن تجعلها حالية ،
ويحيطون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون وبه متعلقان يحيطون
وعلماً مفعول به . (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل
ظلماً) وعنت الوجوه فعل وفاعل وللحي متعلقان بعنت والقيوم صفة ،
وسياتي المراد بالوجوه في باب البلاغة والواو حالية وجملة وقد خاب
حالية ومن فاعل خاب وجملة حمل ظلماً صلة . (ومن يعمل من
الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) الواو عاطفة على وقد
خاب ، ومن شرطية مبتدأ ويعمل فعل الشرط ومن الصالحات صفة
لمفعول به محذوف أي ومن يعمل أعمالاً من الصالحات والواو حالية
وهو مبتدأ ومؤمن خبر والفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية ويخاف
فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو وظلماً مفعول به ولا هضماً عطف
على ظلماً وجملة لا يخاف خبر لمبتدأ محذوف والتقدير فهو لا يخاف ،
وجملة فهو لا يخاف في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه
خبر من . (وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً) الكاف صفة لمصدر محذوف
أي مثل ذلك الانزال أنزلناه وقرآناً حال وعربياً صفة . (وصرّفنا فيه

من الوعيد لعلمهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً) وصرفنا فعل وفاعل وفيه متعلقان بصرفنا ومن الوعيد صفة لمفعول محذوف أي صرفنا وعيداً من النوعيد ، ولعل واسمها وجملة يتقون خبرها وأو حرف عطف ويحدث عطف على يتقون ولهم متعلقان يحدث وذكراً مفعول به ، وفاعل يحدث هو أي القرآن • (فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علماً) الفاء استئنافية وتعالى الله فعل ماض وفاعل والملك الحق صفتان لله ولا تعجل الواو عاطفة ولا ناهية وتعجل فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وبالقرآن متعلقان بتعجل ومن قبل متعلقان بتعجل وأن يقضى المصدر المؤول مضاف لقبلى واليك متعلقان يقضى ويقضى فعل مضارع مبني للمجهول ووحيه نائب فاعل ، وقل عطف على لا تعجل ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وزدني فعل أمر والنون للوقاية والياء مفعول به أول وعلماً مفعول به ثان أو تمييز •

البلاغة :

في قوله تعالى : « لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً » فن طريف ينهل العقول ، ويسكر العواطف ، ولا يكاد يدركه إلا من أودع الله فيهم سر البيان ، وارتاضوا بالمعاناة والدربة على إدراك النكت التي تعز على من رامها وتطول ، وهذا الفن سموه فن « التنكيت » وحدته أن يخص المتكلم شيئاً بالذكر دون غيره مما يسد مسده وما يقتضيه ظاهر الكلام لأجل نكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه ، وهو كثير في القرآن الكريم وسيرد في مواطنه ، أما في هذه الآية فقد تقدم في الكهف أن أهل اللغة فرقوا بين العوج والعوج فقالوا : العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الأعيان ولذلك قال في الكهف « الحمد لله الذي

أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجاً » أما في هذه الآية فالأرض عين فكيف صح فيها المكسور العين ؟ أوليس مقتضى اللغة يوجب أن يستعمل العوج بالفتح ؟ وهنا يأتي هذا الفن ليسبر غور هذه النكتة التي تدق على النظرة السطحية الأولى ، ولا تقف عند التقارير اللغوية ، فنقول : إن اختيار العوج بالكسر في الآية له موضع حسن بديع في استواء الأرض ووصفها بالملاسة وانتفاء الاعوجاج عنها على أبلغ وجه ، وذلك أفك لو عمدت إلى قطعة من الأرض فسويتها وبالغت في تسويتها على عينك وعلى عيون البصراء بالأراضي واتفقتم بالاجماع على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم عمدت الى المهندس تستطلع رأيه لا بحسب الحدس والتخمين والنظر المجرد بل بحسب المقاييس الهندسية المبنية على العلم الدقيق لعشر فيها على عوج في غير موضع ، لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي الذي لا يضل ولا يعزب عنه القليل النادر . فنفى الله سبحانه ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك والفهم اللهم إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة ، وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الاحساس ولحق بالمعاني وسما عن الأعيان فقليل فيه عوج بالكسر .

وقد مرّ معنا وسيمر في هذا الكتاب نماذج رائعة لهذا التنكيت الذي ظهر لك في هذه الآية الكريمة مما لا يدركه إلا الحذاق الملهسون ، فلنرجى القول فيها وسنعرض الآن على ناظرينك نماذج من الشعر الجميل التي اشتملت على نكتة بارعة لتكون لك معالم صبح تحتذيها ، فمن ذلك قول الخنساء ترثي أخاها صخرأ :

يذكرني طلوع الشمس صخرأ وأذكره لكل غروب شمس

وقد سئل الأصمعي عن قولها هذا : لم اختصت فيه طلوع الشمس وغروبها دون أثناء النهار ؟ فقال لأن طلوع الشمس وقت الركوب الى الغارات وغروب الشمس وقت قرى الضيفان .

ومنه قول الحسن بن هانئ ، أبي نواس :

ألا فاسقني خمرأ وقل لي هي الخمر

ولا تسقني سرأ إذا أمكن الجهر

فقال « وقل لي هي الخمر » وذلك لأن الحواس الأربع قد التذت حين شربها وبقيت حاسة واحدة لم تستكمل لذتها وهي حاسة السمع فقال « وقل لي هي الخمر » ليسمع ذلك فتكمل له اللذة بجميع حواسه .
ونكتفي الآن بما تقدم ولنا عودة الى هذا الفن الجميل .

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا
يَتَّخِذْ إِنْ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ
﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا
تَصْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ
شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا

وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾
 ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا
 بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ
 فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾

اللفظة :

(تضحى) : يتتابك حر الشمس في الضحى وفي القاموس :
 « وضحا يضحو كغزا يغزو ضحواً برز للشمس وكسعى ورضي ضحواً
 وضحياً أصابته الشمس » •

(وسوس) : وسوسة الشيطان كولولة الشكلي ووعوعة الذئب
 في أنها حكايات للأصوات ، وستحدث عن أسماء الاصوات وحكاياتها
 في باب الفوائد ، وجاء في القاموس : « وسوس وسواساً ووسوسة
 الشيطان له وإليه حدثه بشر أو بما لا تقع فيه ولا خير ووسوس الرجل :
 أصيب في عقله وتكلم بغير قلام وأصابته الوسواس فهو موسوس
 وتكلم بكلام خفي ، والوسواس صوت الحلي ، ووسوس الرجل كلمه
 كلاماً خفياً ، ووسوس به بالبناء للمجهول اختلط كلامه ودعش ،
 والوسواس الاسم من وسوس ، والوسواس الشيطان ، والوسواس
 مرض يحدث من غلبة السوداء ويختلط معه الذهن ويقال لما يخطر
 بالقلب من شر أو لما لا خير فيه وسواس وجمعه وسواس •

(سوءاتها) : عوراتهما وقد تقدمت •

(يخصفان) : أي يلزقان من خصف النعل وهو أن يخرز عليها
الخصاف أي يلزقان ورق الشجر بعضه ببعض حتى يصير عريضاً
صالحاً للاستتار •

(اجتباه) : اصطفاه وقربه من جبي إلي كذا فاجتبته فالمجتبي
كأنه في الأصل من جمعت فيه المحاسن حتى اختاره غيره •

الاعراب :

(ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً) جملة
مستأنفة مسوقة لتقرير مساويء النسيان الذي هو صنو الجهل وقرينه
ولذلك يجب التحوط منه والدعاء دائماً بقوله تعالى « وقل رب زدني
علماً » • واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وعهدنا فعل
وفاعل والى آدم جار ومجرور متعلقان بعهدنا ومن قبل متعلقان بمحذوف
نال ، فنسي عطف على عهد أي نسي ما أمرناه به أي أن النسيان أمر
مركوز في طباع بني آدم ، ولم نجد : الواو عاطفة ولم حرف نهي وقلب
وجزم والفاعل مستتر تقديره نحن وعزماً مفعول به • (وإذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) الظرف متعلق باذكر مقدراً أي
واذكر وقت ما جرى على آدم من معاداة إبليس ووسوسته له وتزيينه له
الأكل من الشجرة ومبادرة آدم بالطاعة له بعد ما سلف من النصيحة
البالغة والتحذير من الشيطان ومكره وأحاييله • وقد تقدم اعراب
الآية كثيراً فلا حاجة الى الاعداد ، ولا تنس اختلاف العلماء في اتصال
الاستثناء وانقطاعه • وجملة أبى حالية • (فقلنا يا آدم إن هذا عدو
لك ولزوجك) الفاء عاطفة وقلنا فعل وفاعل ويا آدم نداء وجملة إن

مقول القول وهذا اسم ان وعدو خبرها ولك صفة لعدو ولزوجهك عطف على لك . (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) الفاء عاطفة ولا ناهية ويخرجنكما فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا والكاف مفعول به والفاعل مستتر وهو ابليس والميم والألف للتثنية ، فتشقى الفاء فاء السببية وتشقى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية والفاعل مستتر تقديره أنت وأسند فعل الشقاء الى آدم وحده لأن شقاء زوجه منوط بشقائه كما أن سعادتها منوطة بسعادته فاختصر الكلام مع المحافظة على الفاصلة . (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى) إن حرف مشبه بالفعل ولك خبر مقدم وأن وما في حيزها اسمها المؤخر وفيها متعلقان بتجوع ولا تعرى عطف على لا تجوع . (وانك لا تظماً فيها ولا تضحى) عطف على سابقتها وسيأتي كلام بديع حول فصل الجوع عن الظماً والعري عن الضحو والسر البياني الذي تتقطع دونه الاعناق في باب البلاغة . بقيت هناك مشكلة وهي عطف أنك على أن لا تجوع فكأنها اسم لإن بالكسر وهذا ممتنع فلا يقال : إن أن زيدا منطلق ولكن لما فصل هنا بينهما جاز فتقول : إن عندي أن زيدا قائم ، فعندي هو الخبر قدم على الاسم وهو ان وما في حيزها لكونه ظرفاً . والآية من هذا القبيل ، ورأى الزمخشري رأياً آخر فقال « فإن قلت : إن لا تدخل على أن فلا يقال إن أن زيدا منطلق ، والواو نائبة عن أن وقائية مقامها ، فلم أدخلت عليها ؟ قلت : الواو لم توضع لتكون أبداً نائبة عن إن ، إنما هي نائبة عن كل عامل ، فلما لم تكن حرفاً موضوعاً للتحقيق خاصة كأن لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع إن وأن » .

قال ابن هشام في صدد الحديث عن المواضع التي يجوز فيها كسر همزة إن وفتحها : السادس أن تقع بعد واو مسبوقة بمفرد صالح

للعطف عليه نحو إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تظماً فيها ولا تضحى ، قرأ نافع وأبو بكر بالكسر في « و أنت لا تظماً » إما على الاستئناف فتكون جملة منقطعة عما قبلها أو بالعطف على جملة إن الأولى وهي إن لك أن لا تجوع وعليهما فلا محل لها من الاعراب وقرأ الباقيون من السبعة بالعطف على أن لا تجوع من عطف المفرد على مثله والتقدير ان لك عدم الجوع وعدم الظماً » .

(فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فوسوس الفاء عاطفة ووسوس فعل ماض واليه متعلقان بوسوس والشيطان فاعل ، قال يا آدم فعل ماض ونداء وهل حرف استفهام وأدلك فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وعلى شجرة الخلد متعلقان بأدلك وملك عطف على شجرة وجملة لا يبلى صفة لملك . (فأكلا منها فبنت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى) فأكلا فعل ماض والألف فاعل ومنها متعلقان بأكلا فبنت عطف على أكلا ولهما متعلقان ببنت وسوءاتهما فاعل ، وطفقا فعل ماض من أفعال الشروع العاملة عمل كاد في وقوع الخبر فعلاً مضارعاً والألف اسمها وجملة يخصفان خبر طفقاً وعليهما متعلقان بيخصفان ومن ورق الجنة صفة لموصوف محذوف هو المفعول به أي ورقاً من ورق الجنة قيل هو التين والأولى أن يكون عاماً ليشمل جميع أوراق الأشجار ، وعصى آدم ربه فعل وفاعل ومفعول به ، فغوى عطف على عصى . (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي) ثم حرف عطف واجتباه فعل ومفعول به وربه فاعل فتاب عليه عطف على اجتباه وهدي عطف على تاب . (قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو) اهبطا فعل أمر مبني على حذف النون والألف فاعل ومنها متعلقان

باهبطاً وجميعاً حال وبعضكم مبتدأ وبعض حال لأنه كان صفة لعدو وعدو خبر وجملة بعضكم لبعض عدو في محل نصب على الحال .
 (فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) الفاء عاطفة وإن شرطية وما زائدة ويأتينكم فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط والكاف مفعول به ومني متعلقان بيأتينكم وهدى فاعل يأتينكم ، فمن اتبع الفاء رابطة ومن شرطية مبتدأ واتبع فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وهداي مفعول به والفاء رابطة للجواب وجملة لا يضل في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من وجملة من اتبع في محل جزم جواب إن .

البلاغة :

في قوله تعالى « إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنت لا تعلم فيها ولا تضحي » فن بديع يسمى قطع النظر عن النظر وذلك انه قطع الظماً عن الجوع والضحو عن الكسوة مع ما بينهما من التناسب ، والغرض من ذلك تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها ، ولو قرن كلاً بشكله لتوهم المعدودات نعمة واحدة . ويسميه بعض علماء البيان « فن التوهم » وقد سبقت الإشارة إليه وهو أن يأتي المتكلم بكلمة يوهم ما بعدها من الكلام أن المتكلم أراد تصحيحها وهو يريد غير ذلك ، ومنها أن يأتي في ظاهر الكلام ما يوهم أن فيه لحناً خارجاً عن اللسان ، ومنها ما يأتي ظاهره يوهم أن الكلام قد قلب عن وجهه لغير فائدة ، ومنها ما يأتي دالاً على أن ظاهر الكلام فاسد المعنى وهو صحيح . وهذه الآية من القسم الذي يوهم ظاهره أن ظم الكلام جاء على غير طريق البلاغة لكون لفظه غير مؤلف بمعناه لما ترى في الألفاظ من

عدم ملاءمة ، واذا تأمله المتأمل حق التأمل وجده جارياً على منهج
البلاغة بحيث لو جاء على ما توهمه المعترض لكان النظم معيباً . وفي
الآية يقول المتوهم لو قيل لا تجوع ولا تظماً ولا تضحى ولا تعرى
لكان ذلك جارياً على ما توجبه البلاغة من الملاءمة والجواب ان مجيئها
على ما توهمه المتوهم يفسد معنى النظم لأنه لو قيل : ان لك أن لا تجوع
فيها ولا تظماً لوجب أن يقول وانك لا تعرى فيها ولا تضحى ،
والتضحى البروز للشمس بغير سترة . قال الهذلي وقيل للمجنون كما
في أمالي القالي :

سلبت عظامي لحمها فتركنتها مجردة تضحى لديك وتختصر

أي تلقى الشمس الضاحية مجردة فينال منها حرها وتلقى برد
الليل مجردة فينال منها برده فهي معذبة ليلها ونهارها وإذا كان التضحي
البروز للشمس بغير سترة كان معناه التعري فيصير معنى الكلام :
وانك لا تعرى فيها ولا تعرى وهذا فساد ظاهر ، ولما كان هذا الفساد
لازماً للنظم على الوجه الذي توهمه المتوهم وجب العدول عنه الى
لفظ القرآن وهو أن يضم سبحانه لنفي الجوع نفي العري لتطمئن
النفس بسد الجوعة وستر العورة اللذين تدعو اليهما ضرورة الحياة
وتطلبهما طبيعة الإنسان بالجبلة ، ولما كان الجوع مقدماً على العطش
كتقديم الأكل على الشراب أوجبت البلاغة تأخر ذكر الظم عن الجوع
وتقديمه على التضحي لأنه مهم يجب أن يتقدم الوعد بنفيه كما تقدم الوعد
بنفي الجوع ، ويتأخر ذكر التضحي كما تأخر ذكر العري عن الجوع لأن
التضحي من جنس العري والظم من جنس الجوع فإن قيل : لم ذكر التضحي
وهو عري في المعنى وقد أغنى ذكر العري ؟ قلت : في ذكر التضحي
فائدة كبيرة وهي وصف الجنة بأنها لا شمس فيها كما قال سبحانه :
« لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً » فإن التضحي عري مخصوص

مشروط بالبروز الى الشمس وقت الضحى لذلك سمي تضحياً والانتقال من الأعم الى الأخص بلاغة لاختصاص الأخص بما لا يوجد في الأعم وقال العز بن عبد السلام في الأمالي : كان المناسب من طريق المجاز أن لا تجوع ولا تظماً ولا تعرى ولا تضحى للجمع بين المتماثلين فلم عدل عن هذا ؟ والجواب : ان في الآية جناساً خيراً من هذا وذلك أن الجوع تجرد الباطن من الغذاء والعري تجرد الظاهر من الغشاء فجانس في الآية بين التجردين وكذلك الظماً حر الباطن والضحى وهو الظهور للشمس حر الظاهر فجانس بالجمع بين الحرين .

وقد رmq أهل البلاغة سماء هذا المعنى قديماً وحديثاً فقال أبو الطيب المتنبي :

وقفت وما في الموت شك لواقف

كأنتك في جنن الردى وهو نائم

تمرء بك الأبطال كلمى هزيمة

ووجهك وضّاح وثرعك باسم

يعكى انه لما استنشهده سيف الدولة يوماً قصيدته التي أولها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

فلما بلغ الى هذين البيتين قال سيف الدولة : قد انتقدتهما عليك

كما انتقد على امرئ القيس قوله :

كأنني لم أركب جواداً للذة ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال
 ولم اسبأ الزق الروي ولم أقل لخلي كرى كرهة بعد إجفال
 فبيتك لم يلتئم شطراهما كما لم يلتئم شطرا بيتي امرئ القيس
 وكان ينبغي لك أن تقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف
 ووجهك وضاح وثغرك باسم
 تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
 كأنك في جفن الردى وهو نائم

فقال المتنبي إن صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا هو
 أعلم بالشعر منه فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولاي يعلم أن
 الثوب لا يعلمه البزاز كما يعلمه الحائك لأن البزاز يعرف جملة
 والحائك يعرف تفاصيله ، وإنما قرن امرؤ القيس النساء بلذة الركوب
 للصيد ، وقرن السماحة بسبأ الخمر للأضياف بالشجاعة في منازل
 الأعداء ، وكذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الأول أتبعته بذكر
 الردى في آخره ليكون أحسن تلاؤماً ، ولما كان وجه المنهزم الجريح
 عبوساً وعينه باكية قلت « ووجهك وضاح وثغرك باسم » لأجمع
 بين الأضداد .

على أن في هذه الآية سرّاً لذلك زائداً على ما ذكر وهو أنه قصد
 تناسب الفواصل ولو قرن الظم بالجوع لانتثر سلك رؤوس الآي
 وأحسن به منتظماً .

الفوائد :

أسماء الأصوات :

وعندناك يبحث أسماء الاصوات ونرى أن تتوسع فيها قليلاً لأن كتب النحو قلّما تهتم لها. فهي تجري مجرى أسماء الافعال لأنها متواخية معها وهي مبنية وتنقسم الى قسمين :

آ - ما خوطب به مالا يعقل مما يشبه اسم الفعل في الاكتفاء به ، ولكن اسم الفعل مركب واسم الصوت مفرد لعدم تحمله الضمير كقولهم في دعاء الإبل لتشرب : جىء جىء بكسر الجيم فيهما مكررين مهموزين ، وفي المحكم انهما أمر للإبل بورود الماء يقال جأجأت الإبل اذا دعوتها لتشرب فقلت جىء جىء نقله الجوهري عن الاموي ، وكقولهم في دعاء الضأن حاحا وفي دعاء المعز عا عا غير مهموزين والفعل منهما حاحت وعاعيت ، قال سيبويه وأبدلوا الألف من الياء لشبهها بها لأن قولك حاحت انما هو صوت بنيت منه فعلاً وليست فاعلت وكقولهم في زجر البغل :

عدس ما لعباد عليك إمارة أمنت وهذا تحمليين طليق

فعدس صوت يزجر به البغل وقد يسمى البغل به والتقدير على التسمية به يا عدس فحذف حرف النداء . وإمارة بكسر الهمزة أي حكم .

ب - ما حكي به صوت مسموع ، والمحكي صوته قسمان حيوان وغيره : فالأول كغاق بالغين المعجمة والقاف لصوت الغراب ، والثاني نحو طاق حكاية لصوت الضرب وطق بفتح الطاء حكاية لصوت

وقع الحجارة بعضها على بعض • هذا وسيرد المزيد من بحث أسماء
الاصوات في هذا الكتاب •

نبذة من أسماء الأصوات :

وفيما يلي طائفة مختارة من أسماء الاصوات :

الصرير صوت القلم والسرير والباب والطست والنعل ، والنشيش
صوت غليان القدر والشراب ، الرنين : صوت الثكلي والقوس ،
القصيف : صوت الرعد والبحر ، وهدير الفحل ، النقيق صوت الدجاج
والضفدع ، القعقعة : صوت السلاح والجلد اليابس والقرطاس ،
الغرغرة : صوت غليان القدر وتردد النفس في صدر المحتضر ، العجيج :
صوت الرعد والنساء والشاء ، الزفير : صوت النار والحمار والمكروب
إذا امتلأ صدره غماً فزفر به ، الخشخشة والخشخشة : صوت حركة
القرطاس والثوب الجديد والدرع ، الجلجلة : صوت السبع والرعد
وحركة الجلاجل ، الخفيف : صوت حركة الأغصان وجناح الطائر
وحركة الحية ، الصليل والصلصلة : صوت الحديد واللجام والسيف
والدراهم والمسامير ، الطنين : صوت البعوض والذباب والطنبور ،
الأطيط : صوت الناقة والمحمل والرجل إذا أثقله ما عليه ، الصرصرة :
صوت البازي والبط ، الدوي : صوت النحل والأذن والمطر والرعد ،
الانقاض : صوت الدجاجة والفروج ، التغريد صوت المغني والحادي
والطائر وكل صائت طرب الصوت فهو غرد ، الزمزمة والزهزمة :
صوت الرعد ولهب النار وحكاية صوت المجوسي إذا تكلف الكلام
وهو مطبق فمه •

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا
 ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
 أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُرْهُهُنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ
 فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا
 يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ
 آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ
 عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُمْ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ
 وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾
 وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ؕ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى
 ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ

إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ
مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾

اللفظة :

(ضنكاً) : بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة ولهذا لم يؤنث بأن
يقال ضنكة على حد القاعدة التي ذكرها صاحب الخلاصة :

ونعتوا بمصدر كثير فالتزموا الافرادا والتذكيرا

وفي القاموس : « الضنك الضيق في كل شيء للذكر والانثى يقال
ضنك ككرم ضنكاً وضناكة وضنوكه ضاق » وقرئ ضنكى على فعلى •

(يهد لهم) : أي يهتدي لهم فهو لازم ومعناه يتبين •

(آناء الليل) : جمع إني بكسر الهمزة والقصر كعمى بكسر الميم •
وفي المختار : آناء الليل ساعاته ، قال الأخفش واحدها إني مثل معى
وقيل واحدها أني وأنو ، يقال مضى من الليل أنوان وانيان •

(متربص) : منتظر ما يشول اليه الأمر •

الاعراب :

(ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً) الواو عاطفة على
جواب الشرط المتقدم وهو « فمن اتبع هداي » ومن اسم شرط جازم
مبتدأ وأعرض فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر
تقديره هو وعن ذكرى متعلقان بأعرض ، فإن الفاء رابطة للجواب لأنه

جملة اسمية وان حرف مشبه بالفعل وله خبرها المقدم ومعيشة اسمها المؤخر وضنكاً صفة والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من . (ونحشره يوم القيامة أعمى) ونحشره الواو استئنافية ونحشر فعل مضارع مرفوع والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به ويوم القيامة ظرف متعلق بنحشره وأعمى حال من الهاء في نحشره وقد قرئ بالجزم عطفاً على محل « فَإِنْ لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا » . (قال : رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً) رب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة ولم اللام حرف جر وما الاستفهامية في محل جر باللام وقد حذفت ألف ما الاستفهامية كما هي القاعدة والجار والمجرور متعلقان بحشرتني ، وحشرتني فعل وفاعل ومفعول به وأعمى حال والواو للحال وقد حرف تحقيق وكنت : كان واسمها وبصيراً خبر كنت . (قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) كذلك نعت لمصدر محذوف أي حشراً مثل ذلك أو خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك وأتتك آياتي فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ، فنسيتها الفاء عاطفة ونسيتها فعل وفاعل ومفعول به ، وكذلك نعت لمصدر محذوف واليوم ظرف متعلق بتنسى . (وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) وكذلك نعت لمصدر محذوف ونجزي فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن ومن موصول مفعول به وجملة أسرف صلة ، ولم يؤمن عطف على أسرف فهو داخل في حيز الصلة وبآيات متعلقان بيؤمن وربّه مضاف إليه ، ولعذاب : الواو حالية أو عاطفة واللام للابتداء وعذاب مبتدأ والآخرة مضاف إليه وأشد خبر وأبقى عطف على أشد . (أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) الهمزة للاستفهام وهي داخلة على محذوف عطف عليه بالناء وقد تقدم تقريره كثيراً وأعدناه الآن للتذكير والتقدير أغفلوا فلم

يتبين لهم ، وفاعل يهد المصدر المفهوم من أهلكنا أي أفلم يتبين لهم
اهلاكنا ويحتمل أن يكون فاعل يهد ضميراً عائداً على الله تعالى أي يبين
الله والأول أولى لأن يهدي معناه يتبين فهو لازم فالفاعل هو الجملة
المنسبة مصدرأ لأهلكنا . وقد أنكر البصريون وقوع الجملة فاعلاً
وجوزوه غيرهم قال القفال : جعل كثرة ما أهلك من القرون مبيناً لهم ،
قال النحاس : وهذا خطأ لأن كم استفهام فلا يعمل فيها ما قبلها وقال
الزجاج : المعنى أولم يهد لهم الأمر باهلاكنا من أهلكناه وحقيقته تدل
على الهدى فالفاعل هو الهدى . ولهم متعلقان يهد وكم خبرية مفعول
مقدم لأهلكنا ومن القرون نعت لتمييز كم الخبرية أي كم قرن من القرون
والمراد الأمة ، وجملة يمشون في مساكنهم حال من مفعول أهلكنا أو
من الضمير في لهم وفي مساكنهم متعلقان يمشون والضمير يعود على
المهلكين بفتح اللام يريد أن قريشاً يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويعاينون
آثار هلاكهم وفيها ما يدعوا إلى العبرة والاتعاظ ، وقد رmq أبو الطيب
سماء هذا المعنى كما سيأتي في باب البلاغة . (إن في ذلك لآيات لأولي
النهي) إن وخبرها المقدم واللام المرحقة وآيات اسمها المؤخر ، ولأولي
صفة لآيات والنهي مضاف إليه وهي جمع نهية بمعنى العقل .
(ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى) الواو استئنافية
ولولا حرف امتناع لوجود وكلمة مبتدأ محذوف الخبر وجملة سبقت
من ربك صفة لكلمة ومن ربك متعلقان بسبقت ، لكان اللام واقعة في
جواب لولا وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو
يعود على الإهلاك ولزاماً خبرها ، وأجل مسمى عطف على كلمة أي ولولا
أجل مسمى لكان الإهلاك لازماً لهم ويجوز كما يرى الزمخشري وأبو البقاء
أن يكون معطوفاً على الضمير المستتر في «كان» أي لكان الإهلاك العاجل
وأجل مسمى لازم لهم كما كافا لازمين لعاد وثمود ومن العجيب أن
معظم المفسرين كالجلال والبيضاوي وغيرهما جروا على هذا الوجه رغم

ما فيه من تكلف وقالوا : ان الفصل بالخبر قام مقام التأكيد لأنه كان من حق العطف أن يؤكد الضمير المستتر في كان بالضمير المنفصل فكان يقال هو لازماً وأجل مسمى ولا داعي لكل هذا التكلف وعطفه على كلمة أسهل وأسرع في تأدية المعنى المراد . (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) الفاء الفصيحة أي إذا كان الأمر على ما ذكر من أن تأخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وهو واقع بهم وآت عليهم فاصبر . واصبر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وعلى ما متعلقان باصبر وجملة يقولون صلة وسبح عطف على اصبر وبحمد ربك في موضع نصب على الحال أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه وسيأتي المراد بالصبر في باب الفوائد . وقبل متعلق بسبح وطلوع الشمس مضاف وقبل غروبها عطف على قبل طلوع الشمس . (ومن آتاء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) الجار والمجرور متعلقان بسبح والفاء هي الفصيحة أيضاً وسبح فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وأطراف النهار نصب عطفاً على محل « ومن آتاء » المنصوب ويجوز عطفه على قبل طلوع الشمس وعل حرف ترج ونصب والكاف اسمها وجملة ترضى خبرها ومتعلق ترضى محذوف مفهوم من السياق أي بما تعطاه من الثواب وجملة لعلك ترضى حالية من فاعل سبح أي صل حال كونك راجياً في أن الله تعالى يرضيك بما يعطيكه من الثواب . (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) الواو عاطفة ولا فاهية وتمدن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد وهو في محل جزم بلا وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وعينيك مفعول به وإلى ما متعلقان بتمدن وجملة متعنا صلة وبه متعلقان بمتعنا والهاء هي العائد وأزواجاً مفعول متعنا أي أصنافاً منهم ومنهم صفة ويجوز أن يعرب

نصباً على الحال من هاء الضمير فيكون منهم متعلقاً بمتعنا وزهرة الحياة الدنيا توسع العربون في اعرابها فأوصلوا أوجه نصبها الى تسعة وقد محصناها فرأيناها كلها سائغة ولهذا نعرضها كما ذكروها لتتوصل إلى الترجيح :

١ - أن تكون منصوبة على الحال من هاء الضمير إذا أعربنا أزواجاً هو المفعول الاول لأن معنى متعنا أعطينا .

٢ - أن تكون منصوبة على الحال من ما الموصولة .

٣ - أن تكون منصوبة على البدلية من أزواجاً على المبالغة كأنهم نفس الزهرة .

٤ - أن تكون منصوبة بفعل مضمر دل عليه متعنا تقديره جعلنا لهم زهرة .

٥ - أن تكون منصوبة على الذم أي أذم زهرة الحياة الدنيا .

٦ - أن تكون منصوبة على الاختصاص .

٧ - أن تكون منصوبة على البدلية من محل « به » .

٨ - أن تكون منصوبة على الحال من الضمير في « به » .

٩ - أن تكون منصوبة على التمييز لـ « ما » أو للهاء في « به » .

ومن تضييق هذه الوجوه ومراعاة جانب السهولة يتبين أن نصب زهرة يترجح في نصبها على الذم أو المفعولية على تضمين متعنا معنى أعطينا وبهما بدأ الزمخشري وغيره .

ولفتنهم اللام للتعليل وفتنهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد

لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بمتعذهم والهاء مفعول به وفيه متعلقان بنفثهم • (ورزق ربك خير وأبقى) الواو للحال ورزق ربك مبتدأ وخير خبر وأبقى عطف على خير • (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً) وأمر الواو استئنافية أو عاطفة وأمر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وأهلك مفعول به وبالصلاة متعلقان بفعل الأمر واصطبر فعل أمر وفاعله مستتر وتقديره أنت وعليها متعلقان باصطبر وجملة لا نسألك استئنافية ونسألك فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ورزقاً مفعول به ثان • (نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) نحن مبتدأ وجملة نرزقك خبر والعاقبة مبتدأ وللتقوى خبر وهاتان الجملتان مستأنفتان أيضاً • (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربنا أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى) لولا حرف تحضيض أي هلا ويأتينا فعل وفاعل مستتر ومفعول به وبآية متعلقان يأتينا ومن ربنا متعلقان بمحذوف صفة لآية ، اقترحوا جرأ على ديدنهم المعروف وعادتهم في التعت واللجاج ، أولم الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على مقدر يقتضيه السياق والتقدير ألم تأتهم البينات ترى ولم تأتهم بصورة خاصة بينة ما في الصحف الأولى ، وبينة فاعل لتأتهم وما موصول مضاف لبينة وفي الصحف متعلقان بمحذوف صلة الموصول والأولى صفة للصحف وفيها ما يكفي المنصف أما المكابر المتعت فهيات أن يقنعه شيء • (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا) تقدم اعراب مثل هذا التركيب أي لو ثبت أهلكنا ، فأنا وما بعدها فاعل لفعل محذوف والجملة مستأنفة سقت لندعيم ما تقرر من تعنتهم وصلفهم ومجادلتهم وبعذاب متعلقان بأهلكناهم ومن قبله صفة لعذاب • لقالوا : جواب لو والجملة لا محل لها وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء ولولا حرف تحضيض

وأرسلت فعل وفاعل والينا متعلقان بأرسلت ورسولاً مفعول به والجملة مقول القول • (فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) فنتبع الفاء هي السببية وتتبع منصوب بأن مضمرة في جواب التحضيض والفاعل مستتر تقديره نحن وآياتك مفعول به منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم ومن قبل متعلقان بنتبع وإن وما بعدها في تأويل مصدر مضاف لقبل ونخزى عطف على نذل • (قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى) كل مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم ومتربص خبر والجملة مقول القول والفاء الفصيحة وتربصوا فعل أمر ، فستعلمون الفاء استئنافية والسين حرف استقبال وتعلمون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل ومن اسم استفهامية مبتدأ وأصحاب الصراط السوي خبر ومن اهتدى عطف على من أصحاب والجملة من أصحاب مفعول تعلون المعلقة عن العمل ويجوز أن تكون من موصولة مفعول تعلمون وأصحاب الصراط خبر لمبتدأ محذوف أي هم أصحاب •

البلاغة :

١ - المجاز المرسل فقد ذكر القرون وأراد الأمم التي تعيش عبرها والاعتبار بآثار الأمم البائدة ، والقرون الخالية ، كان مثاراً لأخيلة الشعراء وخاصة في مقام الرثاء وأبرع من سما بخياله الى هذا المعنى أبو الطيب المتنبي والبحري فنكتفي بهما وسنورد أحياناً مختارة من قصيدتين لهما •

يقول عبد الله بن المعتز الشاعر العباسي الخليفة : « لو لم يكن للبحري إلا قصيدته في إيوان كسرى وقصيدته في وصف بركة المتوكل لكان أشعر الناس » فقد زار البحري بعد أن سئم الحياة في بغداد بعد

مقتل المتوكل على الله المدائن وهي مدينة يقف فيها ايوان كسرى وقد
أبدع في وصف الايوان إبداعاً فريداً زاده ربوعة أنه من شعراء العرب
أول من وصف الآثار القديمة الخالدة واستوحاها وصب عليها من
روحه وهذه مختارات منها :

صنت نفسي عما يدنس نفسي

وترفعت عن جدا كلّ جيس

وتماسكت حيث زعزعني الدهر

سر التماساً منه لتعسي ونكسي

حضرت رحلي الهموم فوجهـ

ست الى أبيض المدائن عنسي

ذكرتهم الخطوب التوالي

ولقد تذكر الخطوب وتنسي

حلل لم تكن كأطلال سعدي

في قمار من البسابس ملس

فكان الجرماز من عدم الأنـ

س وإخلاله بنية رمس

لو تراه علمت أن الليالي

جعلت فيه مأتماً بعد عرس

فلإذا ما رأيت صورة اظلا
 كية ارتعت بين روم وفرس
 والمنيا موائيل وانوشر ...
 ... وان يزجي الصفوف تحت الدرفس
 في اخضرار من اللباس على أصـ
 فر يختال في صيغة ورس

★ ★ ★

عمرت للسرور دهرأ فصارت
 للتعزي رباعهم والتأسي
 قلها ان أعينها بدموع
 موقفات على الصبابة حبس

ولا يتسع المجال لايراد القصيدة بكاملها ، فهي نموذج حي معبر
 من أدبنا العربي ، كما لا يتسع المجال لدراستها فنكتفي بإيراد بعض
 الملاحظات السريعة عليها :

١ - تشعر حين تقرأ السينية بروعة موسيقاها الناتجة عن خفة
 الجرجماله (الخفيف) وتلاؤمه مع العواطف والمعاني والألفاظ
 والروي المهموس وهو السين وترداد الحروف المهموسة كالسين
 والصاد والتاء .

٢ - تشعر بتأثر الشاعر بالعظمة حين قدم لوصف الايوان ثم ما تعتم أن تأسى وتحزن حين تقرأ أن الليالي جعلت فيه مآتماً بعد عرس وهذا التجاوب النفسي بين ما يصفه الشاعر وبين ما يصف ميزة فنية بحتة .

٣ - تشعر أن الشاعر يعجب بكل ما هو عظيم في الدنيا ولو كان من غير قومه فنراه هنا معجباً بالفرس فبكاهم أصدق بكاء ورثاهم أحر رثاء وهكذا الفن يسمو ليستحيل انسانية صرفاً .

٤ - وأخيراً تعجب من أن الشاعر يطرق في الأدب العربي فناً جديداً لم يطرقة أحد من قبله وهو رثاء الممالك الزائلة والآثار الباقية ، ولم يشر إليه قبل القرآن أحد فيقول الله تعالى « أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى » .

وننتقل الى عينية أبي الطيب المتنبي وهي القصيدة التي رثى بها أبا شجاع فأتك وفيها تحدث عن شعور الانسان حيال الآثار المتخلفة عن أصحابها فقال منها :

وإنني لأجبن عن فراق أحبتي	وتحسّ نفسي بالحمام فأشجع
ويزيدني غضب الأعادي قسوة	ويلمّ بي عتب الصديق فأجزع
تصفو الحياة لجاهل أو غافل	عما مضى فيها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه	ويسومها طلب المحال فتطمع
أين الذي الهرمان من بنيانه	ما قومه ما يومه ؟ ما المصرع

تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع

ويظهر أن أبا الطيب كان يحب القائد فاتكاً أبا شجاع حباً خالصاً قائماً على الإعجاب فهو يرثيه بقصيدتين يجعل منهما وسيلة إلى الإبانة عما في نفسه من هموم ومحن وتري من خلالهما بعض النظرات الفلسفية فهو كما ترى يرى الحياة لا تصفو إلا للجاهل أو الغافل أما الشجاع الأبى فقلما تخطئه سهامها ونراه هنا معاني مظلمة قاتمة في نفسه حتى ليكاد يلقي سلاحه أمام عوادي الزمان لولا بقية من قوة يستمسك بها :

المجد أخسر والمكأرم صفقة

من أن يعيش لها الهمام الاروع

والناس أنزل في مكانك منزلاً

من أن تعايشهم وقدرك أرفع

٢ - وفي قوله : « أفلم يهد لهم ... » الآية فن المناسبة وهي على ضربين معنوية ولفظية والمعنوية هي أن يتبدىء المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ فالآية موعظتها سمعية فختمها بأشد مناسبة معنوية بقوله « أفلا يسمعون » وقال في الآية التي موعظتها مرئية وهي آية السجدة : « أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون » فقد ختمها بقوله : « أفلا يبصرون » لأن ذلك مما يتبين بالرؤية وما فوق هذه المناسبة مناسبة . ومن بديع ما ورد فيها شعراً قول القاضي الفاضل :

وبدر بأفلاك الخواطر طالع

وغصن بريحان الغدار وريق

لئن بت في بحر من الفكر سابحاً
فإنسان عيني في الدموع غريق

فالمناسبة في الشطر الأول في البدر والافلاك والطلوع وفي الشطر الثاني بين الغصن والريحان ووريق وفي الثالث بين البحر وسابحاً وفي الرابع بين إنسان العين والدموع وغريق ففي كل شطر من البيتين مناسبات عديدة ، وأما المناسبة اللفظية فهي دون رتبة المعنوية وهي الاتيان بكلمات متزنات وهي أيضاً على ضربين : تامة وغير تامة فالتامة تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة والناقصة موزونة غير مقفاة فمن شواهد التامة من القرآن العظيم قوله تعالى : « ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجراً غير ممنون » ومن الشعر قول ابن هانيء الاندلسي :

وعوايس وقوايس وفوارس وكوانس وأوانس وعقائيل

ومن غير التامة قول ابن خلوف المغربي :

كالورد خذاً والغزاة بهجة والغصن قداً والغزال مقلداً

وقد اجتمعت التامة والناقصة في قول أبي تمام :

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس

قنا الحظ إلا أن تلك ذوابيل

فبين قنا ومها مناسبة لفظية تامة وبين الوحش والحظ وأوانس وفوابيل مناسبة غير تامة .

الفوائد :

النسخ في القرآن :

في قوله تعالى « فاصبر على ما يقولون » مبحث هام جدير بالتأمل وهو أن معظم المفسرين درجوا على القول إن هذه الآية منسوخة بآية القتال والصواب أنها ليست منسوخة بل هي أمر بالصبر المحمود على كل حال وهو عدم الاضطراب ومساورة الجزع لما يقولون ولما يصدر عنهم من الأذية وليس فيها أية إشارة أو تلميح الى عدم القتال حتى يكون الامر بالقتال ناسخاً لها .

وموضوع النسخ في القرآن الكريم من الموضوعات الشائكة الصعبة ، والاختلاف حوله كثير وما علم في هذا الباب من استقرار كلام الصحابة والتابعين انهم كانوا يستعملون النسخ بإزالة المعنى اللغوي الذي هو إزالة شيء بشيء لا بازاء مصطلح الاصوليين فمعنى النسخ عندهم إزالة بعض الاوصاف من الآية بآية أخرى إما بانهاء مدة العمل أو بصر الكلام عن المعنى المتبادر الى غير المتبادر ، أو بيان كون قيد من القيود اتفاقياً أو تخصيص عام أو بيان الفارق بين المنصوص وما قيس ظاهراً عليه أو ازالة عادة الجاهلية أو الشريعة السابقة فاتسع باب النسخ عندهم وكثر جولان العقل هنالك واتسعت دائرة الاختلاف .

أما المنسوخ باصطلاح المتأخرين فهو قليل جداً وقد ذكر الشيخ جلال الدين السيوطي في الاتقان بتقرير مبسوط ، كما ينبغي ، بعض ما ذكره العلماء ثم حرر المنسوخ الذي فيه رأي المتأخرين على وفق الامام الحافظ القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري

الاندلسي فعنده قريباً من عشرين آية ، وأتى في العصر الحديث الشيخ
الامام محمد عبده فأنكر النسخ في القرآن وقال ان كل ما زعموا انه
منسوخ يمكن تأويله كما رأيت في قوله تعالى « فاصبر على ما يقولون »
وهو ظاهر في هذه الآية يطيح بالقول القديم ان الآيات المنسوخة تبلغ
حوالي خمسمائة آية وهو قول ظاهر البطلان بالبداهة .

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

مَكِّيَّة وَأَنبَأَانَهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ وَمَاتِ سَبْعًا
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ
مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً
قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ
أَفَنَاتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامُهُ بَلْ أَفْتَرَتْهُ
بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿٥﴾

اللفظة :

(النجوى) : الكلام السر وهي اسم من التناجي ولا تكون إلا خفية ، وفي القاموس : « وهو وصف بالمصدر يستوفى فيه المفرد والجمع يقال : هم نجوى » •

(أضغاث أحلام) : أخلط رآها في النوم وقد تقدم بحثها •

الاعراب :

(اقترَب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) اقترَب فعل ماض مبني على الفتح وللناس متعلقان باقترَب ويجوز أن تكون تأكيداً لإضافة الحساب اليهم كقولك أَرَف للحي رحيلهم • والأصل أَرَف رحيل الحي ثم أَرَف للحي الرحيل ثم أَرَف للحي رحيلهم ، وحسابهم فاعل اقترَب لأن كل آت قريب مهما يطل الأمد والواو للحال وهم مبتدأ وفي غفلة خبر ومعرضون خبر ثان • (ما يأتِيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون) الجملة تعليل للجملة السابقة فلا محل لها وما نافية ويأتِيهم فعل مضارع والهاء مفعول به ومن حرف جر زائد لسبقه بالنفي وذكر مجرور لفظاً مرفوع محلاً على الفاعلية ومن ربهم صفة لذكر ومحدث صفة ثانية ويجوز تعليق من ربهم بيأتِيهم أو بمحذوف حال من ذكر لأنه وصف بمحدث وإلا أداة حصر لأن الاستثناء مفرغ وجملة استمعوه في محل نصب على الحال من مفعول يأتِيهم وقد مقدرة وهم الواو حالية وهم مبتدأ وجملة يلعبون خبر هم والجملة نصب على الحال من فاعل استمعوه ، هذا وقد استدل بوصف الذكر بكونه محدثاً على أن القرآن محدث لأن الذكر هنا هو القرآن وأجيب بأنه لا نزاع في حدوث المركب من الأصوات والحروف لأنه متجدد في النزول فالمعنى محدث تنزيله وإنسا النزاع في الكلام النفسي • (لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم) لاهية حال من فاعل يلعبون أيضاً فتكون حالاً متداخلة ويجوز أن تكون حالاً من فاعل استمعوه فتكون الحالان مترادفتين لأن الحال يجوز تعددها وقلوبهم فاعل لاهية وأسروا فعل وفاعل والنجوى مفعول به والذين بدل من واو وأسروا النجوى

إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش الذي جاءوا به وسيأتي المزيد من إعراب هذه الكلمة في باب الفوائد ، وجملة ظلموا صلة وهل حرف استفهام وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وبشر خبر. ومثلكم صفة والجملة الاستفهامية في محل نصب بدل من النجوى لأنها بمثابة التفسير لها وأجاز الزمخشري أن تكون في محل نصب مقول قول محذوف ويجوز أن تكون في محل نصب محكية للنجوى لأنها في معنى القول ، ولا أرى مانعاً من أن تكون جملة لا محل لها لأنها مفسرة . (أفأتأتون السحر وأنتم مبصرون) وهذه الجملة تنطبق عليها الأوجه المتقدمة والهمزة للاستفهام والفاء عاطفة على مقدر وتأتون السحر فعل مضارع وفاعل ومفعول به والواو للحال وأنتم مبتدأ وجملة تبصرون خبر وجملة وأنتم تبصرون حالية من فاعل تأتون مفعلة للانكار . (قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم) ربي مبتدأ وجملة يعلم القول خبر والجملة مقول القول وفي السماء والأرض متعلقان بمحذوف حال من القول أو يعلم وهو الواو عاطفة وهو مبتدأ والسميع العليم خبران لهو وحذف متعلقهما للعلم به أي السميع لما أسروه والعليم به . (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) أضربوا عن قولهم هو سحر فقالوا هو أضغاث أحلام فأضغاث أحلام خبر لمبتدأ محذوف والجملة في محل نصب مقول قالوا بل افتراه ثم أضربوا عن ذلك فقالوا اختلقه فافتراه فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به ثم أضربوا أيضاً فقالوا هو شاعر مبتدأ وخبر . (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا فليأتنا واللام لام الأمر ويأت فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره هو ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به كما يجوز في الكاف أن تكون نعتاً لآية أي

كائنة مثل الآية التي أرسل بها الأولون وعندئذ فما موصولة ويجوز أن تكون نعتاً لمصدر محذوف وما مصدرية أي فليأتنا بآية اتبائاً كائناً مثل ارسال الأولين •

الفوائد :

قوله تعالى « وأسروا النجوى الذين ظلموا » قال أبو البقاء : « الذين ظلموا في موضعه ثلاثة أوجه : أحدها : الرفع ، وفيه أربعة أوجه :

- آ - أن يكون بدلاً من الواو في وأسروا •
- ب - أن يكون فاعلاً والواو حرف للجمع لا اسم •
- ج - أن يكون مبتدأ والخبر هل هذا والتقدير يقولون : هل هذا ؟
- د - أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين ظلموا •
- وثانيها : أن يكون منصوباً على اضممار أعني •
- وثالثها : أن يكون مجروراً صفة للناس •
- والمعروف أن الفعل يجب أن يبقى مع الفاعل بصيغة الواحد وان كان مثني أو مجموعاً قال ابن مالك :

وجرد الفعل إذا ما أسندا لاثنين أو جمع كهاز الشهدا

إلا على لغة ضعيفة لبعض العرب فيطابق فيها الفعل الفاعل ، وحكى البصريون عن طيء وحكى بعضهم عن ازدشنوءة نحو ضربوني قومك

وضربني فسوتك وضرباني أخواك وفي الحديث «أومخرجي» هم
وقال عمرو بن ملقط الجاهلي :

ألفيتا عيناك عند القفا أولى فأولى لك ذا واقيه

فألفيتا بالبناء للمجهول فعل ماض وعيناك نائب الفاعل فألحق
الفعل علامة التثنية مع اسناده الى الظاهر ونائب الفاعل كالفاعل وعند
ظرف بمعنى قرب متعلق بألفيتا وذاواقية حال من المضاف إليه وهو الكاف
وواقية مصدر معناه الوقاية كالكاذبة مصدر معناه الكذب وأولى ،
فأولى لك دعاء أي قاربك ما يهلكك قال العيني : فإن قلت : ما موقع
أولى من الاعراب ؟ قلت : يجوز أن يكون في محل الرفع على أنه خبر
مبتدأ محذوف تقديره دعائي أولى لك ، فأولى لك عطف على أولى الأول
كرر للتأكيد وقال أبو البقاء في إعراب أولى لك فأولى فيه قولان أحدهما
فعلى والألف فيه للإلحاق لا للتأنيث والثاني أفعل وهو على القولين هنا
ولذلك لم ينون ويدل عليه ما حكى أبو زيد في النوادر وهي أولات
بالتاء غير مصروف لأنه صار علماً للنوع فصار كرجل اسمه أحمد فعلى
هذا يكون أولى مبتدأ ولك الخبر والثاني أن يكون اسماً للفعل مبنياً
ومعناه ويلك شر بعد شر ولك تبين ، وهذا البيت يصف به رجلاً إذا
اشتد الوطيس فهو يلتفت الى ورائه مخافة أن يتبع فتلفى عيناه عند
ققاه من شدة الالتفات ، وقال أبو فراس :

تتج الريع محاسناً ألقنها غر السحائب

وأبو فراس من المولدين والغرض من كلامه التمثيل لا الاستشهاد.
وارتأى الشيخ مصطفى الغلاييني رأياً جميلاً وسنورد نص كلامه:

« وما ورد من ذلك من فصيح الكلام فيعرب الظاهر بدلاً من المضمر وعليه قوله تعالى (وأسروا النجوى الذين ظلموا) أو يعرب الظاهر مبتدأ والجملة قبله خبر مقدم ، أو يعرب فاعلاً لفعل محذوف فكأنه قيل بعد قوله وأسروا النجوى : من أسرها ؟ فيقال أسرها الذين ظلموا وهو الحق وهذا لا يكون إلا حيث يستدعي المقام تقدير كلام استفهامي كما ترى في الآية الكريمة » ونحسب أن القول قد اشبع فحسبنا ما تقدم .

مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾

اللفظة :

(قصمنا) : القصم أبلغ من الكسر وفي القاموس « قصم من باب

صرب قصماً الشيء : كسره ، وقصم الرجل : أهلكه ، ويقال : قصم الله ظهر الظالم أي أنزل به البلية « وللقاف مع الصاد فاء وعيناً للكلمة سر عجيب ، انهما تدلان على الكسر والمحق والاهلاك فقولهم : قصب الشاة يعني قطعها قطعاً أو عضواً عضواً ومنه سمي القصاب أي الجزار والقصاب مؤنث القصاب ولها معنى آخر وهو ما نسميه اليوم « الناي » أي قصبه ينفخ بها للغناء وعن بعض العرب : قلت أبياتاً فغنى بها حكيم الوادي فو الله ما حرك بها قصاباً إلا خفت النار فتركت قول الشعر ، وهي الوتر ، وتنفخ في القصابة : في الزمار ، وأقصده المنية أهلكته ومنه قصد الرجل أتى اليه ونحا نحوه ، وقصرته حبسته وقصرت نفسي على هذا الأمر إذا لم تطمح الى غيره وقصرت طرفي لم أرفعه الى ما لا ينبغي وهن قاصرات الطرف : قصرته على أزواجهن ، وقص الشعر والريش وقصصه معروف وجناح مقصوص ومقصص ، وقصع الصنواب بين ظفريه قتله وقصعت الرحي الحب فضخته وصبي قصيع قميء لا يشب ، وقصف القناة والعود كسرهما وقصف ظهره ورجل مقصوف والعمامة تقول لمن تدعو عليه يا مقصوف وهي فصيحة لا غبار عليها وعصفت ريح فقصفت السفينة وعود قصف : سريع الانكسار ، قال الطرماح :

تسيم تمنى الحرب ما لم ألقها

وهم قصف العيدان في الحرب خورها

وقصله قطعه قطعاً وحياً وسيف قاصل وقصّال ومقصّل وقصل فرسه يقصله : علفه القصيل ومنه المقصلة وهي آلة للاعدام قوامها سكين تسقط على رأس المجرم فتقطعه ، وقصا يقصو قصواً وقصواً وقصاً وقصاء الرجل تباعد وفي البعد اشارة الى الهلكة لأنها بعد أيضاً .

(أترفتم) : نعمتم من العيش الرفاه والحال الناعمة والإتراف
إبطار النعمة .

الاعراب :

(ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون) ما نافية وآمنت
فعل ماض والتاء للتأنيث والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير كرههم
واستبعاد إيمانهم وقبلهم ظرف متعلق بآمنت ومن حرف جر زائد وقرية
مجرور لفظاً فاعل آمنت محلاً وجملة أهلكناها صفة لقرية والمراد
بالقرية أهلها كما سيأتي في باب البلاغة ، أفهم الهمزة للاستفهام
الانكاري والفاء عاطفة وهم مبتدأ وجملة يؤمنون خبر . (وما أرسلنا
قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم) الواو عاطفة وما نافية وأرسلنا فعل ماض
وفاعل إلا أداة حصر ورجالاً مفعول أرسلنا وجملة نوحى إليهم صفة
لرجالاً ، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية . (فاسألوا أهل
الذكر إن كنتم لا تعلمون) الفاء الفصيحة واسألوا فعل أمر وفاعل
وأهل الذكر مفعول به وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم
فعل الشرط والتاء اسمها وجملة لا تعلمون خبرها وجواب الشرط
محذوف دلت عليه الفاء الفصيحة . (وما جعلناهم جسداً لا يأكلون
الطعام وما كانوا خالدين) الواو عاطفة و ما نافية وجعلناهم فعل وفاعل
ومفعول به وجسداً مفعول ثانٍ إذا كانت جعل بمعنى التصيير وإن كانت
بمعنى الخلق فجسداً حال مؤولة بالمشقق أي متغذين ، وجملة لا يأكلون
الطعام في محل نصب نعت لجسداً وجسد مفرد أريد به الجمع وإنما
وحدّه ليشمل الجنس عامة لأن الجسد لا بد له من غذاء ، والواو
عاطفة وما نافية وكانوا خالدين كان واسمها وخبرها والجملة معطوفة

على لا يأكلون . (ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا
 المسرفين) ثم حرف عطف وصدقناهم فعل وفاعل ومنفعل والوعد
 منصوب بنزع الخافض لأن صدق يتعدى لاثنين الى ثانيهما بحرف الجر
 والأصل في الوعد ، فأنجيناهم عطف على صدقناهم ومن نشاء عطف
 على الهاء وجملة نشاء صلة وأهلكنا المسرفين عطف على أنجيناهم
 والمسرفين مفعول به . (لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون)
 اللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق وأنزلنا فعل وفاعل
 وإليكم متعلقان بأنزلنا وكتاباً مفعول به وفيه خبر مقدم وذكركم مبتدأ
 مؤخر والجملة صفة لكتاباً وسيأتي معنى فيه ذكركم في باب الفوائد
 والهمزة للاستفهام الأفكاري التوبيخي والفاء عاطفة على مقدر ينسحب
 عليه الكلام أي ألا تتفكرون فلا تعقلون شيئاً من الأشياء المذكورة لكم،
 (وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين) الواو
 عاطفة أو استئنافية مسوقة للتمثيل بالأمم التي هلكت قبلهم وكم خبرية
 مفعول به مقدم لقصصنا ومن قرية تمييز لكم الخبرية مجرور بمن وقد
 تقدم ذلك وجملة كانت ظالمة صفة لقرية والمراد بالقرية أهلها وكانت
 ظالمة كان واسمها المستتر وخبرها وأنشأنا عطف على قصصنا وبعدها
 ظرف متعلق بأنشأنا وقوماً مفعول به وآخرين صفة لقوماً . (فلما
 أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون) الفاء عاطفة ولما ظرفية حينية أو
 رابطة وإذا الفجائية وقد تقدم الكلام حولها والخلاف فيها مشبعين
 وهم مبتدأ وجملة يركضون خبر هم ومنها متعلقان يركضون وقد
 استدل بعضهم بهذه الآية على أن لما حرف وسمها ابن هشام رابطة
 لأنه لا عامل لها إذا اعربت ظرفاً بمعنى حين ونرى أن معنى المفاجأة التي
 دلت عليه إذا هو العامل وسيأتي مزيد بحث عن لما في باب الفوائد .
 (لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون)

لا فاهية وتركضوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وجملة لا تركضوا مقول قول محذوف والقائل اختلف فيه فقليل هم الملائكة وقيل هم من كان هناك من المؤمنين وهذا القول على سبيل الاستهزاء بهم طبعاً ، وارجعوا فعل أمر معطوف على لا تركضوا والى ما متعلقان بارجعوا وجملة أترفتم صلة وفيه متعلقان بأترفتم ومساكنكم بالجر عطف على ما ، ولعلكم تسألون لعل واسمها وخبرها والترجي هنا استهزاء بهم وتهكم بما كانوا يظنونهم بأنفسهم من أنهم مظنة السخاء ومطلع الكرم والمعنى ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون شيئاً من دنياكم حسبما تتصورون أنفسكم من أنكم أهل النوال والعطاء حيث يسألكم الناس في العوادي والنوازل ويندبونكم للملمات ويستشيرونكم في المضلات وسيأتي المزيد عن هذا البحث الشيق في باب البلاغة .

البلاغة :

١ - المجاز المرسل في قوله « قرية » إذ المراد أهلها وقد تقدم مثل ذلك كثيراً .

٢ - التهكم بقوله « وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون » وقد ألمعنا الى المراد من هذا التهكم وتزيد عليه هنا احتمالين هامين مترتبين على هذا التهكم :

آ - انهم كانوا أسخياء حقيقة يجودون بالنوال ويبسطون أيديهم بالعطايا ولكنهم كانوا يفعلون ذلك رثاء الناس واكتساباً للشهرة والثناء وفي ذلك من الايلام والايجاج ما فيه ، إذ يرون أن ما أتفقوه وما بذلوه لم يكن إلا زيادة في برحائهم وإمعاناً في عذابهم .

ب - انهم كانوا بخلاء يكرهون البذل ويصدون عن جاء
يستندي سحاب أكفهم ويمتري اخلاف جدواهم فليلهم ذلك ليزيدهم
إيلاماً على إيلام وإيجاعاً على إيجاع .

الفوائد :

١ - قوله « كتاباً فيه ذكركم » أي فيه ما يوجب الثناء عليكم
لكونه نازلاً بلسانكم وبين ظهرائكم وعلى رسول منكم وقيل فيه
ما تشدونه من حسن الذكر وبعد الصيت وطيب الأحذوثة وقيل فيه
الموعظة لكم والارشاد لما ينفعكم في دينكم ودنياكم وجميع
ذلك محتمل .

٢ - بحث لما : تقع لما في العربية على ثلاثة أوجه :

الأول : أن تختص بالمضارع فتجزمه وتنفيه وتقابله ماضياً
ك « لم » إلا أنها تفارقها في خمسة أمور :

١ - انها لا تقترن بأداة شرطه فلا يقال : إن لما تقم ويقال : إن
لم تقم .

٢ - ان منفيها مستمر النفي الى الحال أما منفي لم فيحتمل
الاتصال والانقطاع مثل : « لم يكن شيئاً مذكوراً » ولهذا جاز أن
تقول : لم يكن ثم كان ، ولكن لا يجوز أن تقول : لما يكن ثم كان .

٣ - ان الغالب في منفي لما ان يكون قريباً من الحال بخلاف
منفي لم .

٤ - ان منفي لما متوقع ثبوته بخلاف منفي لم .

٥ - ان منفي لما جائز الحذف لدليل كقوله : « فجئت قبورهم بدءاً ولما » أي ولما أكن بدءاً قبل ذلك أي سيلاً ولا يجوز : « وصلت الى حمص ولم » تريد ولم أدخلها .

الثاني : أن تختص بالماضي فتقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما نحو : لما جاءني أكرمته ويقال فيها حرف وجود لوجود وبعضهم يقول وجوب لوجوب وقيل هي ظرف لفعل وقع لوقوع غيره وقال جماعة : انها ظرف بمعنى حين .

الثالث : أن تكون حرف استثناء بمعنى إلا فتدخل على الجملة الاسمية نحو : « إن كل نفس لما عليها حافظ » فيمن شدد الميم وعلى الماضي لفظاً لا معنى نحو انشدك الله لما فعلت أي ما أسألك إلا فعلك .

قَالُوا يَتَوَلَّيْنَا إِنْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آيَةً أَتَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ

الْبَلِّ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ
 ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ
 عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾

اللفظة :

(حصيداً) : فاعيل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد وغيره
 وستأتي قاعدته في باب الفوائد وهو الزرع المحصود .

(خامدين) : يقال خمدت النار وهمدت كل منهما من باب دخل
 لكن الاول عبارة عن سكون لهما مع بقاء الجمر والثاني عبارة عن
 ذهابها بالكلية .

(لهوآ) : في المصباح : « اللهو معروف ، تقول أهل نجد : لهوت
 عنه ألهو لتهيأ والاصل على فعول من باب قعد ، وأهل العالية لهيت
 عنه ألهي من باب تعب ومعناه السلوان والترك ولهوت به لهوآ من
 باب قتل أولعت به أيضاً ، قال الطرطوشي : وأصل اللهو الترويح عن
 النفس بما لا تقضيه الحكمة وألهاني الشيء بالألف شغلني » اهـ .
 وفي القاموس والتاج : « لهي لهوآ لعب كالتهي وألهاء ذلك والملاهي
 آلاته وتلاهي بذاك والألهوة والألهية والتلهية ما يتلاهي به ولهت
 المرأة الى حديثه لهوآ ولهوآ : أنست به وأعجبها واللهوة المرأة
 الملهو بها كاللهو وبالضم والفتح ما ألقيته في فم الرحي والعطية أو
 أفضل العطايا وأجزلها كاللهية والحفنة من المال أو الألف من الدنانير

والدراهم لا غير ولهي به كرضي أحبه وعنه سلا وغفل وترك ذكره كلها كدعا لهما ولهايا ، وقال شارح القاموس قوله : لها لهواً لعب قضية اتحادهما وقد فرق بينهما جماعة فقليل يشتركان في أنهما اشتغال بما لا يعني حراماً أو لا قيل واللهم أعسم مطلقاً فاستماع الملاهي لهو لا لعب وقال الجوهري : قد يكنى باللهو عن الجماع ويدل على ما قاله امرؤ القيس :

ألا زعت بسباسة اليوم أنني كبرت وإن لا يحسن اللهو أمثالي

(فيدمغه) : فيذهبه وبابه قطع وفي القاموس : دمغة قهره ودمغ الحق بالباطل : أبطله ومحقه وسيأتي تفصيل ذلك في باب البلاغة .

(يستحسرون) يكلون ويتعبون يقال : استحسر البعير أي كلّ وتعب ويقال حسر البعير وحسرتة أنا فيكون لازماً ومتعدياً وأحسرتة أيضاً فيكون فعل وأفعل بمعنى واحد وسيأتي مزيد بيان عن الاستحسار في باب البلاغة .

الاعراب :

(قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين) يا أداة نداء وويلنا منادى مضاف يدعون الويل والشبور لأن هذا وقته ويجوز أن تكون يا للتنبيه وويلنا مصدر لفعل محذوف والجملة مقول قولهم وإن واسمها وجملة كنا ظالمين خبرها وكان واسمها وظالمين خبرها . (فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) الفاء عاطفة وما زالت فعل ماض ناقص والتاء علامة التأنيث وتلك اسم إشارة اسمها في محل رفع ودعواهم

خبرها منصوب بفتحة مقدرة على الألف والهاء مضاف اليه والميم حرف دال على جمع الذكور والمراد بالدعوى تلك الكلمات وهي « يا ويلنا إنا كنا ظالمين » وحتى حرف غاية وجر وجعلناهم فعل وفاعل ومفعول به أول وحصيلاً خامدين مفعول به ثان لأن حكمهما حكم الواحد إذ أن معنى جعلناهم حصيلاً خامدين: جعلناهم جامعين لمائلة الحصيد والخمود ومثال ذلك قولك جعلته خلواً حامضاً أي جامعاً للطعنين أي مزاً، ولك أن تجعل خامدين صفة لحصيداً (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين) النواو حرف عطف أو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لعرض البدائع والعجائب التي انطوى عليها خلق السموات والأرض وما فيها للعظة ولتكون مطارح اعتبار وحافزاً للتفكير والاستدلال وما فافية وخلقنا فعل وفاعل والسماء مفعول به والأرض عطف على السماء وما عطف على السماء والأرض وبينهما ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ولاعبين حال من فاعل خلقنا • (لو أردنا أن نتخذ لهواً لا اتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) لو شرطية امتناعية وأردنا فعل وفاعل وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول أردنا وفاعل تتخذ ضمير مستتر تقديره نحن ولهواً مفعول به ولا اتخذناه اللام واقعة في جواب لو واتخذناه فعل وفاعل ومفعول به من لدنا متعلقان بمحذوف مفعول به ثان لاتخذ وإن يجوز أن تكون نافية بمعنى ما وكنا فاعلين كان واسمها وخبرها والجملة حالية من فاعل اتخذناه أي حال كوننا غير فاعلين ويجوز أن تكون إن شرطية وجوابها محذوف يدل عليه جواب لو ولعل هذا أولى وأشبه الوجهين بمذهب العربية • (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه تعالى لذاته ونقذف فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن وبالحق جار ومجرور متعلقان بنقذف وعلى الباطل متعلقان

بمحذوف حال أي مستعلياً على الباطل ، فيدمغه عطف على نقذف فإذا
 الفاء عاطفة وإذا فجائية وقد تقدم ذكرها وهو مبتدأ وزاهق خبرها
 ولكم الواو استئنافية ولكم خبر مقدم والويل مبتدأ مؤخر ومما
 متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الخبر وهو مما ، أي استقر لكم
 الويل من كل ما تصفون ومما يجوز أن تكون موصولة وأن تكون
 مصدرية وعلى كل جملة تصفون لا محل لها • (وله من في السموات
 والارض) الواو عاطفة وله خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وفي السموات
 والارض صلة • (ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون)
 الواو عاطفة ومن معطوفة على من الأولى وعنده ظرف متعلق بمحذوف
 صلة وجملة لا يستكبرون حالية من من الأولى وعن عبادته متعلقان
 يستكبرون وجملة لا يستحسرون عطف على جملة لا يستكبرون
 ويجوز أن تكون الواو للاستئناف ومن عنده أي الملائكة مبتدأ خبره
 جملة لا يستكبرون والجملة مستأنفة • (يسبحون الليل والنهار
 لا يفترون) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما يصنعه من عند الله
 في عبادتهم ويسبحون فعل مضارع وفاعل ويجوز أن تكون الجملة
 حالية والليل والنهار ظرفان متعلقان بيسبحون وجملة لا يفترون حال
 من فاعل يسبحون • (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) أم
 المنقطعة عاطفة وتفيد الانكار واتخذوا فعل وفاعل وآلهة مفعول به ومن
 الأرض صفة وهم مبتدأ وجملة ينشرون خبر وجملة هم ينشرون صفة
 لآلهة ومفعول ينشرون محذوف أي يحيون الموتى ويجوز جعلها جملة
 مستأنفة لم يدعوا لآلهتهم انها تنشر الموتى ولكنهم بمجرد دعواهم
 ألوهيتها يترتب عليهم أن يدعوا ضمناً انها تنشر الموتى وسيأتي مزيد
 بحث حول الضمير الذي هو « هم » في باب البلاغة • (لو كان فيهما
 آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) لو شرطية

امتناعية وكان فعل ماض ناقص وفيها خبر كان المقدم وآلهة اسمها المؤخر وإلا بمعنى غير صفة لآلهة ظهر اعرابها على ما بعدها ولا يصح أن تكون استثنائية لأن مفهوم الاستثناء فاسد هنا إذ حاصله الله لو كان فيهما آلهة لم يستثن الله منهم لم تفسدا وليس كذلك فإن مجرد تعدد الآلهة يوجب لزوم الفساد مطلقاً وسيأتي مزيد بسط لهذا المبحث الهام ، ولفسدتا اللام واقعة في جواب لو وجملة فسدتا لا محل لها من الاعراب فسبحان الله الفاء عاطفة لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوجدانية بالبرهان وسبحان مفعول مطلق لفعل محذوف ولفظ الجلالة مضاف اليه ورب العرش بدل أو صفة للفظ الجلالة وعما متعلقان بسبحان وجملة يصفون لا محل لها لأنها صلة ما ويجوز أن تكون ما مصدرية • (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان تفرد سبحانه بالسلطان ، بحيث لا يسأله أحد عما يفعله ولا نافية ويسأل فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وعما متعلقان بيسأل وهم الواو عاطفة أو حالية وهم مبتدأ وجملة يسألون خبر •

البلاغة :

في هذه الآيات فنون عديدة أولها :

- ١ - الاستعارة في قولهم « يا ويلنا » فقد خاطبوا الويل وهو الهلاك كأنه شخص حي يدعونه لينقذهم مما هم فيه •
- ٢ - التشبيه البيلىغ في قوله « جعلناهم حصيداً خامدين » •

فقد شبههم بعد حلول العذاب بهم بالحصيد أولاً وهو الزرع المحصود ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به هو الاستئصال من المنابت ثم شبههم

ثانياً بالنار المنطفئة ولم يبق منها إلا جمر منطفىء لا تنفع فيه ولا قابلية
لشيء من النفع منه فلا ترى إلا أشلاء متناثرة وأجزاء متفرقة قد تسدّت
وقد ران عليها البلى .

٣ - الاستعارة المكنية في قوله « بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فإذا هو زاهق » فقد شبه الحق والباطل وهما معنويان بشيئين
ماديّين محسوسين يقذفان ويدفعان ثم حذف هذين الشيئين واستعار
ما هو من لوازمهما وهما القذف والدمغ لتجسيد الاطاحة بالباطل
واعتلاء الحق عليه وتصوير إبطاله وإهداره ومحقه كأنه جرم صلب
كصخرة أو ما يماثلها في القوة والصلابة قذف به على جرم رخو أجوف
فدمغه وهي من استعارة المحسوس للمعقول وقد تقدم بحث ذلك
مفصلاً مع استيفاء أقسام الاستعارة بالنسبة لطرفي التشبيه .

٤ - قوة اللفظ لقوة المعنى : وقد تقدم الكلام عن هذا الفن
ونعني به نقل اللفظ من وزن الى وزن آخر أكثر منه ليتضمن من المعنى
الدال عليه أكثر مما تضمنه أولاً لأن الألفاظ أدلة على المعاني وأمثلة
للإبانة عنها فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني وهذا
الضرب من الزيادة لا يستعمل إلا في مقام المبالغة وهو هنا في قوله تعالى
« ولا يستحسرون » فقد عدل عن الثلاثي وهو حسر الى السداسي وهو
استحسر وقد كان ظاهر الكلام أن يقال يحسرون أي يكلون ويتعبون ،
لأن أقل ملل منهم أو كلال إزاء الملائكة وإزاء عبادتهم لله سبحانه
لا يتصور منهم ولكنه عدل عن ذلك لسرّ يخفى على النظرة السطحية
الأولى وهو أن ما هم فيه من انهماك بالعبادة وانصراف بالكلية لها يوجب
غاية الحسور وأقصاه .

٥ - التصريح بالضمير : وذلك في قوله : « هم ينشرون » وقد كان يكفي أن يقول ينشرون ولكنه عدل عن ذلك الى التصريح بالضمير لإفادة معنى الخصوصية أولاً كأنهم قالوا ليس هنا من يقدر على الإنشار غيرهم وثانياً لتسجيل الزامهم ادعاء صفات الألوهية لآلهتهم وهذا الادعاء قد أبطله الله في الآية التالية لهذه الآية بدليل التمانع المغترف من بحر هذه الآية وهي « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » كما سيوضح في الاعراب ، وهذا من جوهر الكلام وخالصه .

٦ - المذهب الكلامي : وذلك في قوله « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » وذكر ابن المعتز أن الذي سماه هذه التسمية هو الجاحظ والكتاب الكريم مشحون به وتعريفه هو انه احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع المعاند له على طريقة أرباب الكلام وله طرق متعددة وقد أوصلها الرماني في تفسيره المسمى بالنكت في اعجاز القرآن الى خمسة ضروب ومنها اخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل فملزوم قوله « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » انهما ما فسدتا فليس فيهما آلهة إلا الله ، وايضاح ذلك إن دليل التمانع هو انه لو وجد مع الله إله آخر ربما قالوا لو فرضنا وجود إلهين فإما أن يكونا جميعاً موصوفين بصفات الكمال اللاتي يندرج فيها القدرة على احياء الموتى وانشارهم وغير ذلك من الممكنات أو لا يتصف بها واحد منهما أو أحدهما دون الآخر وعندئذ تفسد الرعية بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق : « كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شوك » وللمتكلمين في طريقة التمانع جولات واسعة تؤخذ في مظانها ، وسيرد ايضاحها في باب الفوائد .

الفوائد :

«إلا» بمعنى «غير» :

الأصل في «إلا» أن تكون للاستثناء وفي «غير» أن تكون وصفاً ثم قد تحمل أحدهما على الأخرى فيوصف بإلا ويستثنى بغير فإن كانت إلا بمعنى غير وقعت هي وما بعدها صفة لما قبلها وذلك حيث لا يراد بها الاستثناء وإنما يراد بها وصف ما قبلها بما يغير ما بعدها كقوله تعالى «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» فالأول وما بعدها صفة لآلهة لأن المراد تهي الآلهة المتعددة واثبات الإله الواحد الفرد ولا يصح الاستثناء بالنصب لأن المعنى يكون حيثئذ : لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا وذلك يقتضي أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وهذا ظاهر الفساد ، وسامح الله ابن يعيش شارح مفصل الزمخشري حيث أجاز النصب على الاستثناء في الآية الكريمة غير مقدر ما يترتب على النصب من فساد وعبرة ابن يعيش «قال الله تعالى : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا والمراد غير الله فهذا لا يكون إلا وصفاً ولا يجوز أن يكون بدلاً يراد به الاستثناء لأنه يصير في تقدير لو كان فيهما إلا الله لفسدتا وذلك فاسد لأن لو شرط فيما مضى فهي بمنزلة إن في المستقبل وأنت لو قلت إن أتاني إلا زيد لم يصح لأن الشرط في حكم الموجب فكما لا يصح أتاني إلا زيد كذلك لا يصح إن أتاني إلا زيد فلو نصب على الاستثناء فقلت لو كان فيهما إلا الله لجاز » . ثم لا يصح أيضاً أن يعرب لفظ الجلالة بدلاً من آلهة لأنه حيث لا يصح الاستثناء لا تصح البدلية ثم إن الكلام موجب فلا تجوز البدلية ولو صح الاستثناء لأن النصب واجب في الكلام الموجب التام وأيضاً لو جعلته بدلاً لكان التقدير :

لو كان فيهما إلا الله لفسدتا لأن البديل على نية طرح المبدل منه كما هو معلوم ولعدم صحة الاستثناء هنا وعدم جواز البدلية تعين أن تكون إلا بمعنى غير •

ولتتمة هذا المبحث الدقيق فنقل الفصل الممتع الذي أورده العلامة ابن هشام في مغني اللبيب ورده على المبرد مع تعليقات مناسبة ليستوفي الموضوع حقه قال ابن هشام بعد أن ذكر أن لإلا أربعة أوجه :

« والثاني أن تكون صفة بمنزلة غير فيوصف بها وبتاليها جمع منكر أو شبهه فمثال الجمع المنكر: « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » فلا يجوز في إلا هذه أن تكون للاستثناء من جهة المعنى إذ التقدير حينئذ لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا وذلك يقتضي بمفهومه أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وليس ذلك المراد ، ولا من جهة اللفظ لأن آلهة جمع منكر في الاثبات فلا عموم له فلا يصح الاستثناء منه فلو قلت قام رجال إلا زيدا لم يصح اتفاقاً ، وزعم المبرد أن « إلا » في الآية للاستثناء وإن ما بعدها بدل محتجاً بأن « لو » تدل على الامتناع وامتناع الشيء انتفاؤه وزعم أن التفرغ بعدها جائز وإن نحو « لو كان معنا إلا زيد » أجود كلام ويرده انهم لا يقولون « لو جاءني ديار أكرمته » ولا « لو جاءني من أحد أكرمته » ولو كانت بمنزلة النافي لجاز ذلك كما يجوز ما فيها ديار وما جاءني من أحد ولما لم يجز ذلك دل على أن الصواب قول سيبويه إن إلا وما بعدها صفة • إلى أن يقول: « وشرط ابن الحاجب في وقوع إلا صفة تعذر الاستثناء وجعل من الشاذ قول حضرمي بن عامر الصحابي وقيل عمرو بن معدى كرب :

وكل أخ مفارقة أخوه لعمر أليك إلا الفرقدان

ومعنى الشذوذ فيه انه ليس استثناء إذ لم ينصب بعد الكلام التام الموجب فتعين انه صفة ولم يتعذر الاستثناء فهو شاذ إذ كان يمكنه أن يقول إلا الفرقدين ، ونحسب أن البحث طال فحسبنا ما تقدم .

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ
مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ
مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ
عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ
مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ
كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

الاعراب :

(أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً) « أَمْ حرف عطف للاضراب والانتقال الى إظهار بطلان ما اتخذوه آلِهَةً مع خلوها من خصائص الألوهية ، واتخذوا فعل ماض وفاعل ومن دونه في محل نصب مفعول به ثان لاتخذوا وآلهة هو المفعول الأول . (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) هَاتُوا فعل

أمر مبني على الكسر دائماً إلا مع واو الجماعة فيضم وواو الجماعة فاعل وبرهانكم مفعول به • (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) هذا مبتدأ والاشارة للقرآن وجميع الكتب السماوية وذكر خبر ومن مضاف اليه ومعني ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول وذكر عطف على ذكر الأولى ومن مضاف اليه والظرف صلة والجملة مستأنفة • (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) بل حرف اضراب وأكثرهم مبتدأ وجملة لا يعلمون خبر والواو فاعل والحق مفعول به ، فهم الفاء للتعليل وهم مبتدأ ومعرضون خبر • (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) الواو استئنافية وما نافية وأرسلنا فعل وفاعل ومن قبلك حال ومن حرف جر زائد ورسول مجرور لفظاً منصوب محلاً على انه مفعول به وإلا أداة حصر ونوحي فعل وفاعل واليه متعلقان بنوحي ولا إله إلا أنا تقدم اعرابها كثيراً والفاء الفصيحة واعبدوني فعل أمر والواو فاعل والياء المحذوفة تبعاً لرسم المصحف مفعول به والجملة مستأنفة مقررة لما سبق اجماله من توحيد الله كما نطقت بذلك الكتب السماوية استدلالاً بمقتضيات العقل والمنطق • (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، سبحانه ، بل عباد مكرمون) استئناف آخر مسوق لحكاية أقوال بعض القبائل العربية الذين قالوا : الملائكة بنات الله ويقال انهم بنو خزاعة وبنو جهينة وبنو سلمة وبنو مليح وجملة اتخذ الرحمن ولداً مقول القول وسبحانه مصدر لفعل محذوف وقد مر والجملة معترضة وبل حرف اضراب وعباد خبر لمبتدأ محذوف ومكرمون صفة وقد وصف الملائكة بسبع صفات تقدمت الأولى • (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) وهاتان صفتان ثانيتان الأولى جملة لا يسبقونه بالقول والثانية جملة هم بأمره يعملون ، وبأمره متعلقان يعملون وجملة يعملون خبرهم •

(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) وهذه هي الصفة الرابعة وما موصول
مفعول به وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول وأيديهم مضاف
إليه وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم . (وما يشفعون إلا لمن ارتضى
وهم من خشيته مشفقون) وهاتان صفتان أخريان ويشفعون فعل
مضارع وفاعل وإلا أداة حصر ولن متعلقان يشفعون وارتضى صلة
الموصول وهم مبتدأ ومن خشيته جار ومجرور متعلقان بمشفقون
ومشفقون خبر هم . (ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه
جهنم كذلك نجزي الظالمين) وهذه هي الصفة السابعة والأخيرة ومن
شرطية مبتدأ ويقل فعل الشرط مجزوم ومنهم حال وان واسمها وإله
خبرها والفاء رابطة لجواب الشرط لأنه وقع جملة اسمية وذلك اسم
إشارة مبتدأ وجملة نجزيه خبر والهاء مفعول نجزي وجهنم مفعول
نجزي الثاني والجملة جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر ذلك
وكذلك نجزي الظالمين الكاف نعت لمصدر محذوف أي نجزي الظالمين
جزاء مثل ذلك .

أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا
فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾
وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا
لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ
آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

اللفظة :

(رَتَّقاً) : في المختار : « الرتق : ضد الفتق وقد رتقت الفتق من باب نصر سدده فارتق أي التأم ومنه قوله تعالى : كاتتا رتقاً ففتقناهما ، والرتق بفتحين مصدر قولك امرأة رتقاء أي لا يستطيع جماعها لارتقاق ذلك الموضع منها » وفي الأساس : « رتق الفتق حتى ارتق وقرىء كاتتا رَتَّقاً ورَتَّقاً وعن ابن الكلبي كاتتا رتقاوين ففتق الله السماء بالماء وفتق الأرض بالنبات وامرأة رتقاء بينة الرَّتْق إذا لم يكن لها خرق إلا المبال » •

(رواسي) : جمع راسية من رسا الشيء إذا ثبت ورسخ وفي المختار : « والرواسي من الجبال الرواسخ واحدها راسية » وفي المصباح : « رسا الشيء يرسو رَسُوءاً ورُسُوءاً ثبت فهو راس وجبال راسية وراسيات ورواس » •

(تميد) : في المصباح : « ماد يميد ميذاً من باب باع وميداناً بفتح الياء تحرك » وفي الأساس : « غصن مائد مائل وماد يميد ميداناً ومن المجاز مادت المرأة وماست وتميَّدت وتميَّست ومادت به الأرض دارت ، ورجل " مائد : يدار به والمطعون يميد في الرمح » •

(فجاجاً) : في المختار : « الفجج بالفتح : الطريق الواسع بين الجبلين والجمع فجاج بالكسر مثل سهم وسهام والفجج بالكسر البطيخ الشامي وكل شيء من البطيخ والفواكه لم ينضج فهو فجج بالكسر » وفي القاموس : الفجج وجمعه فجاج ، والفجج : الطريق الواسع بين جبلين •

الاعراب :

(أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما)
 الهمزة للاستفهام الانكاري والواو حرف عطف على مقدر ولم حرف
 نفي وقلب وجزم والذين فاعل وجملة كفروا صلة وان وما بعدها سدت
 مسد منعولي رأى لأن الرؤية قلبية وان واسمها وجملة كانتا خبرها
 والالف اسم كان ورتقاً خبرها وفي الاخبار به ما تقدم في زيد عدل أي
 كانت الشمس والأرض نفس الرتق ، ففتقناهما الفاء عاطفة وفتقناهما
 فعل وفاعل ومفعول به والجملة معطوفة على كانتا والميم والالف حرفان
 دالان على التثنية ، قال الأخفش : إنما قال كانتا لأنهما صنفان أي
 جماعتا السموات والأرضين كما قال سبحانه : « إن الله يمسك السموات
 والأرض أن تزولا » وقال الزجاج : إنما قال كانتا لأنه يعبر عن
 السموات بلفظ الواحد لأن السموات كانت سماء واحدة وكذلك
 الأرضون . (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) وجعلنا عطف
 على ما تقدم وجعلنا فعل وفاعل بمعنى خلق ومن الماء متعلقان بجعلنا
 لأنها بمعنى خلقنا أو بمحذوف حال من كل شيء لأنه كان في الأصل
 وصفاً له فلما قدم عليه نصب على الحال ولك أن تجعل وجعلنا بمعنى
 صير متعدياً لاثنين فيكون من الماء في محل نصب على أنه مفعول ثان
 وكل شيء مفعول أول ، أفلا الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة
 على محذوف ولا نافية ويؤمنون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل .
 (وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم) وجعلنا عطف على جعلنا وفي
 الأرض إما مفعول ثان ورواسي هو المفعول الاول وإما متعلقان بجعلنا أو
 بمحذوف حال ورواسي مفعول به وان وما في حيزها في محل نصب
 مفعول لأجله أي كراهة أن تميد أو لئلا تميد وبهم متعلقان بتميد .

(وجعلنا فيها فجاءاً سبلاً لعلهم يهتدون) وجعلنا عطف على ما تقدم وفيها هو المفعول الثاني أو متعلق بجعلنا وفجاءاً حال لأنه كان صفة نسبلاً وتقدم عليه وسبلاً مفعول به والعل واسمها وجملة يهتدون خبرها .
 (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون) وجعلنا السماء فعل وفاعل ومفعول به أول وسقفاً مفعول به ثان وهم مبتدأ وعن آياتها متعلقان بمعرضون ومعرضون خبر هم والجملة حالية أو استئنافية .
 (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) الواو عاطفة وهو مبتدأ والذي خبر وجملة خلق صلة وفاعل خلق ضمير مستتر تقديره هو والليل مفعول به وما بعده عطف عليه وكل مبتدأ وساغ الابتداء لما فيه من معنى العموم وفي فلك متعلقان يسبحون وجملة يسبحون خبر كل وجملة كل في فلك يسبحون محلها النصب على الحال من الشمس والقمر ، وانما جعل الضمير واو العقلاء الموصف بفعل هو من خصائص العقلاء هو السباحة وتقدم نظيره في قوله « رأيتهم لي ساجدين » .

الفوائد :

١ - بحث شيق في المفعول لأجله :

هذا بحث طريف أفرد له سيبويه فصلاً خاصاً في كتابه وهو يتعلق بالمفعول لأجله المؤول وهو هنا في قوله « وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بهم » قال ما خلاصته : هو من وادي قولهم : أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعته قال ومعناه « ان ادعم الحائط إذا مال » وانما قدم ذكر الميل اهتماماً بشأته ولأنه أيضاً هو السبب في الإدعام ، وادعام سبب في إعداد الخشبة فعامل سبب السبب معاملة

السبب وعليه حمل قوله تعالى « أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى » كذلك ما نحن بصدده يكون الاصل وجعلنا في الأرض رواسي لأجل أن تثبتها إذا مادت بهم فجعل الميد هو السبب كما جعل الميل في المثل المذكور سبباً وصار الكلام وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد فتثبتها ثم حذف فتثبتها لأمن الالباس إيجازاً واختصاراً » وهذا لعمرى أولى مما درجنا عليه في الاعراب لأن مقتضى ما ذكرناه وذكره أكثر المعربين والمفسرين يقتضي أن لا تميد الأرض بأهلها لأن الله كره ذلك ومكروه الله تعالى محال أن يقع كما أن مراده واجب أن يقع والمشاهد خلاف ذلك فكم من زلزلة مادت لها الأرض وكادت تقلب عاليها سافلها وأما على تقرير سيبويه فالمراد أن الله تعالى يثبت الأرض بالجبال إذا مادت وهذا لا يأبى وقوع الميد ، وهذا بحث جليل قل من ينتبه له إلا بعد هذا التفصيل فتأمله تر السحر الحلال وإن من البيان لسحرا .

٢ — ذهب سيبويه والجمهور الى القول بأن لفظي كل وبعض معرفتان بنية الاضافة ولذلك يأتي الحال منهما كقولهم مرتت بكل قائماً وبيعض جالساً ، وأصل صاحب الحال التعريف وذهب الفارسي إلى أنهما نكرتان وألزم من قال بتعريفهما أن يقول إن نصفاً وسدساً وثلاثاً وربعاً ونحوها معارف لأنها في المعنى مضافات وهي نكرات باجماع ، ورد بأن العرب تحذف المضاف وتريده وقد لا تريده ودل مجيء الحال بعد كل وبعض على إرادته ، بقي هنا سؤال واحد وهو لم أتى بصيغة الجمع وهما اثنان ؟ والجواب ان الضمير عائد عليهما مع الليل والنهار وذلك لأن الليل والنهار يسبحان أيضاً لأن الليل ظل الأرض وهو يدور على محيط كرة الأرض على حسب دوران الأرض وكذلك النهار يدور أيضاً لأنه يخلف الليل في المحيط .

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٢٤﴾
 كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا
 تُرْجَعُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا رَأَوْاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَخِذُّونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْذَا
 الَّذِي يَذْكُرُ الْهَيْكَلُ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٦﴾ خُلِقَ
 الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ
 مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
 لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
 ﴿٢٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٣٠﴾

الاعراب :

(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون) الجملة
 مستأنفة مسوقة لتقرير عدم خلود البشر جواباً لقولهم أن محمداً
 سيموت ، وما نافية وجعلنا فعل وفاعل ولبشر في محل نصب مفعول ثانٍ
 ومن قبلك صفة لبشر والخلد مفعول جعلنا الاول والهمزة للاستفهام
 الانكاري والفاء عاطفة وإن شرطية ومت فعل ماض وفاعل وهو في محل
 جزم فعل الشرط والفاء رابطة وهم مبتدأ والخالدون خبر والجملة في
 محل جزم جواب الشرط وهي بنية التقديم لأن أصل الكلام أفهم

الخالدون إن مت ، قال الفراء : جاء بالفاء لتدل على الشرط لأنه جواب فولهم سيموت قال ويجوز حذف الفاء واضمارها والمعنى إن مت فهم يموتون أيضاً فلا شماتة في الموت • (كل نفس ذائقة الموت) كل مبتدأ ونفس مضاف اليه وذائقة الموت خبر والجملة مستأنفة مسوقة للتدليل على عدم الخلود فلا مجال للشماتة ورحم الله القائل :

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

(ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون) الواو استئنافية أيضاً ونبلوكم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به وبالشر متعلقان بنبلوكم والخير عطف على الشر أي نختبركم بما يجب فيه الصبر وبما يجب فيه الشكر وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه لأن الابتلاء فتنة فكأنه قيل تفتنكم فتنة ويجوز أن يعرب مفعولاً من أجله أو نصباً على الحال من فاعل نبلوكم أي فاتنين لكم والينا متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل والجملة معطوفة على نبلوكم أو حالية • (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً) لك أن تجعل الواو استئنافية فتكون الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير موقفهم من النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأن تجعلها عاطفة فتكون الجملة معطوفة على قوله الآنف «وأأسروا النجوى» وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة رآك مضاف لها الظرف وفاعل رآك الذين والكاف مفعول به وجملة كفروا صلة وإن نافية ويتخذونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به وإن النافية وما في حيزها جواب إذا وسيأتي ذكر السبب في عدم اقتران الجواب بالفاء في باب الفوائد وإلا أداة حصر وهزواً مفعول به ثان أما على الوصف بالمصدر مبالغة

وقد مرت له نظائر واما على حذف مضاف ، هذا ويجوز ان تكون ان النافية وما بعدها جملة معترضة فيكون الجواب قوله الآتي : (أهذا الذي يذكر آلهمتهم وهم بذكر الرحمن هم كافرون) الهمزة للاستفهام والاستفهام معناه السخرية والجملة اما جواب إذا كما تقدم وإما مقول قول محذوف أي يقول بعضهم لبعض على سبيل السخرية والهاء أهذا ، وهذا مبتدأ والذي خبره وجملة يذكر صلة وآلهمتهم مفعول به والواو حالية وهم مبتدأ وبذكر متعلقان بكافرون والرحمن مضاف اليه وهم تأكيد لهم الأولى تأكيداً لفظياً وكافرون خبر هم والجملة حال إما من فاعل يتخذونك وإما من فاعل القول المقدر كما أسلفنا ومفعول يذكر محذوف وسيرد بحثه في باب البلاغة . (خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على استعجالهم العذاب وخلق فعل ماض مبني للمجهول والإنسان نائب فاعل ومن عجل متعلقان بخلق أو بمحذوف حال وسيأتي معنى هذا التركيب في باب البلاغة وسأريكم السين للاستقبال وأريكم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به أول وآياتي مفعول به ثان والفاء عاطفة ولا ناهية وتستعجلون فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والياء المحذوفة للرسم مفعول به وجملة سأريكم مستأنفة أيضاً مسوقة لتأكيد العجلة وعاقبتها التي هي رؤية العذاب . (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لإيراد نمط من استعجالهم المذموم ويقولون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل ومتى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر والوعد بدل وإن شرطية وكنتم كان

واسمها في محل جزم فعل الشرط وصادقين خبر كنتم وجواب ان محذوف تقديره فعينوا موعده وخطابهم للنبي وأصحابه .
 (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) لو شرطية ويعلم فعل مضارع والذين فاعل وجملة كفروا صلة وحين يجوز أن يكون مفعول يعلم أي الوقت الذي يستعجلون فيه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب ضحك تحيط بهم النار من كل مكان لما كانوا بتلك المثابة من الكفر فجواب لو محذوف وقد تقدمت الإشارة اليه كثيراً ويجوز أن يكون يعلم متروكاً بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ونم يكونوا جاهلين لما كانوا متعجلين وحين منصوب بمضمر أي حين لا يكفوا عن وجوههم النار يعلمون أنهم كانوا على الباطل والأرجح ان مفعول يعلم محذوف لدلالة ما قبله عليه أي لو يعلم الذين كفروا مجيء الموعود الذي سألوا عنه واستبطنوه وحين منصوب بالمفعول الذي هو مجيء وجملة لا يكفون مضافة الى الظرف وعن وجوههم متعلقان بيكفون والنار مفعول به ولا عن ظهورهم معطوفة ، والواو حرف عطف ولا نافية وهم مبتدأ وجملة ينصرون خبر وينصرون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل . (بل تأتيهم بغتة فتبهمهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) بل حرف اضراب وعطف وتأتيهم فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على النار وبغتة حال أتى مصدراً وقيل مفعول مطلق وسيأتي مزيد بحث عنه في باب الفوائد ، فتبهمهم عطف على تأتيهم فلا يستطيعون عطف أيضاً وردها مفعول يستطيعون ولا هم ينظرون عطف أيضاً وهم مبتدأ وجملة ينظرون خبر كما أظروا وامهلوا من قبل .

البلاغة :

١ - التذييل : في قوله تعالى : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون • كل نفس ذائقة الموت » فن طريف من فنون البلاغة أطلق عليه علماءها اسم « التذييل » وعرفوه بأنه تذييل الكلام بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام وتزيده توكيداً وتخرجه مخرج المثل السائر ليشيع الكلام بعد دورانه على الألسنة فإن لم تكن الزيادة تفيد ذلك فلا يسمى تذييلاً وبعضهم يسميه آنذاك تذييلاً ولكنه يقول عنه أنه معيب وما أجدر المعيب أن ينتفى عن فنون البلاغة أو يندرج في سلكها وهو شائع في القرآن الكريم وستأتي أمثلة كثيرة منه ، أما في الآية التي نحن بصددتها فإن المعنى مستوفى في الاخبار بأنه سبحانه لم يجعل لبشر قبل نبيه الخلد ثم ذيل ذلك الاخبار بما أخرجه مخرج تجاهل العارف وهو قوله « أفإن مت فهم الخالدون » ثم ذيل هذا التذييل بما أخرجه مخرج المثل السائر حيث قال : « كل نفس ذائقة الموت » •

ومن أروع أمثلة التذييل في الشعر قول شاعر الخلود أبي الطيب:

تمسي الأمانى صرعى دون مبلغه

فما يقول لشيء ليت ذلك لي

يقول أبو الطيب : لا تصل الأمانى الى قلبه فتستميله ، ولا الى نسانه فتجري عليه لأنه لا يحتاج أن يتمنى شيئاً إلا وله خير منه أو صار له ذلك الشيء فالأمانى تقصر عن بلوغ قدره ، وتقصر عن جلاله أمره وتمسي صرعى دون إدراك مجده فما يتمنى في الرفعة أكثر مما

قد بلغه ، ولم يزل سيف الدولة لهجاً بهذا البيت معظماً له ، مثنياً عليه ،
مقراً له بأنه لا يلحق سبقاً ولا يأتي أحد في بابه من المبالغة بمثل ما أتى به .

وقال ابن نباتة السعدي وأجاد :

لم يبق جودك لي شيئاً أومله تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

لقد حقق له جميع آماله ومشتهياته فلم يعد لديه ما يؤمله وهبه
صبا الى شيء فإنه واثق بحضوره فعدا بلا آمال .

٢ - الإيجاز بالحذف: وذلك في حذف مفعول يذكر في قوله تعالى:
« أهذا الذي يذكر آلهتكم » والذكر يكون بالخير والشر فإذا دلت
الحال على أحدهما أطلق ولم يقيد كقولك للرجل : سمعت فلاناً يذكر
فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء وإن كان عدواً فذم ومن جهة ثانية لم
يقولوا : أهذا الذي يذكر آلهتكم بكل سوء لأنهم استفظعوا حكاية
ما يقوله النبي من القدح في آلهتهم رمية بأنها لا تسمع ولا تبصر
ولا تنفع ولا تضر ورئبوا بسها عن نقل ذمها تفصيلاً وتصريحاً فنقلوه
إجمالاً وتلميحاً ، بل أومئوا اليه بالإشارة المذكورة كما يتحاشى المؤمن
من حكاية كلمة الكفر وإن كان قائلها غير كافر فيومئء اليها بلفظ يفهم
المقصود بطريق التعريض فسبحان من أضلهم حتى تأدبوا مع الأوثان ،
وأساءوا الأدب على الرحمن .

٣ - الاستعارة المكنية في قوله « خلق الانسان من عجل » فقد
شبه العجل الذي طبع عليه الشخص وصار له كالجبل بأصل مادته وهي
الطين ثم حذف المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو قوله « خلق »
وقيل لا استعارة فيه وإنما هو من باب القلب والأصل خلق العجل من

الانسان لشدة صدوره عنه وملازمته له والقلب موجود كثيراً في كلامهم وقد تقدمت الإشارة اليه والأول أولى وأقعد بالبلاغة ومن بدع التفسير ما قالوه من أن العجل هو الطين بلغة حمير وقال شاعرهم :

النبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل

يقول النبع وهو شجر تتخذ منه القسي في الصخرة الصماء الصلبة لا في غيرها منبته أي نباته والنخل ينبت في الأرض اللينة الريانة فهو بين الماء والعجل أي الطين وهذه لغة حمير كما قيل والظاهر أن الشطر الأول تشيل للصعب البخيل والثاني للسهل الجواد أو الأول للشجاع والثاني للجبان لشدة الأول ورخاوة الثاني وعلى كل حال هذا المعنى غير وارد في الآية الكريمة لأن السياق يأبأها فهم يستعجلون والله سبحانه ينعي عليهم عجلتهم •

وفي هذه الآية الاستعارة المكنية بقوله « ذائقة الموت » وليس الموت مما يذاق ولكنه شبهه بطعام غير مريء ولا مستساغ ولكنه لحتسية وقوعه وكونه أمراً لا بد منه أصبح بمثابة المريء المستساغ فلا مندوحة لنفس عن ذوقه وقد تقدمت ظائر لهذه الاستعارة •

الفوائد :

١ - جواب « إذا » :

تخالف « إذا » أدوات الشرط جميعاً، فإن أدوات الشرط متى أجيبت بأن النافية أو بما النافية وجب الاتيان بالفاء كما في هذه الآية وكما في قوله تعالى أيضاً : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا » •

٢ - مجيء المصدر حالاً :

جاءت مصادر تعرب أحوالاً بكثرة في التكرات كطلع زيد بغتة وجاء ركضاً وقتلته صبراً وهو أن تحبسه حياً ثم يرمى حتى يقتل وذلك كله على كثرته مؤول بالوصف فيؤول بغتة بوصف من باغت لأنها بمعنى مفاجأة أي مباغتاً ويؤول ركضاً بوصف الفاعل من ركض أي راكضاً ويؤول صبراً بوصف المفعول من صبر أي مصبوراً مجوساً ومع كثرة وروده قال سيويه : لا ينقاس مطلقاً وقاسه بعضهم بما يمكن الرجوع اليه في المطولات •

ونعود الى بغتة فقد أكد بعضهم أنه يجوز جعلها مفعولاً مطلقاً وكذلك القول في الأمثلة المتقدمة إذ هي نوع من عاملها فهي كرجع القهقري •

ويتحصل مما ذكره النحاة أن المصدر المنصوب فيه أقوال ثلاثة :

١ - مذهب سيويه أن المصدر هو الحال وهو الاصل •

٢ - مذهب المبرد والأخفش أنه مفعول مطلق غير منصوب بالعامل قبله وإنما هو منصوب بالعامل المحذوف من لفظه وذلك المحذوف هو الحال وهو قول جميل كما ترى •

٣ - مذهب الكوفيين أنه مفعول مطلق منصوب بالعامل قبله

وليس في موضع الحال •

ومما يرد في هذا المجال اعراب « اسفاً » من قول أبي الطيب :

أبلى الهوى أسفاً يوم النوى بدني

وفرق المهجر بين الجفن والوسن

روح تردد في مثل الخلال إذا

أطارت الريح عنه الثوب لم ين

كفى بجسي نحولاً إني رجل

لولا مخاطبتي إياك لم ترني

فالحال هنا غير واردة لأن المعنى يأبأها والمفعول لأجله لا يصح لاختلاف الفاعل فلم يبق إلا المفعولية المطلقة والتقدير أسفت أسفاً ودل على فعله ما تقدمه لأن ابلاء الهوى بدنه يدل على أسفه كأنه قال أسفت أسفاً ، وتعسف ابن هشام فحاول أن يبرر نصبه على أنه مفعول لأجله فقال : فمن لم يشترط اتحاد الفاعل فلا اشكال (والقائل بهذا هو ابن خروف) وأما من اشترطه فهو على اسقاط لام العلة توسعاً كما في قوله « يبغونها عوجاً » (أي يبغون لها عوجاً) أو الاتحاد موجود تقديره إما على أن الفعل المعلل مطاوع أبلى محذوفاً أي فبليت أسفاً ولا تقدر فبلي بدني لأن الاختلاف حاصل إذ الأسف فعل النفس لا البدن أو لأن الهوى لما حصل بتسبيه كأنه قال أبليت بالهوى بدني ولا طائل تحت هذه التأويلات المتعسفة .

وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَخَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَأُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ
هُم عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا
لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءَ
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ
الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمُ نَفْعَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ
يُوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا
تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا
بِئْسَ حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾

اللفظة :

(يَكْلَأُكُمْ) : في المصباح : « كَلَاهُ اللَّهُ يَكْلَأُهُ مِمْمُوزٌ بفتح تين من
باب قطع كلاءة بالكسر والمد حفظه ويجوز التخفيف فيقال كليته أَكْلَاهُ
وكليته أَكْلَأُوهُ من باب تعب لغة لقريش لكنهم قالوا : مكلو بالواو

أكثر من مكليّ بالياء » وفي القاموس : « كلاً يكلاً بالفتح كلثا وكلاءة وكلاء بكسر الكاف الله فلاثاً حرمه وحفظه وكلاه بالسوط ضربه به وكلاً بصره في الشيء ردّده فيه وكلاً النجم متى يطلع : رعاه » وفي الأساس : « الله يكلؤك ، وتداركه الله بكلاءته واكتلات منه : احترست قال كعب بن زهير :

أنخت قلوصي واكتلات بعينها وأمرت نفسي أيّ أمري أفعل

أي احترست بعينها لأنها إذا رأت شيئاً ذعرت ، وكلاً دَيْئنه كلوياً : تأخر فهو كاليء ونهي عن « بيع الكالئ بالكالئ » وكثلاته أنا تكلئة واستكلأت كثلاة وتكلأت : استلفت سلفاً وتقول : « إن الكثلئ تذيب شحم الكثلئ » جمع كلاة •

(خردل) : الخردل : نبات له حبّ صغير جداً أسود مقرح والواحدة خردلة ويقال خردل الطعام : أكل خياره وخردل اللحم قطع أعضائه والخراذل القطع من اللحم •

الاعراب :

(ولقد استهزى برسل من قبلك) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم ومواساته واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق واستهزى فعل ماض مبني للمجهول وبرسل قام مقام نائب الفاعل ومن قبلك نعت لرسل • (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) الفاء عاطفة وحقاق فعل ماض وبالذين متعلقان بحاق وجملة سخروا لا محل لها لأنها صلة

الموصول ومنهم حال من فاعل سخرؤا وما فاعل حاق وجملة كانوا صلة الموصول وكان واسمها وبه متعلقان بقوله يستهزئون ويستهزئون جملة فعلية في محل نصب خبر كانوا . (قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن) من اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة يكلؤكم خبر والجملة مقول القول وبالليل متعلقان يكلؤكم والنهار عطف على الليل ومن الرحمن أي من عذابه وأمره وهما متعلقان يكلؤكم . (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) بل حرف اضراب وهم مبتدأ وعن ذكر ربهم متعلقان بمعرضون ، ومعرضون خبر هم وهو اضراب عما تضمنه الكلام من النفي والتقدير ليس لهم كاليء ولا مانع غير الرحمن مع انهم لا يخطرونه في بالهم فضلاً عن أن يخافوا بأسه وعذابه . (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) أم حرف عطف واضراب فهي بمعنى بل ولهم خبر مقدم وآلهة مبتدأ مؤخر وهمزة الاستفهام مقدرة والتقدير ألهم آلهة تمنعهم وجملة تمنعهم صفة لآلهة ومن دوننا صفة لآلهة أيضاً . (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير أن من ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ولا نافية ويستطيعون فعل مضارع وفاعل ونصر أنفسهم مفعول به ولا الواو عاطفة ولا نافية وهم مبتدأ ومنا متعلقان يصحبون ويصحبون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وجملة يصحبون خبر هم ، تقول العرب أنا لك صاحب من فلان أي مجير لك منه وتقول أيضاً : صاحبك الله أي حفظك وأجارك . (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) بل حرف اضراب اتقالي ومتعنا فعل وفاعل وهؤلاء اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب مفعول به وآباءهم عطف على هؤلاء وحتى حرف غاية وجر وطال فعل ماض وعليهم متعلقان بطال والعمر فاعل طال .

(أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون) الهزمة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على مقدر وقد تكرر هذا التعبير حتى لم يعد ثمة موجب لإعادته ولا نافية ويرون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وان وما في حيزها سدت مسد مفعولي يرون لأن الرؤية هنا علمية ويجوز أن تكون بصرية وان واسمها وجملة نأتي الأرض خبرها وجملة ننقصها من أطرافها حالية من فاعل نأتي أو من مفعوله أي تفتحها أرضاً بعد أرض بسا ينقص من أطراف المشركين ويزيد في أطراف المؤمنين وقد تقدم بسط هذا مفصلاً في سورة الرعد فجدد به عهداً وسيأتي السر في اسناد الفعل الى نفسه في باب البلاغة وقوله أفهم الهزمة للاستفهام الانكاري التقريري والفاء عاطفة على مقدر وهم مبتدأ والغالبون خبر (قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون) إنما كافة ومكفوفة وأنذركم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وبالوحي متعلقان بأنذركم ولا يسمع الواو عاطفة ويجوز أن تكون حالية ولا نافية ويسمع الصم الدعاء فعل مضارع وفاعل ومفعول به وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وهي لمجرد الظرفية متعلقة بيسمع أي وقت انذارهم ، وما زائدة وينذرون فعل مضارع مبني للسجھول والواو نائب فاعل وجملة ينذرون في محل جر بإضافة الظرف اليها وسيأتي تفصيل لهذه الآية في باب البلاغة . (ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وإن شرطية ومستهم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والهاء مفعول به ونفحة فاعل والمراد بالنفحة القليل مأخوذ من نفح المسك قاله ابن كيسان ومنه قول النعمان بن بشير :

وعمرة من سروات النسا ء تنفح بالمسك أردانها

وقال المبرد : النفحة الدفعة من الشيء التي دون معظمه يقال نفحه نفحة بالسيف إذا ضربه ضربة خفيفة ، وقيل : هي النصيب ، وقيل هي الطرف والمعنى متقارب أي ولئن مسهم أقل شيء من العذاب ، ومن عذاب ربك صفة لنفحة ، ليقولن اللام واقعة في جواب القسم لأنه سبق ويقولن فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل والنون للتوكيد ويا ويلنا إما نداء للمويل ليحضر فهذا أوأانه وأما ان يا للتنبيه وويلنا مفعول مطلق لفعل محذوف وإنا إن واسمها وجملة كنا خبرها ونا اسم كان وظالمين خبرها • (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً) جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما سيقع عند اتیان ما أنذروه ونضع فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن والموازين مفعول به والقسط وصف الموازين وقد وصفت بنفس المصدر مبالغة من قسط اذا عدل وليوم القيامة متعلق بنضع واللام بمعنى « في » كقولهم مضى لسبيله وقيل بمعنى عند قال الزمخشري : « مثلها في قولك جئته لخمس خلون من الشهر ومنه بيت النابغة :

توسست آيات لها فعرفتھا لسته أعوام وذا العام سابع

ومعناه تتبعت رسومها وآثارها فعرفتھا أي في تلك المواضع المذكورة في البيت قبله وقوله لسته أعوام أي تمام ستة أعوام مضت من عهدها وهذا العام الحاضر الذي نحن فيه هو السابع ولو قال لسبعة أعوام لأفاد أن السبعة كلها مضت وليس مراداً فقول بعضهم انه كان يكفي أن يقول لسبعة أعوام فعجز عن اتمامه وكمله بما لا معنى له ولا وجه إلا عدم التبصر • فلا الفاء عاطفة وتظلم فعل مضارع مبني للمجهول ونفس نائب فاعل وشيئاً مفعول مطلق أو مفعول ثان لتظلم •

(وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) الواو عاطفة وإن شرطية وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط واسمها مستتر تقديره هو يعود على العمل ومثقال حبة خبر كان ومن خردل صفة لحبة وأتينا بها في محل جزم جواب الشرط وكفى الواو عاطفة وكفى فعل ماض والباء حرف جر زائد وحاسبين تمييز أو حال وأنت ضمير المثقال لأنه أضيف الى الحبة وقد مرت قاعدته •

البلاغة :

١ - وضع الظاهر موضع المضمَر : في قوله تعالى : « قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون » فن لطيف يمكن تسميته وضع الظاهر موضع المضمَر والفائدة منه التسجيل عليهم فقد كان مقتضى السياق أن يقول ولا يسمعون ولكنه صرح بالصم وتجاوز بالظاهر عن ضميره للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم إن أنذروا ، وللدلالة على صدور إنكار شديد وغضب عظيم وتعجب من نبو أسماعهم عن الوحي وعدم إصاختهم لما ينفعهم وإمعانهم في ركوب الغي والتعسف في متاهات الضلال وهذا فن عجيب تميز به القرآن الكريم وسيرد عليك الكثير من نماذجه •

٢ - اسناد الضمير الى الله تعالى في قوله تعالى : « أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها » أسند سبحانه الضمير الى نفسه تعظيماً للمسلمين الذين أجرى على أيديهم الانتصار العظيم وافتتاح البلاد والأمصار وإن عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبية عليها

ناقصة من أطرافها فأصله تأتي جيوش المسلمين ولكنه أسند الاتيان الى نفسه تنويهاً بقدر المجاهدين وتعظيماً لما أتوا به من جلائل الأعمال وناهيك بمن يعمل عملاً ينسبه الله الى نفسه ألا يصح فيه أن يكون مصداقاً لقوله في حديثه « كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها » الى آخر الحديث القدسي •

٣ - مبالغات ثلاث :

وفي قوله تعالى : « ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا » ثلاث مبالغات :

آ - ذكر المس وهو أقل شيء بل هو شيء رفيق جداً فما بالك اذا اثال عليهم ؟ أي يكفي للدلالة على ذلهم وهوان أمرهم ووهن عزيتهم أن أقل مس يكفيهم ليدعنوا ويتظامنوا ويعلموا ذلهم وخضوعهم والاقرار على أنفسهم بأنهم تصاموا وأعرضوا وقد رمق المتنبى سماء هذه المبالغة فقال في وصف قوم جبناء :

وضاقت الارض حتى كاد هاربهم

إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً

ب - وما في النفحة من معنى القلة والنزارة يقال : نفحته الدابة ونفحه بعطية •

ج - بناء المرة من النفع فمصدر المرة يأتي على فعلة أي نفحة واحدة لا ثاني لها تكفي لتشتيت أمرهم وتوهين كيانهم وتصعد صفوفهم فكيف اذا عززت بثانية أو ثالثة ؟ •

الفوائد :

مصدرا المرة والهيئة :

مصدر المرة هو ما يذكر لبيان عدد الفعل ويبني من الثلاثي المجرد على وزن فعلة بفتح الفاء وسكون العين مثل : وقتت ووقفّة ووقتتين ووققات فإن كان الفعل فوق الثلاثي ألحقت بمصدره التاء مثل أكرمته إكرامة وفرّحته تفريحة وتدحرج تدحرجة إلا ان كان المصدر ملحقا في الأصل بالتاء فيذكر بعده ما يدلّ على العدد مثل رحمته رحمة واحدة وأقمت إقامة واحدة واستقمت استقامة واحدة .

أما مصدر النوع أو الهيئة فهو ما يذكر لبيان نوع الفعل وصفته نحو وقتت وقفة ويبني من الثلاثي المجرد على وزن فعلة بكسر الفاء مثل عاش عيشة حسنة ومات ميتة سيئة وفلان حسن الجلسة وفلانة هادئة المشية فإن كان الفعل فوق الثلاثي يصير مصدره بالوصف مصدر نوع مثل أكرمته إكراماً عظيماً .

هذا وهنا تنبيه هام نبه عليه الشيخ أبو حيان وهو أن هذه التاء الدالة على المرة الواحدة لا تدخل على كل مصدر بل على المصادر الصادرة عن الجوارح المدركة بالحس نحو قومة وضربة وقعدة وأكلة ، وأما مصادر الأفعال الباطنة والخصال الجليلة الثابتة نحو الظرف والحسن والجبن والعلم فلا يقال من ذلك علمته علمة ولا فهمته فهمة ولا صبرته صبرة .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَآءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾
 الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرُ
 مُبَارَكٍ أُنزِلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ
 مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ
 الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ
 لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ
 أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾

اللفظة :

(التماثيل) : جمع تمثال بكسر التاء أي الصورة المصورة أو ما تصنعه وتصوره مشبهاً بخلق الله من ذوات الروح والصورة وهذا الوزن فيه زائدان أحدهما قبل الفاء والآخر قبل اللام وقد جاء اسماً وصفة . فالاسم تمثال للصورة ويجمع على تماثيل وقالوا تجفاف وتبيان فالتجفاف واحد تجافيف الفرس وهو ما يلبس عند الحرب والزينة وتبيان بمعنى البيان فمنهم من يجعله مصدراً من قبيل الشاذ لأن المصادر إنما تجيء على تفعال بالفتح نحو التلعاب والتهدار ولم يجيء بالكسر إلا تبيان وتلقاء ، وسيبويه يجعلهما من الاسماء التي وضعت

موضع المصادر كالغارة وضعت موضع الإغارة • وقال غير واحد من علماء اللغة : التمثال هو الصورة المصنوعة من رخام أو نحاس أو خشب شبيهة بخلق الآدمي •

الاعراب :

(ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرًا للمتقين)
الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تسليية لرسوله صلى الله عليه وسلم فينا يكابده من قومه وتقوية لقلبه وحفزاً لاستدامته في تأدية الرسالة وذكر منها في هذه السورة عشر قصص وستأتي • واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وموسى مفعول به وهارون معطوف على موسى والفرقان مفعول به ثان وضياء عطف على الفرقان وذكرًا عطف على ضياء وللمتقين متعلقان بضياء وعطف الصفات جائز فهو من هذا الوادي واختار الزمخشري أن يعرب حالاً وعامله محذوف دل عليه ما قبله وقدره : وآتينا به ضياء ، أما ما ارتآه بعضهم من أن الواو زائدة وضياء حال من الفرقان فهذا مجرد تحكم لا تردد في رده •
(الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون) الذين اسم موصول في محل جر صفة للمتقين ولك أن تعربه خبراً لمبتدأ محذوف أي هم الذين وجملة يخشون صلة والواو فاعل وربهم مفعول به وبالغيب حال من الفاعل في يخشون وهم الواو عاطفة أو حالية وهم مبتدأ ومن الساعة جار ومجرور متعلقان بمشفقون ومشفقون خبر هم وسيأتي سر التعبير بالاسمية في باب البلاغة • (وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون) الواو استئنافية والجملة مستأنفة لخطاب أهل مكة ومحاورتهم حول القرآن الكريم الذي أنزل بلسانهم ، وهذا مبتدأ وذكر خبر ومبارك صفة وجملة أنزلناه صفة لذكر وهو فعل وفاعل

ومفعول به والهمزة للاستفهام التوبيخي لأنه خطاب للعرب وهم أهل اللسان العربي ومعادن الفصاحة فما أجدرهم باكتناه أسرار القرآن وإدراك بلاغته والفاء عاطفة على محذوف وأنتم مبتدأ وله متعلقان بمنكرون ومنكرون خبر أنتم • (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وإبراهيم مفعول به أول ورشده مفعول به ثان ومن قبل حال أي من قبل موسى وهارون وكنا الواو عاطفة وكان واسمها وبه متعلقان بعالمين وعالمين خبر كنا • (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟) الظرف متعلق بفعل محذوف أي اذكر ولك أن تعلقه بعالمين وعلقه الزمخشري بآتينا أو برشده أيضاً وليس ثمة ما يمنع من ذلك وجملة قال مضاف إليها الظرف ولأبيه متعلقان بقال وقومه عطف على لأبيه ، وما اسم استفهام مبتدأ وهذه خبر والتماثيل بدل من اسم الإشارة والتي صفة وجملة أنتم لها عاكفون صلة الموصول وأنتم مبتدأ وعاكفون خبر ولها متعلقان بعاكفون وسيأتي السر في عدوله عن القول عليها عاكفون إلى لها عاكفون في باب البلاغة • (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) قالوا فعل وفاعل ووجدنا فعل وفاعل والجملة مقول القول وآباءنا مفعول ووجدنا الأول ولها متعلقان بعابدين وعابدين مفعول ووجدنا الثاني • (قال : لقد كنتم أنتم وآبائكم في ضلال مبين) اللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وكنتم كان واسمها وأنتم تأكيد للتاء وآبائكم عطف على التاء وفي ضلال خبر كنتم ومبين صفة لضلال • (قالوا : أجبثنا بالحق أم أنت من اللاعبين) الهمزة للاستفهام وجبثنا فعل وفاعل ومفعول به وبالحق متعلقان بجبثنا وأم حرف عطف معادل للهمزة وأنت مبتدأ ومن اللاعبين خبره •

البلاغة :

١ - العدول عن الفعلية الى الاسمية : في قوله تعالى : « وهم من الساعة مشفقون » عدول عن الخطاب بالجملة الفعلية كما هو مقتضى السياق الى الخطاب بالجملة الاسمية وانما يعدل عن أحد الخطابين وإن كان السياق يقتضيه لضرب من التأكيد والمبالغة وقد جيء بها هنا تنويهاً بالخاص بعد العام فالخشية من الله ملازمة لهم ولكنها من الساعة أكثر ملازمة وأشد امتلاكاً لقلوبهم وأسراً لجوارحهم، ما يريسون عن تذكرها، وتفادي كل ذنب خشية مواجهتها بما هم فيه ، وأمر ثان هو الديمومة والاستمرار اللذان تفيدهما الجملة الاسمية أكثر مما تفيدهما الجملة الفعلية التي تتوزع على الأزمنة .

٢ - في قوله تعالى : « ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون » عدول عن « على » التي يتعدى فعل العكوف بها ولكنه لم يقصد التعدية ولو قصد التعدية لقال عليها ولكنه عدل عنها الى اللام لأنه قصد من العكوف معنى العبادة ليجيبوه بقولهم « وجدنا آباءنا لها عابدين » وانهم لا ينفكون عن التقليد الاعمى وفي ذلك ما فيه من التنديد بالتقليد والقول بغير برهان والانجرار الى ما عليه آباؤهم ولو بالأرسان ، وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الأوثان والأصنام منهم وقيل إن اللام بمعنى على وقد نص النحاة على مجيئها بمعنى على ولكن تقوت بذلك النكتة التي ألمعنا اليها فالأولى بقاءها على بابها من الاختصاص الذي هو معنى رئيسي للام .

٣ - خولف بين الجملتين في الآية « قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين » لملاحظة تجدد في احدهما فبرزت في صورة الفعلية وثبات

في الأخرى فبرزت في صورة الاسمية والمعنى : احدثت عندنا الاتيان بالحق وهو التوحيد فيما نسمعه منك أم أنت على ما كنت عليه من اللعب منذ أيام الصبا وأرادوا بالتجدد في الجملة الاولى أن التوحيد أمر محدث مخترع وبالثبات في الثانية أنه على عادتهم المستمرة من اللعب تحقيراً له ، وما أقبح ضلالهم في تقليد آبائهم في عبادة جناد هو دونهم في الرتبة حيث ينحتونها بأيديهم ثم يغفرون وجوههم وجباههم دونها .

قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى
ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ
تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاً إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِغَالِيهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا
فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ وَابْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾

اللفظة :

(جذاذاً) : في القاموس الجذاذ بثلاث الجيم : ما تكسر من الشيء وفعله جذّ يَجْذُّ من باب نصر وقد تقدمت الخصائص لاجتماع الجيم والذال فاء وعيناً للكلمة .

الاعراب :

(قال : بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) بل حرف اضراب وربكم مبتدأ ورب السموات والارض خبر والذي صفة لرب وجملة فطرهن صلة والضير يعود على السموات والارض أو على التثايل ورجح الزمخشري الثاني لكونه « أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم » ويدل على ذلك أيضاً قوله « وإنا على ذلكم من الشاهدين » كأنه قال وسأبين لكم ذلك وأبرهن عليه ، وأنا مبتدأ خبره من الشاهدين وعلى ذلك متعلقان بالشاهدين . (وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولتوا مدبرين) وهذا شروع في تأكيد الطريقة الفعلية أو الدليل العملي كما يقال فالواو عاطفة والتاء تاء القسم وسيرد بحث هام عن حروف القسم الجارة في باب الفوائد والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم واللام جواب القسم وأكيدن فعل مضارع مبني على الفتح لوجوب توكيده بنون التوكيد الثقيلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنا وأصنامكم مفعول به وبعد ظرف متعلق بأكيدن وأن وما في حيزها مصدر مؤول مضاف إلى الظروف ومدبرين حال أي تعودوا إلى مجتمعاتكم . (فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون) الفاء عاطفة على محذوف تقديره فولوا وعادوا إلى مجتمعاتهم وذهب معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى بنفسه وقال إني سقيم أشتكى رجلي فتركوه ومضوا فرجع إبراهيم إلى بيت الأصنام وقبالة الباب صنم عظيم وإلى جنبه أصغر منه وهكذا دواليك فقال لهم إبراهيم ألا تأكلون فلم ينبس أحد فأنهال عليهم تكسيراً فجعلهم والقصة بكاملها مروية في الخازن وغيره .

وجعلهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول وجذاذاً مفعول به ثان وإلا أداة استثناء لأن الكلام تام موجب وكبيراً مستثنى من الهاء أي لم يكسره وتركه لحبك النكتة واستكمال الهزء بهم ، ولعل واسمها واليه متعلقان يرجعون وجملة يرجعون خبر لعل وفي هذا من التهكم ما فيه .
(قالوا من فعل هذا بالهتتا إنه لمن الظالمين) قالوا فعل وفاعل ومن اسم استفهام قصد به الإنكار مبتدأ وجملة فعل خبر وهذا مفعول فعل وبالهتتا متعلقان بفعل ولم يشيروا إليها بهؤلاء وهي أمامهم لوضع الظاهر موضع المضمر وقد تقدم بحثه وجملة إنه لمن الظالمين مستأنفة مسوقة لتقرير ما تقدم وتأكيد استنكارهم لما حدث وان واسمها واللام المرحلة ومن الظالمين خبر ان . (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) جملة سمعنا مقول القول وفتى مفعول سمعنا وجملة يذكرهم مفعول به ثان وستأتي خاصة فعل سمع في باب الفوائد وجملة يقال صفة لفتى وله متعلقان يقال وإبراهيم : في رفعه عدة أوجه متساوية الرجحان أولها أنه نائب فاعل ، يقال أي يقال له هذا اللفظ قال الزمخشري : وهو الصحيح لأن المراد الاسم لا المسمى وثانيها أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو إبراهيم أو هذا إبراهيم وثالثها أنه مبتدأ محذوف الخبر أي إبراهيم فاعل ذلك ورابعها أنه منادى وحرف النداء محذوف أي يا إبراهيم . (قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون) فأتوا الفاء الفصيحة وأتوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وبه متعلقان بقوله فأتوا ، وعلى أعين الناس في محل نصب على الحال من الضمير المجرور بالباء أي أتوا به حال كونه معائناً مشاهداً وسيأتي سر الاستعلاء في هذا التعبير ولعلهم لعل واسمها وجملة يشهدون خبرها أي يشهدون عليه أنه الفاعل .

الفوائد :

في هذه الآيات فوائد كثيرة نورد أهمها فيما يلي :

١ - حروف القسم : أصل حروف القسم الباء والواو مبدلة منها وانما قلنا ذلك لأنها حرف الجر الذي يضاف به فعل الحلف الى المحلوف وذلك الفعل أحلف أو أقسم أو نحوهما ولكنه لما كان الفعل غير متعد وصلوه بالباء المعدية فصار أحلف بالله أو أقسم بالله ، قال الله تعالى : « وأقسموا بالله جهد أيمانكم » وقال الشاعر :

أقسم بالله وآلائه والمرء عما قال مسئول

وقال زهير بن أبي سلمى :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله

رجال بنوه من قريش وجرهم

وانما خص الباء بذلك دون غيرها من حروف الجر الأمور :

آ - انه يجوز ذكر فعل القسم معها كما رأيت في الشواهد المتقدمة ولا يجوز ذلك في الواو والتاء فلا تقول أقسم والله ولا أقسم بالله .

ب - جواز دخولها على الضمير دون غيرها من الحروف تقول : بك لأفعلن ولا تقول تك ولا وك ، ومعروف أن الضمير يرد الشيء الى أصله .

ج - استعمالها في القسم الاستعطائي وذلك أن القسم جملة انشائية يقصد بها تأكيد جملة أخرى فإن كانت هذه الجملة الأخرى انشائية أيضاً فذلك هو القسم الاستعطائي نحو بالله هل قام زيد أي أسألك بالله مستحلفاً • ومن القسم الاستعطائي بالباء قول المجنون :

بربك هل ضمت إليك ليلي قيل الصبح أو قبلت فها

د - اختصاص الباء دون الواو والتاء بمجيئها لغير القسم وهو ظاهر •

ولما كثر استعمال ذلك في الحلف آثروا التخفيف فحذفوا الفعل من اللفظ وهو مراد ليعلق حرف الجر به ثم أبدلوا الواو من الباء توسعاً في اللغة ولأنها أخف لأن الواو أخف من الباء وحركتها أخف من حركة الباء وانما خصوا الواو بذلك لأمرين :

آ - أنها من مخرج الباء أي من الشفتين •

ب - من جهة المعنى وذلك أن الباء معناها الالتصاق والواو معناها الاجتماع ، والشيء إذا لاصق الشيء فقد جاء معه •

وأما التاء فهي مبدلة من الواو لأنه قد كثر إبدالها في نحو تكأة وتراث وتخمة لشبهها من جهة اتساع المخرج وهي من الحروف المهموسة فناسب همسها لين حروف اللين ، ولما كانت الواو بدلاً من الباء والبديل ينحط عن درجة الأصل فلذلك لا تدخل إلا على كل ظاهر ولا تدخل على المضمر لانحطاط الفرع عن درجة الأصل لأنه من المرتبة الثانية والتاء لما كانت بدلاً من الواو وكانت من المرتبة الثالثة انحطت عن

درجة الواوفاختصت باسم الله تعالى لكثرة الحلف به وقد يكون فيها معنى التعجب قال الله تعالى : « تالله تفتأ تذكر يوسف » على طريق التعجب وكالآية التي نحن بصددھا كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه أو مشكوكاً فيه على الأقل لتعذره وصعوبته .

٢ - خصائص فعل سمع :

لهذا الفعل خصائص عجيبة وذلك انه إذا دخل على ما لا يسمع تعدى لاثنين كما في الآية الكريمة فالمفعول الأول فتى والثاني يذكرهم بخلاف ما لو دخلت على ما يسمع كأن قلت سمعت كلام زيد فانها تعدى لواحد .

٣ - معنى الاستعلاء :

معنى الاستعلاء العلو فالسین والتاء للعلو لا للطلب ويكون الاستعلاء على نوعين حقيقي نحو « عليها وعلى الفلك تحملون » ومجازي نحو « أولئك على هدى من ربهم » « وانك لعلى خلق عظيم » شبه التمكن من الهدى والأخلاق العظيمة الشريفة والثبوت عليها بمن على دابة يصرفها كيف شاء وكذلك قولهم : عليه دين كأن شيئاً اعتلاه وكما في قوله « على أعين الناس » أي يثبت اتيانه في الأعين ويتمكن منها ثبات الراكب على المركوب وتملكه منه .

قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَا بَرَاهِيمُ ﴿١٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ

كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى

أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ
 عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ
 شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا جَعَلْنَا نَارَ كُونِ
 بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٨﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٦٩﴾

الاعراب :

(قالوا : أنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟) الهمزة للاستفهام
 وأنت مبتدأ وجملة فعلت خبر وهذا مفعول به وبآلهتنا متعلقان بفعلت
 ويا حرف نداء وابراهيم منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب
 منادى . (قال : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون)
 بل حرف اضراب وفعله كبيرهم فعل ومنفعل به وفاعل مؤخر وهذا نعت
 اكبيرهم أو بدل منه والفاء الفصيحة واسألوهم فعل أمر وفاعل ومنفعل
 به وإن شرطية وكانوا فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والواو
 اسمها وجملة ينطقون خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله
 أي فاسألوهم . (فرجعوا الى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون) الفاء
 عاطفة ورجعوا فعل ماض وفاعل والى أنفسهم متعلقان برجعوا فقالوا
 عطف على فرجعوا وإنكم ان واسمها وجملة أنتم الظالمون خبرها ولك
 أن تجعل أنتم ضمير فصل والظالمون خبر إن . (ثم نكسوا على

رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) ثم حرف عطف للتراخي وسيأتي معنى التنكيس في باب البلاغة ونكسوا فعل ونائب فاعل وعلى رءوسهم حال أي كائنين على رءوسهم ولك أن تعلقه بنفس الفعل ومعنى التنكيس القلب يقال نكس رأسه ونكسه مخففاً ومشدداً أي طأطأه حتى صار أعلاه أسفله واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وعلمت فعل وفاعل والخطاب لإبراهيم والجملة معمول لقول محذوف في موضع الحال وما نافية حجازية وهؤلاء اسمها وجملة ينطقون خبرها وجملة ما هؤلاء ينطقون في موضع المفعولين لعلمت أو في موضع المفعول الواحد إن كانت علمت بمعنى عرفت . (قال : أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم) الهزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف وتعبدون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل ومن دون الله حال وما مفعول به وجملة لا ينفعكم صلة وشيئاً مفعول مطلق ولا يضركم عطف على لا ينفعكم . (أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) أف اسم فعل مضارع وقد تقدمت اللغات فيها ومعناه أتضجر ولكم متعلقان بمحذوف حال لأن اللام للبيان بالنسبة للمتأفف ولما تعبدون عطف على لكم وجملة تعبدون صلة ومن دون الله حال أفلا الهزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف ولا نافية وتعقلون فعل مضارع والواو فاعل . (قالوا : حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين) حرقوه فعل أمر وفاعل ومفعول به والجملة مقول القول وانصروا فعل أمر وفاعل وآلهتكم مفعول به وإن شرطية وكنتم فعل الشرط والتاء اسم كان وفاعلين خبرها وجواب إن محذوف دل عليه ما قبله أي فحرقوه وانصروا آلهتكم . (قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) لا بد من تقدير جمل محذوفة أي فأزمعوا أمرهم على حرقه فجمعوا الحطب الكثير وأضرموا النار وأوثقوا إبراهيم وجعلوه

في منجنيق ورموه في النار ، وقلنا فعل وفاعل ويا حرف نداء ونار منادى
نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب وكوني فعل أمر ناقص
والياء اسمها وبرداً خبرها وسلاماً عطف على برداً وعلى ابراهيم صفة
سلاماً . (وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين) الواو حرف عطف
وأرادوا فعل ماض وفاعل وبه متعلقان بأرادوا وكيداً مفعول به ،
فجعلناهم الفاء حرف عطف وجعلناهم عطف على أرادوا والأخسرين
مفعول به ثان .

البلاغة :

١ - تجاهل العارف : في قوله : « أنت فعلت هذا بالهتنا
يا ابراهيم » فن طريف من فنونهم يسمى تجاهل العارف وهو سؤال
المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه ليخرج الكلام مخرج المدح أو
الذم أو ليدل على شدة الوله في الحب أو لقصد التعجب أو التوبيخ أو
التقرير وهو على قسمين موجب ومنفي والآية التي نحن بصددنا من
التجاهل الموجب الجاري مجرى التقرير .

٢ - التعريض : في قوله « فاسألوهم إن كانوا ينطقون » فن
التعريض ، وقد تقدمت الإشارة إليه أكثر من مرة ، أراد عليه الصلاة
والسلام أن يبين لهم أن من لا يتكلم ولا يعلم ليس بمستحق للعبادة
ولا يصح في العقل أن يطلق عليه أنه إله ، فأخرج الكلام مخرج التعريض
لهم بما يوقعهم في الاعتراف بأن الجمادات التي عبدوها ليست بآلهة
لأنهم إذا قالوا لا ينطقون قال لهم : فكيف تعبدون من يعجز عن النطق
ويقصر عن أن يعلم بما يقع عنده في المكان الذي هو فيه ، فهذا الكلام
من فرض الباطل مع الخصم حتى تلزمه الحجة ويعترف بالحق فإن ذلك
أقطع لشبهته وأدفع لمكابرته .

وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً
يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ
الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا إِتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ
مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ
فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾

الاعراب :

(ونجيناہ و لوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) الواو عاطفة
ونجيناہ فعل و فاعل و مفعول به و لوطاً معطوف على الہاء أو مفعول معه
و الواو واو المعية وهو ابن أخيه فنقلناه من أرض فمروذ بالعراق ، الى
الأرض متعلقان بنجيناہ أو بمحذوف حال والتي صفة للأرض وجملة
باركنا فيها للعالمين صلة وفيها حال وللعالمين متعلقان بباركنا وهي قرى
بيت المقدس بفلسطين وسيأتي بحث هام عن فلسطين لغة في باب الفوائد
(ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلاء جعلنا صالحين) الواو حرف
عطف ووهبنا فعل و فاعل وله متعلقان بوهبنا واسحق مفعول به ويعقوب
عطف على اسحق و نافلة حال من يعقوب أي أعطي يعقوب زيادة من
غير سؤال واذا جعلت معنى نافلة عطية فيكون اتصاها على المفعولية

المطلقة من معنى العامل وهو وهبنا لأن الهبة والعطية متقاربان في المعنى وكلاً مفعول أول لجعلنا مقدم وجعلنا فعل وفاعل وصالحين مفعول به ثان . (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) وجعلناهم فعل وفاعل ومفعول به وأئمة مفعول به ثان وجملة يهدون بأمرنا صفة لأئمة وبأمرنا حال أي يهدون إلى ديننا ملتبسين بأمرنا . (وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) وأوحينا عطف على ما تقدم واليهم متعلقان بأوحينا وفعل الخيرات مفعول به وإقام الصلاة عطف على فعل الخيرات وكذلك إيتاء الزكاة ، وكانوا الواو عاطفة وكانوا كان واسمها وعابدين خبرها ولنا متعلقان بعابدين . (ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً) ولوطاً منصوب بفعل محذوف يفسره ما بعده أي آتيناه لوطاً فهو من باب الاشتغال وجملة آتيناه مفسرة لا محل لها وحكماً مفعول ثان لآتيناه وعلماً معطوف على حكماً . (ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين) ونجيناه فعل وفاعل ومفعول به ومن القرية متعلقان بنجيناه والتي صفة للقرية وجملة كانت صلة واسم كانت ضمير مستتر تقديره هي وجملة تعمل الخبائث خبر كانت وجملة انهم تعليلية لا محل لها وإن اسمها وجملة كانوا خبرها وقوم خبر كانوا وسوء مضاف لقوم وفاسقين صفة لقوم . (وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين) في رحمتنا متعلقان بأدخلناه وجملة انه من الصالحين تعليلية وإن واسمها والجار والمجرور خبرها .

البلاغة :

في هذه الآيات مجازان الأول في قوله « ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث » والمراد أهلها لأنهم كانوا يمارسون الخبائث أي

الأعمال القبيحة من اللواط والرمي بالبندق واللعب بالطيور وغيرها .
والثاني في قوله « وأدخلناه في رحمتنا » أي في جنتنا لأنها مكان الرحمة
فهو مجاز مرسل علاقته المحلية .

الفوائد :

١ - فلسطين :

فلسطين بفتح الفاء وكسرهما مع فتح اللام لا غير قرى بيت
المقدس وفي القاموس : « فلسطين وفلسطين وقد تفتح فائهما : كورة
بالشام وقرية بالعراق تقول في حال الرفع بالواو وفي حال النصب والجر
بالياء أو تلزمها الياء في كل حال والنسبة فلسطي » هذا ويجوز في هذا
النوع أي المسمى بجمع المذكر السالم أن يعرب بالحركات الثلاثة
ظاهرة على النون حال كونه لم يكن أعجمياً وإن كان أعجمياً أعرب إعراب
ما لا ينصرف أي لا ينون ويجر بالفتحة ويجوز فيه أن يعرب إعراب جمع
المذكر السالم .

٢ - إقام الصلاة وإيتاء الزكاة :

(إقام الصلاة وإيتاء الزكاة) القاعدة في مصدر الفعل الرباعي
على وزن أفعل أن يأتي على إفعال إن كان صحيح العين نحو اكرم اكراماً
وأوجد ايجاداً فان اعتلت عينه نحو اقام وأعان وأبان جاء مصدره على
إفالة كإقامة وإعانة وإبانة حذف عين المصدر وعوض منها تاء التأنيث
والأصل اقوام وإعوان وإيبان فنقلت حركة الواو والياء وهي الفتحة
إلى الحرف الساكن قبلهما ثم حذفنا فراراً من اجتماع الساكنين وعوض

منهما التاء وقد تحذف هذه التاء من المصدر إذا أضيف كقوله تعالى «وإِقام الصلاة وإِيتاء الزكاة» وما كان منه معتلّ اللام مثل أعطى وأهدى وأولى قلبت لامه في المصدر همزة مثل إعطاء وإهداء وإيلاء ولأصل اعطاو وإهداي وإيلاي قال في شرح القاموس «العرب تهمز الواو والياء إذا جاءتا بعد ألف لأن الهمزة أحمل للحركة منهما ولأنهم يستثقلون الوقف على الواو وكذلك الياء مثل الرداء أصله رداي» هذا ويرجع في هذا إلى بحث الإبدال في كتب النحو المطولة.

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمٌ سَوَاءٌ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكَرَّ لِيُحِصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾

اللفظة :

(الحرث) : الزرع وبابه نصر أو كتب كما في المختار وفي القاموس :
الحرث مصدر والأرض التي تستنبت بالبذر والنوى والغرس قال
ابن عباس وأكثر المفسرين إن الحرث كان كرماً قد تدلت عناقيده وقيل
كان زرعاً .

(نفشت) : تفرقت وانتشرت فيه فرعته وأفسدته وفي المختار :
« نفشت الغنم والابل أي رعت ليلاً بلا راع من باب جلس...والنفش
بفتحين اسم منه ومنه قوله تعالى « إدا نفشت فيه غنم القوم » ولا يكون
النفش إلا بالليل » ونفش الصوف والقطن من باب نصر والنفش
تشعيب الشيء بأصابعك حتى ينتشر .

(لبوس) : اللبوس اللباس قال : « البس لكل حال لبوسها »
والمراد الدرع ، قال قتادة : كانت صفائح فأول من سردها وخلقها داود
فجمعت الخفة والتحصين وهي المسماة بالدرع والدرع كما في المختار
مؤتة ، وقال أبو عبيدة ثؤنث وتذكر .

الاعراب :

(ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجينااه من الكرب العظيم)
ونوحاً عطف على لوطاً فيكون مشتركاً معه في عامله الذي هو آتينا
المفسر بآتينا الظاهر وكذلك داود وسليمان والتقدير ونوحاً آتينااه
حكماً وداود وسليمان آتيناها حكماً فإذا بدل اشتمال من نوحاً
وداود وسليمان ولك أن تعربه مفعولاً به لفعل محذوف أي واذكر

نوحاً وداود وسليمان أي اذكر خبرهم وقصتهم فتكون اذ منصوبة بنفس المضاف المقدر أي خبرهم الواقع في وقت كذا ، وجملة نادى مضاف اليها ومن قبل متعلقان بنادى فاستجبنا عطف على نادى وله متعلقان باستجبنا ، فنجيناه عطف على استجبنا ومن الكرب متعلقان بنجيناه والعظيم صفة • (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) ونصرناه فعل وفاعل ومفعول به ومن القوم متعلقان بنصرناه والذين صفة للقوم وجملة كذبوا بآياتنا صلة وان واسمها وجملة كانوا خبرها وجملة انهم تعليلية لا محل لها وقوم سوء خبر كانوا فأغرقناهم عطف على ما تقدم وأجمعين تأكيد للهاء. (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين) وداود وسليمان تقدم اعرابهما وإذ ظرف بدل من المضاف المحذوف أي اذكر قصة داود وسليمان وجملة يحكمان مضافة اليها وفي الحرث متعلقان بيحكمان وإذ ظرف متعلق بدل من المضاف المحذوف وجملة نفشت مضاف اليها وفيه جار ومجرور متعلقان بنفشت وغنم القوم فاعل وستأتي خلاصة القصة في باب الفوائد ، وكنا الواو عاطفة وكان واسمها وشاهدين خبرها ولحكمهم متعلقان بشاهدين وجمع الضمير لأنه أرادهما والمتحاكمين اليهما ، أو انه ضمير يراد به المثني وانما وقع الجمع مقام التثنية مجازاً أو لأن التثنية جمع وأقل الجمع اثنان ، ويدل على أن المراد التثنية قراءة ابن عباس لحكمهما بصيغة التثنية • (ففهمناها سليمان وكلاء آتينا حكماً وعلماً) ففهمناها عطف على يحكمان لأنه بمعنى الماضي أي فهمناه الصواب فيها وفهمناها فعل وفاعل ومفعول به وسليمان مفعول به ثان وكلاء مفعول أول مقدم الآتينا وحكماً وعلماً مفعول به ثان لآتينا • (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) وسخرنا فعل وفاعل ومع ظرف مكان

متعلق بسخرنا وداود مضاف اليه والجبال مفعول به وجملة يسبحن
حالية من الجبال أي مسبحة ويجوز أن تكون مستأنفة والطيور عطف
على الجبال أو مفعول معه وكنا الواو عاطفة وكان واسمها وفاعلين
خيرها • (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم
شاكرون) وعلمناه عطف على ما تقدم وعلمناه فعل وفاعل ومفعول به
وصنعة مفعول ثان لعلمناه وللبوس مضاف ولكم يجوز أن تتعلق
بمحذوف صفة لللبوس فاللام للتمليك ويجوز أن تتعلق بعلمناه فتكون
اللام للتعليل وعلى هذا يكون قوله لتحصنكم بدلاً باعادة اللام أي
لكم ولإحصانكم ، وعلى الوجه الأول يتعلق قوله لتحصنكم بعلمنا ،
ولتحصنكم اللام للتعليل وتحصنكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة
بعد لام التعليل والفاعل مستتر تقديره هي والكاف مفعول به ومن
بأسكم متعلقان بتحصنكم والفاء استئنافية وأنتم مبتدأ وشاكرون خبر •
(ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها)
الواو عاطفة ولسليمان متعلقان بفعل محذوف تقديره سخرنا والريح
مفعول به للفعل المحذوف المفهوم من قوله تعالى « وسخرنا مع داود
الجبال » وعاصفة حال وجملة تجري بأمره حال ثانية وإلى الأرض
متعلقان بتجري والتي صفة وجملة باركنا فيها صلة • (وكنا بكل شيء
عالمين) الواو عاطفة ، وكنا : كان واسمها وبكل شيء متعلقان بعالمين
وعالمين خبرها • (ومن الشياطين من يغوصون له) ومن الشياطين خبر
مقدم ومن يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة مبتدأ مؤخر ولك أن
تعطفها نسقاً على الريح وجملة يغوصون صلة أو صفة وجمع الضمير
حملاً على معنى من وحسن ذلك تقدم جمع ما قبله وله متعلقان
يغوصون • (ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين) ويعملون
عطف على يغوصون وعملاً مفعول به أو مفعول مطلق ودون ظرف

متعلق بمحذوف صفة وذلك مضاف اليه وكنا كان واسمها وحافظين
خيرها ولهم متعلقان بحافظين .

البلاغة :

في قوله تعالى : « وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث الخ »
فن جمع المختلف والمؤتلف ، وهو عبارة عن أن يريد المتكلم التسوية
بين ممدوحين فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما ثم يروم بعد ذلك ترجيح
أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص مدح الآخر فيأتي لأجل ذلك
الترجيح بمعان تخالف معاني التسوية ، وقبل أن نتحدث عن الآية
نورد أبياتاً للخنساء توضح هذا الفن بجلاء نظمتها في أخيها صخر وقد
أرادت مساواته في الفضل بأبيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل
لا ينقص بها مدح الولد فقالت :

جاري أباه فأقبلا وهما	يتعاوران ملاءة الحضر
وهما وقد برزا كأنهما	صقران قد حطّا الى وكر
حتى إذا نزت القلوب وقد	لزت هناك العذر بالعدر
وعلا هتاف الناس أيهما	قال المجيب هناك : لا أدري
برقت ضعيفة وجه والده	ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أن يساويه	لولا جلال السن والكبر

فلنتكم الآن على الآية والأبيات معاً لتتضح لك حقيقة هذا الفن
العجيب : ففي الآية ساوى أول الآية بين داود وسليمان عليهما السلام في

أهلية الحكم ثم رجح آخرها سليمان حيث يقول « ففهمناها سليمان »
 وحصل الالتفات الى مراعاة فأتى بما يقوم مقام تلك الزيادة التي يرجح
 بها سليمان لترشد الى المساواة في الفضل لتكون فضيلة السن
 وما يستتبعها من وغرة التجارب وحنكة الحياة قائمة مقام الزيادة التي
 رجح بها سليمان في الحكم أما معنى شعر الخنساء فإنها بعد قولها
 في المساواة :

وهما وقد برزا كأنهما صقران قد حطا الى وكر
 وبعد قولها فيها أيضاً :

حتى اذا نزت القلوب وقد ازت هناك العذر بالعدر
 تريد أن عذر اللجم لز بعضها بعضاً والعذر جميع عذار وهو السير
 الذي يكون على خد الدابة من اللجام وهذا يدل على المساواة في العدو ثم
 قالت في ترجيح الوالد :

برقت صحيفة وجه والده ومضى على غلوائه يجري

تعني أنه خرج وجهه من الغبار دون وجه رسيه سبقاً .
 ثم قالت في الحاق الولد بالوالد في الفضل :

أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السن والكبر

تريد أن الولد كان قادراً على مساواة الوالد لولا ما التزمه من
 الأدب مع برّ أبيه ، ومعرفته بحقه ، فغض من عنانه وخفض جناح فضله
 ليؤثر أباه بالفضل على نفسه .

والآية الكريمة ساوت بين داود وسليمان في التأهل للحكم وشركت بينهما فيه حيث قالت : « إذ يحكمان في الحرث » وأخبرت ان الله سبحانه فهم سليمان إصابة الحكم ففضل أباه بذلك بعد المساواة ثم التفت سبحانه ، الى مراعاة حق الولد فقال : « وكلاً آتينا حكماً وعلماً » فرجعا بذلك الى المساواة بعد ترجيح سليمان ليعلم الولد بذلك بر الوالد ويعرفه ما له عليه من الحق حتى إذا فكر الناظر في هذا الكلام وقال : من أين جاءت المساواة في الحكم والعلم بعد الاخبار بأن سليمان فهم من الحكم ما لم يفهمه أبوه ؟ علم أن حق الأبوة قام مقام تلك الفضيلة فحصلت المساواة وحصل في هذا الكلام من الزيادة على معنى الخنساء بعد اشتراكهما في جمع المختلف والمؤتلف ضرب آخر من المحاسن يقال له الالتفات وذلك في قوله تعالى فيها « وكنا لحكمهم شاهدين » وأدمج في هذا الالتفات ضرباً آخر من المحاسن يقال له « التنكيت » فإن النكته التي من أجلها جمع الضمير الذي كان من حقه أن يكون مثنى هي الإشارة الى أن هذا الحكم متبع يجب الاقتداء به لأنه عين الحق ونفس العدل وكيف لا يكون كذلك وقد أخبر سبحانه أنه شاهد له أي هو مراعى بعينه عز وجل ويجوز أن يكون جمع الضمير الذي أضيف اليه الحكم من أجل أن الحكم يستلزم حاكماً ومحكوماً له ومحكوماً عليه فجمع الضمير لأجل ذلك .

هذا ومن طريف ما قيل في جمع المؤتلف والمختلف قول الخبزأرزي واسمه نصر الله بن أحمد البصري وكان أمياً يخبز خبز الأرز في البصرة وينشد أشعار الغزل فقد قال :

رأيت الهلال ووجه الحبيب فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتي فيهما هلال السما من هلال البشر

ولولا التورد في الوجنتين وما لاح لي من خلال الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب وكنت أظن الحبيب القمر

فقد سوى بينهما أولاً ثم رجع ففضل الحبيب على الهلال .

الفوائد :

قصة حكم داود وسليمان في الحرث :

سنلخص قصة حكومة داود وسليمان في الحرث لما انطوت عليه من طرافة لتكون حافزاً لأقلام كتاب القصة على ترجمتها على غرار قصة أهل الكهف فقد روى التاريخ : أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا اقللت غنمه فوقعت في حرثي فأفسدته فلم تبق منه شيئاً فأعطاه داود رقاب الغنم في الحرث فخرجوا فمرا على سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال : كيف قضى بينكما ؟ فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا وروى انه قال : غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه فقال : كيف تقضي، ويروى أنه قال بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين ، قال : أدفع الغنم الى صاحب الزرع ينتفع بديرها ونسلها وصوفها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فإذا صار الحرث كهيئته دفع الى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود : القضاء ما قضيت كما قال تعالى : « ففهمناها سليمان » أي علمناه القضية ويروى قال سليمان أرى أن تدفع الغنم الى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها

والحرث الى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد ثم يتراد أن فقال : القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك .

الحكم بالشرعية الاسلامية :

أما حكم هذه القضية في الشريعة الاسلامية فقد تساءل عنه الزمخشري في كشافه فقال : « فإن قلت : فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها ؟ قلت : أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم لا يرون فيه ضماناً بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد ، والشافعي رضي الله عنه يوجب الضمان بالليل » .

بقي هنا سؤال وهو لماذا اسنعمل ضمير الجمع لاثنين في قوله تعالى : « وكنا لحكمهم شاهدين » .

وفي الجواب قولان أولهما أن المراد المثني ولو وقع الضمير جمعاً لأن التثنية أقل الجمع والثاني أن المصدر المضاف انما هو مضاف للحاكمين وهما داود وسليمان والمحكوم عليه ، فهؤلاء جماعة ولكن فيه على هذا اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله دفعة واحدة وهما انما يضاف الى أحدهما فقط وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز فان الحقيقة اضافة المصدر الى فاعله والمجاز اضافته الى مفعوله » .

ومن عجائب حكم سليمان ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (بينا امرأتان معهما ابناهما إذ جاء الذئب فذهب بأحدهما فقالت هذه : إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك فاختصمتا الى داود عليه السلام ففضى به للكبرى فمرت على سليمان فأخبرته فقال : اثنياني بسكين أشقه بينكما

فقلت الصغرى : لا ويرحمك الله فقضى به للصغرى • قال أبو هريرة :
والله إن كنت سمعت بالسكين قبل ذلك ما كنت أقول إلا المديّة •

قال في القاموس : والسكين مؤنثة كالسكينة وصانعها سَكَّان
وسكاكيني ، هذا وقد اشتهر داود بصنع الدروع والجواشن ونحوها
وقد رُمق أبو الطيب المتنبي سماء هذه الصناعة فقال يصف مفرشه
وملبسه بصدد الافتخار بنفسه :

مفرشي صهوة الحصان ولكن

قميصي مسرودة من حديد

لأمة فاضة أهناة دلاص

أحكمت نسجها يدا داود

يقول : إني شجاع لا أفارق ظهر الفرس وملبوسي الدرع وقميصي
لأمة أي ملتئمة الصنعة محكمة النسج من صنع داود وهو أول من
عمل الدرع •

وسؤال آخر : كيف وصف اريح المسخرة لسليمان بأنها عاصف
ووصفها في موضع آخر بأنها رخاء فوصفها تارة بالعصف وتارة بالرخاوة
وقد أجاب الزمخشري على هذا السؤال ببراعة نادرة فقال : « كانت في
نفسها رحية طيبة كالنسيم فإذا مرت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة
على ما قال « غدوها شهر ورواحها شهر » فكان جمعها بين الأمرين ،
أن تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها
على حسب ما يريد ويحتكم ، آية الى آية ، ومعجزة الى معجزة ، وقيل
كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفاً لهبوبها على حكم إرادته » •

قلت : ويشبه هذا الوصف عصا موسى تارة بأنها جان وتارة بأنها ثعبان والجبان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم الجافي منها ووجه ذلك أنها جمعت الوصفين فكانت في خفتها وفي سرعة حركتها كالجان وكانت في عظم خلقها كالثعبان وقد رمق الشعراء سماء هذا المعنى فوصفوا اجتماع النقيضين في موصوف واحد ، قال ابن الرومي في وصف وحيد المغنية :

خلقت فتنة غناء وحسناً ما لها فيهما جميعاً نديد
فهي نعمى يسيد منها كبير وهي بلوى يشيب منها الوليد

فوصفها بأنها نعمى يسيد منها الكبير ثم وصفها بأنها بلوى يشيب منها الصغير فهي إن واصلت أحيت وإن هاجرت أماتت وقال من هذه القصيدة الممتعة التي أحب أن ترجع إليها في ديوانه :

ما تزالين نظرة منك موت لي ميت ونظرة تخليد
تتلاقى فلحظة منك وعد بوصال ولحظة تهديد

وهو في الشعر كثير نجتزئ منه بهذا المثال .

* وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ۖ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ ۖ مِنْ ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ

رَحْمَةً ۖ مِنْ عِنْدِنَا ۖ وَذَكَرَىٰ لِلْعَبِيدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا

الْكِفْلِ كُلِّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ
﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

الاعراب :

(وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين)
وأيوب مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر وهو على حذف مضاف
أي اذكر خبر أيوب ، وإذ بدل من خبر أي من المضاف المقدر وجملة
نادى ربه مضاف إليه ، وربه مفعول نادى ، وأنى أن وما في حيزها نصب
بنزع الخافض أي باني وإن واسمها وجملة مسني الضر خبر أن وأنت
الواو حالية وأنت مبتدأ وأرحم خبر والراحمين مضاف إليه وستاتي
في باب الفوائد . (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) الفاء عاطفة
واستجبنا فعل وفاعل وله متعلقان باستجبنا ، فكشفنا عطف على
فاستجبنا وما مفعول به وبه صلة ما ومن ضر حال . (وآتيناه وأهله
ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) وآتيناه فعل وفاعل
ومفعول به وأهله مفعول به ثان ومثلهم عطف على أهله أو مفعول معه
ومعهم ظرف مكان متعلق بمحذوف حال أي كائنين معهم ورحمة مفعول
من أجله ويجوز أن يكون مصدراً لفعل مقدر أي رحمناه رحمة والأول
أرجح ومن عندنا صفة لرحمة وذكرى عطف على رحمة وللعابدین

متعلقان بذكرى • (واسماعيل وادريس وذا الكفل كلٌ من الصابرين)
واسماعيل مفعول به لفعل محذوف أي واذكر ويجوز أن يعطف نسقاً
على من تقدم من الانبياء وادريس عطف على اسماعيل وذا الكفل عطف
أيضاً وسيأتي سبب تسميته بذلك في باب الفوائد وكل مبتدأ ومن
الصابرين خبره • (وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين) الجملة
معطوفة وان واسمها ومن الصالحين خبرها • (وذا النون إذ ذهب
مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه) وذا النون مفعول به لفعل محذوف أو
معطوف نسقاً على من تقدم وسيأتي بحثه في باب الفوائد ، وإذ بدل
من المضاف المحذوف كما تقدم وجملة ذهب مضاف إليها ومغاضباً حال
أي لقومه لا لربه أي انه غضب عليهم لما كابدوه منهم ، فظن الفاء عاطفة
وظن معطوف على ذهب أي تركهم وذهب دون أن يؤذن له وفاعل ظن
مستتر تقديره هو وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وجملة
لن نقدر عليه خبر وسيأتي معنى لن في باب الفوائد كما ستأتي
خلاصة قصته • (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني
كنت من الظالمين) فنادى عطف على ظن وفي الظلمات متعلقان بمحذوف
حال وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وجملة لا إله إلا أنت
هي الخبر ويجوز أن تكون مفسرة لأن النداء فيه معنى القول دون
حروفه وسبحانك مفعول مطلق لفعل محذوف والجملة حالية واني ان
واسمها والجملة تعليلية وجملة كنت من الظالمين خبر إني ومن الظالمين
خبر كنت • (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك تنجي المؤمنين)
فاستجبنا عطف على ما تقدم وله متعلقان باستجبنا ونجيناه فعل وفاعل
ومفعول به ومن الغم متعلقان بنجيناه ، وكذلك الكاف نعت لمصدر
محذوف وتنجي المؤمنين فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به •

الفوائد :

١ - خلاصة قصة أيوب :

روى التاريخ أن أيوب كان رجلاً رومياً من ولد اسحق بن يعقوب وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله وكان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وقيل ثلاث عشرة سنة وقالت له امرأته يوماً : لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء ؟ فقالت : ثمانين سنة فقال : أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده وورقه مثلهم ونوافل منهم ، وقصة أيوب حافلة بالصور الشعرية الملهمة وهي ديوان حافل عن الصبر على البلاء وعدم البطر في الرخاء .

٢ - الفرق بين الضر والضر :

يقال ضر بفتح الضاد وضر بضمها والفرق بينهما أن الضر بالفتح هو الضرر بكل شيء والضر بالضم هو الضرر في النفس من هزال ومرض وفرق بين البناءين لاغتراق المعنيين وقد ظم بعضهم الفرق بينهما كما أورد معاني أخرى لهما قال :

وضدّ نفع قيل فيه ضرّ وجود ضرّة لعرض ضرّ
وسوء حال المرء ذاك ضرّ كذا هزال مرض أو كبر

٣ - التلطف في السؤال :

وقد تلطف أيوب في السؤال وألمح الى ما يعاينه من بلاء دون أن يصرح بمطلوبه حيث اكتفى بذكر المس في الضر وأدخل آل الجنسية على الضر لتشمل أنواعه المتقدمة ووصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها فكان درساً بليغاً لكل من تتعاوره الأرزاء وتنتابه اللأواء ويحكى أن عجوزاً تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشيت جردان بيتي على العصي فقال لها : ألطفت في السؤال لا جرم لأردنّها ثب وثب الفهود وملاً بيتها حباً . وقد تعلق أبو الطيب المتنبي بأذيال هذه البلاغة عندما خاطب كافوراً بما كان يرجوه منه وهو أن يعطيه ولاية وإن كان قصده المواربة :

أرى لي بقربي منك عيناً قريرة

وإن كان قرباً بالبعد يشاب

وهل نفعي أن ترفع الحجب بيننا

ودون الذي أملت منك حجاب

أقلّ سلامي حبّ ما خف عنكم

وأسكت كيما لا يكون جواب

وفي النفس حاجات وفيك فطانة

سكوتي بيان عندها وخطاب

وفي البيت الثالث نكتة نحوية وهي انتصاب حبّ وذلك انه نصبه

على أنه مفعول له وهو مصدر كأنه يقول الحب ما خف أي لإيثاري
التخفيف وقد تطف حبيب بن أوس أبو تمام وأجمل أغراضه كلها في
بيت واحد وهو قوله :

وإذا الجودُ كان عوني على المرء تقاضيته بترك التقاضي

أما أبو بكر الخوارزمي فقال راسماً خطة الطلب :

وإذا طلبت إلى كريم حاجة فلقاؤه يكفيك والتسليم
فإذا رآك مسلماً عرف الذي حملته فكانه ملزوم

وسبقهم جميعاً أمية بن أبي الصلت بقوله المشهور :

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الشناء

٤ - ذو الكفل :

هذا لقبه والكفل هو النصيب واسمه بشير وقيل الياس وقيل
زكريا كأنه سمي بذلك لأنه المجدور وذو النصيب الأوفى من الحظ ،
وقيل ذو الكفل اسمه وقد كان له اسمان ولم يكن لقباً .

٥ - ذو النون :

في المختار : « ذو النون الحوت وجمعه أنوان ونيان وذو النون
لقب يونس بن متى على وزن شتى اسم والده على ما ذكر في القاموس
أو اسم لأمه على ما قاله ابن الأثير في النهاية ، وقيل ذا النون لأنه رأى

صبياً مليحاً فقال دسموا نوته لثلاثييه العين ، وحكى ثعلب أن نوة الصبي هي الثقبه التي تكون في ذقن الصبي الصغير ، ومعنى دسموا : سودوا ، وذو بسعنى صاحب ، قال السهيلي في كتاب الأعلام في قوله تعالى « وذو النون هو يونس بن متى أضاف ذا الى النون وهو الحوت فقال سبحانه « ولا تكن كصاحب الحوت » وبينهما فرق وذلك انه حين ذكر في معرض الثناء عليه قيل ذا النون ولم يقل صاحب النون والاضافة بهذا أشرف من الاضافة بصاحب لأن قولك ذو يضاف الى التابع وصاحب يضاف الى المتبوع تقول : أبو هريرة صاحب النبي ولا تقول : النبي صاحب أبي هريرة إلا على وجه ما وأما ذو فانك تقول فيها ذو الملك وذو الجلال وذو العرش وذو القرنين فتجد الاسم الاول متبوعاً غير تابع ولذلك سميت أقيال حمير أذواء منهم ذو جذن وذو يزن وذو رعين وذو كلاع وفي الاسلام ذو الشهادتين وذو الشمالين وذو اليدين وذلك كله تفخيم للمسمى بهذا وليس ذلك في لفظ صاحب وإنما فيه تعريف لا يقرن به شيء من هذا المعنى « وستأتي قصته وابتلاع الحوت له في الصافات .

٦ - معنى لن نقدر عليه :

أما معنى قوله « فظن أن لن نقدر عليه » لن نقضي عليه بما قضينا من حبه في بطن الحوت أو نضيق عليه بذلك فهي من القدر. لا من القدرة كما في قوله تعالى « الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر » وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال : لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة ففرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك ، قال وما هي يا معاوية ؟ فقرأ عليه هذه الآية وقال : أويظن نبي الله أن لا يقدر عليه ، قال : هذا من القدر لا من القدرة على أن الزمخشري بعد أن ذكر الوجه

الذي أوردناه أجاز أن يفسر بالقدرة على معنى أن لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب التمثيل بمعنى « فكانت حاله مثله بحال من ظن أن لن تقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله » .

وذهب جمهور من العلماء أن معناها فظن أن لن تضيق عليه من قدر عليه رزقه أي ضيق وقتر .

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ .
إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾

اللفظة :

(زكريا) : بالمد علم نبي وألفه للتأنيث فلذلك منع من الصرف وهو أيضاً غير مصروف للعجمة والتعريف وقيل هو عربي مشتق من زكر أي امتلا أو تزكر .

الاعراب :

(وزكريا إذ نادى ربه رب لا تدركني فرداً وأنت خير الوارثين)
تقدم القول في اعراب وزكريا إذ نادى ربه ، ورب منادى مضاف الى ياء
المتكلم المحذوفة ولا ناهية للدعاء وتذكرني فعل مضارع مجزوم بلا
والنون للوقاية والفاعل مستتر تقديره أنت والياء مفعول به وفرداً حال
وأنت الواو عاطفة على محذوف أي فارزقني وارثاً وأنت مبتدأ وخير
الوارثين خبر . (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه)
الفاء عاطفة واستجبنا فعل وفاعل وله متعلقان باستجبنا واستجبنا فعل
وفاعل والمفعول محذوف أي نداءه وأصلحنا فعل وفاعل وله متعلقان
بأصلحنا وزوجه مفعول به والمراد بإصلاحها جعلها سالحة للولادة بعد
عقرها وعقمها والعقم انسداد الرحم كما في المختار . (إنهم كانوا
يسارعون في الخيرات) الجملة تعليل للإصلاح وإن واسمها وجملة كانوا
كانوا خبرها وكان واسمها وجملة يسارعون في الخيرات خبر كان
وعبر بفي دون الى للإشعار بديمومتهم على المسارعة كأنهم استقروا فيها
(ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين) ويدعوننا عطف على
يسارعون ويدعوننا فعل وفاعل ومفعول به ورغباً ورهباً مصدران
منتصبان على الحال أو على المصدرية الملاقية لعاملها في المعنى دون
اللفظ أو على المفعول له وكانوا كان واسمها وخاشعين خبرها ولنا
متعلقان بخاشعين . (والتي أحصنت فرجها فنفضنا فيها من روحنا
وجعلناها وابنها آية للعالمين) والتي أي واذكر مريم التي ، وجملة
أحصنت فرجها صلة فنفضنا عطف على أحصنت وفيها متعلقان بنفضنا
ومن روحنا متعلقان بنفضنا أيضاً ولك أن تعرب التي مبتدأ والخبر
محذوف أي فيما يتلى عليهم وجعلناها فعل وفاعل ومفعول به وابنها

عطف على الهاء أو مفعول معه وآية مفعول به ثان وانما لم يطابق المفعول الاول فيثنى لأن كلاً من مريم وابنها آية بانضمامه للآخر فصار آية واحدة أو تقول انه حذف من أحدهما لدلالة الثاني عليه أي وجعلنا مريم آية وابنها كذلك أو بالعكس وللعالمين صفة لآية • (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) إن واسمها وخبرها وأمة حال لازمة وقيل بدل من هذه وواحدة صفة وأنا الواو عاطفة وأنا مبتدأ وربكم خبر والفاء الفصيحة واعبدوني فعل أمر وفاعل وياء المتكلم المحذوفة لرسم المصحف مفعول به • (وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون) الواو عاطفة وتقطعوا فعل ماض وفاعله والأصل وتقطعتم إلا أن الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كما سيأتي في باب البلاغة ، وأمرهم في نصبه وجوه أرجحها أنه منصوب بنزع الخافض أي تفرقوا في أمرهم ويجوز أن يكون تقطعوا معناه قطعوا فيكون أمرهم مفعولاً به ورأى أبو البقاء أن يكون تمييزاً ولا أدري كيف استقام ذلك معه •

البلاغة :

١ - الالتفات : في قوله تعالى « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ، وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون » الالتفات ، الأصل في تقطعوا تقطعتم على الأول إلا أنه صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه ويقبح عندهم ما فعلوه ويقول لهم ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً وذلك تمثيل لاختلافهم فيه وتباينهم ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فيجازيهم على ما فعلوا •

٢ - معنى النفخ في مريم : ظاهر الكلام يوهم أن مريم هي التي أحييت لأن معنى النفخ الأحياء ولكن الله تعالى نزل نفخ الروح في عيسى لكونه في جوف مريم منزلة نفخ الروح في مريم ونحو ذلك أن يقول الزمار : نفخت في بيت فلان أي نفخت في الزمار في بيته .

فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ
وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾
حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَأَقْتَرَبَ
الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُوِيلْنَ قَدْ كُنَّا فِي
غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِن كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ
جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ إِلَٰهًا مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

اللفظة :

(كفران) : الكفران مصدر الكفر قال في القاموس : « كفر يكفر من باب نصر كفراً وكثفراً وكثفورا وكثفراً ضد آمن وكفر بالخالق تهاه وعطل وكفر كثراً وكهوراً وكهراً بنعم الله جحدتها وتناساها .

(حذب) : بفتحين مرتفع من الارض ومنه الحذب في الظهر وكل كدية أو أكمة فهي حذبة •

(ينسلون) : يسرعون والنسلان مقاربة الخطا مع الاسراع ، وفي المصباح : نسل في مشيه نسلاً : أسرع وبابه ضرب وفي القاموس هو من باب ضرب وقتل •

(حصب جهنم) : الحصب المحسوب به أي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وفي المختار : « والحصب بفتحين ما تحصب به النار أي ترمى وكل ما ألقته في النار فقد حصبتها به وبابه ضرب ومثله في القاموس •

الاعراب :

(فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويعمل فعل الشرط ومن الصالحات صفة لمفعول به محذوف أي عملاً من الصالحات والواو حالية وهو مبتدأ ومؤمن خبر والفاء رابطة ولا نافية للجنس وكفران اسمها ولسعيه خبر والواو استئنافية أو حالية وإن واسمها وكاتبون خبرها وله متعلقان بكاتبون • (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) الواو عاطفة من عطف الجمل أو استئنافية وحرام خبر مقدم وعلى قرية متعلقان بحرام وجملة أهلكناها صفة لقرية وإن وما في حيزها مبتدأ مؤخر وإن واسمها وجملة لا يرجعون خبرها ، وقيل لا زائدة وهو قول أبي عبيدة كقوله ما منعك أن لا تسجد ، أي يرجعون الى الايمان والمعنى وممتنع على أهل القرية قدرنا عليهم

إهلاكهم لكفرهم رجوعهم في الدنيا الى الايمان الى أن تقوم القيامة
فحينئذ يرجعون ويصح أن تكون نافية على بابها والتقدير لأنهم
لا يرجعون وقال الزجاج : وحرام على قرية أهلكناها حكمنا بإهلاكها
أن تتقبل أعمالهم لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون ودل على هذا المعنى قوله
قبل « فلا كفران لسعيه » أي يتقبل عمله ثم ذكر هذا عقبيه وبين أن
الكافر لا يتقبل عمله .

وعبارة ابن هشام في المغني « وحرام على قرية أهلكناها أنهم
لا يرجعون » ف قيل لا زائدة والمعنى ممتنع على أهل قرية قدرنا
أهلاكهم لكفرهم انهم يرجعون عن الكفر الى قيام الساعة وعلى هذا
فحرام خبر مقدم وجوباً لأن المخبر عنه أن وصلتها ومثله وآية لهم
أنا حملنا ذريتهم لا مبتدأ وان وصلتها فاعل أغنى عن الخبر كما جوز
أبو البقاء لأنه ليس بوصف صريح ولأنه لم يعتمد على قهي ولا استفهام
وقيل لا نافية والاعراب إما على ما تقدم والمعنى ممتنع عليهم انهم
لا يرجعون الى الآخرة وإما على أن حرام مبتدأ حذف خبره أي قبول
أعمالهم وابتدىء بالنكرة لتقييدها بالمعمول وأما على أنه خبر لمبتدأ
محذوف أي والعمل الصالح حرام عليهم وعلى الوجهين فانهم
لا يرجعون تعليل على اضرار اللام والمعنى لا يرجعون أعمالهم فيه
ودليل المحذوف ما تقدم من قوله تعالى : « فمن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا كفران لسعيه »

(حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون)
حتى حرف غاية وجر وهي غاية لامتناع الرجوع فهي متعلقة بحرام
على أنها حرف غاية وجر ويجوز أن تكون ابتدائية وهي التي يحكى
بعدها الكلام والكلام المحكى هنا جملة الشرط والجزاء وإذا ظرف لما

يستقبل من الزمن والجواب الذي تتعلق به اذا محذوف وتقديره قالوا يا ويلنا واختار الزمخشري وغيره أن يكون الجواب هو الفاء الداخلة على اذا الفجائية فإذا جاءت الفاء معها تساندتا وتعاونتا على وصل الجواب بالشرط فيتأكد ولو قيل إذا هي شاخصة أو فهي شاخصة كان سديداً. هذا وقد اختار أبو حيان أن تكون حتى جارة متعلقة بتقطعوا على ما فيه من بعد قال : «وكون حتى جارة متعلقة بتقطعوا فيه من حيث كثرة الفصل لكنه من حيث المعنى جيد وهو أنهم لا يزالون مختلفين على دين الحق الى قرب مجيء الساعة فإذا جاءت الساعة انقطع ذلك » وفتحت فعل ماض مبني للمجهول ويأجوج وماجوج نائب فاعل ولا بد من تقدير مضاف وهو سدهما والواو للحال وهم مبتدأ وخبره جملة ينسلون ومن كل حذب متعلقان بينسلون . (واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) الواو عاطفة واقترب الوعد فعل وفاعل والحق صفة للوعد والفاء رابطة وإذا الفجائية وقد تقدم بحثها وهي مبتدأ و شاخصة خبر وأبصار الذين كفروا فاعل شاخصة . (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) النداء متعلق بقول محذوف في محل نصب على الحال أي يقولون يا ويلنا احضر فهذا أوانك وقد حرف تحقيق وكان واسمها وفي غفلة خبرها ومن هذا متعلقان بغفلة ، بل حرف اضراب وكان واسمها وخبرها وهذه الجميل كلها مقول قولهم المحذوف . (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها واردون) ان واسمها والجملة ابتدائية وما عطف على الكاف وجملة تعبدون صلة ومن دون الله حال وحصب جهنم خبر انكم وجملة أتم لها واردون جملة اسمية من مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال من جهنم وفيه أن مجيء الحال من المضاف اليه لم يرد في كلامهم إلا مشروطاً ويجوز أن تكون بدلاً من حصب جهنم ويجوز أن تكون خبراً ثانياً لأن وأجاز

آخرون أن تكون مستأنفة • (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون) لو شرطية امتناعية وكان فعل ماض ناقص وهؤلاء اسمها وآلهة خبرها وجملة ما وردوها لا محل لها لأنها جواب لو والواو للحال وكل مبتدأ وفيها متعلقان بخالدون وخالدون خبر • (لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) لهم خبر مقدم وفيها حال وزفير مبتدأ مؤخر والواو عاطفة وهم مبتدأ وفيها متعلقان يسمعون وجملة لا يسمعون خبرهم •

البلاغة :

المذهب الكلامي : في قوله تعالى : « انكم وما تعبدون حسب جهنم أتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون » المذهب الكلامي وقد تقدمت الإشارة إليه ، وسنزيده بسطاً هنا فنقول : اذا تقرر أن المذهب الكلامي هو احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له على طريقة أرباب الكلام أو استنتاج النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة كما سيأتي في سورة الحج فإن الآية التي نحن بصددنا يترتب عليها ان هؤلاء الاصنام والأوثان ليسوا بآلهة فلو كانوا آلهة فهم حسب جهنم كما تقدم ان ملزوم قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » هو ما تقديره لكنهما ما فسدتا فليس فيهما آلهة إلا الله ومن النوع الثاني تقدم الكلام في سورة الاعراف على قوله تعالى : « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » فوجه استنتاج النتيجة في هذه الجملة من المقدمتين أن يقال إن الكفار لا يدخلون الجنة أبداً حتى يلج الجمل في خرم الابرة ، والجمل لا يدخل في خرم الابرة أبداً فهم لا يدخلون الجنة أبداً لأن تعليق الشرط على مستحيل يلزم منه استحالة وقوع المشروط •

ومن المذهب الكلامي قوله صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » وتسام الدليل أن يقال : لكنكم ضحكتم كثيراً وبكيتم قليلاً فلم تعلموا ما أعلم ، ومثله قوله مالك بن النضر الأندلسي :

لو يكون الحب وصلاً كله لم تكن غايته إلا الملل
أو يكون الحب هجراً كله لم تكن غايته إلا الأجل
إنما الوصل كمثل الماء لا يستطاب الماء إلا بالغلل

فالبیتان الأولان قياس شرطي والثالث قياس فقهي فإنه قياس الوصل على الماء فكما أن الماء لا يستطاب إلا بعد العطش فالوصل مثله لا يستطاب إلا بعد حرارة الهجر ، وأما الأقيسة الحملية فقد استنبطوها على صور ، منها ما يروى أن أبا دلف قصده شاعر تميمي فقال له :
من أنت ؟ فقال : من تميم ، فقال أبو دلف :
تميم بطرق اللؤم أهمل من القطا

ولو سلكت سبل الهداية ضلت

فقال التميمي نعم بتلك الهداية جئت إليك فأفحسه بدليل حملي ألزمه فيه أن المجيء إليه ضلال ولعمري إن القياس الشرطي أوضح دلالة في هذا الباب من غيره وأعذب في الذوق وأسهل في التركيب فإنه جملة واقعة بعد لو وجوابها وهذه الجملة على اصطلاحهم مقدمة شرطية متصلة يستدل بها على ما تقدم من الحكم .

وقال ابن رشيق في كتاب العمدة « ذكر ابن المعتز أن المجتهد سمي هذا النوع المذهب الكلامي قال ابن المعتز : وهذا باب ما علمت اني وجدت منه في القرآن شيئاً وهو ينسب الى التكلف تعالى الله عن

ذلك علواً كبيراً » وقد فات ابن رشيق وابن المعتز أن القرآن حافل
بهذا النوع كما رأيت وكما سيأتي فيما بعد على أن ابن رشيق لاحظ
على ابن المعتز شيئاً آخر فقال : « غير أن ابن المعتز قد ختم بهذا الباب
أبواب البديع الخمسة التي خصها بهذه التسمية وقدمها على غيرها
وأشدد للفرزدق :

لكل امرئ نفسان : نفس كريمة
وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسك من نفسك تشفع للنفس
إذا قل من أحرارهن شفيعها
وأشدد لآخر ولا أظنه إلا إبراهيم بن العباس :
وعلمتني كيف الهوى وجهلته
وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي
فأعلم ما لي عندكم فيميل بي
هواي إلى جهلي وأعرض عن ظلمي
وعاب على أبي تمام قوله :

فالمجد لا يرضى بأن ترضى بأن
يرضى المؤمن منك إلا بالرضا

وحكي أن اسحق الموصلي سمع الطائي ينشد ويكثر من هذا الباب وأمثاله عند الحسن بن وهب فقال : « يا هذا لقد شذرت على نفسك » وعندي أن النقد يتوجه الى أبي تمام في بيته لا من ناحية المذهب الكلامي الذي سلكه بل من ناحية التعقيد اللفظي فيه .

ومن طريف هذا المذهب ما أورده ابن رشيق لابن المعتز وهو قوله :

أسرفت في الكتمان	وذاك مني دهاني
كتمت حبك حتى	كتمته كتمانني
ولم يكن لي بد	من ذكره بلساني

قال : « وهذه الملاحاة نفسها والظرف بعينه » .

وقال أبو نواس :

سَخُنْتُ من شدة البرودة حتى	صرت عندي كأنك النار
لا يعجب السامعون صفتي	كذلك الثلج بارد حار

فهذا مذهب كلامي فلسفي ، وقوله أيضاً :

فيك خلاف لخلاف الذي	فيه خلاف لخلاف الجليل
---------------------	-----------------------

ويمكن اعتبار أبي تمام صاحب طريقة خاصة في المذهب الكلامي ،
استمع الى قوله في الحسد :

وإذا أراد الله نشر فضيلة	طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت	ما كان يعرف طيب عرف العود

ومن أزهار البهاء زهير قوله :

يا من أكابد فيه ما أكابده	مولاي أصبر حتى يحكم الله
سيت غيرك محبوبي مغالطة	لمعشر فيك قد فاهوا بما فاهوا
أقول زيد وزيد لست أعرفه	وإنما هو لفظ أنت معناه
وكم ذكرت مسمى لا اكتراث به	حتى يجر الى ذكراك ذكراه
أتيه فيك على العشاق كلهم	قد عز من ألت، يامولاي، مولاه
كادت عيونهم بالبغض تنطق لي	حتى كأن عيون الناس أفواه

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ يَخْلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾

اللفظة :

(السجّل) : كتاب العهد وكتاب الاحكام ، وكتاب يكتب فيه القاضي صورة الدعاوى والحكم فيها وصكوك المبايعات ونحوها

لتبقى محفوظة عنده والجمع سجلات ويقال سجل الرجل : كتب السجل وسجل الاوراق قيدها في المحاكم وسجل القاضي عليه حكم وسجل عليه بكذا شهره به ووسمه وسجل له بماله قرره وأثبت له .

الاعراب :

(إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) إن واسمها وجملة سبقت صلة ولهم متعلقان بسبقت ومنا حال والحسنى فاعل وأولئك مبتدأ، وعنهما متعلقان بمبعدون ومبعدون خبر أولئك وجملة أولئك عنها مبعدون خبر إن وجملة إن الخ ابتدائية . (لا يسمعون حسيها وهم فيما اشتت أنفسهم خالدون) جملة لا يسمعون حسيها تحتل وجوهاً منها أن تكون بدلاً من مبعدون لأنها تحل محله فتغني عنه ومنها أن تكون خبراً ثانياً لأولئك ويجوز أن تكون حالاً من ضمير مبعدون ولا نافية ويسمعون حسيها فعل مضارع مرفوع وفاعل ومفعول به والواو للحال أو استئنافية وهم مبتدأ وفيما متعلقان بخالدون وجملة اشتت أنفسهم صلة وخالدون خبر هم . (لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) الجملة حالية أو بدل من الجملة السابقة ولا نافية ويحزنهم فعل ومفعول به والفزع فاعل والأكبر صفة للفزع وتلقاهم الملائكة فعل ومفعول به وفاعل ، وجملة هذا يومكم مقول قول محذوف واقع موقع الحال أي قائلين : هذا يومكم ، وهذا مبتدأ ويومكم خبر والذي صفة ليومكم وجملة كنتم صلة وكان واسمها وجملة توعدون خبر كنتم . (يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب) الظرف متعلق

بمحذوف تقديره اذكر ولك أن تعلقه بلا يحزنهم أو بالفرع أو تتلقاهم
الملائكة وجملة نطوي في محل جر بإضافة الظرف اليها والفاعل ضمير
مستتر تقديره نحن والسماء مفعول به وكطي الكاف نعت لمصدر
محذوف أي كما يطوي الرجل صحيفته ليكتب فيها فالطي مصدر مضاف
للمفعول والحذف للفاعل مع المصدر مطرد باستمرار وللمكتب متعلقان
بطي فهي لتقوية التعدية أي للمكتوبات جميعها أي لما يكتب فيه من
المعاني الكثيرة • (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين)
الكاف نعت لمصدر محذوف وما مصدرية وبدأنا فعل وفاعل وأول خلق
مفعول بدأنا أي نعيد أول خلق إعادة مثل بدأنا له والزمخشري يجعل
ما كافة للكاف دائماً ووعداً مصدر منصوب بوعدنا مقدراً قبله وهو
مفعول مطلق مؤكد لمضون ما قبله ، وعلينا متعلقان بوعداً وان
واسمها وجملة كنا خبر إنا وكان واسمها وفاعلين خيرها وجملة إنا
تعليلية بمثابة التأكيد للقدرة على فعل ذلك وقدرها أبو حيان في البحر
« أي نحن قادرون على أن تفعل ذلك » واختار العمادي أن تكون حالة
وقدرها « أي محققين هذا الوعد فاستعدوا لذلك » وستأتي فوائد
هامية حول هذه الآية في بابي الفوائد والبلاغة • (ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الواو استئنافية
والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير أن الأرض للصالحين لها ولاستغلال
مواردها وطاقاتها المكنوزة فيها واللام جواب لقسم محذوف وقد حرف
تحقيق وكتبنا فعل وفاعل وفي الزبور متعلقان بكتبنا ومن بعد متعلقان
بمحذوف حال من الزبور وأن وما في حيزها مفعول كتبنا ، أي كتبنا
وراثة الأرض ، وان واسمها وجملة يرثها خبر وعبادي فاعل
والصالحون صفة •

البلاغة :

١ - المبالغة : في قوله تعالى : « لا يسمعون حسيستها » فن المبالغة ذلك لأن لقائل أن يقول : إذا نزل أهل الجنة منازلهم فيها فأى بشاره لهم في أنهم لا يسمعون حسيستها؟ والجواب انه تأكيد للمبالغة وانها لن تقرب منهم أبداً لأن الذي يكون عن كذب منها يسمع ، ولا شك ، حسيستها ، لأن أهل النار دركات جاءت وفق عدد سكانها وعدد داخلها ووفق عدة معبوداتهم ولذلك قال تعالى في آية أخرى « لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم » وسيأتي تفصيل ذلك في سورة الحجر ويروى أن علياً رضي الله عنه قرأ هذه الآية وهي « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيست الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول : « لا يسمعون حسيستها » .

٢ - التشبيه : في قوله تعالى « كما بدأنا أول خلق نعيده » تشبيه للإعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء قال الزمخشري : « فإن قلت : وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه ؟ قلت : أوله إيجاد من العدم فكما أوجده أولاً من عدم يعيده ثانياً من عدم فإن قلت : ما بال خلق منكرأ ؟ قلت : هو كقولك هو أول رجل جاءني تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلاً رجلاً فكذلك معنى أول خلق ، أول الخلق بمعنى أول الخلائق لأن الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو أن ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة أي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده وأول خلق ظرف لبدأناه أي أول ما خلق أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى » .

إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
 لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ
 مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُدْرِيَ أَقْرَبُ أَمْ
 بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾
 وَإِنْ أُدْرِيَ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيَّ حِينَ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ
 وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

الاعراب :

(إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين) ان حرف مشبه بالفعل وفي هذا
 خبرها المقدم واللام المزحلقة ولقوم صفة لبلاغاً وعابدين صفة •
 (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الواو حرف عطف وما نافية وأرسلناك
 فعل وفاعل ومفعول به وإلا أداة حصر ورحمة مفعول من أجله أو حال
 مبالغة في أن جعله نفس الرحمة أو على حذف مضاف أي ذا رحمة
 وللعالمين صفة لرحمة أو يتعلق بنفس الرحمة • (قل انما يوحى إلي انما
 إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون) انما كافة ومكشوفة ويوحى فعل
 مضارع مبني للمجهول وإلي متعلقان يوحى وان وما في حيزها نائب
 فاعل يوحى وإلهكم مبتدأ وإله خبر وواحد صفة والفاء الفصيحة أي
 ان علمتم هذا وهل حرف استفهام وأنتم مبتدأ ومسلمون خبر
 وسيأتي مبحث القصر بنوعيه في هذه الآية في باب البلاغة • (فإن تولوا

فقل آذنتكم على سواء) الفاء استئنافية وان شرطية وتولوا فعل ماض وهو فعل الشرط والواو فاعل والفاء رابطة لجواب الشرط وقل فعل أمر وآذنتكم فعل وفاعل ومفعول به والجملة في محل جزم جواب الشرط وعلى سواء متعلقان بمحذوف حال من التاء أي الفاعل أو من الكاف أي المفعول أي مستوين في العلم بالحرب وسيأتي تفصيل هذا الإيجاز في باب البلاغة . (وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون) الواو للحال وإن نافية وأدري فعل مضارع مرفوع والفاعل مستتر تقديره أنا والهمزة للاستفهام وقريب خبر مقدم وأم حرف عطف وبعيد عطف عليه وما مبتدأ مؤخر وجملة توعدون صلة وجوز أبو البقاء أن يرتفع ما توعدون فاعلاً بقريب سد مسد خبره وقريب مبتدأ قال لأنه اعتمد على الهمزة أو ببعيد لأنه أقرب إليه فتكون المسألة من باب التنازع وجملة أقرب أم بعيد ما توعدون في محل نصب مفعول أدري المعلقة عن العمل . (إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) ان واسمها وجملة يعلم خبرها وفاعل يعلم ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى والجهر مفعول به ومن القول حال من الجهر ويعلم عطف على يعلم الأولى وما مفعول به وجملة تكتمون صلة . (وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين) الواو عاطفة وإن نافية وأدري فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا ولعل واسمها وفتنة خبرها ولكم صفة ومتاع عطف على فتنة وإلى حين متعلقان بمحذوف صفة لمتاع أو يتعلق به وجملة لعله فتنة في محل نصب بأدري والكوفيون يجرون الترجي مجرى الاستفهام في التعليق عن العمل ولكن النحاة لم يذكروا لعل من المعلقات ولكنها وردت كثيراً في القرآن كقوله في هذه الآية وكقوله: «وما يدريك لعل الساعة قريب ، وما يدريك لعله يزكى ، وقيل ان قوله ومتاع ليس داخلاً في حيز الترجي لأنه محقق فلا يصح عطفه على فتنة لأنه حيث

كان معطوفاً على خبرها كان معمولاً لها وداخلاً في حيزها وفي نطاق الترجي الذي تدل عليه فالأولى اذن أن يقال ان قوله ومتاع خبر لمبتدأ محذوف وتقديره وهذا متاع الى حين أي وتأخير عذابكم متاع لكم وتكون الجملة مستأنفة وليس هذا ببعيد . (قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون) رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة واحكم فعل دعاء وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وبالحق حال وربنا الواو استئنافية وربنا مبتدأ والرحمن يجوز أن يكون خبراً والمستعان خبراً ثانياً ويجوز أن يكون صفة لربنا والمستعان خبر لأنه المحدث به وعلى ما متعلقان بالمستعان وجملة تصفون صلة والعائد محذوف أي تصفونه مخالفاً للواقع .

البلاغة :

١ - القصر :

في قوله تعالى « قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد » وقد تقدم بحث القصر مفصلاً ونقول ان في هذه الآية قصرين الاول قصر الصفة على الموصوف وذلك في قصر الوحي على الوجدانية والمعنى لا يوحى إليّ إلا اختصاص الإله بالوجدانية لا لأنه لم يوح اليه بشيء غيرها ولكنها الاصل الرئيسي في كل عبادة وعمل وهي المطلوبة أولاً وقبل كل شيء حتى كأن ما عداها غير منظور اليه أو غير جدير بالذكر والثاني قصر الموصوف على الصفة وذلك في قصر الله على الوجدانية وهو ظاهر .

٢ - الإيجاز :

وذلك في قوله تعالى « فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء » تقدم

القول في الايجاز كثيراً وفي هذه الآية إيجاز قصر لأنه تحدث بثلاث كلمات وهي « آذنتكم على سواء » عن كلام طويل أي إن تولوا بعد هذه الآيات والشواهد وأعرضوا وطووا كشحاً فقل لهم لقد أعلمناكم على بيان أنا وإياكم في حرب لا مهادنة فيها ولا صلح بيننا ولكنني لا أدري متى يأذن الله ، وآذنتكم منقول من اذن إذا علم قال الحارث ابن حلزة :

آذنتنا بينها أسماء رب ثاورٍ يمل منه الشواء

وقد سما الزمخشري في شرح هذا الإيجاز وهذه نبذة من كلامه :
« والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الأنداد والشركاء كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحسن منهم بغدرة فنبد إليهم العهد وشهر النبذ وأشاعه وآذنتهم جميعاً بذلك « على سواء » أي مستوين في الاعلام به لم يطوه عن أحد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائه » .

٣ - التوليد :

في قوله : « قل رب احكم بالحق » فن التوليد وسماه ابن منقذ فن التلطيف وهو على ضربين : من الألفاظ ومن المعاني :

١ - التوليد من الألفاظ على ضربين أيضاً :

أ - توليد المتكلم من لفظه ولفظ غيره صورة من الكلام .

ب - توليد المتكلم صورة من موضعين من لفظ نفسه .

والأول هو أن يزوج لفظاً من لفظة للفظ من لفظ غيره فيتولد

بينهما كلام مناقض غرض صاحب اللفظة الأجنبية وذلك في الألفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة ومثاله ما حكى عن مصعب بن الزبير انه كان قد وسم خيله بلفظ « عُدَّة » وهو يريد عدة الحرب فلما قتل وصارت خيله عند الحجاج ورأى ذلك الوسم أمر أن يوسم الى جانب عدة بلفظة « الفرار » فتولد بين اللفظين معنى غير ما أراده مصعب وانقلب المدح قلعاً .

٢ - التوليد من المعاني وستأتي أمثله ، أما الآية التي نحن بصددنا فقد زوج فناً من فنون البديع لفن آخر فيه فتولد فن ثالث غيرهما وذلك انه يتوجه على ظاهر اشكال وهو أن يقال : ما الحكمة في كونه سبحانه أمر نبيه أن يسأله الحكم بالحق وهو عز وجل يعلم أن نبيه متيقن انه سبحانه لا يحكم إلا بالحق فلو اقتصر على قوله احكم فقط كان ذلك كافياً فلم عدل عن الأوجز الموفي بالمعنى المراد مع سلامة الظاهر من الإشكال الى الأطول الموجب للإشكال ، والجواب :

ان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يدعون على من خالفهم حتى يؤذن لهم في ذلك لأنهم بعثوا مؤلفين لا منفريين وهم لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم به الله فإذا أعلمهم بمن لا يمكن إيمانه من قومهم ساغ لهم الدعاء على ذلك ، ألا ترى أن نوحاً عليه السلام لم يتجرأ أن يقول : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً » إلا بعد قوله تعالى له : « إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن » ولذلك احتسب في الدعاء بقوله : على الأرض فإن من آمن معه كان في السفينة ولم يبق على الأرض إلا من حق عليه العذاب ولما علم سبحانه ان الذين عادوا نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم لا يرجي فلاحهم أمره بالدعاء عليهم بيد أنه علمه كيف يدعو عليهم دعاء غير منفر لغيرهم فأراد سبحانه أن

يقول : قل رب أهلك الظالمين فعدل عن هذا اللفظ الخاص لما فيه من التنفير الى لفظ الإرداف فقال : « قل رب احكم بالحق » فانه سبحانه إذا حكم بالحق وهو العدل عاقب من يستحق العقاب وأما قول مورد الاشكال : لم عدل عن الأوجز الى الأطول ؟ ولو قال رب احكم لكان كافياً ، فليس الأمر كما زعم لأن للحاكم المختار الذي لا شريك له أن يحكم بالفضل فينزل عن حق نفسه وله أن يحكم بالعدل فيستوفي حقه وحق غيره وطلب مطلق الحكم لا يوفي بذلك فلهذا عدل عن الأوجز الى الأطول ليوفي بالمعنى المراد .

وقد تنخل عن هذا الجواب أربعة عشر ضرباً من البديع اتفقت في هذه الألفاظ الثلاثة وهي :

١ - الإرداف الذي قدمنا ذكره .

٢ - الإيضاح لأن إيضاح الإشكال الوارد على ظاهر الكلام جاء مدمجاً في الإرداف .

٣ - التسميم إذ لو وقع الاقتصار على قوله : رب احكم لكان المعنى المراد ناقصاً لأن مطلق الحكم لا يوفي بالمقصود كما بينا .

٤ - المقارنة لأن الادماج والإيضاح اقترنا في التسميم .

٥٦٠ - الافتنان لجمع هذه اللفظات الثلاث بين فنين من الفنون التي يقصدها المتكلمون وهما :

آ - فن الأدب في تعليم الحق سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم كيف يدعو على من خالفه دعاء غير منفّر عنه .

ب - فن الهجاء لأن عدل الله سبحانه يأبى أن يأمر نبيه بالدعاء إلا على من علم تصميمه على العصيان وبراءته من الايمان ومن كان كذلك كان مستحقاً للذم فأدمج سبحانه في أمر الرسول بالدعاء عليهم هجاءهم بمقتضى ما تضمنه الكلام من استحقاق الملام .

٧ - الايجاز عن المعنى المراد بأقل ما يمكن من الحروف .

٨ - السهولة فقد تركبت الكلمات تركيباً سليماً من سوء الجوار ، سهولة المخارج ولأن الكلمات جاءت في مقارها فلا تتقدم كلمة عن كلمة ولا تتأخر .

٩ - التهذيب في كون تركيب الجملة وضع على أصح ترتيب وأسهل تهذيب إذ تقدم فيها ذكر المدعو وثنى بالطلب وثلت بالمطلوب .

١٠ - حسن البيان لأن الذهن يسابق الى فهم معنى الكلام من غير توقف بمجرد سماعه أول وهلة لعدم التعقيد في اللفظ وخلوه من أسباب اللبس من التقديم والتأخير وسلوك الطريق الأبعد وإيقاع المشترك .

١١ - التمزيج لامتزاج الفنون بمعاني البديع فإن فني الأدب والهجاء امتزجا بمعنى الإرداف والتتسيم ولم يظهر في اللفظ لكل معنيين سوى صورة واحدة فظهر فن الأدب وأدمج فيه فن الهجاء وظهر الإرداف وأدمج فيه التتسيم .

١٢ - الابداع لما تضمن كل لفظة من الجملة الضرب والضررين فصاعداً من البديع .

١٣- التمثيل : لأن قوة البلاغة ورواق الفصاحة أخرجت هذه اللفظات مخرج المثل السائر الذي يصلح لأن يتمثل به في كل واقعة تشبه واقعته .

١٤- التوليد : لأن الإرداف لما زوج بالتسيم تولد منهما الايضاح وتولد من الايضاح والارداف الادماج ولما ظهرت فائدة الاتيان بالجار والمجرور وثبت التسيم وظهرت العلة في العدول عن لفظ الدعاء الخاص الى لفظ الارداف وتولد من ذلك فن الأدب ومن فن الادب فن الهجاء ولما ثبت الائتلاف والتهذيب وما وقع في النظم من حسن الترتيب تولد من ذلك المثل السائر ولذلك غلب التوليد على جميع ما فيها من الضروب الثلاثة عشر وأثبتت في بابها دون أبوابها .

التوليد في الشعر :

أما في الشعر فلا يستحسن إلا التوليد في المعاني أما التوليد في الألفاظ فيأتي دونه في المرتبة بل ربما غالى بعضهم فجعله غير مقبول لشبهه بالسرقة وذلك أن يستعذب الشاعر لفظه في شعر غيره فيأخذها ويضمنها معنى غير معناها الأول كقول أبي تمام :

لها منظر قيد الأوابد لم يزل يروح ويغدو في خفارته الحب

أخذ لفظة قيد الأوابد من بيت امرئ القيس في وصف فرس

ونقلها الى الغزل وبيت امرئ القيس هو :

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

على أنه قد يكون عذباً كما فعل علي بن زريق البغدادي في قوله :
استودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ من فلك الأضرار مطلعته
فقد أخذ الأضرار من قول عبد الله بن المعتز :

يا حسن أحمد إذ بدا متشمرأ في قرطق يسعى بكأس عقاره
والغصن في أثوابه والدر في فمه وجيد الظبي في أزراره
ولقد عابوا على عمارة اليميني بيته يمدح الخليفة المصري الفاطمي
عند قدومه عليه من اليمن وهو :

فهل درى البيت أني بعد فرقته ما سرت من حرم إلا إلى حرم
لأنه مأخوذ بلفظه من شعر أبي تمام مادحا :

يا من رأى حرماً يسري إلى حرم
طوبى لمستلم يأتي وملتزم

وهنا يحار الناقد في كثرة وقوع الشعراء الكبار بهذه المزالق ،
قال ابن الأثير : « وما كنت أستحسنه من شعر أبي نواس قوله من
قصيدته التي أولها :

دع عنك لومي فإن اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء
دارت على فتية ذل الزمان لهم
فما يصيهم إلا بما شاءوا

وهذا من عالي الشعر ثم وقفت في كتاب الأغاني لأبي الفرج على
هذا البيت في أصوات معبد وهو :

لهفي على فتية ذل الزمان لهم فما أصابهم إلا بما شاءوا

وما أعلم كيف هذا » .

أما توليد المعاني فهو مستحسن على إطلاقه كقول أبي الطيب المتنبي :

همام إذا ما فارق الغمد سيفه وعائته لم تدر أيهما النصل

أخذه من قول أبي تمام :

يبدون بالبيض القواطع أيدياً فهن سواء والسيوف القواطع

وقال المتنبي أيضاً :

وما هي إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت في قلبه رحل العقل

أخذه من قول أبي نواس في وصف الخمرة :

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى دعا همه من صدره برحيل

وجميل أخذ المتنبي من أبي تمام قوله :

ومن الخير بقاء سيبك عني أسرع السحب في المسير الجهام

وبيت أبي تمام :

هو الصنع إن تعجل فخير وإن ترث

فللرث في بعض المواضع أقمع

وبيت المتنبي أجمل وأرشق وفيه زيادة ضرب المثل :

وولد أحد الشعراء المولدين بيتاً فارسياً فقال :

كأن عذاره في الخد لام ومبسمه الشهيّ العذب صاد

وطرة شعره ليل بهيم فلا عجب إذا سرق الرقاد

فقد ولد هذا الشاعر من تشبيه العذار باللام وتشبيه الفم بالصاد
لفظة لص وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النجوم
فحصل في البيت توليد واغراب وادماج •

وقد أطلنا عنان القول ولكن الحسن غير مملول •

الفوائد :

التعليق :

للأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر أحكام عديدة
منها التعليق وهو إبطال العمل لفظاً لا محلاً لمجيء ما له صدر الكلام
بعده والمعلقات عن العمل هي :

١ - لام الابتداء نحو «لقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق»
فمن مبتدأ وهو موصول اسمي وجملة اشتراه صلة من وعائدها فاعل
اشتراه المستتر فيه وما نافية وله وفي متعلقان بالاستقرار خبر خلاق
ومن زائدة وجملة ماله في الآخرة من خلاق خبر من والرابط بينهما
الضمير المجرور باللام وجملة من وخبره في محل نصب معلق عنها
العامل بلام الابتداء لأن لها الصدارة فلا يتخطاها عامل وانما تخطاها

في باب إن فرفع الخبر لأنها مؤخرة من تقديم لاصلاح اللفظ وأصلها التقديم على إن •

٢ - لام القسم كقول لييد :

ولقد علمت لتأتين منيتي إن المنايا لا تطيش سهامها

فاللام في لتأتين لام القسم وتسمى جواب القسم ، والقسم وجوابه في محل نصب معلق عنها العامل بلام القسم لا جملة الجواب فقط ، فسقط ما قيل ان جملة جواب القسم لا محل لها وان الجملة المعلق عنها العامل لها محل فيتنافيان ولهذا قال أبو حيان « أكثر أصحابنا لا يذكرون لام القسم في المعلقات وفي العزة ، ولام القسم لا تعلق كقوله :

لقد علمت أسداً لنا لهم يوم نصر لنعم النصير

بفتح أن فهذه لام القسم ولم تعلق وتقول علمت أن زيدا ليقوم من بفتح أن « اه وفي المغني أن أفعال القلوب لإفادتها التحقيق تجاب بما يجاب به القسم كقوله :

ولقد علمت لتأتين منيتي الخ « اه •

فأخرج لام لتأتين عن كونها للقسم •

٣ - ما النافية نحو « لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » فما نافية وهؤلاء مبتدأ وجملة ينطقون خبره والجملة الاسمية في موضع نصب بعلمت وهي معلق عنها العامل في اللفظ بما النافية •

٤ - لا وإن النافيتان الواقعتان في جواب قسم ملفوظ به أو

مقدر فالملفوظ به نحو علمت والله لا زيد في الدار ولا عمرو وعلمت
والله أن زيد في الدار والمقدر نحو علمت لا زيد في الدار ولا عمرو •

هـ - الاستفهام كآلية التي نحن بصددناها وهي « وإن أدري
أقرب الخ » وقول كثير :

وما كنت أدري قبل عزة ما البكا

ولا موجعات القلب حتى تولت

فعطف موجعات بالنصب على الكسرة على محل قوله : ما البكا
الذي علق عن العمل فيه قوله أدري •

سُورَةُ الْحَجِّ

مَدَنِيَّةٌ وَأَنبَأْنَاهَا بَيِّنَاتٍ وَنَسَجْنَاهُ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ①
يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا
وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ②
وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ③
كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابٍ أَلِيمٍ ④

اللفظة :

(مريد) : عات متجرّد للفساد قال الزجاج : المريد والمارد المرتفع
الأملس وقال في القاموس وشرحه : المارد : العاتي المرتفع يقال بناء مارد
أي مرتفع وهو مجاز وجمعه مرده وماردون ومرّاد ، والمريد : الشديد
المرادة والخبيث الشرير وجمعه مرّود ومؤثته مرداء يقال : مرّود على
جرّد أي شبان مرد على خيول جرّد .

الاعراب :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم) يا أداة نداء وأيها منادى نكرة مقصودة مبني على الضم والهاء للتنبيه والناس بدل من أي على اللفظ واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وإن زلزلة الساعة إن واسمها وشيء خبرها وعظيم صفة لشيء وجملة إن زلزلة الساعة الخ تعليلية لا محل لها من الاعراب وذلك لقوله اتقوا ربكم • وزلزلة الساعة من إضافة المصدر الى فاعله أو الى منفعوله فعلى الأول كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكمي وعلى الثاني على طريقة الاتساع في الظرف وإجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى « بل مكر الليل والنهار » • (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها) الظرف متعلق بتذهل وجملة ترونها مضاف إليها الظرف وأجازوا فيه أوجهاً أخرى منها أن يكون متعلقاً بعظيم أو باذكر مقدرة أو انه بدل اشتمال من زلزلة لأن كلاً من الحدث والزمان يصدق عليه انه مشتمل على الآخر والضمير في ترونها عائد على الساعة أي القيامة ولأنها بهذه المثابة التي تقطع نياط القلوب ، ويجوز أن يعود على الزلزلة ولعله أقرب لأنه في الدنيا ، وتذهل فعل مضارع مرفوع وكل مرضعة فاعل والجملة في محل نصب على الحال من ضمير ترونها أي الهاء فإن الرؤية هنا بصرية حتماً هذا إذا لم نجعل يوم متعلقاً بتذهل فإن تعلق به لم تجز الحال وصارت الجملة مستأنفة أو أنها حال من الزلزلة أو من الضمير المستتر في عظيم أو من الساعة وان كانت مضافاً إليها لأنها إما فاعل واما مفعول به ، كما تقدم ، ولا بد عندئذ من تقدير ضمير محذوف أي تذهل فيها والمرضعة هي التي باشرت الإرضاع بأن ألقمت الرضيع ثديها والمرضع هي التي من شأنها أن ترضع سواء باشرت

الارضاع أم لم تباشره ففرقوا بينهما بالتاء المربوطة وسيأتي مزيد
تفصيل لهذا السر في باب البلاغة وعما أرضعت متعلقان بتذهل وما
موصولة أو مصدرية أي عن الذي أرضعته أو عن إرضاعها وتضع كل
فعل مضارع وفاعل والجملة معطوفة على جملة تذهل وذات حمل
مضاف لكل وحملها مفعول به لتضع والحمل بفتح الحاء المهملة ما كان
في بطن أو على شجرة وبالكسرة ما كان على ظهر • (وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) الواو عاطفة وترى
فعل مضارع معطوف على ترونها وإنما جمع في الأول وأفرد في الثاني
لأن الرؤية الأولى علق بالزلزلة أو الساعة وكل الناس يرونها أما الثانية
فهي متعلقة بكون الناس سكارى فلا بد من جعل كل أحد رائيًا للباقي
بقطع النظر عن اتصافه بالسكر وفاعل ترى مستتر تقديره أنت والناس
مفعول به وسكارى حال والواو للحال وما نافية حجازية وهم اسمها
والباء حرف جر زائد وسكارى مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه
خبر ما والجملة في محل نصب على الحال من الناس ، ويجوز في سكارى
ضم السين وفتحها فهما لغتان وبهما قرئ، ولكن الواو عاطفة على
محذوف مخالفة لما بعد لكن وهذا حكم مطرد لها والتقدير كما في البحر
لأبي حيان : « فهذه الأحوال وهي الذهول والوضع ورؤية الناس
شبه السكارى هينة لينة ولكن عذاب الله شديد أي ليس ليناً وسهلاً
فما بعد لكن مخالف لما قبلها » وسيأتي مزيد بحث لهذه الآية في باب
البلاغة • (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) الواو استئنافية
والجملة مستأنفة مسوقة لذكر من غفل عن الجزاء في ذلك وكذب به
والمناسبة بينها وبين ما تقدم من ذكر أهوال الساعة وزلزلتها واضحة
ومن الناس خبر مقدم ومن نكرة موصوفة حتماً وهي مبتدأ مؤخر أي
ناس موصوفة بالجدل واللجاج والفسطة والمكابرة لا تنفع فيهم

العظات ولا تؤثر فيهم الدلائل وجملة يجادل في الله صفة لمن وأفرد الضمير مراعاة للفظ من ولو جمع مراعاة لمعناها لجاز وفي الله متعلقان يجادل على حذف مضاف أي قدرته وصفاته ودينه وبغير علم حال من الضمير الفاعل في يجادل أي جاهلاً متخبطاً في متاهات الضلالة العمياء والجهالة النكراء (ويتبع كل شيطان مريد) ويتبع عطف على يجادل وكل مفعول به وشيطان مضاف إليه ومريد صفة لشيطان ولا بد من تقدير مضاف أي خطوات كل شيطان • (كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير) كتب فعل ماض مبني للمجهول وعليه متعلقان به وأن وما في حيزها في محل رفع نائب فاعل ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويجوز أن تكون من اسم موصول مبتدأ وفأنه الخبر ودخلت الفاء لما في الموصول من رائحة الشرط وجملة يضلّه خبر أنه وجملة الشرط أو الموصول خبر أنه وأجاز الزمخشري أن تكون فإنه معطوفة على الأولى وتعقبه أبو حيان فقال : وهذا لا يجوز لأنك إذا جعلت فإنه عطفاً على أنه بقيت أنه بلا استيفاء خبر على أن كثيرين أيدوا الزمخشري في إعرابه ونرى أن ما اخترناه هو الأقرب للصواب ، ويهديه عطف على يضلّه وإلى عذاب السعير متعلقان يهديه •

البلاغة :

١ - في قوله تعالى « وترى الناس سكارى وما هم بسكارى » تشبيه بليغ فقد شبه الناس في ذلك اليوم العصيب بحالة السكارى الذين فقدوا التمييز وأضاعوا الرشد ، والعلماء يقولون : إن من أدلة المجاز صدق نقيضه كقولك زيد حمار إذا وصفته بالبلادة والغباء ثم يصدق أن تقول وما هو بحمار فتنتفي عنه الحقيقة فكذلك الآية بعد

أن أثبتت السكر المجازي تفي الحقيقة أبلغ تفي مؤكداً بالباء والسر في تأكيده التنبيه على أن هذا السكر الذي هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود في شيء وإنما هو أمر لم يعهدوا قبله مثله والاستدراك بقوله « ولكن عذاب الله شديد » راجع إلى قوله وما هم بسكارى وكأنه تعليل لإثبات السكر المجازي كأنه قيل : إذا لم يكونوا سكارى من الخمر وهو السكر المعهود فما هذا السكر الغريب ؟ وما سببه ؟ فقيل شدة عذاب الله تعالى •

٢ - وفي عدوله عن مرضع إلى مرضعة سرّ قل من يتفطن له وهو أن المرضعة هي التي باشرت الارضاع فعلاً فنزعها الشدي من فم طفلها عند حدوث الهول ، ووقوع الارتباك أدل على الدهشة وأكثر تجسيدا لمواطن الذهول الذي استولى عليها وهناك فرق آخر وهو أن وروده على النسب أي مرضع لا يلاحظ فيه حدوث الصفة المشتق منها ولكن مقتضاه أنه موصوف بها وعلى غير النسب أي مرضعة يلاحظ فيه حدوث الفعل وخروج الصفة عليه وهذا من أسرار لغتنا التي تندر في اللغات •

وقال في المفصل : « إن مذهب الكوفيين أن حذف التاء من حائض للاستغناء عنها وهذا يوجب إثبات التاء في محل الالتباس كضامر وعاشق وأيم وثيب وعانس » وهذا الاعتراض بسّين ، وأما الاعتراض بإثبات التاء في الصفات المختصة بالاناث من امرأة معيبة وكلبة مجرية على ما في الصحاح فليس بسديد لأن ما ذكره مجوز لا موجب لأنهم يقولون الاتيان بالتاء في صورة الاستغناء على الأصل كحاملة في المرأة قال في الصحاح : يقال امرأة حامل وحاملة إذا كانت حبل فمّن قال

حامل قال هذا نعت ومن قال حامله بناء على حملت فهي حامله وأنشد
لعمر بن حسان :

تمخضت المنون له يوم أتى ولكل حامله تمام

فإذا حملت شيئاً على ظهرها أو على رأسها فهي حامله لا غير .

يَنَاءُهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّن
تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ
لَكُمْ وَنُقَرِّفِي الْأَرْحَامَ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ
لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ
لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِّنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ
هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ رَءِىُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ
ءَاتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾

اللفظة :

(النظفة) : ماء الرجل أو المرأة والجمع نطاف ونطف وهو
ما يعرف بالمني كفني والمني كإلي والمنية كرمية ويجمع على مثني كقفل .

ومنى وأمنى ومنى بسعنى واحد • والنطفة أيضاً الماء الصافي قل أو
كثر وسيأتي المزيد من الكلام عنه •

(علقه) : العلقه : هي الدم الجامد وهو المراد هنا والذي يعلق
باليد وكل ما يُعلّق وما تبلّغ به الماشية من الشجر ودوية سوداء
تمتص الدم والجمع علق •

(مضغة) : لحمة قدر ما يمضغ •

(مخلقة) : المخلقة المسواة للمساء من النقصان والعيب يقال خلق
السواك والعود إذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء كأن الله تعالى
يخلق المضغ متفاوتة متباينة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب
ومنها ما هو على عكس ذلك وعلى حسب ذلك التفاوت تتفاوت
المخلوقات في الصور والخلق •

(طفلاً) : الطفل بكسر الطاء يطلق على الولد من حين الانفصال
الى حين البلوغ وأما الطفل بالفتح فهو الناعم والمرأة طفلة وأما الطفل
بفتح الطاء والفاء فهو وقت ما بعد العصر من قولهم طفلت الشمس إذا
مالت للغروب وأطفلت المرأة أي صارت ذات طفل وفي المختار : الطفل
يستعمل مفرداً وجمعاً وفي الحديث سئل صلى الله عليه وسلم عن أطفال
المشركين • وقال في الأساس واللسان ما خلاصته : هو طفل بين
الطفولة ، وفعل ذلك في طفولته وامرأة وظبية مٌطفل وطفّلت ولدها :
رشحته • قال الأخطل يصف سحابة :

إذا زعزعت الزيح جرّ ذيولها كما زحفت عوذ ثقال تطفّل

وامرأة طفلة ، وطفلة الأنامل : ناعمة وبنان طفّل ناعمة

قال ذو الرمة :

أسيّلة مُسْتَنّ الوشاحين قانيء

بأطرافها الحناء في سَبَطٍ طَفَلٍ

وقد طفّل طُفولة وطفّالة وآتية في طفل الغداة وطفّل العشي
وهو بعيد طلوع الشمس وقيل غروبها قال :

باكرتها طفّل الغداة بغارة والمبتغون خمار ذاك قليل

وقال لييد :

فدلّيت عليه قافلا وعلى الأرض غيابات الطّفّل

وظفّلت الشمس إذا بدت للغروب وطفّل الليل أقبل وأظّل
وظفّل علينا وتطفّل وهو طفيلي وتقول : ما زال يطفّل على الناس ،
حتى نسخ طفيل الاعراس وهو رجل من الكوفة نسب اليه التطفيل •

(أشده) : تقدم بحثه وتقول هنا : الأشد كمال القول والعقل
والتمييز وهو من ألفاظ الجمع التي لم يستعمل لها واحد وهو ما بين
الثلاثين الى الأربعين •

(هامة) : الهمود السكون والخشوع وهمدت الأرض يبست
ودرست وهمد الثوب بلي •

(اهتزت) : تحركت وتجاوز به هنا عن انبات الأرض نباتها بالماء •

(ربت) : زادت وارتفعت من ربا يربو •

الاعراب :

(يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب)
يا أيها الناس تقدم إعرابها وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص فعل
الشرط والتاء اسمها وفي ريب خبرها ومن البعث متعلقان بمحذوف
صفة لريب فإننا الفاء رابطة وإن واسمها وجملة خلقناكم خبرها ومن
تراب متعلقان بخلقناكم وإنما ساغ وقوع قوله فإننا خلقناكم جواباً على
تأويل فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم • (ثم من نطفة ثم من
علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) عطف بثم للدلالة على وجود تراخ
في تطور الخلق وتدرجه من حال الى حال وقوله مخلقة صفة لمضغة
وغير مخلقة عطف على مخلقة والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولاً
قطعة لم يظهر فيها من الاعضاء شيء ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً •
(لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى) لنبين اللام للتعليل
ونبين مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل واللام مع مدخولها
متعلقة بخلقناكم أو اللام للصيرورة والعاقبة أي أن أفعاله هذه يتبين
بها من قدرته وعلمه مالا يمكن اكتناهه أو الإحاطة به ولذلك حذف
مفعول نبين ، وذلك للاستدلال بهذه القدرة على ان من قدر على بدء
الخلق قادر على إعادته فلا مجال للانكار ولا مساغ للتشكك ، ونقر
الواو استئنافية ونقر فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن
وفي الأرحام متعلقان بنقر وما مفعول به وجملة نشاء صلة والى أجل
مسمى متعلقان بمحذوف حال وإنما استأنف لأنه ليس المعنى خلقناكم
لنقر ، ومسمى صفة لأجل حرف أي ممتد الوقت خروجه • (ثم نخرجكم
طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم) ثم حرف عطف وتراخ أيضاً ونخرجكم عطف
على نقر وفاعل نخرجكم ضمير مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به

وطفلاً حال من مفعول نخرجكم ثم لتبلغوا لا بد من تقدير فعل وهو
نعمركم ، ولتبلغوا اللام للتعليل أو الصيرورة وتبلغوا منصوب بأن
مضمرة بعد اللام والواو فاعل وأشدكم مفعول به • (ومنكم من يتوفى
ومنكم من يرد الى أرذل العمر) الواو عاطفة ومنكم خبر مقدم ومن
مبتدأ مؤخر وجملة يتوفى صلة ومنكم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر
وجملة يرد صلة والى أرذل العمر متعلقان بيرد ، ونسب الى علي بن
أبي طالب قوله أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون ، وقال
قتادة تسعون والصواب انه الهرم والخرف ووصول الانسان الى مرحلة
الاعياء والوهن أو يرتد الى مرحلة الطفولة ضعيف البنية والعقل ،
بليد الفهم • (لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) لكيلا متعلقان بيرد ويعلم
منصوب بأن مضمرة بعد اللام وكى مصدرية ومن بعد علم متعلقان
بمحذوف حال لأن علم بمعنى عرف وشيئاً مفعول به ليعلم • (وترى
الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج
بهيج) وهذه الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير الدليل الثاني لأن الدليل
الأول منه ما هو مرئي مشاهد ومنه ما ليس كذلك فعبر عنه بالخلق
أما هذا الدليل فهو داخل في حيز النظر ومندرج في سلك المرئيات
فلذلك عبر عنه بقوله وترى ، والأرض مفعول به وهامدة حال من
الأرض فإذا الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة
أنزلنا مضافة الى الظرف وعليها متعلقان بأنزلنا والماء مفعول به وجملة
اهتزت لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وربت عطف على اهتزت
وكذلك قوله وأنبتت ومن كل زوج صفة لمفعول به محذوف أي أشياء
وأصنافاً كائنة من كل صنف وبهيج صفة لزوج • (ذلك بأن الله هو الحق
وأنه يحيي ويميت وأنه على كل شيء قدير) ذلك مبتدأ وبأن الله
خبر وقيل ذلك خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وعندئذ تكون الباء

مع مدخولها في محل نصب على الحال وان واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والحق خبر ان أو خبر هو والمبتدأ الثاني وخبره خبر ان وانه عطف على بأن وان واسمها وجملة يحيي الموتى خبرها وانه على كل شيءقدير عطف أيضاً ولا بأس هنا بأن نورد ملاحظة لأبي حيان خلاصتها أن الباء ليست للسببية وإنما هي متعلقة بمحذوف تقديره شاهد بأن وهو ينطبق على ما ذكرنا من الوجهين المتقدمين • (وان الساعة آتية لا ريب فيها) وان الساعة خبر لمبتدأ محذوف أي والأمر أن الساعة ، وان واسمها وآتية خبرها ولا فافية للجنس وريب اسمها وفيها خبرها والجملة حالية أو خبر ثان لأن • (وان الله يبعث من في القبور) عطف على ماتقدم وان واسمها وجملة يبعث خبرها ومن مفعول به وفي القبور متعلقان بمحذوف صلة من •

البلاغة :

في قوله تعالى « وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » فنون لا يكاد يتسع لها صدر هذا الكتاب وسنحاول تلخيصها جهد المستطاع فأول ما فيها :

١ - ائتلاف الطباق والتكافؤ :

لمجيء أحد الضدين أو أحد المتقابلين حقيقة والآخر مجازاً فهمود الأرض واهتزازها ضدان لأن الهمود سكون فالاهتزاز هنا حركة خاصة وهما مجازان والربو والانبات ضدان وهما حقيقتان وإنما قلنا ذلك لأن الأرض تربو حالة نزول الماء عليها وهي لا تنبت في تلك الحالة، فإذا انقطعت مادة السماء ، وجفف الهواء رطوبة الماء خمد الربو وعادت الأرض الى حالها من الاستواء وتشققت وأنبتت فصدر الآية تكافؤ وما قابله في عجزها طباق •

٢ - الارداف :

وفيها مع هذين الفين فن الارداف وهو كما ذكر قدامة في نقد الشعر أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ الإشارة الدال على المعاني الكثيرة بل بلفظ هو ردف المعنى الخاص وتابعه قريب من لفظ المعنى الخاص قرب الرديف من الردف وقد تقدمت الإشارة إليه في هود ، وهنا في هذه الآية عدل عن لفظي الحركة والسكون الحقيقيين الى أردافهما من لفظي الهمود والاهتزاز لما في لفظي الارداف من الملاءمة للمعنى المراد لأن الهمود يراد به الموت ، والأرض في حال عطائها من السقي والنبات موات فكان العدول الى لفظ الهمود المعبر به عن الموت أولى من لفظ السكون والاهتزاز المجازي مشعر بالعطالة كاهتزاز الممدوح للمدح فلأجل ذلك عدل عن لفظ الحركة العام الى لفظ الحركة الخاص لما يشعر أن الأرض ستعطي عند سقيها ما يرضي من نباتها بتنزل السقي لها منزلة ما يسرها فاهتزت لتشعر بالعتاء فقد ظهرت فائدة العدول الى لفظ الارداف لما يعطيه من هذه المعاني التي لا يعطيها لفظ الحقيقة .

٣ - التهذيب :

وقد جاء نظم هذه الآية مع ما تضمن من التكافؤ والطباق والارداف والائتلاف منعوتاً بالتهذيب لما فيه من حسن الترتيب حيث تقدم فيه لفظ الاهتزاز على لفظ الربو ولفظ الربو على الانبات لأن الماء إذ نزل على الأرض فرق أجزاءها ودخل في خلالها ، وتفريق أجزاء الجواهر الجمادية هو حركتها حالة تفرق الاتصال لأن انقسام الجوهر يدل على انتقال قسميه أو أحدهما عن حيزه ولا معنى للحركة إلا هذا

فالاهتزاز يجب أن يذكر عقيب السقي كما جاء الربو بعد الاهتزاز فإن التراب إذا دخله الماء ارتفع بالنسبة الى حاله قبل ذلك وهذا هو الربو بعينه وقد تقدم شرح كون الانبات انما يكون بعد الربو وجفاف رطوبة الماء وعود التراب الى حاله وتشققه فحصل التهذيب في نظم هذه الآية بحصول حسن الترتيب واقترن بذلك حسن النسق لتقدم كل ما يجب أن يكون معطوفاً عليه على كل ما يجب أن يكون معطوفاً .

٤ - المذهب الكلامي :

وفي قوله تعالى من أول سورة الحج الى قوله « وان الله يبعث من في القبور » فن المذهب الكلامي ففي هذه الآيات خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات وسياقها مفصلة على الترتيب :

آ - قوله تعالى « ذلك بأن الله هو الحق » ذلك لأنه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه سبحانه أخبر بزلزلة الساعة معظماً لها وذلك مقطوع بصحته لأنه خبر أخبر به من ثبت صدقه عن ثبت قدرته منقول إلينا بالتواتر فهو حق ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق فالله هو الحق .

ب - أخبر سبحانه أنه يحيي الموتى لأنه تعالى أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر، وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى ليشاهدوا تلك الأهوال التي فعلها سبحانه من أجلهم وقد ثبت أنه قادر على كل شيء، ومن الأشياء إحياء الموتى فهو يحيي الموتى .

ج - ولخبر أنه على كل شيء قدير لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين ومن يجادل فيه بغير علم يذقه عذاب السعير ولا يقدر على ذلك إلا من هو على كل شيء قدير، فهو على كل شيء قدير .

د - وأخبر أن الساعة آتية لا ريب فيها لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الانسان من تراب الى قوله « لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً » وضرب سبحانه لذلك مثلاً بالارض الهامدة التي ينزل عليها الماء فتتهز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج ، ومن خلق الانسان على ما أخبر به فأوجده بالخلق ثم أعده بالموت ثم يعيده بالبعث وأوجد الأرض بعد العدم فأحيها بالخلق ثم أماتها بالمحل ثم أحيها بالخصب، وصدق خبره في ذلك كله بدلالة الواقع الشاهد على المتوقع الغائب حتي انقلب الخبر عياناً صدق خبره .

هـ - في الايتان بالساعة ولا تأتي الساعة إلا يبعث من في القبور، إذ هي عبارة عن مدة تقوم فيها الاموات للمجازاة فالساعة آتية لا ريب فيها وهو سبحانه يبعث من في القبور .

٥ - المجاز :

في قوله تعالى « وتنبت من كل زوج بهيج » فقد أسند الانبات للأرض وهو مجاز عقلي لأن المنبت في الحقيقة هو الله تعالى وقد تقدم القول غير مرة في المجاز ونزيد هنا أن المجاز خلاف الحقيقة والحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة من أحق الأمر يحقه إذا أثبتته أو من حققته إذا كنت على يقين وانما سمي خلاف المجاز بذلك لأنه شيء مثبت معلوم بالدلالة والمجاز مفعول من جاز الشيء يجوزته إذا تعداه فإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً .

شرطا المجاز :

المجاز لا يكون إلا بشرطين :

أ - أن يكون اللفظ منقولاً عن معنى وضع اللفظ بإزائه أولاً

وبهذا يتبين عن اللفظ المشترك وعن الكذب الذي ادعي فيه أنه مجاز .

ب - والشرط الثاني أن يكون النقل لمناسبة بين الأصل والفرع وعلاقته ، ولأجل ذلك لا توصف الأعلام المنقولة بأنها مجاز مثال ذلك تسميتك رجلاً بالحجر ويقال ان ذلك مجاز وان كنت نقلت اسم الحجر الى الانسان إلا أنه نقل لغير مناسبة إذ لا مناسبة بين حقيقة الحجر وحقيقة الانسان ومتى تحقق هذان الشرطان في لفظ كان ذلك اللفظ مجازاً .

قسما المجاز :

والمجاز مجازان : مجاز استعارة ، ومجاز حذف . والأول قائم على التشبيه لأنها جعل الشيء للشيء للمبالغة في التشبيه كقولك لقيت أسداً ، وأنت تعني أنك لقيت شجاعاً ولكن ليس فيها نقل كما تقدم وسيأتي مزيد بسط لهذا البحث فقولاه تعالى « وأنبئت من كل زوج بهيج » نقل الانبات الى الارض وجعل خضرتها ونضرتها وتعاشيها ونعاجيب ألوانها لها والحقيقة أن كل ذلك لله .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ

فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَأَنَّ بِهِ ۚ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ۚ
 خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ۚ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ
 ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ۚ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

اللفظة :

(ثاني عطفه) : الثاني : اللي وفي القاموس ثنى يثنى الشيء عطفه
 وطواه ورد بعضه على بعض وكفه والعطف : الجانب يعطفه الانسان
 ويلويه ويسيله عند الاعراض عن الشيء وهو تعبير يراد به التكبر .
 (حرف) : طرف وسيأتي تفصيل معناه في باب البلاغة .

الاعراب :

(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)
 ومن الناس من يجادل في الله بغير علم : تقدم القول فيها مفصلاً فجدد
 به عهداً ، ولا هدى عطف على علم ولا كتاب منير عطف أيضاً وسيأتي
 القول في تكرير هذه الآية في باب البلاغة . (ثاني عطفه ليضل عن
 سبيل الله) ثاني حال من فاعل يجادل وانما نصبه على الحال والحال من
 شرطها أن تكون نكرة لأن إضافته بنية الانفصال والتنوين مراد
 بالمنطوق به وعطفه مضاف وثني العطف سيأتي بجته في باب البلاغة ،

وليضل اللام للتعليل أو للمعاقبة والصيرورة ولعلها أولى للملاءمة السياق ويضل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والفاعل مستتر تقديره هو وعن سبيل الله متعلقان يضل أي عن دينه . (له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) له خبر مقدم وفي الدنيا حال لأنه كان صفة لخزي وتقدم على القاعدة المشهورة وخزي مبتدأ مؤخر ونذيقه الواو عاطفة ونذيقه فعل وفاعل مستتر ومفعول به ويوم القيامة ظرف متعلق وعذاب الحريق مفعول به ثان وجملة له في الدنيا حالية . (ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) ذلك مبتدأ وبما خبر وجملة قدمت صلة ويذاك فاعل وان عطف على قدمت فهي في محل جر وان واسمها وجملة ليس خبرها واسم ليس مستتر تقديره هو والباء حرف جر زائد وظلام اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ليس وللعبيد جار ومجرور متعلقان بظلام وجملة ذلك بما قدمت يداك مقول قول محذوف وجملة القول حالية . (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الواو عاطفة أو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حال المرتابين في إيمانهم الشاكين في دينهم ومن الناس خبر مقدم ومن نكرة موصوفة وهي مبتدأ مؤخر أي موصوفة بالعبادة القلقة غير المستقرة ولا الثابتة ، فهي عرضة للاهواء يعصف بها أقل ما يحدث لهم من بلاء أو ضر وجملة يعبد الله صفة لمن وعلى حرف حال من فاعل يعبد أي مضطرباً مترجراً وسيأتي مزيد بيان لهذا التعبير في باب البلاغة . (فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة) فإن الفاء عاطفة وإن شرطية وأصابه فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والهاء مفعول به وخير فاعل واطمأن فعل ماض في محل جزم جواب الشرط وبه متعلقان باطمأن وإن الواو عاطفة على إن الأولى وأصابته فتنة عطف على ما تقدم وانقلب جواب الشرط وعلى وجهه حال أيضاً وجملة خسر

الدنيا والآخرة حال أيضاً من فاعل انقلب ولك أن تجعلها جملة مستأنفة أو تبدلها من جملة انقلب على وجهه، والدنيا مفعول خسر والآخرة عطف على الدنيا . (ذلك هو الخسران المبين) ذلك مبتدأ وهو مبتدأ ثان والخسران خبر هو والجملة خبر ذلك والمبين نعت للخسران والجملة مستأنفة ولك أن تجعل هو ضمير فصل . (يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد) يجوز أن تكون هذه الجملة حالاً من فاعل يعبد ويجوز أن تكون مستأنفة ويدعو فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو ومن دون الله حال وما اسم موصول مفعول به ولا نافية وجملة لا يضره صلة وما لا ينفعه عطف على الجملة السابقة وذلك هو الضلال البعيد تقدم اعراب ظيرتها . (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) الجملة بدل من جملة يدعو السابقة فهي بمثابة التكرير لها ولا محل لها ، ويدعو فعل مضارع واللام للابتداء أو هي موطئة للقسم ومن اسم موصول مبتدأ وضره مبتدأ ثان وأقرب من نفعه خبر ضره وجملة ضره أقرب من نفعه صلة من ، وجملة لبئس المولى خبر من ويرد على هذا الأعراب دخول لام الابتداء على الخبر وهو ضعيف من حيث القواعد النحوية إلا أن يقال أن اللام كررت للمبالغة ولك أن تجعل يدعو من أفعال القلوب متضمنة معنى يزعم لأن يزعم قول مع اعتقاد فتكون جملة لمن ضره أقرب من نفعه في محل نصب على المفعول به لأن لام الابتداء معلقة لها عن العمل أو يكون يدعو بمعنى يقول ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان وأقرب خبره والجملة صلة من وخبر من محذوف تقديره إله أو إلهي وموضع الجملة نصب بالقول . وجملة لبئس مستأنفة لأنها لا يصح دخولها في الحكاية لأن الكفار لا يقولون عن أصنامهم لبئس المولى ولبئس العشير ، وهناك وجه آخر مقبول وهو أن تكون اللام زائدة في المفعول به ليدعو ويؤيد

هذا الوجه قراءة عبد الله يدعو من ضره بغير لام الابتداء فسن مفعول يدعو وضره مبتدأ وأقرب خبر والجملة صلة من وقد اختار الجلال السيوطي هذا الوجه ودعاه شارحوه أما الزمخشري فهذا نص عبارته :

«استعير الضلال البعيد من ضلال من أبعد في التيه ضالاً فطالت وبعدت مسافة ضلالته فإن قلت : الضرر والنفع منفيان عن الأصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض ؟ قلت : إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جماداً لا يملك ضراً ولا نفعاً وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستشفع به حين يستشفع به ثم قال : يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها له » لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير » أو كرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ثم قال : «لمن ضره» بكونه معبوداً أقرب من نفعه بكونه شفيعاً لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام » فكأن الزمخشري رحمه الله أجمل الأعراب التي أوردناها على أن هناك أوجهاً عديدة سلكها المفسرون تربو على سبعة أوجه ولكنها كلها بعيدة عن المنطق فنورد لك منها على سبيل المثال رأي الفراء قال : « إن التقدير يدعو من لضره ثم قدم اللام على موضعها » ولا يخفى مافيه من التعسف وتقديم ما في صلة الذي عليها.

وثمة رأي لا يقل عن هذا غرابة وشذوذاً وهو أن يكون ذلك بمعنى الذي في موضع نصب ييدعو أي يدعو الذي هو الضلال ولكنه قدم المفعول وهذا يتمشى على قول من جعل ذا مع غير الاستفهام بمعنى الذي مع انه منحصر في قولك ماذا ومن ذا ؟

وثمة رأي آخر أشد استحالة وهو أن يكون التقدير ذلك هو الضلال البعيد يدعو . فذلك مبتدأ وهو مبتدأ ثان أو بدل أو ضمير فصل والضلال خبر المبتدأ ويدعوه حال والتقدير مدعواً وهو وجه يدعو على نفسه بالوهن كما ترى ، وإنما أوردنا هذه الآراء لنخلص إلى القول إن هذه الآية من المشكلات التي شغلت علماء النحو والتفسير ولم يأتوا فيها بما ينفع الغليل وكلام الله المعجز أسمى من أن تطاله القواعد التي وضعها الانسان .

وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم والمولى فاعل والمخصوص بالذم محذوف تقديره هو ، ولبئس العشير معطوف على قوله لبئس المولى .

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيطُ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

اللفظة :

(المجوس) : أطلق المجوس Mages على فئة من الكهّان كان لهم الدور الخطير في الديانة الايرانية القديمة ولا سيما في العهد الساساني وقد أطلق الاسم على فئات من المنجمين والعلماء ، وجاء ذكر المجوس في انجيل متى ، كانوا من رجال علم الفلك وقد استناروا بوحي خاص عن مجيء المسيح أتوا من منطقة لم تبعد عن فلسطين شرقاً على ما يظن يهديهم نجم في السماء الى أن وصلوا الى بيت لحم وقدموا للمسيح الطفل هداياهم وقد ذكر التقليد الشعبي أنهم كانوا ثلاثة ومن سلالة ملوكية ، وأطلق العرب المجوس على قرصان انورمان والسكندينافيين الذين حاولوا في القرون الوسطى اقتحام السواحل والحدود في بلاد الغرب الاسلامي ، هذا وقد اختلف أهل العلم في المجوس فقليل هم قوم يعبدون النار وقليل الشمس وقليل هم القائلون بأن للعالم أصليين النور والظلمة ، وقليل : هم قوم يستعملون النجاسات والأصل نجوس فأبدلت الميم نوناً ، هذا وقد تقدم تفسير ألفاظ هذه الآية إلا المجوس .

الاعراب :

(إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد) ان واسمها وجملة يدخل خبر والذين مفعول به وجملة عملوا الصالحات عطف على آمنوا والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير مصير المؤمنين الذين يعملون الصالحات وجنات مفعول به ثان على السعة أو نصب بنزع الخافض وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات وجملة إن الله يفعل ما يريد مستأنفة لتعليل ما تقدم وان

واسمها وجملة يفعل خبر وفاعل يفعل مستتر تقديره هو وما مفعول به
 وجملة يريد صلة • (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة)
 من شرطية مبتدأ أو موصولة فتكون الفاء فيما بعد رابطة للتشبيه بالشرط
 والأول أرجح ، وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر يعود على من وجملة يظن
 خبر وفاعل يظن مستتر يعود على من وأن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف
 ضمير الشأن وجملة لن ينصره الله خبرها وإن وما بعدها سدت مسد
 مفعولي يظن وفي الدنيا متعلقان بينصره والآخرة عطف على الدنيا •
 (فليسد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فليظن هل يذهبن كيده ما يغيظ)
 الفاء رابطة لجواب الشرط واللام لام الأمر ويمدد فعل مضارع مجزوم
 بلام الأمر والفاعل مستتر تقديره هو وبسبب متعلقان يمدد وإلى
 السماء صفة لسبب والمراد بالسماء سقف البيت ، ثم ليقطع عطف على
 فليمدد وهل حرف استفهام ويذهبن فعل مضارع مبني على الفتح وكيده
 مفعول به وما يغيظ فاعل يذهبن وجملة يغيظ صلة وجملة هل يذهبن
 في موضع نصب بينظر وسيأتي تفصيل واف لهذه الآية في باب البلاغة •
 (وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد) الواو عاطفة
 وكذلك نعت لمصدر محذوف وأنزلناه فعل وفاعل ومفعول به وآيات
 حال من الهاء وبينات صفة وأن الله عطف على هاء أنزلناه والمعنى وأنزلنا
 أن الله يهدي من يريد هدايته ولك أن تجعل الواو للحال وأن وما في
 حيزها في محل رفع لمبتدأ مضمرة أي والأمر أن الله يهدي من يريد وأن
 واسمها وجملة يهدي خبرها ومن مفعول يهدي وجملة يريد صلة من •
 (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين
 أشركوا) ان واسمها وجملة آمنوا صلة وما بعده عطف على الذين
 والجملة ابتدائية • (إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) إن الثانية واسمها
 وخبرها في محل رفع خبر ان الأولى وسيأتي السر في تصدير الجملتين

يَأْنُ أو تجعل الثانية تأكيداً للأولى ، ويكون قوله : (إن الله على كل شيء شهيد) هو الخبر ، وإن واسمها وعلى كل شيء متعلقان بشهيد وشهيد خبر إن وقيل الخبر محذوف تقديره معترفون أو نحو ذلك وما ذكر تفسير له .

البلاغة :

١ - الإيجاز والتمثيل :

في قوله تعالى « من كان يظن أن لن ينصره الله » إلى قوله « ما يغيظ » الإيجاز والتمثيل فأما الإيجاز فلأن معناه من كان يظن من حاسدي محمد ومبغضيه أن الله لن ينصره وأنه يفعل شيئاً مغايراً للنصر ومن كان يغيظه أن محمداً يظفر بمطلوبه ويبلغ ما هدف إليه من المثل العليا التي رسمناها له فليستقص وسعه وليستفرع جهده ، فلن يكون مثله إلا مثل من يأخذ جبلاً يمدّه إلى سماء بيته فيخنق نفسه به ثم بعد ذلك كله ليعد النظر والتأمل مجدداً ليرى هل ذهب نصر الله الذي يغيظه ويقض مضجعه ، وهل ذهب عنه ما كان يساوره من حرقة وارتماض ؟ وسمي الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع والبحر تتابع النفس ، وقال الجوهري في الصحاح : « وقوله تعالى : ثم ليقطع قالوا ليختنق لأن المختنق يمد السبب إلى السقف ثم يقطع نفسه من الأرض حتى يختنق تقول منه : قطع الرجل أي اختنق ولبن قاطع أي حامض » قلت والعامّة تستعمل هذا التعبير فيما يذهب خيره ويبلى وهو عربي فصيح . وسمي هذا الفعل كيداً لأنه وضعه موضعه إما لأنه لا يستطيع سواه ولا يملك غيره وإما على سبيل

الاستهزاء وقد توسع المفسرون في هذه الآية وذهبوا بها مذاهب شتى فقالوا : « ويجوز أن يراد فليمد حبلًا الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي » وقال آخرون « النصر هو الرزق وأن الأرزاق بيد الله لا تنال إلا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله غير رازقه وليس به صبر ولا استسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقًا » وقيل غير ذلك وما ذكرناه أولى وأوفى بالمراد وهو ما يخالج كل حاسد وما يقال لكل من يعترض على ما ليس في طوقه ولا داخل في نطاق ارادته تقول له اشرب البحر ، أو اقتل نفسك فليس لك حيلة في تبديل ما هو واقع راهن وارادة الله أقوى .

٢ - تصدير الجملتين بان :

وفي تصدير الجملتين بان زيادة في تأكيد الكلام وقد رmqه الشعراء في أشعارهم ، قال جرير :

إن الخليفة إن الله سربله . سربال ملك به تزجى الخواتيم

فقوله إن الله سربله خبر ان الاولى وكررها لتوكيد التوكيد وسربله كساه بالملك الشبيه بالسربال ويروى لباس ملك وقوله به أي بذلك اللباس أو الملك تزجى أي تساق الخواتيم جمع خاتم بالفتح والكسر والأصل خواتم فزيدت الباء والمراد بها عواقب الأمور الحسيدة ومغابها وقال أبو حيان : « يحتمل أن خبر إن قوله به تزجى الخواتيم وجملة إن الله سربله اعتراضية » ويروى ترجى بالراء المهملة .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ
حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا
يَشَاءُ ﴿١٨﴾ * هَذَانِ خَصِمَانِ اِخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا
قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾
بَصُرُهُمْ فِيهَا فِي بَطُونِهِمْ وَأَجْلُودٌ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقْمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾
كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ
الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

اللفظة :

(الدواب) : جمع دابة بتشديد الباء لأنه مشتق من الدبيب
فأما من قرأ بتخفيف الباء فقد حذفها كراهية التضعيف والدابة مؤنث
الداب ما دب من الحيوان أي مشى كالحية أو على اليدين والرجلين
كالطفل وغلبت الدابة على ما يركب ويحمل عليه وتقع على المذكر
والمؤنث والتاء فيه للوحدة وتصغير الدابة دويبة والدباب الشديد
الدبيب ، والتضعيف الذي يدب في المشي قال :

زعمتني شيخاً ولست بشيخ إنما الشيخ من يدبّ ديباً

والدبابة مؤنث الدباب وسميت بها آلة كانت في الماضي تتخذ في الحصار وكانوا يدخلون في جوفها ثم تلغ في أصل الحصن فينقبونه وهم في أجوافها ثم أطلقت في العصر الحديث على سيارة مصفحة تهجم على صفوف الاعداء وترمي منها القذائف .

(الحميم) : الماء البالغ نهاية الحرارة واستحمّ الرجل : اغتسل واستحمّ دخل الحمام وبض حميمه أي عرقه ويقال للمستحم طابت حمّتك وحميمك وإنما يطيب العرق على المعافى ويخبث على المبتلى ، فمعناه أصبح الله جسمك وهو من باب الكناية وسخن الماء بالمِحْم وهو القمقم أو الرجل ومثل العالم كمثّل الحمة وهي العين الحارة وذابوا ذوب الحمّ وهو ما اضطهرت إهالته من الألية وحمى الرجل حمّى شديدة وهو محموم ، وهو حميمي وهي حميمتي أي وديدي ووديدتي وهم أحمائى وتقول المرأة : هم أحمائى وليسوا بأحمائى ، وعرف ذلك العامة والحامة أي الخاصة وهو مولاي الأحم أي الأخص والأحب قال :

وكفيت مولاي الأحم جريرتي وحبت سائمتي على ذي الخلّة

وحمّ الأمر قضي وحّمّ حمامه ونزل به القدر المحموم والقضاء المحتوم .

(يصهر) : يذاب يقال صهرت الشحم من باب قطع إذا أذبه والصهارة الألية المذابة وصهرته الشمس أذابته وفي الحديث « إن الحميم ليصب من فوق رؤوسهم فينفذ من جمجمة أحدهم حتى

يخلص الى جوفه فيسلب ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر
ثم يعاد كما كان » .

(مقامع) : جمع مقمعة بكسر الميم لأنها آلة القمع يقال قمعه
يقمعه من باب قطع إذا ضربه بشيء يزجره به ويذله والمقمعة المطرقة
وقيل : السوط وفي الأساس : « قمع خصمه قهره وأذله فاقمعه وتقمع
والناس على باب القاضي متقمعون وانقمع في بيته وتقمع : جلس وحده
وقمعه بالقمع والمقمعة وبالمقامع وهي الجرزة ، وتقمعت الدواب ذبيت
عن رعوسها القمّع وهي ذبّان كبار زرق من ذبان الكلا التي تغنى
الواحدة قمعة ، وأنشد الجاحظ :

كَأَنَّ مَشَافِرَ النَجَدَاتِ مِنْهَا

إِذَا مَا مَسَّهَا قَمْعُ الذَّبَابِ

بِأَيْدِي مَا تَسْمُ مَتَاعِدَاتِ

فَعَالَ السَّبْتِ أَوْ عَذَبِ الثَّيَابِ

من النجد : العرق ، وقال أوس :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مُرْنَةً

وَعَقَّرَ الظُّبَاءَ فِي الْكِنَاسِ تَقْمَعُ

وهم يكللون الجفان بالقمّع جمع قمعة وهي أعلى السنام ، ومن
المجاز « ويل لأقمار القول » وهم الذين يسمعون ولا يعون وفلان
قمّع الأخبار يتبّعها ويتحدّث بها وتقول : ما لكم أسماع ، إنما هي

أقماع» وفي القاموس وشرحه « والقمع أيضاً بثلاث القاف آلة توضع فوق الاناء فتصب فيه السوائل وجمعه أقماع » .

وللقاف مع الميم خاصة عجيبة وهي أنهما إذا اجتمعا فاء وعينا للكلمة دلت على القهر والاذلال والغلبة تقول : قمؤ الرجل قماءة وقماً قماً إذا ذل وصغر في الأعين وهو صاغر قميء وأقماً الرجل أذله ، وقمحت السويق وغيره بكسر الميم واقتحمته إذا أخذته في راحتك الى فيك ومنه القمح وهو الحب الذي يطحن ويتخذ منه الخبز وشهر أقماح أشد أشهر الشتاء برداً ، قال الهذلي :

فتى ما ابن الأغر إذا شتونا وحب الزاد في شهري قماح

ومن المجاز : أقمح المغلول فهو قمح إذا لم يتركه عمود الغل الذي ينخس ذقنه أن يطأطىء رأسه « فهم قمحون » وقمر الرجل غلبه وسلبه ماله وقمر الرجل بكسر الميم تحير بصره من الثلج وكأن القمر سمي بذلك لأنه متحير في سمائه ، وقمر الشيء جمعه وأخذه بأطراف أصابعه ، وقمسه في الماء غمسه وغرق في قاموس البحر : في قعره الأقصى وشبه القاموس بأعماق البحار لاشتماله على الكثير من مفردات اللغة وهو اسم لكتاب الفيروزبادي في اللغة ويطلق في زماننا على كل كتاب في اللغة فهو يرادف كلمة معجم وليس ذلك بعيداً ، وقمص يقمص بكسر الميم وضمها في المضارع قماصاً بالكسر كالنفار والشراد وتقامص الصبيان وبينهم مقامصة وقمص الفرس رفع يديه معاً وطرحهما معاً وعجن برجليه وتقمص مطاوع قمص لبس القميص ويقال على الاستعارة تقمص الولاية والإمارة وتقمصت الروح انتقلت من جسد الى جسد آخر على زعم بعضهم ومنه القميص وهو ما يلبس ، وقمط الأسير جمع

بين يديه ورجليه بالحبل وهو القِمَاط وقمط الصبي بقمطة وهي الخرقة التي تلف عليه في المهد والعمامة تستعمله كثيراً وهو عربي فصيح والقِمَاط اللص وقمط الطائر اثناء والرجل امرأته فعل بها ، وقمقم ما على المائدة تتبع ما عليها وجمعه ، وقمل رأسه صار ذا قمل ^{وَقَمْلِهِ} ، وقم الشيء يقمه بضم القاف استأصله وقمه جففه ، والقمن بفتح الحين الجدير بالأمر كأنه يغلبه ويتحكم به ويكون بلفظ واحد مع المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع ويقال : هذا المنزل لك موطن قمن أي جدير بأن تسكنه ، وقمه البعير يقمه قموها رفع رأسه فلم يشرب الماء كأن شيئاً غلبه وهذا من الغريب بمكان .

الاعراب :

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ) : الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نهي وقلب وجزم وتر فعل مضارع جزوم بلم والفاعل مستتر تقديره أنت والرؤية هنا علمية وذلك لأن رؤية سجود هذه الأمور إنما تتأتى عن طريق العقل لا عن طريق البصر وأن وما في حيزها سلت مسد مفعولي تر وأن واسمها وجملة يسجد لخبرها وله متعلقان يسجد ومن فاعل وفي السموات ومن في الأرض متعلقان بمحذوف صلة الموصول والشمس وما بعدها عطف خاص على قوله من في السموات ومن في الأرض ونص على هذه الأمور لما ورد من أن بعضهم كان يعبدها ، والسجود يشمل الملائكة والآدميين والجبال والشجر والدواب وغيرها وأفرد الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب بالذكر لشهرتها واستبعاد السجود منها .

(وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) شغلت هذه الآية المفسرين والمعرّبين كثيراً فمن منع استعمال المشترك في معنّيه الحقيقي والمجازي لم ينظم كثيراً في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وجعله مرفوعاً بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة وذلك أن السجود المسند لغير العقلاء غير السجود المسند للعقلاء فلا يسوغ عطفه عندهم على ما قبله لاختلاف الفعل المسند اليهما في المعنى فسجود العقلاء هو الكيفية المخصوصة المعرفة وسجود غير العقلاء هو الاذعان والطاعة وأما الذين أجازوا استعمال المشترك في معنّيه الحقيقي والمجازي فهم ينسقونه على ما تقدم ولهم في تبرير ذلك تأويلات ثلاثة وهي :

- آ - ان المراد بالسجود هو المعنى العام المشترك بين العقلاء وغيرهم وهو الخضوع والاذعان فيكون الاشتراك معنوياً .
- ب - انه لا يمنع الاشتراك اللفظي وقد يشترك المجاز والحقيقة .
- ج - انه يجوز الجمع بين المجاز والحقيقة وسيأتي مزيد بسط لهذا الموضوع في باب البلاغة .

ووقف فريق من المعربين موقفاً ثالثاً فلم يرفعوه بفعل مضمر لأن حذف فعل الفاعل غير وارد عندهم ولم ينسقوه على ما تقدم بل أعربوه مبتدأ وخبره محذوف تقديره مطيعون أو مجزيون أو مثابون أو نحو ذلك، ومن الناس صفة كثير وكثير حق عليه العذاب عطف على سابقه .

(ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء) الواو استئنافية أو عاطفة ومن شرطية في محل نصب مفعول به مقدم ليهن والله فاعل وما نافية وله خبر مقدم ومن حرف جر زائد ومكرم مجرور بمن لفظاً

مبتدأ مرفوع محلاً وإن واسمها وجملة يفعل خبرها والجملة تعليلية •
 (هذان خصمان اختصموا في ربهم) الجملة مستأنفة مسوقة لسرد قصة
 المتبارزين يوم بدر وهم حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة
 ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وقيل هم المختصمون من أهل الكتاب
 والمسلمين في دين الله وهذان مبتدأ وخصمان خبره وجملة اختصموا
 صفة لخصمان ولك أن تجعل الجملة خبراً وخصمان بدل من هذان
 وفي ربهم متعلقان باختصموا وهو على حذف مضاف أي في دينه وقال
 خصمان ثم جمع الفعل لأن الخصم في الأصل مصدر ولذلك يوحد
 ويذكر غالباً ويجوز أن يثنى ويجمع أو الجمع مراعاة للمعنى لأن
 المتخاصمين كانوا فرقتين وطوائف كثيرة • (فالذين كفروا قطعت
 لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم) الفاء عاطفة والذين
 مبتدأ وجملة كفروا صلة وجملة قطعت خبر ولهم متعلقان بقطعت
 وثياب نائب فاعل ومن نار صفة لثياب وسيأتي تفصيل معنى الثياب هنا
 في باب البلاغة وجملة يصب خبر ثان لاسم الموصول أو حالة من
 الضمير في لهم أو تجعلها مستأنفة ويصب فعل مضارع مبني للمجهول
 ومن فوق رؤوسهم متعلقان يصب والحميم نائب فاعل • (يصهر به
 مافي بطونهم والجلود) جملة يصهر حالة من الحميم وهو بالبناء
 للمجهول وبه متعلقان به وما نائب فاعل وفي بطونهم متعلقان بمحذوف
 صلة ما والجلود عطف على ما واختار بعضهم أن يكون الجلود مرفوعاً
 بفعل مضمر أي وتحرق الجلود قالوا لأن الجلود لا تذاب وإنما تنقبض
 إذا صليت بالنار فهو من باب : علفتها تبنأ وماء بارداً أي وسقيتها ماء
 لأن الماء لا يكون علفاً • (ولهم مقامع من حديد) الواو عاطفة ولهم
 خبر مقدم ومقامع مبتدأ مؤخر ومن حديد صفة لمقامع واختلف في عودة
 الضمير في لهم فقيل يعود على الذين كفروا واللام للاستحقاق ، وقيل

يعود على أعوان جهنم أي الزبانية ولم يتقدم لهم ذكر ولكن سياق الكلام يدل عليه . (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) كلما ظرف متضمن معنى الشرط وقد تقدم كثيراً وأرادوا فعل وفاعل وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول به لأرادوا ومنها متعلقان بيخرجوا ومن غم بدل من الجار والمجرور قبله بدل اشتمال لأنها تشمل عليه ويجوز أن تكون من للتعليل فتعلق بيخرجوا أيضاً أي يخرجوا من النار من أجل الغم الذي لحق بهم وجملة أعيدوا لا محل لها لأنها جواب كلما وفيها متعلقان بأعيدوا والواو حرف عطف والمعطوف مخذوف تقديره وقيل لهم وجملة ذوقوا عذاب الحريق مقول القول المحذوف .

البلاغة :

١ - الحقيقة والمجاز :

الحقيقة هي اللفظ الدال على موضعه الأصلي وأما المجاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع في أصل اللغة كما تقدم وقد وعدناك أن نقول قولاً شافياً في جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز فالواقع أن كل مجاز له حقيقة لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوع له ، وبديه أن المخلوقات كلها تقتقر إلى أسماء يستدل بها عليها ليعرف كل منها باسمه من أجل التفاهم الذي لا بد منه فالاسم الموضوع بازاء المسمى هو حقيقة له فإذا نقل إلى غيره صار مجازاً والفرق الدقيق بينهما هو أن الحقيقة جارية على العموم في ظواهر ألا ترى أنا إذا قلنا فلان « عالم » صدق على كل ذي علم بخلاف « واسأل القرية » لأنه لا يصح إلا في بعض الجمادات دون بعض إذ المراد أهل القرية

لأنهم ممن يصح السؤال لهم ولا يجوز أن يقال واسأل الحجر والتراب
وقد يحسن أن يقال واسأل الربع والطلل قال الأعشى :

ألم تسأل الربع القواء فينطق وهل تخبرك اليوم ببداء سملق

٢ - الاستعارة التمثيلية في قطعت لهم ثياب :

في قوله تعالى : « قطعت لهم ثياب من نار » استعارة تمثيلية جعل
تقطيع الثياب وتفصيلها على قدود الكفار بمثابة الاحاطة بهم مع التهم
الذي ينطوي عليه أي أنها تشتملهم وتحتويهم كما تشتمل الثياب
لابسها وتحتويه أما الروعة فهي كامنة في قوله « يصب فوق رؤوسهم
الحميم » وهو ما يسمى بالارداف فإن الثياب تشمل جميع الجسد غير
الرأس ، أفرد الرؤوس بالذكر بقوله : يصب •

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ
(٢٣) وَهَدُوءًا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوءًا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤) إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ
لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ
عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥)

الاعراب :

(إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) تقدم إعراب ظيرها فجدد به عهداً • (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها من حرير) يحلون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وفيها متعلقان يحلون ومن أساور اضطربت أقوال المعربين فيها كما استشهد بها جميع النحويين على مجيء من لبيان الجنس وهي قوله من ذهب وعلامتها أن يصح الإخبار بها بعدها عما قبلها فتقول الأساور هي من ذهب ، ومن البيانية ومجرورها في موضع نصب على الحال مما قبلها إن كان معرفة كقوله تعالى « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » وفي موضع النعت كقوله من ذهب ، ولم أر بينهم جميعاً من تعرض لإعراب من أساور إلا بقول مبهم لا ييل أواماً ولا يشفي غليلاً ولعل أقرب ما أراه فيها أن تكون نعتاً لمفعول محذوف أي حلياً ناشئاً من أساور كائنة من ذهب ، واكتفى ابن هشام بقوله هي للابتداء وقال أبو البقاء مثل قولنا ولم يتعرض الزمخشري لها وقال شهاب الدين الحلي « وقوله من أساور من ذهب ، في من الأولى ثلاثة أوجه أحدها أنها زائدة والثاني أنها للتبعية أي بعض أساور والثالث أنها لبيان الجنس ومن في من ذهب لابتداء الغاية وهي نعت لأساور » وقوله متهافت متدافع كما ترى •

ولؤلؤاً عطف على محل من أساور لأن محلها النصب ، كذا قال العربون ولكن الزمخشري لم يرتض هذا القول فجعلها منصوبة بفعل محذوف تقديره ويؤتون لؤلؤاً ، وجملة يحلون حالية أو خبر ثان لأن ولباسهم الواو عاطفة ولباسهم مبتدأ وفيها حال وحرير خبر • وفي هذا العدول عن الفعلية إلى الاسمية دلالة على الديمومة حيث لم يقل ويلبسون حريراً فقد دل على أن الحرير ثيابهم المعتادة والدائمة في

الجنة كما أن فيه رعاية للمحافظة على الفواصل لأنه لو قال ويلبسون
حريراً لكان في آخر الفاصلة الألف في الكتابة والوقف بخلاف البقية
(وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد) الواو عاطفة
وهدوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل والى الطيب متعلقان
بهذا ومن القول متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستكن في الطيب
وهدوا الى صراط الحميد عطف على الجملة السابقة أي الى طريق الله
المحمود ودينه القويم . (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله
والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادر) إن
واسمها وجملة كفروا صلة والجملة مستأنفة ويصدون الواو حرف عطف
ويصدون عطف على كفروا وفي عطفه على الماضي تأويلات أولها أن
لا يقصد بالمضارع الدلالة على زمن معين من حال أو استقبال وإنما يراد
به مجرد الاستمرار ومثله « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله »
أو انه مؤول بالماضي لعطفه على الماضي أو انه على بابه وان الماضي قبله
مؤول بالمستقبل وقد أجاز أبو البقاء وغيره أن تكون الواو حالية
والجملة في محل نصب على الحال من فاعل كفروا وهو قول متهافت
لأنه مضارع مثبت وما كان كذلك لا تدخل عليه الواو وما ورد منه
على قلته مؤول فلا يسوغ حمل القرآن عليه وعن سبيل الله متعلقان
بيصدون والمسجد الحرام عطف على سبيل الله والذي صفة ثانية
للمسجد وجملة جعلناه صلة ونا فاعل والهاء مفعول به أول وللناس حال
لأنه كان صفة وتقدم ، وسواء مفعول به ثان ان كانت جعل متعديّة
لاثنتين وان كانت متعديّة لواحد أعربت سواء حالاً من هاء جعلناه
والعاكف فاعل سواء لأنه مصدر وصف فهو في قوة اسم الفاعل المشتق
أي بمعنى مستو أي جعلناه مستوياً فيه العاكف أي المقيم ، والبادر
محذوف الياء تبعاً لرسم المصحف معطوف على العاكف ومعناه الطارئ ،
وقد افترد حفص بقراءة النصب في سواء والجمهور على رفعها على انه

خبر مقدم والعاكف والباد مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب مفعول به ثان أو حال وخبر إن محذوف تقديره خسروا أو هلكوا أو نحو ذلك وقدره الزمخشري نذيقهم من عذاب أليم واعترض عليه بأنه يكون بعد المسجد الحرام وفيه فصل بين الصفة والموصوف • (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويرد فعل الشرط وفيه متعلقان يرد ومفعول يرد محذوف ليتناول كل ما يمكن تناوله وإلحاد حال وبظلم حال أيضاً فهما حالان مترادفتان كأنه قال ومن يرد فيه مراداً عادلاً عن القصد ظالماً وهذا أولى من تقدير زيادة الباء في إلحاد وجعله هو المفعول ، قال أبو عبيدة : « مفعول يرد هو بإلحاد والباء زائدة في المفعول قال الأعشى : ضمنت برزق عيالنا أرماحنا أي رزق » وقال أبو حيان : « والأحسن أن يضمن معنى يرد يلتبس فيتعدى بالباء » ونذقه جواب الشرط والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به ومن عذاب متعلقان بنذقه وأليم صفة وقدر أبو حيان الخبر مستتجاً من قوله نذقه ، وهو إعراب تفسيري لا صناعي فالأولى أن يقدر تقديرأ أي نذيقهم عذاباً أليماً •

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ
لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ
رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ
وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ
فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا
نَّذْرَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

اللفظة :

(رجالات) : مشاة جمع راجل كقائم وقيام يقال رجل يرجل بفتح
انجيم رجلاً بفتحيتين : سار على رجليه لا راكباً ، ويقال هذا رجل أي
كامل في الرجال بين الرجولية والرشجولية وهذا أرجل الرجلين وهو
راجل ورجل بين الرشجلة وحملك الله عن الرشجلة ومن الرشجلة وقوم
رُجَال ورجال ورجالة ورجل ورجلى ورجالى وأراجيل وترجلوا
في القتال نزلوا عن دوابهم للمنازلة وراه فترجل له ورجل أرجل عظيم
الرجل ورجل رجيل وذو رجلة مشاء .

(ضامر) : في المختار ضمير الفرس من باب دخل وضمير أيضاً
بالضم ضميراً بوزن قفل فهو ضامر ، وناقاة ضامر وضامرة وتضير
الفرس أيضاً أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوت وذلك في أربعين
يوماً . والبعير يطلق على الجمل والناقاة .

(فج) : الفج بفتح الفاء ويجمع على فجاج بكسر الفاء والفجاج
بضم الفاء : الطريق الواسع الواضح بين الجبلين .

(تفثهم) : أوساخهم وقضاء التفث المراد به قص الأظافر وتنف
الإبط وفي المصباح : تفث تفثاً فهو تفث مثل تعب تعباً فهو تعب إذا
ترك الأدهان والاستعداد فعلاه الوسخ وقوله تعالى : « ثم ليقتضوا
تفثهم » قيل هو استباحة ما حرم عليهم بالاحرام بعد التحلل « وقال
غيره : « التفث قيل أصله من التف وهو وسخ الأظفار قلبت الفاء
كمعثور في مخفور وقيل هو الوسخ والعذر يقال : ما تفثك ؟ وحكى
قطرب : تفث الرجل إذا كثر وسخه في سفره ومعنى ليقتضوا ليصنعوا
ما يصنعه المحرم من إزالة شعر وشعث ونحوهما عند حله » .

الاعراب :

(وَاِذْ بَوَّأْنَا لِاِبْرَاهِيْمَ مَكَانَ الْبَيْتِ اَنْ لَا تَشْرَكَۚ بِى شَيْئًا) الواو استئنافية والظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر وجملة بَوَّأْنَا مضافة اليها الظرف وبَوَّأْنَا فعل وفاعل ولا براهيم متعلقان ببَوَّأْنَا ومكان البيت مفعول بَوَّأْنَا واختار أبو البقاء وغيره أن تكون اللام زائدة أي أترلناه مكان البيت والدليل عليه قوله تعالى « وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي اِسْرَآئِيْلَ » اما على الاول فيكون معنى بَوَّأْنَا هَيَّأْنَا وان هي المفسرة لأنها واقعة بعد قول مقدر أي قائلين له لا تشرك ولا ناهية وتشرك فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وقيل هي مصدرية فعلنا ذلك لئلا تشرك وجعل النهي صلة لها وبى متعلقان بتشرك وشيئاً مفعول تشرك ، وعبارة أبي حيان : وأن مخففة من الثقيلة قاله ابن عطية والأصل أن يليها فعل تحقيق أو ترجيح كحالها إذا كانت مشددة أو حرف تفسير قاله الزمخشري وابن عطية وشرطها أن يتقدمها جملة في معنى القول وبَوَّأْنَا ليس فيه معنى القول والأولى عندي أن تكون أن الناصبة للمضارع إذ يليها الفعل المتصرف من ماض ومضارع وأمر والنهي كالأمر • (وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) وطهر الواو عاطفة وطهر فعل أمر فاعله مستتر تقديره أنت وبيتى مفعول طهر وللطائفين متعلق بطهر والقائمين والركع عطف على ما تقدم والسجود صفة للركع والأولى أن تجعل الكلمتين بمثابة الكلمة الواحدة لأنهما عملان في عمل واحد وهو الصلاة • (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) وأذن فعل أمر أي ناد بدعوة الحج والأمر به والخطاب لابراهيم كما يقتضيه السياق وعليه المفسرون جميعاً وعن الحسين انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع

وهو أقوى من جهة التشريع ، وفي الناس متعلقان بأذن وبالحج متعلقان
 بحذوف حال أي معلناً ويأتوك مضارع مجزوم لأنه وقع جواباً للطلب
 والواو فاعل والكاف مفعول به ورجالاً حال وعلى كل ضامر عطف على
 رجالاً أي مشاة وركباً وياًتين فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله
 بنون النسوة والنون فاعل وجملة يأتين صفة لكل ضامر لأنه في معنى
 الجمع وقرىء يأتون صفة للرجال والركبان ومن كل فج متعلقان بياًتين
 وعميق صفة لفج . (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام
 معلومات) اللام للتعليل ويشهدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة
 بعدها وهي متعلقة مع مجرورها يأتوك أو بأذن ومنافع مفعول به
 ولهم صفة لمنافع ويذكروا عطف على يشهدوا والواو فاعل واسم الله
 مفعول به وفي أيام متعلقان بيزكروا ومعلومات صفة لأيام وسيأتي ذكر
 هذه الأيام في باب الفوائد . (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا
 منها وأطعموا البائس الفقير) على ما رزقهم متعلقان بيزكروا أيضاً
 ومعنى على هنا التعليل ومثله قوله تعالى « ولتكبروا الله على ما هداكم »
 وفول الشاعر :

علام تقول الرمح يثقل عاتقي إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت

ومن بهيمة الأنعام متعلقان برزقهم ، فكلوا الفاء الفصيحة وكلوا
 فعل أمر وفاعل ومنها متعلقان بكلوا وأطعموا عطف على كلوا والبائس
 مفعول به والفقير صفة . (ثم ليقتضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا
 بالبيت العتيق) ثم حرف عطف واللام لام الأمر وسيأتي بحث مفيد
 عنها في باب الفوائد ويقضوا مضارع مجزوم بلام الأمر وتفثهم مفعول
 به وليوفوا نذورهم عطف على يقضوا تفثهم وليطوفوا بالبيت العتيق
 عطف أيضاً وبالبيت متعلقان يطوفوا والعتيق صفة للبيت وسيأتي السر
 في تسميته بالعتيق في باب الفوائد .

الفوائد :

١ - لام الأمر :

لام الأمر ويسمى النجاة اللام الطليية سواء أكانت أمر أم دعاء فالأول نحو « لينفق ذو سعة من سعته » والثاني نحو « ليقض علينا ربك » وتكون للالتماس ، فالأمر من الأعلى والدعاء من الأدنى والالتماس من المساوي ، ولام الأمر مكسورة إلا إذا وقعت بعد الواو والفاء فالأكثر تسكينها نحو « فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي » وقد تسكن بعد ثم ، وتدخل لام الأمر على فعل الغائب معلوماً ومجهولاً وعلى المخاطب والمتكلم المجهولين .

٢ - لماذا سمي البيت العتيق :

اختلف المفسرون في هذه التسمية فرجح الزمخشري انه القديم لأنه أول بيت وضع للناس ، وقال ابن عباس : سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من تسلط الجبابرة عليه فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله ، وقال الزمخشري في تأييد هذا الوجه « فإن قلت : قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع ؟ قلت : ما قصد التسلط على البيت وإنما تحصن به ابن الزبير فاحتال لآخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل » كما سيأتي ، وقيل بيت كريم من قولهم عناق الخيل والطير .

ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ
لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ

وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣١﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ
﴿٣٢﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبَرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٣﴾ لَكُمْ
فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٤﴾

اللفظة :

(حرمان الله) : الحرمان بضمتين ويقال في الجمع أيضاً حرمان
بضم ففتح وحرمان بضم ففتح جمع حرمة بضم فسكون وحرمة بضمتين
وحرمة بضم ففتح وهي الذمة والمهابة وما وجب القيام به من حقوق الله
وحرمان التفريط به وما لا يحل انتهاكه وتفاصيل الحرمان تؤخذ من كتب
الفقه .

(الرجس) : بتشديد الراء المكسورة وسكون الجيم والرجس
بتشديد الراء المفتوحة وفتح الجيم والرجس بتشديد الراء المفتوحة
وكسر الجيم : القدر والأوساخ وسمى الأوثان رجساً على طريق التشبيه
لأنها قدر معنوي .

(الزور) : الشرك بالله والباطل والكذب ومن معانيه أيضاً العقل
والقوة يقال ماله زور ولا صَيَّور أي لا قوة له ولا مرجع إليه والرأي
والسيد والزعيم ولذة الطعام وطيبه ولين الثوب وتقاؤه ومجلس الغناء
وهو من الزور أو الزورار وهو الانحراف وفي الأساس « وكلية زوراء
دنية معوجة ومنازة زوراء : مائلة عن السمت ويرمى بالزوراء : بالقويس

وفلاة زوراء وهو أزور عن مقام الذل وتقول : قوم عن مواقف الحق زور ، فعلهم رياء وقولهم زور ، ومالكهم تعبدون الزور وهو كل ما عبد من دون الله وأنا أزيركم ثنائي وأزرتكم قصائدي « هذا وقد نظم بعضهم معاني هذه المادة بالأبيات التالية :

الصدر والزائر فهو زورٌ وكل زوار النساء زير
في جمع أزورم يقال زور أعني به ذا ميل في الصدر
زيارة أي مرة فزوره وهيئة الزيارة ادع زيره
وقطعة الكتان أما الزشوره فموضع ذو شجر وطير

وسميت بغداد بالزوراء لانحراف قلبتها قال الطبراني :

فيم الإقامة بالزوراء لا سكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

(فتخطفه) : في القاموس : خطف يخطف من باب تعب خطفا الشيء استلبه بسرعة وخطف البرق البصر ذهب به بسرعة •

(سحق) : بعيد أي فهو لا يرجى خلاصه •

(شعائر الله) : جمع شعيرة أو شعارة بالكسر وفي المصباح : « والشعائر أعلام الحج وأفعاله الواحدة شعيرة أو شعارة بالكسر والمشاعر مواضع المناسك •

الأعراب :

(ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) ذلك قال الزمخشري : « خبر مبتدأ معذوف أي الأمر والشأن ذلك كما يقدم

الكتاب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال : هذا وقد كان كذا » ومعنى هذا انه يذكر للفصل بين كلامين أو بين وجهي كلام واحد ، وقيل مبتدأ محذوف الخبر أي ذلك الأمر الذي ذكرته وقيل في موضع نصب تقديره امثلوا ذلك وقطير هذه الإشارة البليغة قول زهير في وصف هرم بن سنان :

هذا وليس كمن يعيا بخطبه وسط الندي إذا ما ناطق فطقا

وكان وصفه قبل هذا بالكرم والشجاعة ثم وصفه في هذا البيت بالبلاغة فكأنه قال : هذا خلقه وليس كمن يعيا بخطبه .

والواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويعظم فعل الشرط وفاعله مستتر يعود على من وحرمت الله مفعول به والفاء رابطة وهو مبتدأ وخير خبر وله متعلقان بخير والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من وعند ربه الظرف متعلق بمحذوف حاله (وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم) الواو عاطفة وأحلت فعل ماض مبني للمجهول ولكم متعلقان بأحلت والأنعام نائب فاعل وإلا أداة استثناء وما يستثنى يجوز فيه الاتصال والانقطاع وقد تقدم اعراب هذه الآية وما استثناءه الله في كتابه فالانقطاع على انه ذكر في آية المائدة ما ليس من جنس الأنعام كالدم ولحم الخنزير والاتصال على صرفه الى ما يحرم من الأنعام بسبب عارض كالموت ونحوه وجملة يتلى صلة ونائب الفاعل ضمير مستتر وعليكم متعلقان بيتلى . (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور) الفاء تفريع على قوله ومن يعظم حرمت الله ، واجتنبوا الرجس فعل أمر وفاعل ومفعول به ومن الأوثان بيان للرجس فهو في محل نصب على الحال واختار الزمخشري أن يكون

تميزاً ومثل لذلك بقولك : عندي عشرون من الدراهم لأن الرجس منهم يتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ، وليس قوله ببعيد واجتنبوا قول الزور عطف على ما تقدم . (حنفاء لله غير مشركين به) حنفاء لله حال مؤسسة من ضمير اجتنبوا وغير مشركين حال مؤكدة منه أيضاً وبه متعلقان بمشركين وسيأتي بحثهما في باب انقوائد . (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) هذه الجملة مستأنفة مسوقة لضرب المثل لمن يشرك بالله ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويشرك بالله فعل الشرط ، فكأنما الفاء رابطة وكأنما كافة ومكفوفة وخر فعل ماض وفاعل مستتر ومن السماء متعلقان بخر ، فتخطفه عطف على خر وإنما عدل إلى المضارع لسر سيأتي في باب البلاغة ، والطير فاعل أو تهوي به الريح عطف أيضاً وفي مكان متعلقان بتهوي أيضاً وسحيق نعت لمكان . (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) ذلك خبر لمبتدأ محذوف كما تقدم ومن يعظم شعائر الله تقدم اعرابها والفاء رابطة وان واسمها ومن تقوى القلوب خبرها . (لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق) لكم خبر مقدم وفيها حال ومنافع مبتدأ مؤخر وإلى أجل صفة لمنافع ومسمى صفة لأجل ثم حرف عطف ومحلها مبتدأ وهو اسم مكان من حل يحل أي صار حلالاً وإلى البيت خبر والعتيق صفة .

البلاغة :

١ - التشبيه المركب والتمثيلي وقد تقدم أنه ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد وبيان ذلك أنه لما انقسمت حال الكافر إلى قسمين لا مزيد عليهما الأول منها المتذبذب الشاك المتماذي

على الشك وعدم التصميم على ضلالة واحدة فهذا القسم من المشركين شبه بمن اختطفته الطير وتوزعته فلا يستولي طائر على مزعة منه إلا اقتهبها منه آخر وذلك حال المذبذب لا يلوح له خيال إلا اتبعه ونزل عما كان عليه والثاني مشرك مصمم على معتقد باطل لو نشر بالمناشير لم يتراجع عن تصميمه لا سبيل الى تشكيكه ولا مطمع في نقله عما هو عليه فهو فرح مبتهج لضلالته فهذا مشبه في اقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح الى واد سحيق سافل فاستقر فيه وقطير تشبيهه بالاستقرار في الوادي السحيق الذي هو أبعد ما يكون عن السماء .

وأجاز الزمخشري أن يكون هذا التشبيه من المركب والمفرق قال « فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاخطفته الطير فتفرق مزعاً في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وإن كان مفرقاً فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المتخطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة » .

وكلام الزمخشري فيه نظر لأن التشبيه التمثيلي مافي ذلك شك ولا مساغ لجعله مفرقاً .

٢ - العدول الى لفظ المضارع :

سياق الكلام يقتضي أن يعطف فتخطفه على مضارع مع أنه في الآية معطوف على خر وهو ماض ، وإنما عدل عن ذلك لتصوير الواقع والتقدير فهي تخطفه فيكون من عطف الجملة على

الجملة ولكنه أثر المخالفة لاستحضار الصورة الغريبة التي تصوره
مزعاً في حواصل الطير .

الفوائد :

١ - الحال إما مؤسسة وإما مؤكدة فالمؤسسة هي التي لا يستفاد
معناها بدونها نحو جاء خالد راكباً ، وأكثر ما تأتي الحال من هذا
النوع ، والمؤكدة هي التي يستفاد معناها بدونها وإنما يؤتى بها للتوكيد،
وهذه أنواع ثلاثة :

آ - ما يؤتى بها لتوكيد عاملها وهي التي توافقه معنى فقط أو
معنى ولفظاً فالأول نحو « تبسم ضاحكاً » ومنه قوله تعالى « ولا تعثوا
في الأرض مفسدين » والثاني كقوله تعالى : « وأرسلناك للناس رسولا »
وقول الشاعر :

أصخ مصيخاً لمن أبدى نصيحتَه

والزم توقي خلط الجسد باللعب

ب - ما يؤتى بها لتوكيد صاحبها كقوله تعالى : « ولو شاء
ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً » .

ج - ما يؤتى بها لتوكيد مضمون جملة معقودة من اسمين
معرفتين جامدين نحو : هو الحق بيناً أو صريحاً ، وقول الشاعر :

أنا ابن دارة معروفاً بها نسبي وهل بدارة يا للناس من عار

٢ - لما ذا أنت الضمير في فإنها :

في قوله تعالى : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب »

سؤال مهم وهو لماذا أنت الضمير ؟ وعلى أي شيء يعود ؟ والجواب لا يستقيم إلا بتقدير مضافات محذوفة ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأن الضمير يعود على الشعائر أي فإن تعظيمها من أفعال تقوى القلوب والعائد على من محذوف أي منه ويجوز أن الضمير ضمير مصدر مؤنث تقديره فإن العظمة أو الحرمة أو الخصلة .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ
 الْأَنْعَامِ فَلِلَّهِمُ الْإِكَّةُ وَحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ
 إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي
 الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ
 اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ
 جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ
 لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ لَّن يَنَالِ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ
 التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الدِّينِ ءَامِنُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
 كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٢٨﴾

اللفظة :

(منسكاً) : بفتح السين وكسرهما فالفتح على أنها مصدر ميمي والكسر على أنها اسم مكان وفي المصباح نسك الله ينسك من باب قتل تطوع بقربة والنسك بضمين اسم منه وفي التنزيل : « ان صلاتي ونسكي » والمنسك بفتح السين وكسرهما يكون زمناً ومصدراً ويكون اسم المكان الذي تذبح فيه النسيكة وهي الذبيحة وزناً ومعنى ، ومناسك الحج عباداته وقيل مواضع العبادات ومن فعل كذا فعليه نسك أي دم يريقه ، ونسك تزهّد وتعبد فهو ناسك والجمع نساك مثل عابد وعباد » وفي القاموس : « المنسك بفتح السين المكان المألوف والمنسك بالفتح أيضاً مصدر نسك والمنسك بالكسر شرعة النسك وموضع تذبح فيه النسيكة » .

(المختين) : المطيعين المتواضعين والإخبات نزول الخبت وهو المكان المنخفض وسيأتي في باب البلاغة بحث قيم حول هذا الوصف .

(البدن) : بضم الباء جمع بدنة سميت بذلك لعظم بدنها وهي خاصة بالإبل كما قال الأزهري أو هي تشمل الإبل والبقر كما قال صاحب الصحاح قال القسطلاني : « البدن عند الشافعي خاصة بالإبل وعند أبي حنيفة من الإبل والبقر فكلام الشافعية موافق لكلام الأزهري وكلام الحنفية موافق لكلام الصحاح » .

(صواف) : قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرىء صوافن من صفون الفرس وهو أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لأن البدنة تعقل إحدى يديها .

(وجبت جنوبها) : وجوب الجنوب وقوعها على الأرض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس وجبة غربت قال أبو تمام :

فالشمس طالعة من ذا وقد غربت

والشمس واجبة من ذا ولم تجب

(القانع) : السائل المتذل والخارج من مكان الى مكان وخدام القوم وأجيرهم والجمع قانعون وقتّع أو بمعنى القنّع أي الراضي بما قسم له يقال قنع يقنع من باب تعب تعباً قنْعاً وقناعة وقنْعَةً : رضي بما قسم له يقال قنع يقنع من باب تعب تعباً : قنْعاً وقناعة وقنْعَةً : رضي بما قسم له وقنع يقنع من باب فتح قنوعاً : سأل وتذل وفي الأساس واللسان : « العز في القناعة والذل في القنوع وهو السؤال وفلان قنع بالمعيشة وقنع وقنوع وقانع ، أنشد الكسائي :

فإن ملكك كفاك قوطاً فكن به قنيعاً فإن المتقي الله قانع

وقنع بالشيء واقتنع وتقنّع ، وأقنعتك الله بما أعطاك ، وفلان حريص ما يقنعه شيء وبيت شوقي المشهور :

شباب قنع لا خير فيهم وبورك بالشباب الطامحين

يدل على ضلأته باللغة وتمكنه منها .

(المعتر) : المعارض بسؤال وعراه وعراه بمعنى واحد وقيل القانع السائل والمعتر المعارض من غير سؤال وقال قوم بالعكس وفي المصباح : « المعتر الضيف الزائر والمعتر : المعارض للسؤال من غير طلب يقال عره واعتراه وعراه واعتراه إذا تعرض للمعروف من غير مسألة »

وفي القاموس « والمعتز الفقير والمعترض للمعروف من غير أن يسأل عرّه ، عرّاً واعتره وبه » وفي الأساس واللسان : « وعن عائشة رضي الله عنها : مال اليتيم عثرة لا أدخله في مالي ولا أخلطه به » ولا تفعل هذا لا تصبك منه معرّة وفي الحديث « كلما تعاررت ذكرت الله » وكان سلمان رضي الله عنه إذا تعارّ في الليل قال : سبحان رب النبيين وإله المرسلين ، وهو أن يهب من النوم مع كلام من عرّار الظليم وهو صياحه و « أطعموا القانع والمعتز » أي المعترض بسؤاله •

الاعراب :

(ولكل أمة جعلنا منسكاً ليزكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير التشريع الخاص بكل أمة ونوع التبعّد الذي يتقربون به الى الله ولكل أمة متعلقان بمحذوف مفعول جعلنا الثاني المقدم وجعلنا فعل وفاعل ومنسكاً مفعول جعلنا الأول وليذكروا اللام للتعليل ويذكروا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بجعلنا واسم الله مفعول به وعلى ما رزقهم متعلقان يذكروا وجملة رزقهم صلة ومن بهيمة الأنعام متعلقان برزقهم • (فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين) الفاء الفصيحة وإلهكم مبتدأ وإله خبره وواحد صفة فله الفاء عاطفة وله متعلقان بأسلموا وأسلموا فعل أمر وفاعل وبشر الواو عاطفة وبشر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والمخبتين مفعول به • (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمين الصلاة وما رزقناهم ينفقون) الذين نعت للمخبتين أو بدل منه وإذا

ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه وجملة ذكر
الله مضاف اليها وجملة وجلت قلوبهم لا محل لها لأنها جواب شرط غير
جازم واذا فعلها وجوابها لا محل لها لأنها صلة والصابرين عطف على
الذين وعلى ما متعلقان بالصابرين وجملة أصابهم صلة للموصول
والمقيمي الصلاة عطف أيضاً وحذفت النون للاضافة ومما متعلقان
ينفقون وجملة رزقناهم صلة وجملة ينفقون صلة أيضاً • (والبدن
جعلناها لكم من شعائر الله) الواو عاطفة والبدن مفعول لفعل محذوف
فهي منصوبة على الاشتغال أي وجعلنا البدن ، وجعلناها فعل وفاعل
ومفعول به ولكم متعلقان بجعلناها ومن شعائر الله مفعول به ثان
لجعلناها التي هي بمعنى التصيير • (لكم فيها خير فاذكروا اسم الله
عليها صواف) لكم خبر مقدم وفيها حال وخير مبتدأ مؤخر والجملة
مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها ويجوز جعلها حالاً من الهاء في جعلناها،
فاذكروا الفاء الفصيحة واذكروا فعل أمر وفاعل واسم الله مفعول به وعليها
متعلقان باذكروا وصواف حال من الهاء أي بعضها الى جنب بعض •
(فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر) الفاء عاطفة
واذا ظرف مستقبل وجملة وجبت جنوبها مضافة الى الظرف والفاء
رابطة لجواب إذا وجملة كلوا منها لا محل لها لأنها جواب شرط غير
جازم وأطعموا القانع والمعتر عطف على جملة كلوا منها • (كذلك
سخرناها لكم لعلكم تشكرون) كذلك الكاف نعت لمصدر محذوف
أي سخرها تسخييراً مثل ذلك التسخير وسخرناها فعل وفاعل ومفعول
به والجملة حال ولكم متعلقان بسخرناها ولعل واسمها وجملة تشكرون
خبرها والجملة في محل نصب على الحال من الكاف في لكم •
(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) لن حرف

نهي ونصب واستقبال وينال فعل مضارع منصوب بـلن ولفظ الجلالة
مفعول به مقدم ولحومها فاعل ينال ولا دماؤها عطف على لحومها والمعنى
لن تبلغ مرضاته ولن تقع منه موقع القبول والمراد أصحاب اللحوم
والدماء قال أبو حيان في البحر : « أراد المسلمون أن يفعلوا فعل
المشركين من الذبح وتشريح اللحم منصوباً حول الكعبة وتضميخ
الكعبة بالدم تقرباً الى الله تعالى فنزلت هذه الآية » ولكن الواو عاطفة
ولكن حرف استدراك مهمل لأنه مخفف ويناله فعل مضارع ومفعول
به والتقوى فاعل ومنكم حال من التقوى أي يرفع إليه منكم العمل
الصالح الخالص له مع الايمان . (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله
على ما هداكم وبشر المحسنين) الكاف نعت لمصدر محذوف وقد تقدمت
نظائره وسخرها فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به ولكم متعلقان
بسخرها ولتكبروا اللام للتعليل وتكبروا منصوب بأن مضمرة بعد لام
التعليل واللام وما في حيزها متعلقة بسخرها وتكبروا فعل مضارع
وفاعل ولفظ الجلالة مفعول به ، على ما هداكم : ما مصدرية أو
موصولة أي على هدايته إياكم أو على ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا
لتضمينه معنى الشكر وبشر الواو استئنافية وبشر فعل أمر وفاعل
مستتر والمؤمنين مفعول به . (إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله
لا يحب كل خوان كفور) جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد البشري
للمؤمنين بالنصر المحتوم وإن الله ان واسمها وجملة يدافع خبر وعن
الذين متعلقان يدافع وجملة آمنوا صلة ومفعول يدافع محذوف
تقديره : عوادي المشركين وغوائلهم ، وجملة إن الذين تعليل للجملة
السابقة وان واسمها وجملة لا يحب خبرها وكل خوان مفعول به وكفور
صفة لخوان .

أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ
 ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ
 وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوْمِعُ وَيَّعُ وَصَلَوَاتُ
 وَمَسْجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ
 لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
 الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾

اللفظة :

(صوامع) : الصوامع جمع صَوْمَعَةٍ وصومع وهو جبل أو مكان مرتفع يسكنه الراهب أو المتعبد قصد الانفراد ثم أطلقت الكلمة على الدير ، والصومعة أيضاً : العقاب والبرنس وأعلى كل جبل إذا كان مستدقاً الرأس •

(بيع) : جمع بيعة بكسر الباء المعبد للنصارى واليهود والجمع بيع وبيعات بكسر الباء وفتح الياء وبيعات بكسر الباء وسكون الياء •

(وصلوات) : بفتح الصاد واللام جمع صلاة وسميت الكنيسة صلاة لأنه يصلّى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها بالعبرية صلوثاً بفتح الصاد والثاء المثناة كما في الخفاجي على البيضاوي قال : وبه قرىء في الشواذ ومعناه في لغتهم المصلى فلا يكون مجازاً •

الاعراب :

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)
الجملة مستأنفة مسوقة للإذن بقتال المشركين ، كان المؤمنون يأتون
رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يشكون
فيقول لهم اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فنزلت هذه الآية
وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية .
وأذن فعل ماضي مبني للمجهول والمأذون فيه محذوف للعلم به أي أذن
للذين يقاتلون في القتال وللذين متعلقان بأذن وجملة يقاتلون صلة
ويقاتلون مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وبأنهم متعلقان
بأذن أيضاً والباء للسببية أي بسبب ظلمهم وجملة ظلموا خبر أنهم وإن
الله على نصرهم لقدير الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للوعد
نهم بالنصر على طريق الرمز والكناية ، وإن واسمها وقدير خبرها واللام
المنزلة وعلى نصرهم متعلقان بقدير . (الذين أخرجوا من ديارهم بغير
حق إلا أن يقولوا ربنا الله) الذين نعت أو بدل من الموصول الأول ،
ولك أن ترفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف تنويهاً بقدرهم ورفعاً لشأنهم ،
وجملة أخرجوا صلة والواو نائب فاعل ومن ديارهم متعلقان بأخرجوا
وبغير حق حال وإلا أداة استثناء وأن يقولوا المصدر المؤول مستثنى منقطع
في محل نصب واختار الزمخشري وغيره أن يكون الاستثناء مفرغاً
لوجود النفي بغير فلا أداة حصر وإن يقولوا في محل جر على الإبدال
من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب
الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتسيير ومثله « هل تنقمون منا
إلا أن آمنّا بالله » وربنا مبتدأ والله خبر والجملة في محل نصب مقول
القول . (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع
وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) الواو استئنافية ولولا

حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط ودفع الله مبتدأ محذوف الخبر وجوباً والناس مفعول به لدفع لأنه مصدر مضاف الى فاعله وهو الله والمعنى ولولا أن دفع الله الناس بعضهم ببعض لغلّب المفسدون وتعطلت المصالح ويقل عمله عكسه وهو أن يضاف المصدر الى مفعوله ثم يأتي فاعله مرفوعاً كقول الاقشر الاسدي :

أفنى تلادي وما جمعت من نَسَبٍ

قرع القواقيز أفواه الأباريق

فقرع بالقاف والعين المهملة مرفوع على الفاعلية بأفنى وهو مصدر مضاف الى مفعوله وهو القواقيز بقافين وزاي معجمة : أقذاح يشرب بها الخمر واحداً قاقوزة بزائين معجمتين فجمعها قوازين ، وأفواه فاعل المصدر وهو جمع فم وأصله فوه فلذلك ردت في الجمع على أنه روي البيت بنصب الأفواه فيكون من القسم الأول .

وبعضهم بدل بعض من الناس وبعض متعلق بدفع واللام واقعة في جواب لولا وهدمت فعل ماض مبني للمجهول وصوامع نائب فاعل وبيع وصلوات ومساجد عطف على صوامع وآخر ذكر المساجد لأن الصوامع والبيع والكنائس أقدم منها في الوجود وجملة يذكر صفة للمواضع المذكورة وفيها متعلقان ببيذكر واسم الله نائب فاعل وكثيراً صفة لمصدر محذوف أي ذكراً كثيراً أو صفة لظرف محذوف أي وقتاً كثيراً . (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) الواو استئنافية واللام موطئة للقسم وينصرن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة . والله فاعل ومن موصول مفعول به وجملة ينصره صلة وجملة ان وما بعدها تأكيد لتعليل النصر والله اسمها واللام المزحلقة وقوي خبرها الأول وعزيز خبرها الثاني . (الذين إن

مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر (الذين بدل من الذين السابقة أو نعت ثان للذين الأولى أو خبر لمبتدأ محذوف ولك وجه آخر وهو أن تعربها بدلاً من «من ينصره» ذكر هذا الوجه الزجاج قال : أي لينصرون الله الذين إن مكناهم ، وإن شرطية ومكناهم فعل ماض وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط وفي الأرض متعلقان بمكناهم وأقاموا فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم جواب الشرط والصلاة مفعول به وما بعده عطف عليه . (والله عاقبة الأمور) الواو استئنافية أو عاطفة والله خبر مقدم وعاقبة الأمور مبتدأ مؤخر .

الفوائد :

الجهاد ذروة سنام الاسلام :

والأحاديث في الجهاد كثيرة نورد منها ما يسمو الى ذروة البلاغة جرياً على نهجنا في هذا الكتاب فعن أبي هريرة رضي الله عنه : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله قيل : ثم ماذا ؟ قال الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حجٌّ مبرور « رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن خزيمة في صحيحه .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بالناس قبل غزوة تبوك فلما أن صبح صلى بالناس صلاة الصبح ثم إن الناس ركبوا فلما أن طلعت الشمس نعى الناس على إثر الدلجة ولزم معاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو إثره والناس تفرقت بهم ركابهم على جوادٍ الطرق تأكل وتسير فبينما معاذ على إثر رسول الله صلى

الله عليه وسلم وناقته تأكل مرة وتسير أخرى عثرت ناقة معاذ فحنكها بالزمام فهبت حتى تهرت منها ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كشف عنه قناعه فالتفت فإذا ليس في الجيش أدنى إليه من معاذ فناده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا معاذ فقال لبيك يا رسول الله قال : ادن دونك فدنا منه حتى لصقت راحلتاهما إحداهما بالأخرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كنت أحسب الناس منا بمكانهم من البعد فقال معاذ : يا نبي الله نعى الناس ففرقت ركبهم ترتع وتسير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا كنت ناعساً فلما رأى معاذ بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلوته له فقال : يا رسول الله : ائذن لي أن أسألك عن كلمة أمرضتني وأسقممتني وأحزنتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سل عما شئت ، قال : يا نبي الله حدثني بعمل يدخلني الجنة لا أسألك عن شيء غيره ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بخ بخ بخ لقد سألت لعظيم ثلاثاً وإنه ليسير على من أراد الله به الخير ، وإنه ليسير على من أراد الله به الخير وإنه ليسير على من أراد الله به الخير فلم يحدثه بشيء إلا أعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات حرصاً لكيما يتقنه عنه فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : تؤمن بالله واليوم الآخر وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً حتى تموت وأنت على ذلك ، قال يا رسول الله أعدلي فأعادها ثلاث مرات ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت يا معاذ حدثتك برأس هذا الأمر وقوام هذا الأمر وذروة السنام ؟ فقال معاذ : بلى يا رسول الله حدثني بأبي أنت وأمي فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم إن رأس هذا

الأمر : أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإن قوام هذا الأمر : إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وإن ذروة السنام منه الجهاد في سبيل الله ، انما أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فإذا فعلوا ذلك فقد اعتصموا وعصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ما شُحِب وجه ولا اغبرّت قدم في عمل تُبْتَغَى به درجات الآخرة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله ولا ثقل ميزان عبد كدابة تنفق في سبيل الله أو يحمل عليها في سبيل الله .

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾
 وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى
 فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ
 قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٌ مُعَطَّلَةٌ
 وَقَصِيرٌ مَشِيدٌ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ
 بِهَا أَوْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَلِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى
 الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

اللفظة :

(بئر) : في المختار : « بئر بئراً بهمزة بعد الباء حفرها ربابه قطع » والبئر فعل بمعنى مفعول كالذبح بمعنى المذبوح حفرة في الأرض عظيمة يستقى منها الماء والجمع آبار وأبَار وبئار وأبُور وهي مؤنثة . وفي الأساس : « الفاسق من ابتأر ، والفويسق من ابتهر يقال : ابتأرت الجارية إذا قال فعلت بها وهو صادق وابتهرتها إذا قال ذلك وهو كاذب وأنشد الكميت :

قيح" بمثلي نعت الفتاة إما ابتهاراً وإما ابتشاراً

(معطلة) متروكة بموت أهلها مع أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء .

(مشيد) : مرتفع مجصص من شاد البناء أي رفعه ويقال شيّد وأتى به في النساء من شيّد لأنه هناك وقع بعد جمع أما هنا فقد وقع بعد مفرد فناسب التخفيف .

الاعراب :

(وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم وانه ليس بأوحد في التكذيب ، وإن شرطية ويكذبوك فعل الشرط والواو فاعل والكاف مفعول به ، فقد الفاء رابطة للجواب لاتصاله بقد وقد حرف تحقيق وكذبت فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة والجملة في محل جزم جواب الشرط وقبلهم ظرف زمان متعلق بكذبت وقوم

نوح فاعل وعاد وثمرود معطوفان على قوم وأتت القوم باعتبار معنى الأمة أو القبيلة ولم يقل قوم عاد وثمرود استغناء بشهرتهما بهذين الاسمين . (وقوم ابراهيم وقوم لوط) عطف على ما تقدم . (وأصحاب مدين وكذب موسى فأملت للكافرين) وأصحاب مدين عطف وعدل عن قوم شعيب لأن أصحاب مدين أعرق من أصحاب الأيكة في التكذيب فلذلك خصهم بالذكر ، وكذب فعل ماض مبني للمجهول وموسى نائب فاعل وخالف في الكلام فلم يقل قوم موسى لأنه لما صدر الكلام بحكاية تكذيبهم ثم عدد أصناف المكذبين وطوائفهم ولم ينته الى موسى إلا بعد طول الكلام حسن تكريره ليلي قوله فأملت فيتصل المسبب بالسبب كما قال في آية « ق » بعد تعديدهم : « كل كذب الرسل فحق وعيد » فربط العقاب والوعيد ووصلهما بالتكذيب بعد أن جدد ذكره ، فأملت : الفاء عاطفة وأملت فعل وفاعل وللکافرين متعلقان بأملت . (ثم أخذتهم فكيف كان نكير) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وأخذتهم فعل وفاعل ومفعول به ، فكيف الفاء عاطفة وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم ونكير اسم كان أي إنكاري فحذفت الياء والنكير مصدر بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة نقمة وبالحياة هلاكاً وبالبناء خراباً وسيأتي معنى الاستفهام في باب البلاغة . (فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد ما تقدم بضرب الأمثلة والشواهد وكأين خبرية ومحلها الرفع على الابتداء ومن قرية تمييز كأين وقد تقدم تحقيقه وجملة أهلكناها من الفعل والفاعل والمفعول به خبر كأين ويجوز نصب كأين على الاشتغال بفعل محذوف يفسره أهلكناها فتكون جملة أهلكناها مفسرة ، وهي ظالمة الواو للحال وهي مبتدأ وظالمة خبر والجملة نصب على الحال . (فهي خاوية على عروشها

وبئر معطلة وقصر مشيد) الفاء عاطفة وهي مبتدأ وخاوية خبر والجملة معطوفة على جملة أهلكتها وعلى عروشها إما متعلقان بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها أي خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واما أن يكون خبراً ثانياً لـهي كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها أي قائمة مطلة على عروشها بمعنى أن السقوف سقطت الى الأرض فصارت في سمت الحيطان وبقيت الحيطان مواثل باهتة مشرفة على السقوف الساقطة وكلا التقديرين جميل ووارد، وبئر عطف على قرية أي وكم من بئر ، ومعطلة صفة لبئر وقصر مشيد عطف أيضاً وهل هي بئر معينة وقصر معين أم هما واردان مورد المثل ، سيأتي الكلام عن هذا كله في باب الفوائد . (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) الهمة للاستفهام الانكاري إن كانوا قد سافروا أو للحث على السفر ليروا مضارع من تقدمهم ، والفاء عاطفة على مقدر يقتضيه المقام أي أغفلوا وأهملوا وسافروا فلم ينتفعوا ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ويسيروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعله وفي الأرض متعلقان يسيروا فتكون الفاء للسببية وتكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية ولهم خبر تكون المقدم وقلوب اسمها المؤخر وجملة يعقلون صفة لقلوب وبها متعلقان يعقلون وأو حرف عطف وآذان عطف على قلوب وجملة يسمعون بها صفة لآذان وواضح أن التفريع على المنفي يوجب النفي أيضاً . (فإنها لا تعسى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الفاء للتعليل وان واسمها والضمير يعود على القصة أو الشأن وجملة لا تعمى الأبصار خبر ولكن الواو عاطفة ولكن حرف استدراك أهمل لأنه خفف وتعمى القلوب فعل مضارع وفاعل والتي صفة القلوب وفي الصدور متعلقان بمحذوف صلة الموصول وسيأتي سر قوله في الصدور في باب البلاغة .

البلاغة :

١ - الاستفهام في قوله تعالى « فكيف كان فكير » معناه التقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه ويماري فيه ، ويلجأ الى المكابرة والسفسطة في مخالفته ، وقال أبو حيان : « ويصح هذا الاستفهام معنى التعجب فكأنه قيل ما أشد ما كان انكاري عليهم » وهذا واضح أيضاً فالاستفهام إذن للتقرير التعجبي .

٢ - الاتصال في قوله تعالى « ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » فإن لقائل أن يقول ان القلوب لا تكون إلا في الصدور فآية فائدة في ذكر ما هو متعارف وكائن لأنه معلوم والاتصال عن ذلك أن يقال ان المتعارف ان العمى الحقيقي مكانه البصر لأنه إصابة الحدة بما يطمس نورها واستعماله في القلب مجاز فلما أريد نقله من الحقيقة الى المجاز كان الكلام بمثابة إثبات ما هو خلاف المتعارف وما هو الاصل فاحتاج الى زيادة تعيين ليتقرر أن العمى مكانه هو القلوب لا الأبصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقوله بين فكيك تقرير لما ادعته للسانه وهي المضاء عن السيف وهو المتعارف وهذا من أوابد البيان فافهمه ، وجملة الأمر ان الخلل ليس في مشاعرهم فهي سليمة لا عيب فيها وإنما الخلل في عقولهم المرتكسة وأحلامهم المعطلة .

الفوائد :

البئر المعطلة والقصر المشيد : قيل هما خاصان قال الخطيب الشربيني في تفسيره : « روي أن هذه البئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله تعالى من العذاب وهي بحضرموت

وإنما سميت بذلك لأن صالحاً حضرها حين مات وثم بلدة عبد البشر
اسمها حاضورا بناها قوم صالح وأمثروا عليهم جلهم بن جلاس
وأقاموا بها زمناً ثم كفروا وعبدوا صنماً وأرسل الله اليهم حنظلة بن
صفوان نبياً فقتلوه فأهلكهم الله تعالى وعطل بثرهم وخرب قصورهم
والأولى أن تكون البثر عامة وأن يكون القصر عاماً أي كم من قرية
أهلكناها وكم من بثر عطلناها من سقاتها وكم من قصر مشيد تفرق عنه
أهلوه وتحمل عنه ساكنوه .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ
رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ
ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ
نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ
﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي
أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾

الاعراب :

(ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده) الواو عاطفة
 ويستعجلونك فعل مضارع. وفاعل ومفعول به وبالعذاب متعلقان
 يستعجلونك أي يطلبون عجلتك على سبيل الاستهزاء والواو عاطفة
 ولن حرف نفي ونصب واستقبال ويخلف فعل مضارع منصوب بلن
 والله فاعل ووعدده مفعول به . (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما
 تعدون) الواو للحال وإن واسمها وعند ربك الظرف متعلق بمحذوف
 حال والكاف خبر إن ومما صفة لسنة وجملة تعدون صلة واقتصر في
 التشبيه على الألف لأن الألف منتهى العدد بلا تكرار وأيام الشدائد
 مستطالة على حد قول الشاعر :

فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

(وكأين من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير)
 الواو عاطفة قال الزمخشري في كشافه : « فإن قلت لم عطفت الأولى
 بالفاء وهذه بالواو ؟ قلت الأولى وقعت بدلاً من قوله « فكيف كان
 نكير » وأما هذه فحكمها حكم الجملتين المعطوفتين بالواو أعني قوله
 « ولن يخلف الله وعده » و « إن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون »
 وكأين خبرية في محل رفع مبتدأ ومن قرية في محل نصب تمييز كأين وجملة
 أملت لها صفة لقرية والواو حالية وهي مبتدأ وظالمة خبر والجملة في
 محل نصب على الحال ثم أخذتها عطف على أملت وإليّ الواو عاطفة
 أو حالية وإليّ خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر . (قل يا أيها الناس إنما
 أنا لكم نذير مبين) يا حرف نداء وأيها منادى نكرة مقصودة مبني على
 الضم في محل نصب على النداء والهاء للتنبيه والناس بدل من أي وإنما

كافة ومكفوفة وأنا مبتدأ ونذير خبر ومبين صفة • (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) الفاء تفرعية والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وعملوا عطف على آمنوا والصالحات مفعول به ولهم خبر مقدم ومغفرة مبتدأ مؤخر ورزق عطف على مغفرة وكريم صفة لرزق وجملة لهم مغفرة خبر الذين • (والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم) الواو عاطفة والذين مبتدأ وجملة سعوا صلة وفي آياتنا متعلقان بسعوا ومعنى السعي في الآيات إفسادها وتزييفها وإبطالها يقال سعت في أمر فلان إذا أصلحته أو أفسدته بهذا السعي ومعاجزين حال أي مسابقين في زعمهم وتقديرهم قد سولت لهم أنفسهم أنهم يستطيعون إبطالها وصرف الناس عن اتباعها فالمفاعلة لا تخلو من معنى الظن والاعتقاد بالنسبة اليهم ، وأولئك مبتدأ وأصحاب الجحيم خبره والجملة خبر الذين • (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في تسليية ثانية للنبي صلى الله عليه وسلم ، وما نافية وأرسلنا فعل وفاعل ومن قبلك متعلقان بأرسلنا ومن لا ابتداء الغاية ومن رسول من زائدة ورسول مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به لأرسلنا ولا نبي عطف على من رسول وإلا أداة حصر وإذا ظرف مستقبل وجملة تمنى في محل جر بإضافة الظرف وجملة ألقى الشيطان لا محل لها والجملة الشرطية بعد إلا تحتمل وجوهاً أرجحها أن تكون في محل جر صفة لرسول على اللفظ والنصب على المعنى ويجوز أن تكون حالاً ولك أن تجعل الاستثناء منقطعاً فتكون إلا أداة استثناء والجملة نصب على الاستثناء وفي أمنيته متعلقان بألقى وسيأتي معنى هذا الالتقاء وقصة سبب النزول في باب الفوائد ، وقد استشكل أبو حيان مجيء جملة ظاهرها الشرط بعد إلا وهو إذا تمنى ألقى ،

وأجاب عن ذلك بأن اذا جردت للظرفية ولا شرط فيها وفصل بها بين
إلا والفعل الذي هو ألقى وهو فصل جائز فيكون إلا قد وليها ماض
في التقدير ووجه شرط وهو تقدم فعل قبل إلا وهو أرسلنا قال ابن
هشام : والذي يظهر انما هو فيما إذا ولي إلا لفظ الفعل وهذا لم يقع
في الآية فلا اشكال ولا حاجة لتأويل إذا بأنها خرجت عن الشرطية .
(فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم)
الفاء استئنافية وينسخ الله فعل مضارع وفاعل وما مفعول به وجملة
يلقي الشيطان صلة ثم حرف عطف ويحكم الله فعل وفاعل وآياته
مفعول به والله عليم حكيم جملة اعتراضية مؤلفة من مبتدأ وخبريه .
(ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم)
اللام للتعليل والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة وهي متعلقة بإحكام
أي ثم يحكم الله آياته ليجعل ويجوز أن تتعلق ينسخ وما موصولة
أو مصدرية وهي على كل حال مفعول به أول وجملة يلقي الشيطان صلة
وفتنة مفعول به ثان وللذين صفة لفتنة وفي قلوبهم خبر مقدم ومرض
مبتدأ مؤخر والجملة صلة للذين والقاسية عطف على الذين وقلوبهم
فاعل القاسية ومن المفيد أن نذكر أن ال في القاسية موصولة والقاسية
صفتها وأنها لأن مرفوعها وهو قلوبهم مؤنث مجازي . (وإن الظالمين
لفي شقاق بعيد) الواو حالية أو استئنافية وإن واسمها واللام المرحلة
وفي شقاق خبرها وبعيد صفة لشقاق .

الفوائد :

أسطورة الغرائيق :

نعرض الآن لمسألة شغلت علماء المسلمين في القديم والحديث ،
واستأثرت باهتمام الكثيرين منهم لخطورتها ، وجسامة ما تنطوي عليه

من أمور لا يجوز للباحث أن يمرّ بها مرور الراكب العجلان ، فهي تمسّ جوهر العقيدة ، وتتعلق بعصمة صاحب الرسالة ، فالقاء الكلام على عواهنه فيها من غير تمعن ولا تمحيص لا يجوز بحال وسنعمد الى سرد الأسطورة على علاقتها وكما نقلها المفسرون من غير تفنيد لها أو إثارة للشكوك حولها ، وكثر تناقلها حتى أصبحت حديث السمر تروّح به النفس ويزجى بها الفراغ والناس بطبعهم ميالون الى كل غريب وهذه هي الاسطورة :

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعراض قومه عنه ، لعبه أصنامهم وزراريته بالهتهم ، أخذ الضجر من هذا الإعراض ، ولحرصه على إسلامهم وتهالكه عليه تمنى أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقاً الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستسر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة « والنجم إذا هوى » وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله : « ومناة الثالثة الأخرى » « ألقى الشيطان في أمنيته » التي تمنّاها بأن وسوس له بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى أن قال : تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى ، وروى الغرائقة ولم ينطن له حتى أدركته العصمة فتنبه اليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام أو تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكاً وظلمة والمؤمنون نوراً وإيقاظاً .

وفيما يلي طائفة من أقوال العلماء والمفسرين فقال الرازي

ما خلاصته :

هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم تكلم في أن رواية هذه القصة مطعونون وأيضاً فقد روى البخاري في صحيحه أنه عليه الصلاة والسلام قرأ سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث الغرائيق بل روي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرائيق ولا شك أن من جوز على الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نهي الأوثان ولو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك أي مما ألقاه الشيطان على لسانه ويبطل قوله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » فانه لا فرق في العقل بين النقصان من الوحي وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه النقلية والعقلية عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة وقد قيل : إن هذه القصة من وضع الزنادقة لا أصل لها • اهـ كلام الرازي •

أما شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني شارح البخاري فقد نبه في فتح الباري على البخاري على ثبوت أصلها وقال سامحه الله : « أخرج ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة والنجم فلما بلغ : « أفرايتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى » ألقى الشيطان على لسانه : « تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى » فقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فلما ختم السورة سجد وسجدوا فكبر ذلك على النبي فنزل تسلياً له « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته » أي في قراءته بين كلماته •

وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالد عن شعبة فقال في إسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب ثم ساق الحديث المذكور وقال البزار : لا يروى إلا متصلاً بهذا الاسناد وتفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور .

وأوردها الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس . ومعناهم كلهم في ذلك واحد وكل من طرقها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع ولكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح ، أحدهما ما أخرجه الطبري عن طريق يونس بن زيد عن ابن شهاب ، حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فذكر نحوه ، والثاني ما أخرجه من طريق المعتمر بن سليمان وحماد بن سلمة كلاهما عن داود بن أبي هند عن أبي العالية .

وقال ابن حجر العسقلاني في معرض رده على القاضي أبي بكر ابن العربي : « وقد تجرأ ابن العربي كعاداته فقال : ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لا أصل لها وهو إطلاق مردود عليه وكذا قول القاضي عياض : هذا الحديث لم يخرج به أهل الصحة ولا رواة ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقله واضطراب رواياته وانقطاع أسانيده وكذا قول عياض أيضاً : ومن حكيت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صحابي وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية فهذا مردود أيضاً . »

وتتمة كلام القاضي عياض تدل على مدى تحرره من غائلة التقليد ومحاولته تمحيص الحقائق قال : « وقد بين البزار أن الحديث لا يعرف طريق يجوز ذكره إلا من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك

الذي وقع في وصله وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم قال : ولم ينقل ذلك » •

قال الحافظ بن حجر : « وجميع ذلك لا يتمشى مع قواعد المحدثين فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دلّ ذلك على أن لها أصلاً وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله : ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرائق العلا وان شفاعتهن لترتجى ، فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس فيه وكذا سهواً إذ كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته » ومضى قائلاً : « وقد سلك العلماء في ذلك التأويل مسالك نحو السبعة فقل جري ذلك على لسانه حين أصابته سنة من النوم وهو لا يشعر فلما أعلمه الله بذلك أحكم آياته وهذا أخرجه الطبري عن قتادة » •

ورد القاضي عياض بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم •

وقيل : ان الشيطان ألجأه الى أن قال ذلك بغير اختيار • ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان « وما كان لي عليكم من سلطان ... الآية » قال : فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة على طاعة •

وقيل : ان المشركين كانوا اذا ذكروا آلهتهم وصفوها بذلك فعلق

ذلك بحفظه صلى الله عليه وسلم فجرى على لسانه سهواً • وقد رد القاضي عياض ذلك فأجاد •

وقيل : لعله قال ذلك توييخاً للكفار ، قال القاضي عياض وهذا جائز إذا كان هناك قرينة تدل على المراد ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزاً وإلى هذا نحا الباقلاني •

وقيل : انه لما وصل الى قوله « ومناة الثالثة الأخرى » خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به كعادته إذا ذكرها فبادروا الى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم : « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه » أي أظهروا اللغو برفع الاصوات تخليطاً وتشويشاً عليه ونسب ذلك الى الشيطان لكونه الحامل لهم عليه أو المراد بالشيطان شيطان الانس •

وقيل : المراد بالفرانيق العلا الملائكة وكان الكفار يقولون : الملائكة بنات الله ويعبدونها فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله « ألكم الذكر وله الأنثى » فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع وقالوا قد عظم آلهتنا ورضوا بذلك فنسخ تينك الكلمتين وهما قوله : تلك الفرانيق العلا ، وان شفاعتهن لترتجى وأحكم آياته •

وقيل : كان النبي صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن فترصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكياً صوت النبي صلى الله عليه وسلم بحيث سمعه من دنا اليه فظنها من قول النبي وأشاعها • قال القاضي عياض وهذا أحسن الوجوه وهو الذي يظهر ترجيحه ويؤيده ما روي عن ابن عباس في تفسير تمنى بتلا وكذا استحسّن ابن العربي هذا التأويل وقال : معنى قوله في أمنيته أي في

تلاوته فأخبر تعالى في هذه الآية أن سنة الله في رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نصّ في أن الشيطان زاد في قول النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله لأنه معصوم. قال في فتح الباري : « وقد سبق الى ذلك الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصوب هذا المعنى » اهـ .

ما ما ورد في صحيح البخاري بصدد هذه القصة فهو : « وقال ابن عباس في « إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته » إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته ، ويقال أمنيته قراءته « الأمانى يقرءون ولا يكتبون » فتراه حكى تفسير الأمانة بالقراءة بلفظ يقال بعد ما فسرهما في الحديث رواية عن ابن عباس ، وهذا يدل على المغايرة بين التفسيرين ، فما يدعيه الشراح أن الحديث في رأي ابن عباس بمعنى التلاوة يخالف ظاهر العبارة ، ثم حكايته تفسير الأمانة بمعنى القراءة بلفظ يقال يفيد أنه غير معتبر عنده وسيأتي أن المراد بالحديث حديث النفس .

وقال القسطلاني في شرح البخاري : « وقد طعن في هذه القصة غير واحد من الأئمة حتى قال ابن اسحق وقد سئل عنها : هي من وضع الزنادقة » وكفى في انكار حديث أن يقول فيه ابن اسحق أنه من وضع الزنادقة مع حال ابن اسحق المعرفة عند المحدثين .

وهذا نص ما قاله القاضي عياض : « والذي ورد في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم » وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس وقد يكون ذلك لبلاغة السورة وشدة قرعها وعظم وقعها » ثم قال القاضي : « قد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصيته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن هذه الرذيلة » .

أما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتسوّد عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه وحتى يفهمه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمداً وذلك كفراً وسهواً وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبراهين والاجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على لسانه أو قلبه لا عمداً ولا سهواً أو أن يشتبه عليه ما يلقيه الملك بما يلقي الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل ، أو أن يتقول على الله — لا عمداً ولا سهواً — ما لم ينزل عليه وقد قال الله تعالى : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين » وقال « إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً » .

ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة ظراً وعرفاً وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام مترج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ومن بحضرته من المسلمين ، وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام عليه .

ووجه ثالث انه علم من عادة المنافقين ، ومعاندة المشركين ، وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين تفورهم لأول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة ، وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة ، وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الاسلام لأدنى شبهة ، ولم يحك أحد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة

الأصل ، ولو كان ذلك لوجدت قریش بها على المسلمين الصولة ،
ولأقامت اليهود عليهم الحجة ، كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء ،
ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت ، ولا تشغيب للمعادي حينئذ
أشد من هذه الحادثة لو أمكنت ، وما ورد عن معاند فيها كلمة ولا عن
مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها ، واجتثاث أصلها ، ولا شك في
ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي
المحدثين ، ليلبس به على بعض ضعفاء المسلمين •

ووجه رابع : ذكر الرواة لهذه القصة أن فيها نزلت : « وان كادوا
ليفتنوك عن الذي أوحينا إليك » الآيتان ، هاتان الآيتان تردان الخبر
الذي رووه لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفترى ولولا أن
ثبته لكاد يركن اليهم شيئاً قليلاً ، فمضمون هذا ومفهومه أن الله
عصمه من أن يفترى وثبته حتى لم يركن اليهم قليلاً فكيف كثيراً وهم
يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم
وانه صلى الله عليه وسلم قال : افترت على الله وقلت ما لم يقل وهي
تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له ؟ وهذا مثل قوله تعالى
في الآية الأخرى : « ولولا فضل الله عليك ورحمته لهيت طائفة منهم
أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء » قال
القشيري : ولقد طالبت قریش وثقيف إذ مرّ بالهتهم أن يقبل بوجهه إليها
ووعده الإيمان به إن فعل فما فعل ولا كان ليفعل ، قال ابن النباري :
« ما قارب الرسول ولا ركن » •

أما ما ذكره ابن حجر من أن القصة رويت مرسله من ثلاث طرق على
شرط الصحيح وانه يحتج بها الخ ما سبق فقد ذهب عليه أن العصمة
من العقائد التي يطلب فيها اليقين فالحديث الذي يفيد خرمها ونقضها

لا يقبل على أي وجه جاء وقد عد الأصوليون الخبر الذي يكون على تلك الصفة من الأخبار التي يجب القطع بكذبها ، هذا لو فرض اتصال الحديث فما ظنك بالمراسيل ؟ وانما الخلاف في الاحتجاج بالمرسل وعدم الاحتجاج به فيما هو من قبيل الاعمال وفروع الأحكام لا في أصول العقائد ومعاهد الإيمان بالمرسل وما جاءوا به فهي هفوة من ابن حجر يغفرها الله له. وقد استغل بروكلمان المستشرق الألماني الشهير هذه الرواية فنقلها بأمانة واعتبرها من المسائل المفروغ من إثباتها وذلك في كتابه « تاريخ الشعوب الإسلامية » الذي أخرج له للناس عام ١٩٣٩ للميلاد فقال في الحديث عن محمد : « ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله ولقد أشار اليهن في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله : تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن ترتجى ، أما بعد ذلك حين قوي شعور النبي بالوحدانية فلم يعترف بغير الملائكة شفعاء عند الله ، وجاءت السورة الثالثة والخمسون وفيها إنكار » لأن تكون الآلهة الثلاث بنات الله ، ولم يستطع التقليد المتأخر أن يعتبر ذلك التسليم إلا تحولا أغراه به الشيطان ولذلك أرجئت حوادثه إلى أشد الأوقات ضيقاً في مكة ثم ما لبث أن أنكره وتبرأ منه في اليوم التالي « هذا ما ذكره بروكلمان وهو ينضح بالتعصب وينادي على نفسه بالافتئات ولم يقتصر الأمر على بروكلمان وحده فكثير من المبشرين وبعض المستشرقين تشبثوا بهذه الرواية وزعموا أن الرسول فعل ذلك لما قاومه المشركون بمكة فأحب أن يتقرب منهم فمدح آلهتهم ثم عدوا عمله هذا تراخياً عن تشدده في التوحيد ومهاجمة الأصنام ، هذا وقد تصدى لهم كثيرون من علماء المسلمين في العصر الحديث ففندوا افتراءاتهم وطوحوا

بأراجيفهم ، وحسبنا أن نلمع الى اثنين من كبار هؤلاء العلماء ملخصين ما قالاه ضاربين صفحاً عن التطويل فيما لا يتفق مع منهاج الكتاب .

خلاصة ما كتبه العالم الهندي محمد علي :

« إن هذه الرواية وردت عند الواقدي وعند الطبري ومع ذلك فانها لا ظل لها من الحقيقة فإن كل عمل من أعمال رسول الله مناقض لمثل هذا الاتجاه، أضف الى ذلك أن الواقدي معروف بسرد الاسرائيليات وبسرد الخرافات وكذلك الطبري معروف بالجمع الكثير واستقصاء الروايات مهما كان حظها من الصحة ، على أننا لو رجعنا الى رواية محمد ابن اسحق أو الى صحيح البخاري وهو الذي لم يغادر من حياة الرسول شيئاً إلا ذكره لم نر لقصة الغرائق أثراً وابن اسحق جاء قبل الواقدي بأربعين سنة وقبل الطبري بنحو مائة وخمسين سنة أو تزيد ، أما البخاري فقد كان معاصراً للواقدي ومع ذلك لم يذكر هذه القصة ثم ان الواقدي معروف عند المحدثين بأنه يضع الأحاديث وانه غير ثقة فيما يروي وكذلك لم يذكرها أحد من رواة الحديث .

وإذا عدنا الى قراءة الآيات نفسها بالتسلسل وجدناها : « أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك اذن قسمة ضيزى ، إن هي إلا أسماء سميتموها أتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى » فليس من المعقول أن تحشر بين هذه الآيات المتتالية آية مناقضة لها في أصل العقيدة الاسلامية وصلب دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وهنالك تفاصيل كثيرة في نقض هذه الرواية لا جدوى من ذكرها .

هذا ما ذكره العالم الهندي مولانا محمد علي وهو كاف في الرد على هؤلاء المستشرقين الذين ينظرون الى نبوة محمد نظرة مادية مجردة من الايحاء الإلهي وما ذلك إلا من قبيل التعصب الديني المبني على عدا سياسي انهم ينكرون أن يكون محمد ذا نبوة صحيحة بينما هم يقرون بهذه النبوة نفسها لجميع أنبياء بني إسرائيل .

خلاصة البحث الجليل الذي كتبه الامام محمد عبده :

والآن آن لنا أن نلخص البحث المتع الذي كتبه الامام الشيخ محمد عبده وفيه قطعت جبهة قول كل خطيب :

« لا يخفى على كل من يفهم العربية وقرأ شيئاً من القرآن أن قوله تعالى « وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي ... الآيات » يحكي قدراً قدر للمرسلين كافة لا يعدونه ولا يقفون دونه ويصف شنشنة عرفت فيهم وفي أممهم فلو صح ما قال أولئك المفسرون لكان المعنى أن جميع الانبياء والمرسلين قد سلط الشيطان عليهم فخلط في الوحي المنزل اليهم ولكنه بعد هذا الخلط ينسخ الله كلام الشيطان ويحكم الله آياته وهذا من أقبح ما يتصور متصور في اختصاص الله تعالى لأنبيائه واختيارهم من خاصة أوليائه فلندع هذا الهذيان ولنعد الى ما نحن بصددده » وبعد أن أفاض الاستاذ الامام في ذكر الله لنبيه أحوال الانبياء والمرسلين قبله ليبين له سنته فيهم وانه لم يبعث واحد منهم في أمة إلا كان له خصوم يؤذونه بالتأويل والتحريف قال « فعلى هذا المعنى الذي يتفق مع ما لقيه الأنبياء جميعاً يجب أن تفسر الآية وذلك يكون على وجهين :

الأول :

أن يكون تمنى بمعنى قرأ والأمنية بمعنى القراءة وهو معنى قد

يصح وقد ورد استعمال اللفظ فيه قال حسان بن ثابت في عشان رضي الله عنهما :

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره لاقى حمام المقادر

غير أن الإلقاء لا يكون على المعنى الذي ذكروه بل على المعنى المفهوم من قولك : ألقيت في حديث فلان إذا أدخلت فيه ما ربما يحتمله لفظه ولا يكون قد أراده أو نسبت إليه ما لم يقله تعللاً بأن ذلك الحديث المذكور يؤدي إليه وذلك من عمل المعاجزين الذين ينصبون أنفسهم لمحاربة الحق ، يتبعون الشبهة ، ويسعون وراء الريبة ، فالإلقاء بهذا المعنى دأبهم ونسبة الإلقاء إلى الشيطان لأنه مثير الشبهات بوساوسه مفسد القلوب بدسائسه ، وكل ما يصدر من أهل الضلال ينسب إليه ويكون المعنى : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا حدث قومه عن ربه أو تلا وحياً أنزل إليه فيه هدى لهم قام في وجهه مشاغبون يحولون ما يتلوه عليهم عن المراد منه ويتقولون عليه ما لم يقله ، وينشرون ذلك بين الناس ليعبدوهم عنه ويعدلوا بهم عن سبيله ثم يحق الله الحق ويبطل الباطل ، ولا زال الأنبياء يصبرون على ما كذبوا وأوذوا ويجاهدون في الحق ولا يعتدون بتعجيز المعجزين ولا بهزء المستهزئين إلى أن يظهر الحق بالمجاهدة ، وينتصر على الباطل بالمجادلة فينسخ الله تلك الشبهة ويبحثها من أصولها ويثبت آياته ويقررها وقد وضع الله هذه السنة في الناس لتمييز الخبيث من الطيب فيفتن الذين في قلوبهم مرض وهم ضعفاء العقول بتلك الشبه والوساوس فينطلقون وراءها ويفتن بها القاسية قلوبهم من أهل العناد والمجاهدة فيتخذونها سنداً يعتمدون عليه في جدلهم ثم يتمحص الحق عند الذين أوتوا العلم ، ويخلص لهم بعد ورود كل شبهة عليه فيعلموا أنه الحق من ربك

فيصدقوا به فتخبت وتطشّن قلوبهم والذين أوتوا العلم هم الذين رزقوا قوة التمييز بين البرهان القاطع الذي يستقر بالعقل في قرارة اليقين وبين المغالطات وضروب السفسطة التي تطيش بالفهم ، وتطير به مع الوهم ، وتأخذ بالعقل تارة ذات الشمال وأخرى ذات اليمين .

الثاني :

ان التمني على معناه المعروف وكذلك الأمنية وهي أفعولة بمعنى المنية وجمعها أمانى كما هو مشهور وقال أبو العباس أحمد بن يحيى : التمني حديث النفس بما يكون وبما لا يكون والتمني سؤال الرب وفي الحديث : « إذا تمنى أحدكم فليتكثر فإنما يسأل ربه » وفي رواية فليكثر ، قال ابن الأثير : التمني تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون . وقال أبو بكر : تمنيت الشيء إذا قدرته وأحببت أن يصير لي ، وكل ما قيل في معنى التمني على هذا الوجه فهو يرجع الى ما ذكرنا ويتبعه معنى الأمنية . ما أرسل الله من رسول ولا نبي ليدعو قوماً الى هدى جديد أو شرع سابق شرعه لهم ويحملهم على التصديق بكتاب جاء به نفسه إن كان رسولا أو جاء به غيره ان كان نبياً بعث ليحمل الناس على اتباع من سبقه إلا وله أمنية في قومه وهي أن يتبعوه وينحازوا الى ما يدعوه اليه وما يستشفوا من داءهم بدوائه ، ويعصوا أهواءهم بإجابة ندائه ، وما من رسول أرسل إلا وقد كان أحرص على إيمان أمته وتصديقهم برسالته منه على طعامه الذي يطعم وشرابه الذي يشرب وسكنه الذي يسكن اليه ويغدو عنه ويروح عليه وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك في المقام الأعلى والمكان الأسمى قال الله تعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » وقال : « وما أكثر الناس ولو حرصت

بمؤمنين » وقال : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » وفي الآيات مما يطول سرده مما يدل على أمانيه صلى الله عليه وسلم المتعلقة بهداية قومه وإخراجهم من ظلمات ما كانوا فيه الى نور ما جاء به ، وما من رسول ولا نبي اذا تمنى هذه الأمنية السامية إلا ألقى الشيطان في سبيله العثرات وأقام بينه وبين مقصده العقبات ووسوس في صدور الناس وسلبهم الانتفاع بما وهبوا من قوة العقل والإحساس فثاروا في وجهه وصدوه عن قصده وعاجزوه حتى لقد يعجزونه ، وجادلوه بالقول والسلاح حتى لقد يقهرونه ، فإذا ظهروا عليه والدعوة في بدايتها وسهل عليهم إيذاؤه وهو قليل الأتباع ضعيف الانصار ظنوا الحق من جانبهم وكان فيما ألقوه من العوائق بينه وبين ما عمد اليه فتنة لهم ، غلبت سنة الله في أن يكون الرسل من أواسط قومهم أو من المستضعفين فيهم ليكون العامل في الاذعان بالحق محض الدليل ، وقوة البرهان ، وليكون الاختيار المطلق هو الحامل لمن يدعى اليه على قبوله ولكيلا يشارك الحق الباطل في رسائله و يشاركه في نصب شراكه وحبائله أنصار الباطل في كل زمان ، هم أهل القوة والأثرة والجاه والاعتزاز بالأموال والأولاد والعشيرة والاعوان والغرور بالزخارف ، والزهو بكثرة المعارف ، وتلك الخصال انما تجتمع كلها أو بعضها في الرؤساء وذوي المكانة من الناس فتذهلهم عن أنفسهم وتصرف نظرهم عن سبيل رشدهم ، فإذا دعا الى الحق داع عرفته القلوب النقية من أوضار هذه الفواتن ، وفزعت اليه النفوس الصافية والعقول المستعدة لقبوله بخلوصها من هذه الشواغل ، وقلما توجد الا عند الضعفاء وأهل المسكنة فإذا التف هؤلاء حول الداعي ، وظاهروه على دعوته قام أولئك المعرورون يقولون : « ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين »

فإذا استدرجهم الله على سنته وجعل الجدل بينهم وبين المؤمنين سجلاً افتتن الذين في قلوبهم مرض من أشياعهم ، وافتنوا بما أصابوا من الظفر في دفاعهم ولكن الله غالب على أمره فيمحق ما ألقاه الشيطان من هذه الشبهات ويرفع هذه الموانع وتلك العقبات ويهب السلطان لآياته فيحكمها ويثبت دعائمها وينشئ من ضعف أنصارها قوة ، ويخلف لهم من ذلهم عزة وتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الشيطان هي السفلى « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » •

خاتمة هامة للأستاذ الامام :

« ولو صح ما قاله نقلة قصة الغرائق لارتفعت الثقة بالوحي وانتقض الاعتماد عليه كما قاله البيضاوي وغيره ولكان الكلام في النسخ كالكلام في المنسوخ يجوز أن يلقي الشيطان فيه ما يشاء ولا نهدم أعظم ركن للشرائع الإلهية وهو العصمة وما يقال من المخرج في ذلك ينفر منه الذوق ولا ينظر إليه العقل على أن وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرائق العلى لم يردلا في نظمهم ولا في خطبهم ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جارياً على ألسنتهم إلا ما جاء في معجم ياقوت غير مسند ولا معروف بطريق صحيح وهذا يدل على أن القصة من اختراع الزنادقة كما قال ابن اسحق وربما كانت منشأ ما أورده ياقوت ولا يخفى أن الغرنوق والغرينق لم يعرف في اللغة إلا اسماً لطائر مائي أسود أو أبيض أو هو اسم الكركي أو طائر يشبهه ، والغرينق بالضم كزنبور وقنديل وسموئل وفردوس وقرطاس وعلابط معناه الشاب الأبيض الجميل وتسمى الخصلة من الشعر المفتلة الغرنوق كما يسمى به ضرب من الشجر ويطلق الغرنوق والغرائق على ما يكون في أصل العوسج اللين النبات ولا يقال لمة غرائقة وغرائقية أي ناعمة تضيئها

الريح أو الغرنوق الناعم المستتر من النبات الخ ولا شيء من هذه المعاني يلائم الإلهام والأصنام حتى يطلق عليها في فصيح القول الذي يعرض على ملوك البلاغة وأمرء الكلام فلا أظنك تعتقد إلا أنها من مفتريات الأعاجم ومختلقات الملبسين ممن لا يميز بين حر الكلام ، وما استعبد منه لضعفاء الأحلام ، فراج ذلك على من يذهله الولوع بالرواية ، عما تقتضيه الدراية ، « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » .

وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ * ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

الاعراب :

(وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به) الواو عاطفة وليعلم عطف على ليجعل وقد تقدم تعليق ليجعل والذين فاعل وجملة أوتوا العلم صلة والعلم مفعول به ثان الأوتوا وأنه الحق سدت مسد مفعولي يعلم ومن ربهم حال فيؤمنوا عطف على يعلم وبه متعلقان بيؤمنوا (فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) فتخبت عطف على فيؤمنوا به وله متعلقان بتخبت أي تطمئن له قلوبهم وقلوبهم فاعل والواو استئنافية وأن واسمها ولهاد اللام المزحلقة وهاد خبر إن والذين مفعول هاد لأنه اسم فاعل وجملة آمنوا صلة وإلى صراط مستقيم متعلقان بهاد . (ولا يزال الذين كفروا في مرة منه) الواو عاطفة على ما تقدم ليستكمل شرح حال الكافرين ويستوفيها ولا يزال فعل مضارع ناقص والذين كفروا اسمها وفي مرة خبرها ومنه صفة لمرة وهي بكسر الميم وضمها والضمير يعود إلى القرآن أو إلى الرسول أو إلى ما ألقاه الشيطان . (حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) حتى حرف غاية وجر وتأتيهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والهاء مفعول به والساعة فاعل وبغتة حال وأو حرف عطف ويأتيهم عطف على تأتيهم وعذاب يوم فاعل وعقيم صفة . (الملك يومئذ لله يحكم بينهم) الملك مبتدأ ويومئذ ظرف مضاف إلى مثله وهو متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر وهو الله والتنوين عوض عن محذوف تقديره يوم يؤمنون أو يوم تزول حريتهم وجملة يحكم بينهم مستأنفة كأنها وقعت جواباً لسؤال مقدر تقديره ماذا يصنع بهم فقيل يحكم بينهم ولا يبعد أن تكون حالاً من اسم الله والظرف متعلق بيحكم . (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم) الفاء

عاطفة للتفريع والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وجملة وعملوا الصالحات عطف على جملة آمنوا وفي جنات النعيم خبر • (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) والذين مبتدأ أيضاً وجملة كفروا صلة وجملة كذبوا بآياتنا عطف على جملة كفروا فأولئك الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وأولئك مبتدأ ولهم خبر مقدم وعذاب مهين مبتدأ مؤخر والجملة خبر أولئك وجملة أولئك الخ خبر الذين • (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً) (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً) قتلوا أو ماتوا عطف على قتلوا ، ليرزقنهم اللام موطئة للقسم ويرزقنهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والهاء مفعول به والله فاعل ورزقاً مفعول مطلق وحسناً صفة والجملة القسمية وجوابها خبر الذين وهذا أولى من تقدير خبر • (وإن الله لهو خير الرازقين) الواو عاطفة وإن واسمها واللام المزحلقة وهو مبتدأ وخير الرازقين خبر هو والجملة خبر إن • (ليدخلنهم مَدْخَلاً يَرْضُونَهُ وإن الله لعليم حلیم) اللام موطئة للقسم وجملة يدخلنهم جواب القسم وجملة القسم وجوابه بدل من الجملة القسمية الأولى أو هي مستأنفة والهاء مفعول به ومدخلاً مفعول مطلق لأنه مصدر ميمي وجملة يرضونه صفة لمَدْخَلاً ، وإن الله لعليم حلیم الواو عاطفة وإن واسمها واللام المزحلقة وعليم حلیم خبر إن • (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به) ذلك خبر مبتدأ محذوف وقد تقدم اعراب نظيره والواو استئنافية ومن اسم شرط جازم أو موصوله مبتدأ وعاقب فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وبمثل متعلقان بعاقب وما موصول مضاف إليه وجملة عوقب به صلة •

(ثم بغى عليه لينصرته الله إن الله لعفو غفور) ثم بغى عليه عطف على عاقب واللام موطنة للقسم والجملة القسمية خبر من وجملة ان الله لعفو غفور تعليلية لا محل لها .

البلاغة :

(يوم عقيم) : استعارة مكنية فقد شبه مالا خير فيه من الزمان بالنساء العقم أو لأن يوم الحرب يقتل فيه أولاد النساء فيصرون كأنهن عقم لم يلدن .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ
اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ
هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
اللَّهَ يَخْرُجُكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَآلُفُك تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ
وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾

الاعراب :

(ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير) الجملة مستأنفة لتقرير قدرته تعالى على النصر وإن من قدر على إيلاج الليل والنهار وإيلاج النهار في الليل وغير ذلك من روائع قدرته قادر ولا شك على النصر ، وذلك مبتدأ والاشارة الى النصر الموعود وبأن الله خبره والباء للسببية وجملة يولج الليل في النهار خبر إن وجملة ويولج النهار في الليل عطف على الجملة الاولى وإن الله سميع بصير عطف أيضاً على بأن الله الخ ومعنى إيلاج الليل في النهار وبالعكس تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك وبالعكس . (ذلك بأن الله هو الحق) جملة مستأنفة ثانية لتقرير دليل آخر الى جانب الدليل الاول وهو القدرة على جميع الممكنات وهو كونه تعالى حقاً ثابتاً وما عداه معدوم وزائل وذلك مبتدأ وبأن خبر والله اسم إن وجملة هو الحق من المبتدأ والخبر خبر أن . (وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير) عطف على ما تقدم وقوله من دونه متعلقان بمحذوف حال . (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله مستتر تقديره أنت وإن وما في حيزها سلت مسد مفعولي تر لأنها علمية كما سيأتي وجملة أنزل خبر أن ومن السماء متعلقان بأنزل وماء مفعول به ، فتصبح الفاء عاطفة لا سببية لأن الاستفهام تقريرى كما قدمنا مؤول بالخبر أي قد رأيت والخبر لاجواب له وأيضاً لا تصح السببية هنا فإن الرؤية لا يتسبب عنها اخضرار الارض بل إنما يوجبه انزال الماء بعد أن تصبح وسيأتي مزيد تفصيل لهذه النكت البلاغية في باب البلاغة ، فتصبح الفاء عاطفة وتصبح

معطوف على أنزل وهو فعل مضارع ناقص وسيأتي سر المخالفة في عطف المضارع على الماضي والارض اسم تصبح ومخضرة خبرها ، واختار أبو البقاء أن تكون تصبح تامة والارض فاعلاً ومخضرة حالاً • (إن الله لطيف خبير) الجملة تعليل لما تقدم وان واسمها وخبرها • (له ما في السموات وما في الارض وإن الله لهو الغني الحميد) الجملة حالية أو مستأنفة وله خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة ما وما في الارض عطف على ما في السموات وان الله الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وهو الغني مبتدأ وخبر والجملة خبر إن والحميد خبر ثان لهو • (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بأمره) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر مضارع مجزوم بلم وأن الله مفعول تر وجملة سخر خبر أن ولكم متعلقان بسخر وما مفعول سخر وفي الارض صلة ما والفلك عطف على ما أي سخر لكم ما في الارض وسخر لكم الفلك وجملة تجري حال من الفلك وفي البحر متعلقان بتجري وبأمره حال (ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا بإذنه) الواو عاطفة ويمسك فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو والسماء مفعول به وأن تقع المصدر المؤول في محل نصب مفعول لأجله فالبحريون يقدرُونَ كراهة أن يقع والكوفيون لئلا تقع واختار أبو البقاء وغيره أن تكون بدل اشتغال من السماء أي ويمسك وقوعها بمعنى يمنعه وعلى الارض متعلقان بتقع وإلا أداة حصر لأن الكلام غير موجب أو في قوة النفي أي لا يتركها تقع في حالة من الاحوال فهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال فقوله بإذنه متعلقان بمحذوف حال أي ملتبسة بمشيئته تعالى وإذنه والباء للملابسة • (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) الجملة تعليلية وان واسمها وبالناس متعلقان برؤوف واللام المزحلقة ورؤوف خبر أول ورحيم خبر ثان •

البلاغة :

في قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة » عطف المضارع المستقبل على الماضي ولم يقل فأصبحت عطفاً على أنزل وذلك لإفادة بقاء أثر المطر زمناً بعد زمان فانزال الماء مضى وجوده واخضرار الأرض باق لم يمض وهذا كما تقول أنعم على فلان فأروح وأغدو شاكراً له ولو قلت فرحت وغدوت شاكراً له لم يقع ذلك الموقع لأنه يدل على ماض قد كان وانقضى وهذا موضع جدير بالتأمل .

والسؤال الوارد هنا لم لم ينصب فتصبح جواباً للاستفهام ؟ والجواب لو نصب لأعطى عكس ما هو الغرض لأن معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك : ألم تر أنني أنعمت عليك فتشكر إن نصبت فأنت ناف لشكره شك تفريطه فيه وإن رفعته فأنت مثبت للشكر . قال سيويه : وسأله (يعني الخليل) عن « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة » فقال هذا واجب وهو تنبيه كأنك قلت أسمع أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا » قال ابن خروف في شرح كتاب سيويه : « وقوله فقال هذا واجب وقوله فكان كذا يريد أنهما ماضيان وفسر الكلام بأن تسمع ليريك أنه لا يتصل بالاستفهام لضعف حكم الاستفهام فيه » وقال بعض شراح الكتاب : « فتصبح لا يمكن نصبه لأن الكلام واجب ألا ترى أن المعنى أن الله أنزل الماء فالأرض هذه حالها » وقال الفراء « وإنما عبر بالمضارع لأن فيه تصويراً للهيئة التي الأرض عليها والحالة التي لا بست الأرض والماضي يفيد انقطاع الشيء وهذا كقول جحر

ابن معونة العكلي يصف حاله مع أشد فازلة في قصة جرت له مع
الحجاج بن يوسف :

يسمو بناظرين تحسب فيهما لما أجالهما شعاع سراج
لما نزلت بحصن أزبر مهضر للمقرن أرواح العدا مجاج
فأكر أحمل وهو يقمي بآسته فاذا يعود فراجع أدراجي
وعلى اني إن آيت نزاله أني من الحجاج لست بناج

فقوله : فأكر تصوير للحالة التي لابسها .

وقال ابن هشام في المغني : « وقيل الفاء في هذه الآية للسببية
وفاء السببية لا تستلزم التعقيب بدليل صحة قولك إن يسلم فهو
يدخل الجنة ومعلوم ما بينهما من المهلة » .

بحث مستع للرازي :

وللامام الرازي بحث جيد هنا يمكن تلخيصه بما يلي :

« ذكر هنا من آثار قدرته ستة أشياء :

١ - انزال الماء الناشئ عنه اخضرار الارض وفسر الرؤية بالعلم
دون الابصار لأن الماء وان كان مرئياً إلا أن كون الله منزلاً له من
السماء غير مرئي وقال فتصبح الأرض دون أصبحت لإفادته بقاء أثر
المطر زمناً بعد زمان .

٢ - قوله : « له ما في السموات وما في الأرض » ومن جملة
خلق المطر والنبات تفعاً للحيوان مع أن الله لا يحتاج لذلك ولا ينتفع به .

٣ - تسخير ما في الارض أي ذلل لكم ما فيها كالبحر والحديد والنار لما يراد منها والحيوان للأكل والركوب والحمل عليه والنظر اليه .

٤ - تسخير الفلك بالماء والرياح فلولا أن الله سخرها لكانت تغوص أو تقف .

٥ - إمساك السماء لأن النعم المتقدمة لا تكمل إلا به والسماء جرم ثقيل وما كان كذلك لا بد له من السقوط لولا مانع يمنع منه وهو القدرة فأمسكها الله بقدرته لئلا تقع فتبطل النعم التي امتن بها علينا .

٦ - الإحياء ثم الإماتة ثم الإحياء . نبه بهذا على أن هذه النعم لمن أحياه الله فنبه بالاحياء الاول على انعامه في الدنيا بكل ما تقدم ونبه بالإماتة والإحياء ثانياً على إنعامه علينا في الآخرة .

وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأُمْرِ وَادَّعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ﴿٧٠﴾ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧١﴾

اللفظة :

(منسكاً) : بفتح السين وكسرهما شريعة لأنه مأخوذ من النسيكة وهي العبادة • وقد تقدم الكلام مستوفياً عن هذه المادة •

الاعراب :

(وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور)
الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من منازعته تثبيتاً له وحفزاً لهمة على المضي في الأمر الذي عهد الله اليه به ، وهو مبتدأ والذي خبر وجملة أحياكم صلة ثم حرف عطف للتراخي ويميتكم فعل وفاعل ومفعول به أي عند انتهاء الآجال، ثم حرف عطف وتراخ أيضاً ويحييكم فعل مضارع مرفوع والكاف مفعوله أي عند البعث وجملة إن الإنسان لكفور مستأنفة تفيد التعليل لعدم الاعتبار والتبصر بعد هذه العبر والدلائل وإن واسمها واللام المزحلقة وكفور خبرها • (لكل أمة جعلنا منسكاً هم فاسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع الى ربك إنك لعلى هدى مستقيم) لكل أمة مفعول ثان مقدم لجعلنا ومنسكاً هو المفعول الاول والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها ولذلك لم يأت بالواو الاستئنافية وهي مسوقة لزجر منازعيه من أهل الأديان السماوية وهم مبتدأ وفاسكوه خبر والجملة الاسمية صفة لمنسكاً والفاء الفصيحة ولا ناهية وينازعنك فعل مضارع مجزوم بلا علامة جزمه حذف النون لتوالي الامثال والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين هي واو الجماعة في محل

رفع فاعل والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة ولم تؤثر في بناء المضارع لأنه لم تباشره وقد مرت لها قاطر والكاف مفعول به وفي الأمر متعلقان بينازعنك وادع فعل أمر وفاعله أنت وإلى ربك متعلقان بادع على حذف مضاف أي إلى دينه وسبيله وجملة أنك لعل هدى مستقيم تعليلية لا محل لها وإن واسمها واللام المزحلقة وعلى هدى خبرها ومستقيم صفة لهدى • (وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون) الواو عاطفة وإن شرطية وجادلوك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والواو فاعل والكاف مفعول به ، فقل الفاء رابطة وقل فعل أمر والله مبتدأ وأعلم خبر والجملة مفعول القول وجملة فقل جواب الشرط وبما متعلقان بأعلم وتعملون صلة • (الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) جملة مستأنفة مسوقة لتسلية النبي مما كان يلقي والله مبتدأ وجملة يحكم خبر وبينكم ظرف متعلق يحكم ويوم القيامة متعلق يحكم أيضاً وفيما متعلقان بمحذوف حال وجملة كنتم صلة وكان واسمها وفيه متعلقان بتختلفون وجملة تختلفون خبر كنتم • (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتعلم فعل مضارع مجزوم وفاعله مستتر تقديره أنت وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلم وإن واسمها وجملة يعلم خبرها وما مفعول به وفي السماء صلة ما والأرض عطف على السماء • (إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير) جملتان تعليلتان لما سبق وإن واسمها وفي كتاب خبرها وإن واسمها ويسير خبرها وعلى الله متعلقان بيسير •

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ
 عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ
 تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ
 عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَٰلِكُمْ أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي
 كَفَرُوا وَيَبْسُ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ
 إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ
 يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ
 ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾

اللفظة :

(يسطون) : يبطشون والسطو الوثب والبطش ولذلك عدي
 بالباء وإلا فهو يتعدى بعلى يقال سطا عليه وأصله القهر والغلبة وفي
 الأساس « وسطا بقرنه وعلى قرنه وثب عليه وبطش به ، والفعل يسطو
 على طروقه ومن المجاز : سطا الماء كثر وزخر ، وما سطوت في طعام
 أحد : ما تناولته ولهم أيد سواطٍ عواطٍ قال المتنخل يصف خمراً :

ركود في الإناء لها حُميًا تلذث بأخذها الأيدي السواطِي

وللسين مع الطاء فاء وعيناً للكلمة صفة الامتداد ، تقول رأيتهم
 قاعدين على المساطب وهي الدكاكين الممتدة حول رحبة المسجد وبات
 فلان على المسطبة وتقول : كم أبواب هذا البيت رجلاً على المساطب ،
 وأوقعهم في المتالف والمعاطب ؛ تريد فسر في بلاد الله ، وتقول : إما أن
 يبيتك على المسطبة، أو يرفعك الى المسطبة وهي المجرّة، وسطح الشيء :
 بسطه وسواه ومنه سطح الخبز بالمسطح وهو المحور وسطح الثريدة
 في الصفحة ومنه سطح البيت وسطح " مسطح : مستو وأنف مسطح
 منبسط جداً وبسط لنا المسطح والمساطح وهو الحصر من الخوص
 وضربه فسطحه إذا بطحه على قفاه ممتداً فانسطح وهو سطيح ومنسطح
 وبه سمي سطيح وضربه بالمسطح وهو عمود الخباء وشرب من
 السطيحة وهي المزادة ، وطر واستطر كتب وكتب سطرّاً من كتابه
 وسَطَرّاً وأسَطَرّاً وسَطُوراً وأسطاراً وهو مسيطر علينا ومتسيطر ،
 وفار ساطعة ممتدة ونور ساطع وسطع الفجر وسطع الغبار سطوعاً
 وسطع البعير والظليم مدّ عنقه الى السماء قال ذو الرمة يصف ظليماً :

يظلّ مختضعاً طوراً فتنكره حياً ويسطع أحياناً فينتسب

وسطع يديه رفعهما مصفقا بهما ومن المجاز سطعت رائحة المسك
 وأعجبنى سطوع رائحته ، واغتسلت بالسَّطْل والسَّيْطِل وهما القدّس
 الذي يتطهر به في الحمام ، وحرك النار بالاسطام وسيف مصقول
 السَّطّام وهو الحدّ وأنشد سيويه لكعب بن جعيل :

وأبيض مصقول السطام مهتداً

وذا حلق من نسج داود مشردا

ومن المجاز ليل طما أسطمة وهو في أسطمة قريش في وسطهم
وعاد الملك في اسطمة : في أصله ، قال :

يا ليتها قد خرجت من فمّه حتى يعود الملك في اسطمة

والعرب سظام الناس .

(الذباب) : اسم جنس واحد ذبابة يقع على المذكر والمؤنث
ويجمع على ذبّان بالكسر كغربان وذبّان بالضم كقضبان وعلى أذبّة
كأغربة وهو أجهل الحيوانات لانه يرمي نفسه في المهلكات ومدة عيشه
أربعون يوماً وأصل خلقته من العفونات ثم يتوالد بعضه من بعض يقع
روثه على الشيء الأبيض فيرى أسود وعلى الأسود فيرى أبيض، والذبّاب
مأخوذ من ذب إذا طرد وآب إذا رجع لأنك تذبه فيرجع عليك وقد
ذكره امرؤ القيس في شعره قال :

أرانا موضعين الأمر غيب وثسحر بالطعام وبالشراب
عصافير وذبّان ودود وأجرأ من مجلّة الذّباب

وسياتي بحث مسهب عنه في باب البلاغة .

الاعراب :

(ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً) الواو استئنافية
والجملة مستأنفة ويعبدون فعل مضارع والواو فاعل ومن دون الله حال
وما موصول مفعول به وجملة لم ينزل صلة ما وبه حال لأنه كان في
الأصل صفة لسلطاناً وسلطاناً مفعول به . (وما ليس لهم به علم
وما للظالمين من نصير) وما عطف على ما الاولى وجملة ليس صلة ولهم

خبر ليس المقدم وبه متعلقان بعلم وعلم اسم ليس المؤخر وما الواو عاطفة وما نافية وللظالمين خبر مقدم ومن حرف جر زائد ونصير مجرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ مؤخر . (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة تتلى في محل جر بإضافة إذا إليها وتتلى فعل مضارع مبني للسجھول وعليهم متعلقان بتتلى وآياتنا نائب فاعل وبينات حال وجملة تعرف لا محل لها لأنها جواب إذا وفي وجوه متعلقان بتعرف والذين مضاف إليه وجملة كفروا صلة والمنكر مفعول به وفيه وضع الظاهر موضع المضمرة وهو الذين كفروا تشنيعاً عليهم وتسجيلاً للشهادة عليهم بالكفر . (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) جملة يكادون حال من الموصول وان كان مضافاً لأن المضاف جزؤه ويجوز أن يكون حالاً من وجوه لأن المراد بها أصحابها ويكادون من أفعال المقاربة ، والواو اسمها وجملة يسطون خبرها وبالذين متعلقان بيسطون وجملة يتلون صلة وعليهم متعلقان بيسطون وآياتنا مفعول به . (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار) قل فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت والجملة مستأنفة ، أفأنبئكم الهمزة للاستفهام والفاء عاطفة على محذوف أي أخطبكم فأنبئكم وأنبئكم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وبشر متعلقان بأنبئكم ومن ذلكم متعلقان بشر والنار خبر لمبتدأ محذوف ، أو النار مبتدأ وخبره جملة وعدها والجملة لا محل لها لأنها مفسرة لشر . (وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) جملة وعدها الله إما خبر ثان وأما خبر النار ووعدنا الله فعل ومفعول به أول وفاعل والذين كفروا مفعول به ثان لوعدنا ويجوز أن يكون الضمير هو المفعول الثاني والذين كفروا هو المفعول الأول ولعل هذا أرجح لسر سيأتي في باب الفوائد وبئس المصير فعل وفاعل والمخصوص بالذم

محذوف أي هي • (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) كلام مستأنف مسوق لضرب المثل وهو إن يكن أشبه بالقصة إلا أنه في سيرورة واستغرابه سمي مثلاً ، يا أيها الناس تقدم اعرابها كثيراً وضرب مثل فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعل ، فاستمعوا الفاء الفصيحة واستمعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وله متعلقان باستمعوا • (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له) الجملة مفسرة للمثل وان واسمها وجملة تدعون صلة ومن دون الله حال وجملة لن يخلقوا ذباباً خبر ان وذباباً مفعول به ولو الواو عاطفة على محذوف هو حال أي انتهى خلقهم الذباب على كل حال ولو في هذه الحال التي اجتمعوا لها ولو شرطية واجتمعوا فعل وفاعل وله متعلقان باجتمعوا • (وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) الواو عاطفة وان شرطية ويسلبهم فعل الشرط والهاء مفعول به والذباب فاعل وشيئاً مفعول به ثان ولا نافية ويستنقذوه جواب الشرط والواو فاعل والهاء مفعول به ومنه متعلقان يستنقذوه وجملة ضعف الطالب والمطلوب حال • (وما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز) الواو استئنافية مسوقة للرد على أخبار اليهود ورؤسائهم الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وما نافية وقدروا فعل وفاعل ولفظ الجلالة مفعول به وحق قدره مفعول مطلق وجملة ان الله تعليل لما تقدم وان واسمها واللام المرحقة وقوي خبر ان الاول وعزيز خبر ان الثاني •

البلاغة :

سلامة الاختراع :

وهو أن يخترع الشاعر أو الكاتب معنى لم يسبق إليه ولم يتبع

فيه فقوله تعالى « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً » الآية من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل الكافرين واستركاك عقولهم لغرابة التمثيل الذي تضمن الافراط في المبالغة مع كونها جارية على الحق خارجة مخرج الصدق وذلك حين اقتصر سبحانه على ذكر أضعف المخلوقات وأقلها سلباً لما تسلبه وتعجز كل من دونه سبحانه كائناً من كان عن خلق مثله مع التضايف والاجتماع ثم نزل في التمثيل عن رتبة الخلق إذ هما مما يعجز عن مثلهما كل قادر غير الله عز وجل الى استنقاذ النزر التفه الذي يسلبه هذا الخلق الضعيف على ضعفه ويعجز كل قادر من المخلوقين عن استنقاذه منه فتقل في النزول في التمثيل على ما تقتضيه البلاغة على الترتيب في هذا المكان ، لما علم سبحانه انه لا مبالغة في تعجزهم عن الخلق والاختراع الذي لا يدعيه جبار ولا يتعاطاه من المخلوقين أحد وإن أوتي قدرة وأعطي قوة وكان فيه من التغالي بالكفر والجهل ما يدعي معه الالهية ويتحل الربوبية ، فنزل بهم الى استنقاذ ما يسلبه هذا المخلوق الضعيف على ضعفه وقوتهم ليريه عجزهم فتستيقنه نفوسهم وإن لم تقرّ به ألسنتهم فجاء بما يقضي الظاهر أنه أيسر من الخلق وهو الحقيقة مثله في العسر فإن الظفر بنفس هذا المخلوق أيسر من الظفر بما يسلبه فاستنقاذ ما يسلبه في العجز عنه مثل خلقه ولم يسمع مثل هذا التمثيل في باب له أحد قبل نزول الكتاب العزيز .

هذا وقد قسم علماء البيان سلامة الاختراع إلى ضربين :

أولهما : يتدعه صاحبه من غير أن يقتدي فيه بمن سبقه وهذا الضرب يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ، وينتبه له عند الأمور الطارئة فمن ذلك ما ورد في شعر لأبي تمام في قصيدة له يمدح بها المعتصم بالله ويذكر حرق الافشين ومطلعها :

الحق أبلج والسيوف عوار فحذار من أسد العرين حذار
وفيها يخترع وصف المصلين فيقول :

بكرروا وأسرروا في متون ضوامر
قيدت لهم من مربوط النجار
لا يرحسون ومن رآهم خالهم
أبدأ على سفر من الأسفار

وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ، والخاطر في
مثل هذا المقام ينساق الى المعنى المخترع من غير كبير كلفة لشاهد الحال
الحاضرة ، ومما قاله فيها في صفة من أحرق بالنار :

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطفى سر الزناد الواري
ناراً يساور جسمه من حرها لهب كما عصفت شيق إزار
طار لها شعل يهدم لفحها أركانه هدماً بغير غبار

فصّلن منه كلّ مجتمّع مقصّل
وفعلن فاقرة بكل فقار

مشبوبة رفعت لأعظم مشرك
ما كان يرفع ضوءها للساري
صلى لها حياً وكان وقودها
ميتاً ويدخلها مع الفجار

وقد ذيل البحري على ما ذكره أبو تمام في وصف المصلين فقال :

كم عزيز أباده ففدا ير كب عوداً مركباً في عود
أسلته الى الرقاد رجال لم يكونوا عن وترهم برقود
تحسد الطير فيه ضبع البوادي وهو في غير حالة المحسود
غاب عن صحبه فلا هو موجو د" لديهم وليس بالمفقود
وكان امتداد كفيه فوق الجذع في محفل الردى المشهود
طائر مدّ مستريحاً جناحيه استراحات متعب مكدود
أخطب الناس راكباً فإذا أر جل خاطبت منه عين البليد

ومن هذا الضرب ما جاء في شعر أبي الطيب المتنبي في وصفه الحمى :

وزائرتي كأن بها حياء فليس تزور إلا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي
كأن الصبح يطردها فتجري مدامعها بأربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق مراقبة المشوق المستهام

ومن بديع ما أتى به في هذا الموضع أن سيف الله بن حمدان كان مخيماً بأرض ديار بكر على مدينة ميا فارقين ، فعصفت الريح بخيمته فتطير الناس لذلك وقالوا فيه أقوالاً فمدحه أبو الطيب بقصيدة يعتذر فيها عن سقوط الخيمة أولها :

أينفع في الخيمة العُدل وتشمل من دهرها يشمل

ومما أحسن فيه غاية الاحسان وعدّ من أوابده التي لا تبلى قوله:

تضيّق بشخصك أرجاءها	ويركض في الواحد الجحفل
وتقصر ما كنت في جوفها	وتتركز فيها القنا الذبّل
وكيف تقوم على راحة	كأن البحار لها أنمل
فليت وقارك فرقتيه	وحملت أرضك ما تحمل
فصار الأنام به سادة	وسدّتهم بالذي يفضّل
رأت لون نورك في لونها	كلون الغزالة لا يفسّل
وأنّ لها شرفاً باذخاً	وأن الخيام بها تخجل
فلا تنكرنّ لها صرعة	فمن فرح النفس ما يقتل
ولو بُلّغ الناس ما بُلّغت	لخاتهم حولك الأرجل
ولما أمرت بتطيينها	أشيع بأنك لا ترحل
فما اعتمد الله تقويضها	ولكن أشار بما تفعل
وعرّف انك من همه	وأفك في نصره ترفل
فما العاندون وما أمّلوا	وما الحاسدون وما قولوا
همّ يطلبون فمن أدركوا؟	وهم يكذبون فمن يقبل؟
وهم يتمنّون ما يشتهون	ومن دونه جدّك المقبل

والمعاني المخترعة فيها واضحة للعيان وكفى المتنبي فضلاً أن

يأتي بمثلها .

وفي كتاب الروضة لأبي العباس المبرد ، وهو كتاب جمعه واختار فيه أشعار شعراء بدأ فيه بأبي نواس ثم بمن كان في زمانه فقال مما أورده من شعره : وله معنى لم يسبق إليه باجماع وهو قوله :

تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها مها تدرّيا بالقسي الفوارس
فلراح ما زرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانس

فالمعنى مخترع ولكنه كما يقول الجاحظ من المعاني المشاهدة فإن هذه الخمر لم تحمل إلا ماء يسيراً وكانت تستغرق صور هذه الكأس الى مكان جيوبها وكان الماء فيها قليلاً بقدر القلانس التي على رؤوسها وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر .

وثانیهما : المعاني التي تستخرج من غير شاهد حال متصورة فانها أصعب منالا مما يستخرج بشاهد الحال وقد قيل : إن أبا تمام أكثر الشعراء المتأخرين ابتداءً للمعاني وقد عدت معانيه المبتدعة فوجدت ما يزيد على عشرين معنى :

فمن ذلك قوله :

يا أيها الملك النائي برؤيته وجوده لمراعي جوده كتب

ليس الحجاب بمقصر عنك لي أملا

إن السماء ترجى حين تحتجب

وكذلك قوله في الهجاء :

وأنت تسدير قطب رحيّ عليا
ولسم نر للرحى العلياء قطبا
تري ظفراً بكل صراع قرن
إذا ما كنت أسفل منه جنباً

وكذلك قوله :

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيبُ عرف العود

وكذلك له في الشيب :

شعلة في المفارق استودعتني
في صميم الفؤاد ثكلاً صميماً
يستشير المموم ما اكنّ منها
صُعُداً وهي تستشير المومماً

على أن ابن الرومي فاق شعراء العربية جميعاً في خلق الأشكال
للمعاني المجردة أو خلق الرموز لبعض الأشكال المحسوسة بل فاق بها
شعراء الدنيا جميعاً . استمع لوصفه لحركة الرقاق في يد الخباز :

ما أنس لا أنس خبازاً مرتت به
 يدحو الرقاقة مثل الملح بالبصر
 ما بين رؤيتهما في كفه كرة
 وبين رؤيتهما قوراء كالقمر
 إلا بمقدار ما تنداح دائرة
 في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر
 ووصفه للحركة البطيئة في سير السحاب :
 سحابٌ قيسٌ في البلاد فألفيت
 غطاء على أغوارها ونجودها
 حدثها النعامى مثقلات فأقبلت
 تهادى ، رويداً ، سيرها كركودها
 وله :

وإذا امرؤ مدح امرأً لنواله
 وأطال فيه فقد أراد هجاءه
 لو لم يقدر فيه بعد المستقى
 عند الورود لما أطال رشاءه

وله قوله الممتع :

عدوك من صديقك مستفاد
فلا تستكثرن من الحساب
فإن السدأ أكثر ما ترأه
يكون من الطعام والشراب

وكذلك قوله :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها
يكون بكاء الطفل ساعة يولد
ولا فما يكيه منها وانها
الأوسع مما كان فيه وأرغد
إذا أبصر الدنيا استهل كأنه
بما هو لاق من أذاها يمدد

قول جامع للجاحظ :

وللجاحظ فصل ممتع انتهى فيه الى وصف الذباب الذي نحن
بصد الحديث عنه قال : « ولا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه
مصيب تام وفي معنى غريب عجيب أو في معنى شريف كريم أو في بديع
مخترع إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه إن هو لم يقدر
على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى

ويجعل نفسه شريكاً فيه كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم وأعاريف أشعارهم ولا يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه ، أو لعله يجحد أنه سمع بذلك المعنى قط وقال انه خطر على بالي من غير سماع كما خطر على بال الأول هذا إذا قرعوه به إلا ما كان من عنترة في صفة الذباب فإنه وصفه فأجاد وصفه فتحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرضوا له قال عنترة :

جادت عليها كلّ عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم
فترى الذباب بها يغني وحده هزجاً كفعل الشارب المترقم
غرداً يحكّ ذراعاً بذراع فعل المكبّ على الزقاد الأجذم

يريد فعل الأقطع المكب على الزقاد ، والأجذم المقطوع اليدين فوصف الذباب اذا كان واقفاً ثم حك إحدى يديه بالأخرى فشبهه عند ذلك برجل مقطوع اليدين يقدح بعودين ومتى سقط الذباب فهو يفعل ذلك » .

قصة قاضي البصرة :

وبعد أن تحدث الجاحظ طويلاً كمادته في الاستطراد عن الذباب روى قصة قاضي البصرة وهي طويلة تصور إلحاح الذباب وقدرته على العض وهي مثبتة في كتاب الحيوان للجاحظ فليرجع اليه من شاء .

الفوائد :

متى اجتمع بعد ما يتعدى الى اثنين شيان ليس ثانيهما عبارة عن الأول فالفاعل المعنوي رتبته التقديم وهو المفعول الأول ويعني بالمفعول

الأول من يتأتى منه فعل فإذا قلت : وعدت زيدا دينارا فالدينار هو
المفعول الثاني لأنه لا يتأتى من فعل وهو ظير أعطيت زيدا درهما فزيد
هو الفاعل لأنه آخذ الدرهم .

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
﴿٧٦﴾ يَتْلُوهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا
جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ
مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ
الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

الاعراب :

(الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير)
جملة مستأنفة مسوقة لتقرير اصطفاؤه تعالى الرسل والله مبتدأ وجملة
يصطفي خبر ومن الملائكة حال لأنه كان في الأصل صفة لرسلا وتقدم
عليه ولك أن تعلقه بيصطفي ورسلا مفعول به ومن الناس عطف على من

الملائكة وحذف من الثاني لدلالة الاول عليه أي ويصطفي من الناس رسلاً وجملة إن الله سميع بصير تعليلية لما تقدم أي سميع لما يقولونه بصير بمن يتخذه رسلاً وإن واسمها وسميع خبرها الاول وبصير خبرها الثاني • (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور) جملة يعلم خبر ثالث أو مستأنفة ويعلم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو وما موصول مفعول به وبين أيديهم الظرف متعلق بمحذوف صلة وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم وإلى الله الواو عاطفة وإلى الله متعلقان بترجع وترجع فعل مضارع مبني للمجهول والأمر نائب فاعل • (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم) يا أيها الذين آمنوا تقدم اعرابها وجملة آمنوا صلة واركعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل واسجدوا عطف على اركعوا واعبدوا ربكم عطف أيضاً • (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) وافعلوا الخير عطف على ما تقدم وجملة لعلكم تفلحون حال من الواو في اركعوا وما عطف عليه أي افعلوا هذه الأمور حال كونكم راجين الفلاح • (وجاهدوا في الله حق جهاده) وجاهدوا عطف أيضاً وفي الله متعلقان بجاهدوا ولا بد من حذف مضاف بعد حذف مفعول جاهدوا أي جاهدوا أعداءكم في ذات الله ومن أجله ففي للسببية وحق جهاده مفعول مطلق •

(هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) هو مبتدأ وجملة اجتباكم أي اختاركم خبر والجملة حال من الله وما الواو عاطفة وما نافية وجعل فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وعليكم متعلقان بمحذوف مفعول به ثان لجعل وفي الدين حال ومن حرف جر زائد وحرج مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه مفعول جعل الأول • (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا) ملة في

نصبها أوجه أظهرها ما ذكره الزمخشري ونصه : « نصب الملة بمضمون ماتقدمها كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويجوز نصبها على الاختصاص أي أخص بالدين ملة أبيكم، أو بتقدير فعل مضمّر تقديره اتبعوا وهناك أوجه أخرى لا تخرج عن هذه الأوجه ، وأبيكم مضاف إليه وإبراهيم بدل من أبيكم وهو مبتدأ وجطة سماكم خبر والجملة حال من إبراهيم وسماكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول والمسلمين مفعول به ثان ومن قبل حال أي من قبل هذا الكتاب وفي هذا عطف على من قبل أي وفي هذا القرآن . (ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) اللام للتعليل وقيل للعاقبة ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام واللام ومدخولها متعلقة بسماكم والرسول اسم يكون وشهيداً خبر يكون وعليكم متعلقان بشهيداً وتكونوا شهداء على الناس عطف على نظيرتها . (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله) الفاء الفصيحة وأقيموا الصلاة فعل أمر وفاعل ومفعول به وما بعده عطف عليه . (هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) الجملة حالية من الله وهو مبتدأ ومولاكم خبر فنعم المولى الفاء استئنافية ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح والمولى فاعل والمخصوص بالمدح محذوف أي هو ، ونعم النصير عطف على نعم المولى .

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ
مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَاثَانِي عَشْرَةٌ وَمِائَتَانِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ
﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ
﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وراءَ ذَلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾
الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

اللفظة :

(اللغو) : اللغو : كل من كان حراماً أو مكروهاً أو مباحاً لم تدع اليه ضرورة ولا حاجة ، واللغو كل مالا يعنيك من قول أو فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة إلغائه وإطراحه وكل مالا يعتد به .
(لفروجهم) : الفروج جمع فرج وهو من الانسان العورة .

الاعراب :

(قد أفلح المؤمنون) قد حرف تحقيق وأفلح فعل ماض والمؤمنون فاعل . (الذين هم في صلاتهم خاشعون) الذين صفة للمؤمنون وهم مبتدأ وفي صلاتهم متعلقان بخاشعون ، وخاشعون خبر « هم » والجملة صلة الذين ، وقدم الجار والمجرور على متعلقه للاهتمام به وحسنه كون متعلقه فاصلة . (والذين هم عن اللغو معرضون) والذين عطف على الذين وهم مبتدأ وعن اللغو متعلقان بمعرضون ، ومعرضون خبر « هم » والجملة صلة الذين . (والذين هم للزكاة فاعلون) والذين عطف على الذين وهم مبتدأ وفاعلون خبر وللزكاة متعلقان بفاعلون وضمن فاعلون معنى مؤدون وقيل اللام زائدة في المفعول به لتقدمه على عامله . (والذين هم لفروجهم حافظون) والذين عطف على ما تقدم وهم مبتدأ وحافظون خبر ولفروجهم متعلقان بحافظون . (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) إلا أداة استثناء وعلى أزواجهم في موضع الحال أي إلا والذين على أزواجهم أو قوامين عليهن قال الزمخشري : « من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان وظيره كان زياد على البصرة أو والياً عليها ومنه قولهم : فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشاً والمعنى أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال إلا في حال تزوجهم أو تسريحهم أو ثعلق « على » بمحنوف يدل عليه « غير ملومين » كأنه قيل يلامون إلا على أزواجهم أي يلامون على كل مباشرة إلا على ما أطلق لهم فإنهم غير ملومين عليه أو تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله إلا فعلت معنى ما طلبت منك إلا فعلك » وذهب الفراء إلى أن « على » بمعنى « من » أي إلا من أزواجهم كما جاءت « من »

بمعنى « على » في قوله « ونصرناه من القوم » ، وأو حرف عطف وما عطف على أزواجهم وجملة ملكت أيمانهم صلة وعبر بما دون « من » وان كان المقام لها لنقصهن لأنهن السراري ، والسرية : الأمانة التي بوأنها بيتاً وهي فعلية منسوبة الى السر وهو الجماع أو الإخفاء لأن الانسان كثيراً ما يسرها ويسترها عن حرته ، وضمت السين لأن الأبنية قد تغير في النسب كما قالوا في النسب الى الدهر دهري والى الارض السهلة سهلي بضم أولهما والجمع سراري وقال الأخفش هي مشتقة من السرور لأن الانسان يسر بها ، وعبرة المصباح : « والسرية فعلية قيل مأخوذة من السر بالكسر وهو النكاح فالضم على غير قياس فرقا بينها وبين الحرّة إذا نكحت سراً فإنه يقال لها سرية بالكسر على القياس وقيل من السر بالضم بمعنى السرور لأن مالکها يسر بها فهو على القياس » .
(فإنهم غير ملومين) الجملة تعليل للاستثناء وان واسمها وغير ملومين خبرها . (فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ وابتغى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو ووراء الظرف متعلق بمحذوف صفة وهذا المحذوف مفعول ابتغى أي ابتغى شيئاً كائناً وراء ذلك ولك أن تجعل وراء بمعنى خلاف فتنبه على أنه مفعول به وذلك مضاف اليه والفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثان والعادون خبر أولئك أو هم ضمير فصل والعادون خبر والجملة خبر أولئك . (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) والذين عطف على ما تقدم وهم مبتدأ وراعون خبره ولأماناتهم متعلقان براعون وعهدهم عطف على أماناتهم . (والذين هم على صلواتهم يحافظون) تقدم اعرابها وهي عطف على ما تقدم . (أولئك هم الوارثون) أولئك مبتدأ وهم ضمير فصل والوارثون خبر وقد تقدم انه يجوز اعراب هم مبتدأ ثانياً ولكن

الأحسن أن يكون للفصل للدلالة على التخصيص . (الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) الذين خبر ثان أو صفة للوارثون وجملة يرثون صلة والفردوس مفعول به وهم مبتدأ وفيها متعلقان بخالدون ، وخالدون خبر هم وأنت الفردوس باعتبار المعنى أن الجنة وجملة هم فيها خالدون حال .

البلاغة :

١ - التفصيل :

تميزت السورة ببراعة استهلاكها لأنها ذكرت أحوال المؤمنين على جهة التفصيل ، والتفصيل على قسمين : متصل ومنفصل ، فالمتصل كل كلام وقع فيه أما أو ما كقوله تعالى : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم » الى آخر الكلام ، وأما المنفصل فهو ما يأتي مجمله في مكان ومنفصله في مكان آخر كقوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون » الى قوله تعالى « والذين هم لفروجهم حافظون » الى قوله تعالى « فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » فإن قوله تعالى وراء ذلك اجمال المحرمات وقد تقدمت مفسرة في سورة النساء بقوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء » الى قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلك » فإن هذه الآية اشتملت على خمسة عشر محرماً من أصناف النساء ، ذوات الأرحام ثلاثة عشر صنفاً ومن الأجانب صنفان .

٢ - الطباق :

وفي قوله تعالى « الذين هم في صلاتهم خاشعون » والذين هم عن اللغو معرضون » طباق ايجاب ، فقد جمع سبحانه للمؤمنين في هذا

الوصف بين الفعل والترك إذ وصفهم بالخشوع في الصلاة وترك اللغو وهذا كله من طباق الإيجاب المعنوي ، وقد حمدوا الخشوع كثيراً ، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال : « لو خشع قلبه خشعت جوارحه » ونظر الحسن إلى رجل يعبث بالحصى وهو يقول : اللهم زوجني بالهور العين فقال : بش الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث •

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْقَةً
فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً
فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخِرَ
فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ
إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

الاعراب :

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) الجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب قسم محذوف واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وخلقنا فعل وفاعل والانسان مفعول به ومن سلالة متعلقان بخلقنا ، فمن للابتداء ومن طين صفة لسلالة أو متعلقان بسلالة لأنها بمعنى مسلوالة ، فمن للبيان ، ولا تلتفت إلى قول بعض المعربين ان الواو عاطفة جملة كلام على جملة كلام فالكلام مستأنف لا علاقة له بما قبله • (ثم جعلناه

نطفة في قرار مكين) ثم حرف عطف وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به ونطفة مفعول به ثان وفي قرار مفعول به ثالث ومكين صفة • (ثم خلقنا النطفة علقه) ثم حرف عطف وخلقنا فعل وفاعل والنطفة مفعول به أول وعلقه مفعول به ثان لأن خلقنا متضمن معنى صيرنا • (فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاماً) الفاء حرف عطف وخلقنا فعل وفاعل والعلقه مفعول به أول ومضغة مفعول به ثان ، فخلقنا فعل وفاعل والمضغة مفعول به أول وعظاماً مفعول به ثان • (فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) الفاء حرف عطف وكسونا فعل وفاعل والعظام مفعول به أول ولحماً مفعول به ثان ثم حرف عطف وأنشأناه فعل وفاعل ومفعول به وخلقاً حال وآخر صفة فتبارك الفاء استثنائية وتبارك فعل ماض والله فاعل وأحسن بدل من الله والخالقين مضاف اليه وليس بصفة لأنه نكرة وإن أضيف ، لأن المضاف إليه عوض من « من » وهكذا جميع باب اسم التفضيل ، ومميز أحسن محذوف للعلم به أي خلقاً • (ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) ثم حرف عطف وتراخ وان واسمها وبعد ذلك الظرف متعلق بمحذوف حال أو بميتون ، واللام المزحلقة وميتون خبر ان ، ثم انكم عطف على ما تقدم وجملة تبعثون خبر ان •

البلاغة :

١ - المخالفة في حروف العطف :

في حروف العطف المتتابعة في هذه الآيات أسرار لطيفة المأخذ دقيقة المعنى ، فقد ذكر تعالى تفاصيل حال المخلوق في تنقله فبدأ بالخلق الاول وهو خلق آدم من طين ، ولما عطف عليه الخلق الثاني الذي هو

خلق النسل عطفه بـثم لما بينهما من التراخي وحيث صار الى التقدير الذي يتبع بعضه بعضاً من غير تراخ عطفه بالفاء ، ولما انتهى الى جعله ذكراً أو أنثى وهو آخر الخلق عطفه بـثم ، ونحن نعلم أن الزمن الذي تصير فيه النطفة علة طويلة ولكن الحالتين متصلتان فأحياناً ينظر الى طول الزمان فيعطف بـثم وأحياناً ينظر الى اتصال الحالتين ثانيهما بأولهما من غير فاصل بينهما بغيرهما فيعطف بالفاء، ومثل هذا تزوج محمد فولد له . وشيء آخر ، وهو ان صيرورة التراب نطفة أمر مستبعد في ظاهر الحال ومثل ذلك صيرورة النطفة علة لاختلاف احدهما عن الاخرى اختلافاً ظاهراً ولكن صيرورة العلة مضغة لا غرابة فيه لتقاربهما فلهذا الوجه عطف في قوله تعالى « يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علة ثم من مضغة » بـثم ، وفي الآية التي نحن بصدددها لوحظت أطوار الخلق وتباعد الأوقات بين كل طورين . وفي حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي ما خلاصته : اختلاف العواطف بالفاء وثم لتفاوت الاستحالات يعني ان بعضها مستبعد حصوله مما قبله وهو المعطوف بـثم فجعل الاستبعاد عقلاً أو رتبة بمنزلة التراخي والبعد الحسي لأن حصول النطفة من أجزاء ترايب غريب جداً وكذا جعل النطفة البيضاء ماء أحمر بخلاف جعل الدم لحماً مشابهاً له في اللون والصورة وكذا تصلبها حتى تصير عظماً لأنه قد يحصل ذلك بالملك فيما يشاهد وكذا مد لحم المضغة عليه لستره وذلك يقتضي عطف الجميع بـثم إن نظر لآخر المدة وأولها ، ويقتضي العطف بالفاء ان نظر لآخرها فقط .

٢ - تشبيه الرحم بالقرار :

في قوله تعالى « في قرار مكين » استعارة تصريحية فقد حذف

المشبه وأبقى المشبه به ، والمشبه هو الرحم وقد شبهه بالقرار أي موضع الاستقرار ثم وصفه بمكين بمعنى متمكن لتمكنه في نفسه بحيث لا يعرض له اختلال أو لتمكن ما يحل فيه كقولهم طريق سائر أي يسار فيه . وبقي ايضاح قوله تعالى «خلقاً آخر» وقد كثرت فيه الأقوال واضطربت ، وخير ما يقال فيه انه عام والمراد مباينته للخلق الأول مباينة بعيدة جداً حيث جعله حيواناً وكان جماداً ، وناطقاً وكان أبكم ، وسميعاً وكان أصم ، وبصيراً وكان أعمى أكمل ، وأودع باطنه وظاهره وكل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب لا توصف وغرائب لا تدرك .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ ﴿١٧﴾
 رَأَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ
 بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ
 لَّكُمْ فِيهَا فَوْكِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ
 سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِللَّاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً
 نُّسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾

اللفظة :

(طرائق) : جمع طريقة وهي السيرة والحالة والمذهب والخط

في الشيء ، وفي الاساس واللسان : « ووضع الاشياء طرقة طرقاً وطريقة طريقة : بعضها فوق بعض وهي طرق وطرائق ، وطرق طريقاً سهّله حتى طرقه الناس بسيرهم » وسميت السموات طرقاً لأنه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة .

(طور سيناء) : وطور سنين قال الزمخشري : « لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون وإما أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن أضاف ، فمن كسر سين سيناء فقد منع من الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث لأنها بقعة وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء ، ومن فتح فلم يصرف لأن الألف للتأنيث كصحراء » هذا وسيناء شبه جزيرة يحدها البحر الأبيض المتوسط شمالاً وقناة السويس وخليج السويس غرباً وفلسطين وخليج العقبة شرقاً تنتهي جنوباً عند رأس محمد في البحر الأحمر ، وسيناء جبل واقع في شبه جزيرة سيناء جنوباً والمراد بالشجرة شجرة الزيتون وخصت بطور سيناء مع أنها تخرج في غيره لأن أصلها منه ثم نقلت الى غيره .

الاعراب :

(ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين) جملة مستأنفة مسوقة لذكر خلق السموات التي تعلو الانسان بعد ذكر خلقه واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وخلقنا فعل وفاعل وفوقكم ظرف متعلق بخلقنا وسبع طرائق مفعول خلقنا وطرائق مضاف لسبع ، وما الواو حالية وما نافية وكان واسمها وعن الخلق متعلقان بغافلين وغافلين خبر كنا . (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في

(الأرض) وأنزلنا عطف على خلقنا ومن السماء متعلقان بأنزلنا وماء مفعول به وبقدر صفة لماء أو حال من الضمير أي بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى المنفعة ، فأسكناه عطف على أنزلنا وهو فعل وفاعل ومفعول به وفي الأرض متعلق بأسكناه . (وإنا على ذهاب به لقادرون) الواو عاطفة وإن واسمها وعلى ذهاب متعلقان بقادرون وبه متعلقان بذهاب وقادرون خبر إنا واللام المزحلقة . (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب) الفاء عاطفة وأنشأنا فعل وفاعل ولكم متعلق بأنشأنا وبه متعلقان بأنشأنا أيضاً أو بمحذوف حال فتكون الباء للملابسة وجنات مفعول به ومن نخيل صفة لجنات وأعناب عطف على نخيل . (لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) لكم خبر مقدم وفيها حال وفواكه مبتدأ مؤخر وكثيرة صفة ومنها متعلقان بتأكلون ، وتأكلون فعل مضارع وفاعل وجملة لكم فيها الآية حال من جنات أو صفة كما هي القاعدة . (وشجرة تخرج من طور سيناء) الواو حرف عطف وشجرة عطف على جنات وجملة تخرج صفة لشجرة ومن طور سيناء جار ومجرور متعلقان بتخرج . (تنبت بالدهن وصبغ للأكلين) الجملة صفة ثانية لشجرة وبالدهن في موضع نصب على الحال أي ملتبسة بالدهن ومصحوبة به ، والدهن عصارة كل شيء ذي دسم ، وصبغ عطف على الدهن جار على أعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر أي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج منه وكونه إداماً يصبغ به الخبز أي يغمس فيه للائتمام به ، وللأكلين صفة لصبغ . (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها) الواو حرف عطف وإن حرف مشبه بالفعل ولكم خبرها المقدم وفي الأنعام حال واللام المزحلقة وعبرة اسم إن وجملة نسقيكم تفسيرية لعبرة أو مستأنفة والكاف مفعول به ومما متعلقان بنسقيكم وفي بطونها متعلقان بمحذوف

صلة ما • (ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) تقدم اعرابها قريباً
فجدد به عهداً •

البلاغة :

في قوله تعالى « وصنع للاكلين » استعارة تصريحية شبه الادام
من المائعات بالصنع ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به بجامع التلون
بلونه إذا غس به •

وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ
فَقَالَ يَتَقَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾
فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ
يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا
الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبِّصُوا بِهِ ۖ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾
قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ
وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا
إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾

الاعراب :

(وعليها وعلى الفلك تُحملون) الواو عاطفة وعليها متعلقان بتحملون والضمير يعود على الابل التي هي من جملة الانعام ولأنها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لأنها سفن البر . (ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لسرد خمس قصص أولها قصة نوح ، واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل وفاعل ونوحاً مفعول به والى قومه متعلقان بأرسلنا . (فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون) الفاء حرف عطف وقال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ويا حرف نداء وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة واعبدوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به وما نافية ولكم خبر مقدم ومن حرف جر زائد وإله مبتدأ مؤخر محلاً مجرور بمن لفظاً وغيره صفة لإله على المحل وقرىء بالجبر على اللفظ وهو جائز وجملة ما لكم من إله غيره مستأنفة تجري مجرى التعليل للأمر بالعبادة ، والهمزة للاستفهام والفاء عاطفة على مقدر أي أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم . (فقال الملأ الذين كفروا من قومه : ما هذا إلا بشر مثلكم) الفاء عاطفة وقال الملأ فعل وفاعل والذين صفة للملأ وجملة كفروا صلة ومن قومه حال وجملة ما هذا مقول القول وما نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وبشر خبر ومثلكم صفة وهذه هي الشبهة الأولى من الشبه الخمس التي ذكروها . (يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة) جملة يريد صفة وأن وما في حيزها مفعول يريد وعليكم جار ومجرور متعلقان بيتفضل والواو حالية أو استئنافية وشاء الله فعل وفاعل ، ومفعول المشيئة محذوف يفهم من مضمون جواب لو أي لو

شاء انزال رسول ، واللام واقعة في جواب لو وجملة أنزل ملائكة لا محل لها لأنها جواب شرط جازم وهذه هي الشبهة الثانية .
 (ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين) الجملة مستأنفة مسوقة لحكاية شبهتهم الثالثة وما نافية وسمعنا فعل وفاعل وبهذا متعلقان بسمعنا وفي آباءنا في محل نصب حال أي في قصص آباءنا والأولين صفة لآباءنا .
 (إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين) جملة مستأنفة مسوقة لحكاية شبهتهم الرابعة وإن نافية وهو مبتدأ وإلا أداة حصر ورجل خبر هو وبه خبر مقدم وجنة أي جنون مبتدأ مؤخر والجملة صفة رجل فتربصوا الفاء الفصيحة أي إن أردتم أن تبيّنوا حقيقته فتربصوا ، ويجوز أن تكون استئنافية وهذه هي شبهتهم الخامسة ، وتربصوا فعل أمر أي انتظروا والواو فاعل وبه متعلقان بتربصوا وحتى حرف غاية وجر وحين مجرور بحتى والجار والمجرور متعلقان بتربصوا أيضاً أي اصبروا عليه واحتملوه الى زمان حتى ينجلي لكم أمره عن مغبته فإن أفاق من جنته وإلا قتلتموه . (قال رب انصرني بما كذبون) كلام مستأنف مسوق لطلب الانتصاف منهم والانتصار عليهم من ربه بعد أن يئس من إيمانهم ، ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وانصرني فعل أمر والفاعل مستتر والنون للوقاية والياء مفعول به والباء حرف جر وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر مجرور بالباء أي بسبب تكذيبهم إياي فالباء للسببية ويجوز أن تكون للبدل أي انصرني بدل تكذيبهم إياي ، كما تقول هذا بذاك أي بدل ذاك ومكانه ، والجار والمجرور متعلقان بانصرني . (فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا) الفاء استئنافية وأوحينا فعل وفاعل واليه متعلقان بأوحينا وأن مفسرة لوقوعها بعد أوحينا وهو فعل فيه معنى القول دون حروفه واصنع فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والفلك مفعول به وبأعيننا

حال من الضمير المستكن في اصنع أي بحفظنا وكلاءنا ، ووحينا عطف على أعيننا أي وأمرنا • (فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين) الفاء عاطفة لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع انفلك والمراد بالأمر العذاب ، وجملة جاء مضاف إليها الظرف وأمرنا فاعل وفار التنور عطف على جاء أمرنا وقد تقدم بحث هذا في سورة هود ، فاسلك الفاء رابطة لجواب اذا واسلك فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وفيها متعلقان باسلك ومن كل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لاثنين واثنين مفعول اسلك وقد تقدم اعراب هذا في هود أيضاً • (وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم) وأهلك عطف على اثنين وإلا أداة استثناء ومن مستثنى متصل من موجب فهو واجب النصب وجملة سبق صلة وعليه متعلقان بسبق ، والقول فاعل ومنهم حال أي بالاهلاك • (ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) الواو عاطفة ولا ناهية وتخاطبني فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والنون للوقاية والياء مفعول به وفي الذين متعلقان بتخاطبني أي بترك اهلاكهم وذلك بعد أن لزمتهم الحجة البالغة ، وبعد أن أملى لهم الدهر المتطاوّل ، لم يبق إلا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين ، وجملة ظلموا صلة وجملة إنهم مغرقون تعليل للنهي عن المخاطبة بشأنهم وان واسمها وخبرها • (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك) الفاء استئنافية وإذا ظرف مستقبل وجملة استويت في محل جر بالاضافة إليها وأنت تأكيد للتاء ومن عطف على التاء ومعك ظرف متعلق بمحذوف صلة لمن وعلى الفلك متعلقان باستويت أي اعتدلت عليه • (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) الفاء رابطة لجواب إذا وقل فعل أمر وأفرده بالأمر اظهاراً لفضله واشعاراً بأن في دعائه مندوحة عن دعائهم ، والحمد مبتدأ والله خبره والجملة مقول القول وجملة القول

لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم والذي صفة لله وجملة نجانا صلة
ومن القوم متعلقان بنجانا والظالمين صفة للقوم .

وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ
الْآخِرَةِ وَأُتْرِفْنَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ
مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ
إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَعْبُدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ تَرَابًا وَعِظْهُمْ
أَنَّكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ * هِيَآتَ هِيَآتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾

الاعراب :

(وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) الواو عاطفة
وقل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم
المحذوفة وحرف النداء محذوف وأنزلني فعل أمر للدعاء والفاعل
مستتر تقديره أنت والنون للوقاية والياء مفعول به ومنزلاً اسم مكان

أو مصدر مفعول به ثان أو مفعول مطلق ومباركاً صفة وأنت الواو
حالية وأنت مبتدأ وخير المترايين خبر • (إن في ذلك لآيات وإن كنا
لمبتلين) الجملة مستأنفة مسوقة لتعليل ما ذكر وإن حرف مشبه بالفعل
وفي ذلك خبرها المقدم ولآيات اللام المرحقة وآيات اسم إن ، وإن
مخففة من الثقيلة والغالب إهمالها وكنا كان واسمها واللام الفارقة
ومبتلين خبر كنا ويجوز أن يكون اسمها ضمير الشأن والجملة خبرها
ويجوز أن تكون إن نافية واللام بمعنى إلا • (ثم أنشأنا من بعدهم
قرناً آخرين) ثم حرف عطف للتراخي وأنشأنا فعل وفاعل ومن بعدهم
حال وقرناً مفعول به أي قوماً وآخرين صفة وهم قوم عاد • (فأرسلنا
فيهم رسولا منهم) الفاء حرف عطف وأرسلنا فعل وفاعل وفيهم متعلق
بارسل ورسولا مفعول به ومنهم صفة • (أن اعبدوا الله ما لكم من
إله غيره أفلا تتقون) أن مفسرة لأن في الإرسال معنى القول دون
حروفه أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله ثم إن إرسال الرسل
هو للتبليغ ، ويجوز أن تكون مصدرية مؤولة مع ما بعدها بصدر في
موضع نصب بنزع الخافض أي بأن اعبدوا والجار والمجرور متعلقان
بأرسلنا وما بقي تقدم اعرابه قريباً بنصه فجدد به عهداً • (وقال الملائكة
من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا)
الواو عاطفة وقال الملائكة فعل وفاعل ، والجملة من كلامهم الباطل معطوفة
على كلامه الحق فالعطف هنا لبيان المفارقة ، وقد سبق مثل هذا التعبير
في سورة الأعراف مجرداً من الواو كأنه جواب سؤال مقدر فلم يحتج
إليها ، ومن قومه حال والذين صفة لقومه وجملة كفروا صلة وما بعدها
عطف عليه داخل في حيزها ، وأسهب في وصفهم لبيان فداحة ما ارتكبوه
من كفران للنعم وجحود للنعم المترادفة عليهم ليورد بعد ذلك على
لسانهم شبهتين من شبهات الملاحدة وبنوا عليهما انكارهم البعث

والطعن في رسالته عليه السلام . (ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما
تأكلون منه ويشرب مما تشربون) ما نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر
وبشر خبر ومثلكم صفة وجملة يأكل صفة ثانية ومما متعلقان بيأكل
وجملة تأكلون صلة ولك أن تجعلها مصدرية أي من مأكولكم وكذلك
قوله ويشرب مما يشربون ، وحذف العائد من الثاني اكتفاء بالعائد
الأول وهو منه والجملة كلها مقول القول وهي تتضمن الشبهة الأولى .
(ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذن لخاسرون) الواو عاطفة واللام
موطئة للقسم وإن شرطية وأطعتم فعل وفاعل وهو في محل جزم فعل
الشرط وبشراً مفعول به ومثلكم صفة وإن واسمها واللام المرحقة
وخاسرون خبرها ، وإذن : هذه ليست هي الناصبة للفعل المضارع وإنما
هي إذا الشرطية حذفت جملتها التي تضاف وعوض عنها التنوين كما
في يومئذ ولهذا لا يختص دخولها على المضارع بل تدخل على الماضي
وعلى الاسم وقد وردت في القرآن كثيراً مثل « إنكم إذن من المقربين »
فقد دخلت هنا على الاسم ومن دخولها على الماضي قوله « وإذن لآتيناهم »
وهذا تقرير عن شبهتهم الثانية . والجملة جواب القسم لأنه المتقدم
حسب القاعدة . (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم
مخرجون) الهمزة للاستفهام الانكاري الاستبعادي وجملة يعدكم
مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه بانكار وقوع
ما يدعوهم إلى الإيمان به واستبعاده . ويعدكم فعل مضارع وفاعل
مستتر تقديره هو والكاف مفعول به وأن وما في حيزها في محل نصب
مفعول به ثان وأن واسمها ومخرجون خبرها وإذا ظرف متعلق
بمخرجون وجملة متم في محل جر بإضافة الظرف إليها وكنتم تراباً
وعظاماً عطف على إذا متم وأنكم الثانية تأكيد للأولى لما طال الفصل بين
اسم أن وهو الكاف وخبرها وهو مخرجون ولما كانت مجرد التأكيد

اللفظي لم تحتج الى الخبر ، وهذا أحد أوجه ذكرها النحاة وسنأتي على ذكرها في باب الفوائد لأنها كلها صحيحة وما ذكرناه أسهلها .
 (هيهات هيهات لما توعدون) هيهات اسم فعل ماض بمعنى بعد وسيأتي الكلام عليها مطولاً في باب الفوائد والثانية تأكيد لفظي لها واللام زائدة وما اسم موصول فاعل لاسم الفعل وهو هيهات ومحلّه القريب انجر باللام الزائدة ومحلّه البعيد الرفع على أنه فاعل هيهات ، ويجوز أن تكون ما مصدرية ، والمصدر المؤول فاعل هيهات ، وسيأتي مزيد من الأوجه في اعراب هذا التركيب في باب الفوائد .

الفوائد :

١ - في قوله تعالى « أيعدكم أنكم إذا متم » الآية : اختلفت آراء الأئمة النحاة والمفسرين في اعراب هذه الآية وقد ذكرنا في الاعراب ما رأيناه أقرب الى التناول وأدنى الى المنطق وسنورد لك هنا ما قالوه لوجهاته ، ولترى ما تختار فقال سيويه : إن خبر « أن » الأولى محذوف لدلالة خبر الثانية عليه تقديره « أنكم مخرجون » وهو العامل في الظرف و « أن » الثانية وما في حيزها بدل من الأولى .

وذهب الجرمي والمبرد والفراء : الى أن خبر « أن » الأولى هو مخرجون وهو العامل في « إذا » وكررت الثانية تأكيداً لما طال الفصل وهذا هو الوجه الذي اخترناه .

واختار أبو البقاء أن اسم الأولى محذوف أقيم مقام المضاف اليه تقديره : أن اخراجكم ، و « إذا » هو الخبر و « أنكم مخرجون » تكرير لأن « أن » وما عملت فيه للتوكيد أو للدلالة على المحذوف .

وقيل « أنكم مخرجون » مبتدأ وخبره الظرف مقدماً عليه والجملة خبر عن « أنكم » الأولى والتقدير : أيعدكم انكم إخراجكم كائن أو مستقر وقت موتكم ، ولا يجوز أن يكون العامل في « إذا » مخرجون لأن ما في حيز « أن » لا يعمل فيما قبلها ولا يعمل فيها « متم » لأنه مضاف إليه ، وانكم وما في حيزه في محل نصب أو جر بعد حذف حرف الجر إذ الأصل أيعدكم بأنكم ، ويجوز أن لا يقدر حرف جر فيكون في محل نصب فقط نحو وعدت زيدا خيراً .

٢ - هيات :

في هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الأربعين ونذكر فيما يلي أشهرها وما قرئ به ، فالمشهور هيات بفتح التاء من غير تنوين بني لوقوعه موقع المبني أو لشبه الحرف وبها قرأ العامة وهي لغة الحجازيين ، وهيئات بالفتح والتنوين ، وهيئات بالضم والتنوين ، وبالضم من غير تنوين ، وهيئات بالكسر والتنوين ، وبالكسر من غير تنوين ، وهيئات باسكان التاء ، وهييه بالهاء آخرأ ووصلاً ووقفأ ، وإيهاً بإبدال الهاء همزة مع فتح التاء . فهذه تسع لغات وقد قرئ بهن ولم يتواتر منهن غير الأولى ، ويجوز إبدال الهمزة من الهاء الأولى في جميع ما تقدم فيكمل بذلك ست عشرة لغة ، وإيهان بالنون آخرأ وإيها بالألف آخرأ ، ويقع الاسم بعدها مرفوعاً بها ارتفاع الفعل بفعله لأنها جارية مجرى الفعل فاقترضت فاعلاً كاقترضائه الفعل . قال جرير :

فهيئات هيات العقيق ومن به وهيئات خل بالعقيق نواصله

والعقيق واد بالمدينة يقول فيه جرير ويبدع :

ولم أنس يوماً بالعقيق تخاليت
ضحاه وطابت بالعشي أصائله
رزقنا به الصيد العزيز ولم نكن
كمن نبلة محرومة وجائله

وقال الزمخشري : « فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه
أن يرتفع بهيات كما ارتفع في قوله : « فبهيات هيات العقيق وأهله »
فما هذه اللام ؟ قلت : قال الزجاج في تفسيره : البعد لما توعدون أو
بعد لما توعدون فيمن فوّن فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو
أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد
كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به » وما اخترناه في الاعراب
أسهل وأقرب .

إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
الصَّيْغَةُ بِالْحَقِّ فَمَعْلَنَهُمُ غَنَاءٌ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ
بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾

اللفظة :

(غشاء) : الغشاء : ما يحمله السيل ومثله الجفاء وهو ما تكسر وتهشم أيضاً من المرعى إذا يبس ، ويجمع على أغشية كغراب وأغربة وعلى غشيان كغراب وغربان ، وقال الزجاج هو البالي من ورق الشجر إذا جرى السيل فخالط زبدته ، وقيل ما يلقيه السيل والقدر مما لا ينتفع به ، ولامه واو لأنه من غشا الوادي يغشو غشواً وكذلك القدر ، وأما غشيت نفسه تغشى غشياً أي خبثت فهو قريب من معناه ولكنه من مادة الياء وقال الزمخشري : « شبههم في دمارهم بالغشاء وهو حميل السيل مما بلي وأسود من بلي العيدان والورق » •

الاعراب :

(إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير معتقدهم بأن العالم قديم بالطبع ولم يزل كذلك ولم يحدث باحداث محدث والناس كالنبات ينبتون ويعودون بالموت هشيماً وهذا كفر صريح وضلال بعيد وسيأتي في باب الفوائد مزيد من معتقد الدهريين • وإن نافية وهي مبتدأ وإلا أداة حصر وحياتنا خبر والدنيا صفة وجملة نموت ونحيا حالية أو مفسرة لما ادعوه من أن حياتهم هي الحياة الدنيا أي يموت بعضنا وينقرض بعضنا إلى انقراض العصر ، والواو حرف عطف وما نافية حجازية ونحن اسمها وبمبعوثين الباء حرف جر زائد ومبعوثين مجرور بالباء نفعاً خبر ما محلاً • (إن هو إلا رجل افتري على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين) ان نافية وهو مبتدأ وإلا أداة حصر ورجل خبر وجملة افتري صفة وعلى الله متعلقان بافتري وكذباً

مفعول به ، والواو حرف عطف وما نافية حجازية ونحن اسمها وله متعلقان بمؤمنين ومؤمنين محله القريب مجرور بالباء الزائدة ومحله البعيد خبر ما . (قال رب انصرني بما كذبون) قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ورب منادى محذوف منه حرف النداء مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وانصرني فعل أمر معناه الدعاء والنون للوقاية والفاعل مستتر تقديره أنت وبما الباء حرف جر وما موصولة أو مصدرية وكذبوني فعل وفاعل ومفعول به والجملة صلة ما والجار والمجرور متعلقان بانصرني . (قال عما قليل ليصبحن نادمين) عما قليل : عن حرف جر وما زائدة وقليل مجرور بعن والجار والمجرور متعلقان ييصبحن أو بنادمين أو بمحذوف تقديره عما قليل ننصر فحذف لدلالة ما قبله وهو رب انصرني ، واللام موطئة للقسم ويصبحن فعل مضارع ناقص والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين اسمها وهو مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الامثال والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة ونادمين خبر يصبحن . (فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعداً للقوم الظالمين) الفاء عاطفة وأخذتهم الصيحة فعل ومفعول به وفاعل وبالحق حال من الصيحة ، فجعلناهم عطف على فأخذتهم والهاء مفعول به أول وغثاء مفعول به ثان والفاء حرف عطف وبعداً مصدر يذكر بدلاً من اللفظ بفعله فهو مفعول مطلق لفعل محذوف واجب الاضمار لأنه بمعنى الدعاء عليهم والاصل بعدوا بعداً وللقوم صفة لبعداً ولا تتعلق به لأنه لا يحفظ حذف هذه اللام ووصول المصدر الى مجرورها البتة ووضع الظاهر موضع المضمرة للتعليل . (ثم أنشأنا من بعدهم قرؤناً آخرين) ثم حرف عطف وتراخ وأنشأنا فعل وفاعل ومن بعدهم متعلقان بمحذوف حال وقرؤناً مفعول به وآخرين صفة . (ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) ما نافية وتسبق فعل مضارع ومن حرف جر

زائد وأمة مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه فاعل تسبق وأجلها مفعول به وما يستأخرون عطف على ما سبق وذكر الضير بعد تأنيثه لمراعات المعنى لأن أمة بمعنى قوم .

الفوائد :

في شرح النهج لابن أبي حديد : « قال قاضي القضاة : ان أحداً من العقلاء لم يذهب الى تقي الصانع للعالم ولكن قوماً من الوراقين اجتمعوا ووضعوا بينهم مقالة لم يذهب أحد اليها وهي أن العالم قديم لم يزل على هيئته هذه ولا إله للعالم ولا صانع له أصلاً وإنما هو هكذا ما زال ولا يزال من غير صانع ولا مؤثر ، ومن أشهر الذين أخذوا هذه المقالة من العرب ابن الراوندي وقد أخذ هذه المقالة ونصرها في كتابه المعروف بكتاب التاج » قلت : قد ذكر أبو العلاء المعري ابن الراوندي وتاجه هذا في رسالة الغفران ومما قاله : « وأما ابن الراوندي فلم يكن الى المصلحة بمهدي ، وأما تاجه فلا يصلح أن يكون نعلاً وهل تاجه إلا كما قالت الكاهنة أف وتف وجورب وخف » . وفي هؤلاء يقول أبو العلاء في لزومياته :

ضل الذي قال البلاد قديمة بالطبع كانت والأقام كنبها
وأماننا يوم تقوم هجوده من بعد ابلاء العظام ورفتها

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رُسُلُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا
بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا

مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ۝٤٥ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۝٤٦ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا
لَنَا عٰبِدُونَ ۝٤٧ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ۝٤٨ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ
الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٤٩ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا
إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠

اللفظة :

(تترى) سترد في باب الاعراب •

(ربوة) : الربوة والرباوة : الارض المرتفعة وفي راءهما الحركات
الثلاث وقد اختلف المفسرون في المراد بها ف قيل بيت المقدس وقيل دمشق
وغوطتها ، وعن الحسن فلسطين والرملة •

(معين) : اسم مفعول من عان يعين كباع يبيع فهو معين كسبيع
فالميم زائدة وأصله معيون كمبيوع وقد دخله الاعلال ، والمعين : الماء
الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه وأصالته ،
فوجه من جعله مفعولاً أنه مدرك بالعين لظهوره من عانه إذا أدركه
بعينه نحو ركه إذا ضربه بركبته ، ووجه من جعله فعلاً أنه تقاع
بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة ، وقال الراغب : هو من معن
الماء جرى وسمي مجرى الماء معيان ، وأمعن الفرس تباعد في عدوه ،
وأمعن بحقي ذهب به ، وفلان معن في حاجته أي سريع •

الاعراب :

(ثم أرسلنا رسلاً تترى) ثم حرف عطف وتراخ وأرسلنا فعل وفاعل ورسلنا مفعول به وتترى : التاء مبدلة من الواو وأصله وتري وهو مصدر كشبعي ودعوى فألفه للتأنيث وهو منصوب على الحالية أي متتابعين فهو مصدر واقع موقع الحال ويجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف تقديره ارسلنا تترى أي متتابعاً وفي ألفها ثلاثة أقوال :

١ - هي للإلحاق بجعفر كالألف في أرطى ولذلك توث في قول من صرفها •

٢ - هي بدل من التنوين •

٣ - هي للتأنيث مثل سكرى ولذلك لا تنون على قول من منع الصرف •

(كلما جاء أمة رسولها كذبوه) كلما ظرف متضمن معنى الشرط وجملة جاء أمة إما مضاف إليها وإما لا محل لها وقد تقدم تفصيل البحث عن كلما ، وأمة مفعول مقدم ورسولها فاعل مؤخر وجملة كذبوه لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم • (فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث) الفاء عاطفة وأتبعنا فعل وفاعل وبعضهم مفعول به أول وبعضاً مفعول به ثان وجعلناهم عطف على أتبعنا والهاء مفعول به أول وأحاديث مفعول به ثان ، والأحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتكون جمعاً للأحذوثة التي هي مثل الأضحوكة والألعوبة والأعجوبة وهي مما يتحدث به الناس تزجية للفراغ واجتلاباً للسلوى ودفعاً للملالة وتعجباً وتلهياً ،

وفي القاموس « يقال صاروا أحاديث أي انقروا » • (فبعداً لقوم لا يؤمنون) الفاء استئنافية وبعداً مصدر لفعل محذوف أي بعدوا بعداً وهذا دعاء عليهم ولقوم تقدم القول في هذه اللام قريباً فجدد به عهداً وجملة لا يؤمنون صفة لقوم • (ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين) ثم حرف عطف وتراخ وأرسلنا فعل وفاعل وموسى مفعول به وأخاه عطف عليه وهارون بدل أو عطف بيان وبآياتنا حال أي حال كونهما ملتبسين بآياتنا فالباء للملابسة وسلطان مبين عطف على آياتنا وهي الآيات التي جاء بها وإنما عطف سلطان على آياتنا لما تميزت به تلك الآيات المرهضة من الفضل حتى كأنها ليست منها والا فإن الشيء لا يعطف على نفسه ومن تلك الحجج القاطعة البينة اليد والعصا • (إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين) إلى فرعون متعلقان بأرسلنا وملئه عطف على فرعون فاستكبروا عطف على أرسلنا وكانوا قوماً عالين كان واسمها وخبرها ومعنى عالين متكبرين أو متطاولين على الناس قاهرين لهم بالبغي والظلم ، وقد أشار سبحانه إلى ذلك في آية أخرى فقال : « وإن فرعون علا في الأرض » • (فقالوا أتؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) الفاء عاطفة وقالوا فعل وفاعل والضمير يعود على فرعون وملئه والهمزة للاستفهام الإنكاري وتؤمن فعل مضارع ولبشرين متعلقان بتؤمن ، والبشر يقع على الواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ، ومثلنا صفة وهي كغير في أنه يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى : « إنكم إذن مثلهم » وقال : « ومن الأرض مثلهن » ويقال أيضاً هما مثلاه وهم أمثاله • وقومهما الواو للحال وقومهما مبتدأ ولنا متعلقان بعابدون وعابدون خبر قومهما • (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) الفاء عاطفة وكذبوهما فعل وفاعل ومفعول به فكانوا عطف على كذبوهما وكان واسمها ومن المهلكين

خبرها • (ولقد آتينا موسى الكتاب لعلمهم يهتدون) الواو استئنافية وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وموسى مفعول به أول والكتاب مفعول به ثان ولعل واسمها والضمير يعود الى قوم موسى لأن فرعون وقومه كانوا قد بادوا غرقاً • (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) الواو عاطفة وجعلنا فعل وفاعل وابن مريم مفعول به أول وأمه عطف على ابن مريم وآية مفعول به ثان ولم يقل آيتين لأن الآية فيهما واحدة وهي الولادة من غير أب ولو قال آيتين لساغ لأن مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح الله ألقى اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات أخرى فكان آية من غير وجه • (وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) وآويناهما عطف على جعلنا أي أسكناهما ، والى ربوة متعلقان بآويناهما وقد تقدم القول فيها وذات صفة لربوة وقرار مضاف اليه ومعنى القرار الاستقرار أي جعلناها صالحة للاستقرار فيها بما فيها من مغلات وطاقات وثمار وماء ، ومعين عطف على قرار •

يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ
 ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطُّوْا
 أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوْنَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ
 حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ائْتَسِبُونَ ائْتَمَّا نُمَدِّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾
 نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

الاعراب :

(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) يا أيها الرسل تقدم اعرابها والنداء لجميع الانبياء بحسب تفاوت الأزمنة المترامية بينهم ، وكلوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ومن الطيبات متعلقان بكلوا والمراد بالطيبات ما حل وطاب . (واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم) واعملوا عطف على كلوا وصالحاً مفعول به أو مفعول مطلق وجملة إني تعليل للأمر وان واسمها وبما متعلقان بعليم وجملة تعملون صلة وعليم خبر إن . (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للتنبيه على انتظام أمر هذه الأمة وكمال سدادها . وان واسمها وأمتكم خبرها وأمة حال لازمة وواحدة صفة وأنا الواو عاطفة وأنا مبتدأ وربكم خبر ، فاتقون الفاء الفصيحة واتقوني فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء المحذوفة لرسم المصحف مفعول به . (فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون) الفاء استئنافية وتقطعوا فعل ماض والواو فاعل ، وأمرهم تقدم اعرابها في الانبياء وأنها إما نصب على اسقاط الخافض أي تفرقوا في أمرهم أو أنها مفعول به ، وعدى تقطعوا إليه لأنه بمعنى قطعوا ، وبينهم ظرف متعلق بتقطعوا وزبراً حال من فاعل تقطعوا أي أحزاباً متخالفين ، والزبر جمع زبرة بمعنى القطعة أو جمع زبور بمعنى فريق ولها جمع آخر تقدم في الكهف وهو زبر بفتح الباء ، وكل مبتدأ وحزب مضاف إليه وبما متعلقان بفرحون ولديهم ظرف متعلق بسحذوف صلة وفرحون خبر كل حزب . (فذرهم في غصرتهم حتى حين) الفاء الفصيحة وذرهم فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والضمير

لكفار مكة وفي غمرتهم حال أي متخبطين في غمرتهم أو مفعول ثان لذر أي اتركهم متخبطين في غمرتهم ، وحتى حرف غاية وجر وحين مجرور بحتى والجار والمجرور متعلقان بذرهم . (أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين) الهمزة للاستفهام الانكاري التقريري ويحسبون فعل مضارع وفاعل وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي يحسبون وأن وما اسمها وكان من حقها أن تكتب مفصولة ولكنها كتبت موصولة اتباعاً لرسم المصحف وجملة نمدهم صلة وبه متعلقان بنمدهم ومن مال وبنين حال من الموصول . (نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) الجملة خبر أن ، نسارع فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن ولهم متعلقان بنسارع وفي الخيرات حال ، بل حرف اضراب انتقالي عن الحسابان ولا نافية ويشعرون فعل وفاعل معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي لا تفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء أصلاً كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور يتيح لهم التأمل فيعرفون أن ذلك الإمداد ما هو إلا استدراج لهم واستجرار الى زيادة الإثم .

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَائِتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾

الاعراب :

(إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) الجملة ابتدائية مستأنفة مسوقة لذكر الأبرار الذين يشفقون من خشية ربهم ، وان واسمها وهم مبتدأ ومن خشية ربهم متعلقان بشفقون وشفقون خبر هم والمصدر وهو خشية مضاف لمفعوله أي خائفون من عذابه وجملة هم من خشية ربهم مشفقون صلة الذين . وفي الاشفاق معنى يتضمن زيادة على معنى الخشية ، هو معنى الرقة والضعف . (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) عطف على الجملة السابقة وإعرابها مماثل لها وجملة يؤمنون خبرهم . (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون) عطف أيضاً على إن الذين وجملة يؤتون صلة الذين وما مفعول يؤتون وجملة آتوا صلة وقلوبهم الواو حالية وقلوبهم مبتدأ ووجه خبره وأنهم أن وما بعدها نصب بنزع الخافض ويكون تعليلاً لقوله وجة والتقدير وجة من أنهم أي خائفة من رجوعهم إلى ربهم وأن واسمها وإلى ربهم متعلقان براجعون وراجعون خبر أنهم . (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) الجملة خبر إن الذين هم من خشية ربهم وما عطف عليه ، فاسم إن أربعة موصولات وخبرها جملة أولئك ، وأولئك مبتدأ وجملة يسارعون خبر المبتدأ وفي الخيرات متعلقان بيسارعون والواو عاطفة والجملة معطوفة على سابقها بمثابة تأكيد لها وهم مبتدأ ولها متعلقان بسابقون وسابقون خبر هم والضمير في لها يعود على الخيرات لتقدمها عليه في اللفظ وهو الظاهر من سياق الكلام وقيل على الجنة وليس ببعيد ، ومفعول سابقون محذوف أي سابقون الناس لها ويقال سبق له وإليه ويجوز أن تكون اللام للتعليل أي سابقون لأجلها . (ولا نكلف نفساً إلا

(وسعها) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للدلالة على أن التكليف غير خارج عن حدود الطاقات والامكانيات ، ولا نافية ونكلف فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن ونفساً مفعول نكلف الأول وإلا أداة حصر ووسعها مفعول به ثان . (ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون) الواو عاطفة ولدينا ظرف متعلق بحذوف خبر مقدم وكتاب مبتدأ مؤخر وجملة ينطق صفة وبالحق حال أي ملتبساً بالحق وهم الواو عاطفة وهم مبتدأ وجملة لا يظلمون خبر . (بل قلوبهم في غمرة من هذا) بل حرف اضراب للاتقبال الى أحوال الكفار المحكية وقلوبهم مبتدأ وفي غمرة خبر ومن هذا صفة لغمرة أي كائنة من هذا الذي وصف به المؤمنون . (ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) الواو عاطفة ولهم خبر مقدم وأعمال مبتدأ مؤخر ومن دون ذلك صفة لأعمال وجملة هم صفة ثانية لأعمال وهم مبتدأ ولها جار ومجرور متعلقان بعاملون ، وعاملون خبر هم أي مستمرون عليها ومعنى من دون ذلك أي متجاوزة متخطية لما وصف به المؤمنون .

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتَرَفِّهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَرُوا
الْيَوْمَ إِنَّكُمْ
مِنَّا لَا تَنْصُرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ
عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾
أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَهُمْ بَأْسٌ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ
أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ
جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَآثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٦٩﴾

اللفظة :

(مترفيهم) : أغنياءهم ورؤساءهم •

(يجأرون) : يضجون وفي القاموس : جأر كمنع جأراً وجؤاراً رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث ، والبقرة والثور صاحاً ، والنبات طال ، والارض طال نبتها ، والجؤار من النبت الغض والكثير والرجل الضخم « وقال في اللسان والاساس : الجؤار الصراخ باستغاثة •

(تنكصون) : في المختار ما يدل على انه من بابي جلس ودخل والمصدر نكوص •

(سامراً) : السامر مأخوذ من السمر وهو سهر الليل وقال الراغب : السامر الليل المظلم وهو اسم جمع كحاج وحاضر وراكب وغائب كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً ، وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم •

(تهجرون) : هو بفتح التاء من الهجران وهو الترك أو من هجر هجراً هذى وتكلم بغير معقول لمرض أو نحوه ، وقرىء بضمها من أهجر إهجاراً : أفحش في كلامه •

الاعراب :

(حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون) حتى هنا ابتدائية يتدأ بها الكلام وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه

منصوب بجوابه وهو يجأرون وجملة أخذنا ي محل جر بإضافة الظرف إليها ونا فاعل ومترفيهم مفعول به وبالعذاب متعلقان بأخذنا وإذا الثانية حرف مفاجأة قائمة مقام فاء الجزاء في الربط والجملة بعدها جواب إذا الأولى لا محل لها كأنه قيل فهم يجأرون وقيل حتى حرف غاية وجر . (لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون) لا نافية وتجأروا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل واليوم متعلق بتجأروا وإنكم تعليل للنهي وإن واسمها ومنا متعلقان بتنصرون ولا نافية وجملة تنصرون خبر إنكم والواو فائب فاعل . (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) قد حرف تحقيق وكانت آياتي كان واسمها وجملة تتلى خبرها وعليكم متعلقان بتتلى ، فكنتم الفاء عاطفة وكان واسمها وعلى أعقابكم حال من فاعل تنكصون وجملة تنكصون خبر كنتم . (مستكبرين به سامراً تهجرون) مستكبرين حال ثانية من فاعل تنكصون وبه متعلقان بمستكبرين أي بسببه والضمير في به للبيت العتيق والحرم وقيل عائد إلى القرآن ، وسامراً حال ثالثة وجملة تهجرون حال رابعة فهي أحوال متداخلة أي كل واحدة مما قبلها . (أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان أسباب ركوبهم متن الضلالة ، وسيأتي أنها خمسة سنشير إليها في مواطنها ، والهمزة للاستفهام الإنكاري التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم ويدبروا فعل مضارع مجزوم بلم والقول مفعول به والفاء عاطفة على محذوف دخلت عليه الهمزة أي فعلوا ما فعلوا منا سبق ذكره فلم يدبروا القول ، وأم عاطفة بمعنى بل الالتقالية أي بل أجاءهم بل ألم يعرفوا بل أيقولون ، وقوله أفلم يدبروا القول هو السبب الأول لإقدامهم على الضلالة واجترائهم على ارتكابها أي أنهم صدفوا عن التأمل في دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وفي مقدمتها القرآن المعجز ،

وجاءهم فعل ومنفعول به ثان وما موصول فاعل وجملة لم يأت آباءهم الأولين صلة وهذا هو السبب الثاني وهو اعتقادهم أن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم أمر غريب لأنها لم تسمع عن الأمم السالفة . (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) عطف على ما تقدم كما ذكرنا وهذا هو السبب الثالث في إقدامهم على ركوب الغي وهو عدم علمهم بأمانة مدعي الرسالة وصدقه قبل أن يدعيها وليس الأمر بهذه المثابة بل أنهم سبروا غوره وعلموا حقيقته واكتنھوا صدقه ولقبوه بالأميين فكيف كذبوه بعد أن أجمعوا على جدارته باللقب الذي أطلقوه عليه . والفاء عاطفة وهم مبتدأ وله متعلقان بمنكرون ومنكرون خبرهم . (أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم كارهون) عطف على ما تقدم أيضاً وهذا هو السبب الرابع وهو اعتقادهم فيه الجنون وهذا الاعتقاد مناقض لما كانوا يعتقدون فيه من كمال الرجاحة وتمام الحصافة . وبه خبر مقدم وجنة أي جنون مبتدأ مؤخر بل حرف عطف واضراب انتقالي ، وجاءهم فعل ومنفعول به وفاعل مستتر وبالحق متعلقان بجاءهم أو بمحذوف حال أي ملتبساً بالحق والنواو حالية وأكثرهم مبتدأ وللحق متعلقان بكارهون وكارهون خبر أكثرهم .

الفوائد :

معنى وأكثرهم :

اعترض الزمخشري على نفسه فوجه إليها سؤالاً وأجاب عليه وفيما يلي نص السؤال والجواب قال : « فإن قلت : قوله « وأكثرهم » فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق ، قلت : كان فيهم من يترك الإيمان

به أنفة واستنكافاً من توبيخ قومه وأن يقولوا صباً وترك دين آبائه
لا كراهة للحق كما يحكى عن أبي طالب .

فإن قلت يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح إسلامه قلت :
يا سبحان الله كأن أبا طالب كان أخمل أعيان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلامه » .

وهذا جميل من الزمخشري ولكن أولى من ذلك أن يكون الضمير
في قوله « وأكثرهم » عائداً على الجنس للناس كافة ولما ذكر هذه الطائفة
من الجنس بنى الكلام في قوله وأكثرهم على الجنس بجملته كقوله :
« إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » وكقوله : « وما أكثر
الناس ولو حرصت بمؤمنين » ويدل على ذلك قوله تعالى « بل جاءهم
بالحق » والنبي صلى الله عليه وسلم جاء الى الناس كلهم وبعث الى الكافة
ويحتمل أن يحمل الأكثر على الكل كما حمل القليل على النفي ، وأما
قول الزمخشري إن من تمادى على الكفر وآثر البقاء عليه تقليداً لآبائه
نيس كارهاً للحق فمردود فإن من أحب شيئاً كره ضده فإذا أحبوا البقاء
على الكفر فقد كرهوا الانتقال عنه الى الايمان ضرورة ، ثم انجر الكلام
الى استبعاد ايمان أبي طالب وتحقيق القول فيه أنه مات على الكفر ووجه
ذلك بأنه أشهر عمومة النبي صلى الله عليه وسلم فلو كان قد أسلم
لاشتهر اسلامه كما اشتهر اسلام العباس وحمزة لأنه أشهر ، وللقائل
باسلامه أن يعتذر عن عدم شهرته بأنه إنما أسلم قبيل الاحتضار فلم يظهر
له مواقف في الاسلام يشتهر بها كما اشتهر لغيره من عمومته .

وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ
 بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ
 خَرْجًا نَخْرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ
 ﴿٧٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجَوَاءُ فِي طَغْيَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾
 وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾

اللفظة :

(خرجاً) : أجراً وخراجاً ويفعل في الخرج أن يكون مال العنق
 وفي الخراج مال العقار ونقيض الدخل وقيل الخرج ما تبرعت به
 والخراج ما لزمك أدائه ، والوجه أن الخرج أخص من الخراج ، ومعنى
 الآية : أم تسألهم عن هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق فالكثير من
 عطاء الخالق خير .

(فاكبون) عادلون وزائفون ومائلون وكل من لا يؤمن بالآخرة
 فهو عن قصد ناكب .

(لجوا) : اللجاج وهو التماذي في العناد ، وفي المصباح : لجّ
 في الأمر لججاً من باب تعب ولجاجاً ولجاجة فهو لجوج ولجوجة مبالغة
 إذا لازم الشيء وواظبه ومن باب ضرب لغة .

(يعمهون) : في المصباح : « عمه في طغيانه عمهاً من باب تعب إذا تردد متحيراً ، وتعامه مأخوذ من قولهم أرض عمهاء إذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة فهو عمه وأعمه .

(استكانوا) : يقال : استكان أي انتقل من كون الى كون كاستحال إذا انتقل من حال الى حال وأصله استكون نقلت حركة الواو الى ما قبلها ثم قلبت ألفاً ، هذا ما قاله علماء اللغة ولكن اعترض بعضهم على هذا التنظير وحجته أن استكان على تأويله أحد أقسام استفعل الذي معناه التحول كقولهم استحجر الطين واستنوق الجمل ، وأما استحال فثلاثيه حال إذا انتقل من حال الى حال وإذا كان الثلاثي يفيد التحول لم يبق لصيغة استفعل فيها أثر فليس استحال من استفعل للتحول ولكنه من استفعل بمعنى فعل وهو أحد أقسامه إذا لم يزد السداسي فيه على الثلاثي معنى .

ثم نعود الى تأويله فنقول : المعنى عليه فما انتقلوا من كون التكبر والتجبر والاعتياص الى كون الخضوع والضراعة الى الله تعالى ، ولقائل أن يقول : استكان يفيد على التأويل المذكور الانتقال من كون الى كون فليس حمله على أنه انتقال عن التكبر الى الخضوع بأولى ، وترى هذه الصيغة لا تفهم إلا أحد الانتقالين ، فلو كانت مشتقة من مطلق الكون لكانت مجملة محتملة للانتقالين جميعاً والجواب أن أصلها كذلك على الاطلاق ولكن غلب العرف على استعمالها في الانتقال الخاص كما غلب في غيرها .

ولما دخل أحمد بن فارس اللغوي الوزير بغداد في زمن الامام الناصر جمع له جميع علماء بغداد وعقد بهم محفلاً للمناظرة فانجر

الكلام الى هذه الآية فقال : الأصل اللغوي هو مشتق من قول العرب : كنت لك إذا خضعت ، وهي لغة هذلية فاستحسن ابن فارس ذلك منه ، وعلى هذا يكون من استفعل بمعنى فعل كقولهم استقر واستعلى وحال واستحال على ما مر وانما لم يجعل من استفعل المبني للمبالغة مثل استحسر واستعصم من حسر وعصم لأن المعنى يأباه وذلك أنها جاءت في النفي والمقصود منها ذم هؤلاء بالجفوة والقسوة وعدم الخضوع مع ما يوجب نهاية الضراعة من أخذهم بالعذاب ، فلو جعلت للمبالغة أفادت نقص المبالغة لأن نفي الأبلغ أدنى من نفي الأدنى وكأنهم على ذلك ذموا بنفي الخضوع الكثير وأنهم ما بلغوا في الضراعة نهايتها وليس الواقع فأنهم ما اتسموا بالضراعة ولا بلحظة منها فكيف تنفى عنهم النهاية الموهمة لحصول البداية ؟

ووزن استفعل على ضربين متعد وغير متعد فالمتعدي قولهم استحقه واستقبحه وغير المتعدي استقدم واستأخر ويكون فعل منه متعدياً وغير متعد فالمتعدي نحو علم واستعلم وفهم واستفهم وغير المتعدي نحو قبح واستقبح وحسن واستحسن ، وله معان أحدها الطلب والاستدعاء كقولك استعطيت أي طلبت العطية واستعنته أي طلبت اليه العتبي ومنه استفهمت واستخبرت ، والثاني أن يكون للاصابة كقولك استجدته واستكرمته أي وجدته جيداً وكرماً ، وقد يكون بمعنى الانتقال والتحول من حال الى حال نحو قولهم استنوق الجمل إذا صار على خلق الناقة واستتيست الشاة إذا اشبهت التيس ومنه استحجر الطين إذا تحول الى طبع الحجر في الصلابة ، وقد يكون بمعنى تفعل لتكلف الشيء وتعاطيه نحو استعظم بمعنى تعظم واستكبر بمعنى تكبر كقولهم تشجّع وتجلّد وربما عاقب فعل قالوا : قرّ في المكان واستقرّ وعلا

قرنه واستعلاه، قال الله تعالى : « وإذا رأوا آية يستسخرون » والغالب على هذا البناء الطلب والإصابة وما عدا ذينك فانه يحفظ حفظاً ولا يقاس عليه .

الاعراب :

(ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن)
 الواو استثنائية ولو شرطية واتبع الحق فعل وفاعل وأهواءهم مفعول به واللام واقعة في جواب الشرط وفسدت السموات والارض فعل وفاعل والجملة لامحل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومن عطف على السموات والارض وفيهن متعلقان بمحذوف صلة من . (بل آتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) بل حرف اضراب انتقالي وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به وبذكرهم متعلقان بآتيناهم ، والمعنى كيف يكرهون الحق مع أن القرآن أتاهم بتشريفهم والتنويه بذكرهم . والفاء عاطفة وهم مبتدأ وعن ذكرهم متعلقان بمعرضون ومعرضون خبر هم . (أم تسألهم خراجاً فخراج ربك خير وهو خير الرازقين) عطف انتقالي على « أم به جنة » وهو السبب الخامس من أسباب ركونهم متن الضلالة العمياء وتسألهم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنت ومفعول به أول وخراجاً مفعول به ثان والفاء تعليلية أو فصيحة وردت مورد التعليل للسؤال المستفاد من الانكار ، وخراج مبتدأ وربك مضاف اليه وخير خبر ، وهو الواو حرف عطف وهو مبتدأ وخير الرازقين خبر . (وإنك لتدعوهم الى صراط مستقيم) الواو حرف عطف وان واسمها واللام المرحلة وتدعوهم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به والى صراط متعلقان بتدعوهم ومستقيم صفة . (وإن الذين لا يؤمنون

بالآخرة عن الصراط لناكبون) الواو عاطفة وان واسمها وجملة لا يؤمنون صلة وبالآخرة متعلقان يؤمنون وعن الصراط متعلقان بناكبون واللام المزحلقة وناكبون خبر إن • (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرّ للجّوا في طغيانهم يعمهون) الواو استئنافية مسوقة لبيان اصابتهم بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بالقحط حتى روي أنهم أكلوا العلهز وهو كما في الصحاح طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة وسيأتي تفصيل هذه الحادثة في باب الفوائد • ولو شرطية ورحمناهم فعل وفاعل ومفعول به وكشفنا عطف على رحمناهم وما مفعول به وبهم متعلقان بمحذوف صلة ما ومن ضر حال ، للجّوا اللام رابطة لجواب لو وجملة لجوا لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم وفي طغيانهم متعلقان يعمهون وجملة يعمهون حالية • (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأخذناهم فعل وفاعل ومفعول به وبالعذاب متعلقان بأخذناهم ، فما استكانوا عطف على أخذناهم وما نافية واستكانوا فعل وفاعل ولربهم متعلقان باستكانوا ، والواو حرف عطف وما نافية ويتضرعون فعل مضارع وفاعل وسيأتي سر عطف المضارع على الماضي في باب البلاغة •

البلاغة :

عطف المضارع على الماضي لإفادة الماضي وجود الفعل وتحقيقه ، وهو بالاستكانة أحق بخلاف التضرع فإنه أخبر عنهم بنهي ذلك في الاستقبال •

الفوائد :

قوله تعالى : « ولو رحمناهم » الآية والآية التي تليها ، هاتان الآيتان مدنيتان فإن أصابتهم بالقحط إنما كانت بعد خروجه صلى الله عليه وسلم من بينهم ، روى التاريخ أنه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز — وقد قدمنا تفسيره — جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أنشدك الله والرحم أأست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين ؟ فقال بلى ، فقال : قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت الآية •

حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾
وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ
﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا
مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾
لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

اللفة :

(مبلسون) : في المصباح : « البلاس مثل سلام هو المسحح » ، وهو فارسي معرب والجمع بلس بضمين مثل عناق عنق ، وأبلس الرجل ابلاسا سكت ، وأبلس آيس ، وفي التنزيل فإذا هم مبلسون •
(ذرأكم) : خلقكم وبثكم بالتناسل •

الاعراب :

(حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون) حتى حرف تبتداً به الجمل وقد تقدم نظيره قريباً وقيل هي غاية وجر ، إذا شرطية ظرفية متعلقة بمبلسون وجملة فتحنا في محل جر باضافة الظرف اليها وعليهم متعلقان بفتحنا وباباً مفعول به وذا عذاب صفة لباباً وإذا الثانية حرف مفاجأة قائمة مقام فاء الجزاء في الربط والجملة بعدها جواب اذا الأولى كأنه قيل فهم فيه مبلسون ، وهم مبتداً وفيه متعلقان بمبلسون ، ومبلسون خبر هم • (وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقريع الكافرين وتذكير المؤمنين فهو خطاب عام ، وهو مبتداً والذي خبر وجملة أنشأ صلة ولكم متعلقان بأنشأ والسمع مفعول به والأبصار والأفئدة عطف عليه وقليلاً منصوب على أنه مفعول مطلق صفة لمحذوف هو المفعول المطلق في الحقيقة تقديره شكراً قليلاً وما زائدة للتوكيد بمعنى حقاً وإنما خص هذه الأعضاء لأنه يناط بها من المنافع مالا يناط بغيرها ، هذا من جهة ومن جهة ثانية من لم يعمل هذه الاعضاء فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها ، وسيأتي مزيد بسط في هذا الصدد في باب البلاغة • (وهو الذي ذرأكم في الأرض واليه

تحشرون) عطف على ما تقدم واعرابه ظاهر • (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون) وهو الذي عطف على ما تقدم وله خبر مقدم واختلاف الليل والنهار مبتدأ مؤخر والهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء عاطفة على محذوف مقدر ولا نافية وتعقلون فعل مضارع وفاعل • (بل قالوا مثل ما قال الأولون) بل حرف اضراب انتقالي وقالوا فعل وفاعل ومثل صفة لمصدر محذوف أي قولاً مثل قول الأولين وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مضاف لمثل والأولون فاعل • (قالوا : أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون) الجملة بدل من الجملة قبلها أي مستأقفة، والهمزة للاستفهام الاستبعادي وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة متنا في محل جر بإضافة إذا إليها وكنا عطف على متنا وكان واسمها وتراباً خبرها وعظاماً عطف على تراباً والهمزة للاستفهام الاستبعادي أيضاً وإن واسمها واللام المزحلقة ومبعوثون خبرها • (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل) اللام جواب للقسم المحذوف ووعد فعل ماض مبني للمجهول ونا نائب فاعل ونحن تأكيد للضمير وآباؤنا معطوف على الضمير المتصل وسوغ العطف الفصل بالمنفصل ومن قبل متعلقان بوعدنا أو بمحذوف صفة لقوله آباؤنا أي الكائنون من قبل والمعنى على الجميع لقد وعدنا وآباؤنا بالبعث فلم نر هذا الوعد صدقاً وإنما رأينا أساطير الأولين • (إن هذا إلا أساطير الأولين) إن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وأساطير الأولين خبر هذا •

البلاغة :

١ - وحد السمع في قوله تعالى « وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والأفئدة » لوحدة المسموع دون الابصار والأفئدة أو لأنه

مصدر في الأصل والمصادر لا تجمع فلمح الى الاصل وقد تقدمت
الاشارة الى ذلك في البقرة فجدد به عهداً •

٢ - في قوله « بل قالوا مثل ما قال الأولون » الفصل أي قطع
احدى الجملتين عن الأخرى للاتحاد فقد فصل : قالوا أنذا متنا وكنا
تراباً الخ عما قبله لقصد البديل لكونه أوفى بالمقصود من الأول لأن
ما قال الأولون أقوال كثيرة ولا يدرى أي قول يراد من تلك الأقوال
والأحسن أن يقال إن أريد بقوله مثل ما قال الأولون ما نقل عنهم من
قولهم أنذا متنا الخ وهو الظاهر كان بدل كل من كل •

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِينُهُ مَلَكَوتُ كُلِّ
شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا
أَتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ
وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٣﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِينِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٤﴾
 رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُزِيكَ مَا نَعِدُهُمْ
 لَقَادِرُونَ ﴿٩٦﴾ أَدْفَعْ بِالنِّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٧﴾

الاعراب :

(قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون) قل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة استئنافية ، ولمن خبر مقدم ومن استفهامية والأرض مبتدأ مؤخر ومن عطف على الأرض ومن موصولية وعبر عنهم بمن تغليباً للعقلاء كما تقرر وفيها متعلقان بمحذوف صلة من وإن شرطية وكنتم تعلمون كان واسمها وجملة تعلمون خبرها وكنتم فعل الشرط والجواب محذوف أي فأخبروني بخالفهما ، وفي هذا تلويح بعباوتهم • (سيقولون لله قل أفلا تذكرون) الجملة مستأنفة مسوقة للاخبار من الله تعالى عما يقع منهم في الجواب قبل وقوعه والله متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي ، والجملة مقول القول ، قل فعل أمر والمراد بالأمر التوبيخ والتأنيب والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والفاء عاطفة على محذوف ولا نافية وتذكرون فعل مضارع بحذف إحدى التاءين والأصل تتذكرون • (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) من اسم استفهام مبتدأ ورب السموات السبع خبره

ورب العرش العظيم عطف عليه • (سيقولون لله قل أفلا تتقون)
 لله خبر لمبتدأ محذوف أي لا بد لهم أن يقولوا ذلك وأتى باللام نظراً
 الى معنى السؤال ، فإن قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد كقولك
 من رب هذه الدار فيقال زيد ويقال لزيد • (قل من يده ملكوت كل
 شيء وهو يجير ولا يجار عليه) من اسم استفهام مبتدأ ويده خبر مقدم
 وملكوت كل شيء مبتدأ مؤخر والجملة خبر من والتاء والواو في
 ملكوت زائدتان للمبالغة كزيادتهما في الرحمت والرهبت من الرحمة
 والرهبة ، والملكوت الملك العظيم والعز والسلطان، والملكوت السماوي
 هو محل القديسين في السماء ، والواو عاطفة أو حالية وهو مبتدأ وجملة
 يجير خبر والواو عاطفة وجملة لا يجار عطف على يجير والمعنى يغيث
 من يشاء ويحرسه ولا يغاث أحد منه وعدي بعلى لتضمنه معنى النصر •
 (إن كنتم تعلمون) إن شرطية وكنتم فعل الشرط والجواب محذوف
 كما تقدم أي فأخبروني • (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) لله جار
 ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف وفيه نظر الى أن
 المعنى من له ما ذكر والتقدير في الأولى قل من له السموات السبع
 وفي الثاني قل من له ملكوت كل شيء فلام الجر مقدرة في السؤال
 فظهرت في الجواب نظراً للمعنى وقد قرئء باسقاطها مع رفع الجلالة
 جواباً على اللفظ لقوله من لأن المسئول به مرفوع المحل وهو من فجاء
 جوابه مرفوعاً مطابقاً له في اللفظ • فأنى الفاء الفصيحة وأنى اسم
 استفهام بمعنى كيف وهي في محل نصب على الحال وتسحرون فعل
 مصارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل • (بل أتيناهم بالحق وانهم
 لكاذبون) بل حرف اضراب وعطف وأتيناهم فعل وفاعل ومفعول به
 وبالحق حال والواو حالية وان واسمها واللام المزحلقة وكاذبون خبر إن •

(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله) ما نافية واتخذ الله فعل وفاعل ومن حرف جر زائد وولد مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه مفعول به والواو عاطفة وما نافية وكان فعل ماض ناقص ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر زائد وإله مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه اسم كان . (إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) إذن حرف جواب وجزاء مهمل وإلى هذا ذهب الفراء وقد تقدم القول فيه في الأسراء وإليه جنح الزمخشري قال : « فإن قلت إذن لا تدخل إلا على كلام هو جواب وجزاء فكيف وقع قوله : إذن لذهب جواباً وجزاء ولم يتقدم شرط ولا سؤال سائل ؟ قلت : الشرط محذوف تقديره لو كان معه آلهة فحذف لدلالة : وما كان معه من إله » واختار غير الفراء والزمخشري أن تكون إذن بمعنى لو الامتناعية وعليه جرى البيضاوي قال : « أي لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الكائنات إلى واجب واحد » واللام واقعة في جواب الشرط على كلا القولين ، وذهب كل إله فعل وفاعل والجملة لامحل لها وبما خلق متعلقان بذهب وجملة خلق صلة ولعلا بعضهم على بعض عطف على ما تقدم . (سبحان الله عما يصفون) سبحان الله نصب على المصدر وعما متعلقان بسبحان وجملة يصفون صلة ويجوز أن تكون ما مصدرية أي عن وصفهم . (عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) عالم الغيب بالجر على البدلية من الجلالة أو صفة له وقرئ بالرفع على القطع فهو خبر لمبتدأ محذوف ، فتعالى الفاء عاطفة كأنه قال علم الغيب فتعالى ،

وعما متعلقان بتعالى وجملة يشركون صلة • (قل رب إما تريني ما يوعدون) رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وإما أدغمت إن الشرطية بما الزائدة وتريني فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو في محل جزم فعل الشرط والنون للوقاية والياء مفعول به وما مفعول به ثان فهي بصرية تعدت لمفعولين بواسطة الهزة لأنه من أرى الرباعي وجملة يوعدون صلة ما والعائد محذوف أي يوعدون به من العذاب (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) هذا جواب الشرط والفاء رابطة وأعيد لفظ رب منادى مبالغة في التضرع والابتهاال ولا ناهية وتجعلني فعل مضارع مجزوم بلا والنون للوقاية والياء مفعول به أول وفي القوم مفعول به ثان والظالمين صفة • (وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) الواو عاطفة على ما تقدم وان واسمها وعلى أن نريك متعلقان بقادرون وأن حرف مصدري ونصب ونرى مضارع منصوب بأن والفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به أول وما مفعول به ثان وقد تقدم القول في أرى البصرية ، واللام المزحلقة وهي لام الابتداء زحلت الى الخبر وقادرون خبر إنا • (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون) كلام مستأنف مسوق لبحث النبي صلى الله عليه وسلم على الصفيح عن مساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان • وادفع فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وبالتي جار ومجرور متعلقان بادفع والتي نعت لمحذوف أي الخصلة ، وهي أحسن مبتدأ وخبر والجملة الاسمية صلة التي ، والسيئة مفعول به وجملة نحن أعلم حالية ونحن مبتدأ وأعلم خبر وبما متعلقان بأعلم وجملة يصفون صلة ويجوز أن تكون ما مصدرية أي بوصفهم لك وسوء ذكرهم •

البلاغة :

في قوله تعالى « ادفع بالتي هي أحسن السيئة » عدول عن مقتضى السياق لـسرّ بليغ فالظاهر أن يقول ادفع بالحسنة السيئة ولكنه عدل عن مقتضى الكلام لما فيه من التفصيل ، والمعنى : ادفع السيئة بما أمكن من الإحسان حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة ، ولمعترض أن يقول كيف تسوغ هذه المفاضلة التي هي اشتراك في أمر والتميز بغيره وليس ثمة أي اشتراك بين الحسنة والسيئة فانهما ضدان متقابلان فما وجه هذه المفاضلة اذن ؟ والجواب : ان الحسنة من باب الحسنات أزيد من السيئة من باب السيئات فتجيء المفاضلة مما هو أعم من كون هذه حسنة وهذه سيئة وذلك شأن كل مفاضلة بين ضدّين كقولك العسل أحلى من الخل يعني أنه في الاصناف الحلوة أميز من الخل في الاصناف الحامضة وليس لأن بينهما اشتراكاً خاصاً ، ومن هذا الوادي ما يحكى عن أشعب الماجن أنه قال : نشأت أنا والاعمش في حجر فلان فما زال يعلو وأسفل حتى استوينا بمعنى أنهما استويا في بلوغ كل منهما الغاية : أشعب بلغ الغاية على السفلة والاعمش بلغ الغاية على العلية .

هذا ويجوز أن يراد وجه آخر وهو أن تكون المفاضلة بين الحسنات التي تدفع بها السيئة فانها قد تدفع بالصفح والإغضاء ويقنع في دفعها بذلك وقد يزداد على الصفح الاكرام وقد تبلغ غايته ببذل الاستطاعة فهذه الانواع من الدفع كلها دفع بحسنة ولكن أحسن هذه الحسنات في الدفع هي الأخيرة لاشتغالها على عدد من الحسنات ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأحسن الحسنات في دفع السيئة وعندئذ تجري المفاضلة على حقيقتها من غير تأويل .

وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ
 يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي
 أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ
 إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ
 وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
 ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
 خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

اللفظة :

(همزات) : جمع همزة وهي النخسة والدفعه بيد وغيرها وفي
 الاساس واللسان : « همز رأسه عصره وهمز الجوزة بكفه ، ومن
 المجاز : همز الرجل في قفاه : غمز بعينه ورجل همزة وهمّاز
 والشيطان يهمز الانسان : يهمس في قلبه وسواساً ويقال : أعوذ بالله
 من همسه وهمزه ولمزه و « أعوذ بك من همزات الشياطين » وفي
 المختار : « وهمزات الشيطان : خطراته التي يخطر بها بقلب الانسان »
 قلت : وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض ، شبه حثهم الناس
 على المعاصي بهمز الرائض الدواب على المشي والجمع للمرّات أو
 لتنوع الوسوس •

(برزخ) : حاجز يصدّهم عن الرجوع الى الدنيا ، والبرزخ هو الحاجز بين المتنافيين ، وقيل الحجاب بين الشيعتين أن يصل أحدهما الى الآخر ، وقال الراغب : أصله برزه فعرب وهو في القيامة الحائل بين الانسان وبين المنازل الرفيعة ، والبرزخ قيل هو الحائل بين الانسان وبين الرجعة التي يتمناها .

(تلفح) التلفح أشد النفح لأنه الإصابة بشدة والنفح الإصابة مطلقاً كما في قوله تعالى : « ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك » وفي القاموس لفح يلفح من باب فتح فلاحاً بالسيف ضربه به ، ولفحت النار لفحاً ولفحاناً أو السموم بحرهما فلاحاً أصابت وجهه وأحرقتة .

(كالحون) : الكلوج أن تتقلص الشفتان وتتشرأ عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية ، وعن مالك بن دينار : كان سبب نوبة عتبة الغلام أنه مرّ في السوق برأس قد أخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرتة » وفي المختار : « الكلوح تكشّر في عبوس وبابه خضع » قلت : ومنه كلوح الأسد أي تكشيره عن أنيابه ودهر كالح وبرد كالح أي شديد .

الاعراب :

(وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة ولك أن تعطفها على ما تقدم ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وأعوذ فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنا ، وبك

منعلقان بأعوذ وكذلك قوله من همزات الشياطين • (وأعوذ بك رب
 أن يحضرون) عطف على ما تقدم وأعيد كل من العامل والنداء مبالغة
 وزيادة اعتناء بهذه الاستعاذة ، وأن حرف مصدرى ونصب ويحضرون
 منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والنون للوقاية والواو فاعل
 وياء المتكلم المحذوفة في محل نصب مفعول به • (حتى إذا جاء أحدهم
 الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت) يجوز أن تكون
 غاية ليصفون متعلقة بها أي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت ،
 ويجوز أن تكون ابتدائية ، وإذا ظرف مستقبل متعلق بقال وجملة جاء
 مضاف اليها الظرف وأحدهم مفعول به مقدم والموت فاعل مؤخر وجملة
 قال لا محل لها ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وأرجعون
 فعل أمر مبني على حذف النون وواو الجماعة فاعل والنون للوقاية
 والياء المحذوفة لرسم المصحف مفعول به وإنما جمع والمخاطب واحد
 وهو الله تعالى للتعظيم وقال أبو البقاء : « فيه ثلاثة أوجه أحدها انه
 جسع على التعظيم كما قال تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر » وكقوله تعالى :
 « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا » والثاني أنه أراد يا ملائكة
 ربي أرجعون والثالث أنه دل بلفظ الجمع على تكرير القول فكأنه قال
 ارجعني ارجعني » وما ذكرناه أولى ولعل واسمها وجمل اعمل خبرها
 وصالحاً مفعول به أو مفعول مطلق وفيما صفة لصالحاً أو متعلقان
 باعمل وجملة تركت صلة أي ضيعت من عمري من دون جدوى أو
 فائدة • (كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون)
 كلا حرف ردع وزجر وسيأتي القول فيها مفصلاً أي لن تكون له
 رجعة وإن واسمها وكلمة خبرها وسيأتي بحث مفيد عن الكلمة في باب
 الفوائد وهو مبتدأ وقائلها خبر والجملة الاسمية صفة لكلمة والواو
 إما عاطفة وإما حالية ومن ورائهم خبر مقدم وبرزخ مبتدأ والى يوم صفة

لبرزخ وجملة يبعثون مضاف اليها الظرف ، وليس المراد انهم يرجعون يوم البعث ولكنه اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا فليست الغاية داخلية في المعنى وانما المراد أنه غيا رجوعهم بالمحال فهو يشبه قوله تعالى : « حتى يلج الجمل في سم الخياط » •

(فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) الفاء استئنافية واذا ظرف مستقبل متعلق بما في الجواب من معنى النفي أي انتهى ذلك ، وجملة نفخ مضاف اليها الظرف وفي الصور متعلقان بنفخ والفاء رابطة لجواب إذ ولا نافية للجنس وأنساب اسمها مبني على الفتح وبينهم ظرف متعلق بمحذوف خبرها ويومئذ ظرف متعلق بمحذوف صفة لأنساب أو بالمحذوف الذي تعلق به الخبر والتنوين في يومئذ عوض عن جملة تقديرها يوم نفخ الصور ، وسيأتي معنى نفي الانساب في باب البلاغة ، ولا يتساءلون عطف على ما سبق ويتساءلون فعل مضارع وفاعل أي لا يسأل بعضهم بعضاً عنها كما سيأتي • (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون) الفاء للتفريع والجملة معطوفة أو مستأنفة ومن شرطية مبتدأ وثقلت فعل الشرط وموازينه فاعل فأولئك الفاء رابطة للجواب لأنه جملة اسمية وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثان أو ضمير فصل والمفلحون خبر أولئك أو خبر هم والجملة خبر أولئك • (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون) الجملة معطوفة على سابقتها ومثيلتها وفي جهنم متعلقان بخالدون وخالدون خبر لمبتدأ محذوف أو خبر بعد خبر لأولئك وارتأى الزمخشري أن يكون بدلاً من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لأن صلة الموصول لا محل لها • (تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) الجملة مستأنفة أو خبر ثان أو حال ووجوههم مفعول به

مقدم والنار فاعل مؤخر والواو عاطفة أو حالية وهم مبتدأ وفيها متعلقان
بكالهون أو بمحذوف حال من هم وكالهون خبر .

البلاغة :

في قوله تعالى « فلا أنساب بينهم » فن التنكيت وقد تقدم بحثه
فقد قصد بنفي الأنساب وهي موجودة أمراً آخر لنكتة فيه ، فإن
الانساب ثابتة لا يصح نفيها وقد كان العرب يتفاخرون بها في الدنيا
ولكنه جنح الى نفيها إما لأنها تلغو في الآخرة إذ يقع التقاطع بينهم
فيتفرقون معاقبين أو مثاين ، أو أنه قصد بالنفي صفة للأنساب محذوفة
أي يعتد بها حيث تزول بالمرّة وتبطل لزوال التراحم والتعاطف من فرط
البهر والكلال واستيلاء الدهشة عليهم .

الفوائد :

تطلق الكلمة في اللغة على الكلام ، وهذا الاطلاق اختلف فيه
العلماء فذهب السهوري في شرح الأجرومية وابن هشام في شذور
الذهب الى أن الاطلاق حقيقي كائن في أصل اللغة ، قال صاحب القاموس
« الكلمة وجمعها كلم وكلمات : اللفظة وما ينطق به الانسان مفرداً
كان أو مركباً » وقيل إن الاطلاق المذكور من قبيل الاستعارة وان أجزاء
الكلام لما ارتبط بعضها ببعض حصلت له بذلك وحدة فشابه بذلك
الكلمة فأطلق لفظها عليه ، والآية صريحة في تأكيد هذا الاطلاق ،
ونحوها قوله صلى الله عليه وسلم : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكلّ نعيم لا محالة زائل

وقولهم كلمة الشهادة يريدون : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٩﴾ قَالُوا رَبَّنَا
 غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١١٠﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا
 فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ
 عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامِنَّا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٣﴾
 فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَ بِأَحْتَىٰ أَنسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَحِكُونَ ﴿١١٤﴾

اللفظة :

(شقوتنا) : أحد مصادر شقي ، وفي المختار : « الشقاء والشقاوة
 بالفتح ضد السعادة وقرأ قتادة شقاوتنا بالكسر وهي لغة وقد شقي
 بالكسر شقاء وشقاوة أيضاً وأشقاه الله فهو شقي يثن الشقوة » وفي
 القاموس وشرحه « شقي يشقى من باب تعب شقاً وشقاوة وشقاوة
 وشفقة وشفقة ضد سعد فهو شقي والجمع أشقياء » .

(اخسئوا) : ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب إذا زجرت
 وفي الصحاح : « خسأت الكلب وخساً بنفسه يتعدى ولا يتعدى »
 وفي المختار : « خساً الكلب طرده من باب قطع وخساً هو بنفسه خضع »
 وللحاء مع السين فاء وعيناً خاصة واحدة وهي أن الكلمة تدل على
 المهانة والمذلة وقد تقدم القول في خساً ، وخسر التاجر في بيعه خسراً
 وخسراً وتاجر خاسر وأخسر الميزان وخسره نقصه وميزان مخسور
 وأخسر فلان وأكسد وقع في الخسران والكساد وأخسرت الرجل نقيض

أربحته وقيل لسلم الخاسر لأنه باع مصحفاً ورثه واشترى
بشمنه عوداً يضرب به ، والخسة معروفة وهي النذالة ، تقول : خسيت
يا رجل تخس مثل مسست تمس خسة وخساسة ورجل خسيس وقوم
أخسة وما رأيت أخس منه والخس ترياق ويقال : أين نبت الخس ،
من فصاحة قس^٣ وكلاهما من إياد ، ولكن أين الأخامص من الأجياد ،
وخسف القمر وخسفت الأرض وانخسفت ساخت بما عليها وخسف
الله بهم الأرض ومن المجاز ساهم خسفاً أي ذلاً وهواناً ورضي بالخسف
وبات على الخسف : على الجوع وشربوا على الخسف على غير ثقل وعين
خاسفة فقتت حتى غابت حدقتها في الرأس وخسفت عينه وانخسفت
وخسف بدنه : هزل ، وفلان بدنه خاسف ولونه كاسف قال
يصف صائداً :

أخو قترات قد تبين أنه

إذا لم يصب لحماً من الوحش خاسف

وخسفت إبلك وغنمك وأصابتها الخسفة وهي تولية الطرق وإن
للمسال خسفتين : خسفة في الحر وخسفة في البرد ، وهو مخسول
ومخسّل : وقد خَسَلَه وخَسَلَه . وقال :

ونحن الثريا وجوزاؤها ونحن الذراعان والمرزَمُ

وأتم كواكب مخسولة مَترى في السماء ولا تعلم

وقولهم أخساً أم زكاً أي أوتر أم شفع ، وتخاسى الضيان
تلاعبوا بذلك ، وقال الممزق :

تخاس يداها بالحصى وترضه بأسمر صرّافٍ إذا جمّ مطرق

وفي هذا القدر ما يكفي .

(سخر يا) : بالكسر والضم مصدر سخر كالسخر إلا أن في ياء النسب زيادة في قوة الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفسراء أن المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية والأول مذهب الخليل وسيبويه والمراد بهم الصحابة وقيل أهل الصفة خاصة وفي المصباح : « سخرت منه سخرأ من باب تعب هزئت به والسخري بالكسر لغة فيه والسخرة وزان غرفة ما سخرت من خادم أو دابة بلا أجر والسخري بالضم بمعناه وسخرته في العمل بالتثقل استعملته مجافاً وسخر الله الإبل ذللها وسهلها » .

الاعراب :

(ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) الهمزة للاستفهام التقريري والتوبيخي ولم حرف نفي وقلب وجزم وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم وآياتي اسمها وجملة تتلى خبرها وعليكم متعلقان بتلى ، فكنتم الفاء عاطفة وكان واسمها وبها متعلقان بتكذبون وجملة تكذبون خبر كنتم . (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين) قالوا فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بالواو والواو فاعل وربنا منادى مضاف وغلبت فعل ماض والتاء للتأنيث وعلينا متعلقان بغلبت وشقوتنا فاعل غلبت ، وكنا الواو عاطفة وكان واسمها وقوماً خبرها وضالين صفة . (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) ربنا منادى مضاف وكرره للعناية به وأخرجنا فعل أمر معناه الدعاء ومنها متعلقان بأخرج والفاء عاطفة وإن شرطية وعدنا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والضمير فاعل والفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية وإن واسمها وظالمون خبرها والجملة في محل جزم جواب الشرط .

(قال اخسئوا فيها ولا تكلمون) جملة اخسئوا مقول القول وهو فعل أمر والواو فاعل وفيها متعلقان باخسئوا ولا الواو عاطفة ولا ناهية وتكلمون فعل مضارع مجزوم بلا والنون للوقاية والياء المحذوفة مفعول به • (إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) جملة تعليلية لما قبلها من الزجر ، وإن واسمها وجملة كان خبرها وفريق اسم كان ومن عبادي صفة لفريق وجملة يقولون خبر كان وربنا منادى مضاف وجملة آمنا مقول القول ، فاغفر لنا الفاء عاطفة واغفر فعل أمر معناه الدعاء وارحمنا عطف عليه ، وأنت الواو استئنافية وأنت مبتدأ وخير الراحمين خبر • (فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون) الفاء عاطفة واتخذتموهم فعل وفاعل ومفعول به والميم علامة جمع الذكور والواو لأشباع ضمة الميم وسخرياً مفعول به ثان ومن هؤلاء المهاجرين بلال وصهيب وعمار وخباب وحتى حرف غاية وجر وأنسوكم فعل ماض وفاعل ومفعول به أول وذكري مفعول به ثان وكنتم كان واسمها ومعهم متعلقان بتضحكون وجملة تضحكون خبر كنتم والمعنى لم يعد لكم شغل إلا الهزء بهم والضحك منهم •

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ
 لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾
 وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

اللفة :

(العادّين) : بتشديد الدال جمع عاد من عدّ الشيء يعدّته بضم
 العين في المضارع إذا أحصاه وحسبه .

(عبثاً) العبث بفتحتي : اللعب ومالا فائدة فيه وكل ما ليس فيه
 غرض صحيح يقال عبث عبث عبثاً إذا خلط عمله بلعب وأصله من
 قولهم عبث الأقط أي خلطته والعبث طعام مخلوط ومنه العوثناني
 لتمر وسويق وسمن مختلط .

الاعراب :

(إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) كلام مستأنف
 مسوق لبيان حسن حالهم أنهم اتفقوا بإذيتهم إياهم . وان واسمها
 وجملة جزيتهم خبر إن وجزيتهم فعل ماض وفاعل ومفعول به أول
 واليوم ظرف لجزيتهم وبما متعلقان بجزيتهم والباء للسببية أي بسبب
 صبرهم وما مصدرية وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول ثان

لجزيتهم أي جزيتهم فوزهم وأن واسمها وهم ضمير فصل والفائزون خبر ان • (قال كم لبثتم في الارض عدد سنين) كم استفهامية في محل نصب على الظرفية الزمانية وهو متعلق بلبثتم ، وفي الارض متعلقان بلبثتم أو بمحذوف حال وعدد سنين تمييز كم وسنين مضاف اليه والمعنى كم لبثتم عدداً من السنين • (قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين) جملة لبثنا مقول القول ويوماً ظرف متعلق بلبثنا وأو حرف عطف وبعض يوم معطوف على يوماً ، فاسأل الفاء الفصيحة واسأل فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت والعادين مفعول به وقد قالوا هذا لأنهم - وقد غشيهم العذاب وأحاطت بهم أهواله - لم يعد بوسعهم أن يحصوا ذلك أو يذكروا فقالوا إن أردت معرفة الحقيقة فاسأل العادين أما نحن ففني معزل عن ذلك • (قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون) قال فعل وفاعله مستتر يعود على الله سبحانه وإن نافية ولبثتم فعل وفاعل وإلا أداة حصر وقليلاً صفة لظرف محذوف أي زمناً قليلاً ولو حرف امتناع لامتناع وان واسمها وجملة كنتم خبرها وجملة تعلمون خبر كنتم ومفعول تعلمون محذوف أي مقدار لبثكم ويجوز اعراب قليلاً صفة لمصدر محذوف أي لبثاً قليلاً • (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وحسبتم فعل وفاعل والجملة مستأنفة مسوقة لتوبيخهم على تماديهم في الغفلة وصدوفهم عن النظر الصحيح ، وأنما كافة ومكفوفة وهي وما بعدها في تأويل مصدر سدت مسد مفعولي حسبتم وخلقناكم فعل وفاعل ومفعول به وعبثاً يجوز اعرابه نصباً على أنه مصدر واقع موقع الحال أي عابثين ويجوز اعرابه نصباً أيضاً على المصدرية أو انه مفعول لأجله أي لأجل العبث وأنكم يجوز أن يكون معطوفاً على أنما

خلقناكم فيكون الحسابان منسحباً عليه وأن يكون معطوفاً على عبثاً أي للعبث وأن واسمها ولا نافية وجملة ترجعون خبر ان وهو فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل • (فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لاستعظام الله تعالى ، وتعالى فعل ماض والله فاعله والملك الحق صفتان له وجملة لا إله إلا هو حال وقد تقدم اعرابها كثيراً ورب العرش صفة ثالثة والكريم نعت للعرش • (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ ويدع فعل الشرط مجزوم بحذف حرف العلة ومع الله ظرف متعلق بيدع وإلهاً مفعول به ليدع وآخر صفة ولا نافية للجنس وبرهان اسمها مبني على الفتح وله خبر لا والجملة صفة ثانية لإلهاً وهي صفة لازمة بنحو قوله يطير بجناحيه وجيء بها للتوكيد ، ويجوز أن تكون جملة معترضة بين فعل الشرط وجوابه فإن كانت صفة فالمقصود بها التهكم بمدعي إله مع الله كقوله « بل أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً » فنفي انزال السلطان به وإن لم يكن في نفس الأمر سلطان لا منزل ولا غير منزل ، ومن جنس مجيء الجملة بعد النكرة وصرفها عن أن تكون صفة لها ما تقدم عند قوله تعالى « فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت » فارجع إليه إن شئت •

فانما الفاء رابطة لجزاء الشرط لأن الجملة اسمية وإنما كافة ومكفوفة وحسابه مبتدأ وعند ربه الظرف متعلق بمحذوف خبر حسابها والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من • (إنه لا يفلح الكافرون) الجملة تعليلية لا محل لها وان واسمها وجملة

لا يفلح خبر انه والكافرون فاعل • (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير
الراحمين) الواو استئنافية ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة
واغفر فعل أمر والمقصود منه الدعاء وارحم عطف عليه وأنت الواو
استئنافية وأنت مبتدأ وخير الراحمين خبر •

البلاغة :

في خاتمة سورة « المؤمنون » قوله : « إنه لا يفلح الكافرون »
وفي فاتحتها « قد أفلح المؤمنون » فستان ما بين الفاتحة والخاتمة •

سُورَةُ النُّورِ

مَدَنِيَّةٌ وَأُنْزِلَتْهَا النُّجُومُ وَتُسَبِّحُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا
تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً
أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ
فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

اللفظة :

(الزانية) : بنية الزنا والزنا بالمد والقصر ، قال الفرزدق :

أبا خالد مَنْ يَزْنِ يَعْلَمُ زِنَاؤَهُ

ومن يشرب الخراطوم يصبح مسكراً

قال الفراء : المقصور من زنى والمدود من زانى ، يقال زاناها مزانةً وزناءً ، وخرجت فلانة تزاني وتباغي وقد زنى بها ، وجمع بين الزناة والزواني وزناه تزنية : نسبة الى الزنا وهو ولد زنية بفتح الزاي وكسرهما .

(رافة) : في المختار : « والرافة أشد الرحمة وقد رؤف بالضم رآفة ورأف به يرأف مثل قطع يقطع ورئف به من باب طرب كله من كلام العرب فهو رؤف على فعول » .

الاعراب :

(سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون) سورة خبر لمبتدأ محذوف أي هذه سورة أو مبتدأ والخبر محذوف أي فيما أوحينا إليك سورة ، وساغ الابتداء بالنكرة لأنها وصفت بجملة أنزلناها ، وفرضناها عطف على أنزلناها وأنزلنا عطف أيضاً وفيها متعلقان بأنزلنا وآيات مفعول به وبينات صفة لآيات ، ولعل واسمها وجملة تذكرون خبرها وجملة لعلكم تذكرون حال .
(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) جملة مستأنفة مسبوقة للشروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات . والزانية والزاني

في رفعهما وجهان : أحدهما مذهب سيبويه أنه مبتدأ خبره محذوف أي فيما يتلى عليكم حكم الزانية ، وثانيهما مذهب الأخفش وغيره بأنه مبتدأ والخبر جملة الأمر ودخلت الفاء لشبه المبتدأ بالشرط وقد تقدم الكلام على هذه المسألة مستوفى عند قوله « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » فجدد به عهداً وسيأتي في باب الفوائد مزيد من هذا البحث .
وانما قدم الزانية على الزاني لأنها الأصل في الفعل لكون الداعية إليها أوفر ولولا تمكينها منه لم يقع وقد عكس الأمر في آية حد السرقة فقدم السارق على السارقة لأن الزنا يتولد بشهوة الوقاع وهي في المرأة أقوى وأكثر ، والسرقة انما تتولد من الجسارة والقوة والجرأة وهي في الرجل أقوى وأكثر .

فاجلدوا الفاء رابطة لأن الألف واللام بمعنى الذي والموصول فيه رائحة من الشرط أي التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه ، واجلدوا فعل أمر وفاعل وكل واحد مفعول به ومنهما صفة لواحد ومائة جلدة نائب مفعول مطلق لأن المفعول المطلق ينوب عنه عدده أي ضربة ، يقال جلده : ضرب جلده . (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله)
الواو عاطفة ولا ناهية وتأخذكم فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل مستتر تقديره أنت وبهما متعلقان بتأخذكم ورأفة فاعل وفي دين الله متعلقان بتأخذكم أيضاً . (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) إن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص والتاء اسمها وهو في محل جزم فعل الشرط وجملة تؤمنون بالله واليوم الآخر خبر كنتم وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فلا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وحكمه ، والمراد بالشرط التهيج وإثارة الحفاظ على الزناة والغضب لله ولدينه .
وسيأتي في باب البلاغة المزيد من القول في هذه الآية . (وليشهد

عذابهما طائفة من المؤمنين) الواو عاطفة واللام لام الأمر ويشهد فعل مضارع مجزوم باللام وعذابهما مفعول به مقدم وطائفة فاعل مؤخر ومن المؤمنين صفة لطائفة . وسيأتي القول عن المراد فيها . (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) جملة مستأنفة مسوقة لبيان أن الفاسق الخبيث الذي جعل الزنا ديدنه وهجيره لا يرغب في نكاح الصوالح ذوات الصون والعفاف وكذلك شأن الفاسقة الخبيثة تأبى إلا الارتطام في مستوبل الأقدار . والزاني مبتدأ وجملة لا ينكح خبر وإلا أداة حصر ، وسيأتي سر القصر في باب البلاغة . وزانية مفعول به وأو حرف عطف ومشركة عطف على زانية . (والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك) جملة معطوفة على سابقتها ومثيلتها في الاعراب وزان فاعل حذف ياؤه لأنه اسم منقوص تحذف ياؤه في حالة التنوين رفعاً وجراً وتثبت نصباً . (وحرم ذلك على المؤمنين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حكم التشبهين بالفاسق والمستهدفين لسوء القالة والطعن وسيأتي القول في سر التحريم في باب الفوائد . (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) الواو استئنافية مسوقة لبيان نوع آخر من حدود الزنا ، والذين مبتدأ سيأتي له ثلاثة أخبار وجملة يرمون صلة الموصول والمحصنات مفعول به ثم لم يأتوا عطف على يرمون وبأربعة متعلقان يأتوا وشهداء مضاف إليه جر بالفتحة لمنعه من الصرف لمكان ألف التأنيث منه . (فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون) الفاء رابطة لجواب الموصول المتضمن معنى الشرط واجلدوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به وجملة فاجلدوهم خبر أول للذين وثمانين مفعول مطلق وجملة تمييز ، ولا تقبلوا عطف على فاجلدوهم وهي بمثابة الخبر الثاني للذين ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لشهادة

وأبداً ظرف متعلق بتقبلوا وأولئك الواو عاقمة وأولئك مبتداً وهم ضمير فصل أو خبر ثان والفاسقون خبر أولئك أو خبر هم والجملة بمثابة الخبر الثالث للذين • (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) إلا أداة استثناء والذين مستثنى من الفاسقين واختلف في هذا الاستثناء فقل هو متصل لأن المستثنى منه في الحقيقة الذين يرمون والتائبون من جملتهم لكنهم مخرجون من الحكم وهذا شأن المتصل ، وقيل هو منقطع لأنه لم يقصد إخراجهم من الحكم السابق بل قصد إثبات أمر آخر له وهو أن التائب لا يبقى فاسقاً ولأنه غير داخل في صدر الكلام لأنه غير فاسق وجملة تابوا صلة الموصول ، ومن بعد ذلك متعلقان بتابوا ، وأصلحوا عطف على تابوا ، فإن الفاء تعليلية لما سبق وإن واسمها وغفور خبرها الأول ورحيم خبرها الثاني •

البلاغة :

١ - الإيجاز بالحذف :

في قوله تعالى « سورة أنزلناها » إيجاز بالحذف وهو كما يراه عبد القاهر الجرجاني باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن اللفادة أزيد للافادة وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيافاً إذا لم تبين ، ولكن عبد القاهر لم يصب كبد الحقيقة عندما أردف يقول : « ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره » ووجه عدم إصابته أن الذي ذكره لا يأتي في كل مبتداً وإنما يحسن في مبتداً خبره وصف يقتضي المدح أو القدح وتقبل المبالغة فيه وتكون تلك المبالغة تفيد الموصوف معنى ، وفي

المبتدآت ما هو بخلاف ذلك فان قولنا « زيد قائم » لا نجد في وصف زيد بالقيام خصوصية يمتاز بها زيد عن غيره فان القيام يوصف به كل أحد إذا أريد به ضد القعود ولا يقبل المبالغة ، وليس هو من صفات المدح ولا من صفات الذم ولا هو مما يبلغ به الموصوف الى انه استحق الوصف به دون غيره ، فإن كان القاضي ، رحمه الله ، أراد مبتدأ مخصوصاً فيحتمل ، وإن كان أطلق فالأمر مشكل والسبب فيما ذكر من حذفه غير معلوم .

ثم يعرض عبد القاهر أمثلة من الشعر الجيد لأبيات حذف المبتدأ فيها كقول الشاعر :

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي

أيادي لم تثنَّ وإن هي جلَّت

فتىً غير محبوب الغنى عن صديقه

ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

والأصل : هو فتى .

٢ - النهي والشرط للتهيج :

المقصود من النهي في قوله « ولا تأخذكم » والشرط في قوله « إن كنتم تؤمنون الخ » التهيج وإثارة الغضب وإلهاب الحفاظ على دين الله ، وإن على المؤمنين الحراس على الاتسام بهذه السمة المشرقة أن يتصلبوا في دينهم وأن لا تأخذهم هواة أو لين في تنفيذ ما أمرهم الله

به لاستيفاء حدوده ، وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل بنفسه وابنته فقال : « لو سرت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » •

٣ - الحصر بإلا :

ظاهر النظم يوحى بأن الزاني لا ينكح المؤمنة العفيفة وأن الزانية لا ينكحها المؤمن التقي ، ولما كان ذلك غير ظاهر الصحة كان لا بد من حمل الاخبار على الأعم الأغلب كما لا يفعل الخير إلا الرجل التقي وقد يفعل الخير من ليس بتقي •

٤ - استعار الرمي للشتم بفاحشة الزنا لكونه جناية بالقول كما قال النابغة :

وجرح اللسان كجرح اليد

ويسمى الشتم بهذه الفاحشة قذفاً ، والمراد بالمحصات النساء ، وخصصهن بالذكر لأن قذفهن أشنع والعار فيهن أعظم ، ويلحق الرجال بالنساء في هذا الحكم بلا خلاف بين علماء هذه الأمة •

الفوائد :

١ - قوله تعالى « الزانية والزاني فاجلدوا » الآية : إنما عدل التخليل وسيبويه الى هذا الذي نقلناه من الاعراب لوجهين : لفظي ومعنوي أما اللفظي فلأن الكلام أمر وهو يخيل اختيار النصب ومع ذلك فالرفع قراءة العامة فلو جعل الأمر خبراً وبني المبتدأ عليه لكان خلاف المختار عند الفصحاء فالتجأ الى تقدير الخبر حتى لا يكون المبتدأ مبنياً على الأمر فخلص من مخالفة الاختيار ، وقد مثلهما سيبويه في

كتابه بقوله تعالى « مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار » الآية ووجه التمثيل أنه صدر الكلام بقوله « مثل الجنة » ولا يستقيم أن يكون قوله « فيها أنهار » خبره فتعين تقدير خبره محذوفاً وأصله فيما قص عليكم مثل الجنة ، ثم لما كان هذا إجمالاً لذكر المثل فصل المجلد بقوله « فيها أنهار » الى آخرها فكذلك ها هنا كأنه قال : وفيما فرض عليكم شأن الزانية والزاني ، ثم فصل هذا المجلد بما ذكره من أحكام الجلد ، هذا بيان المقتضى عند سيويه لاختيار الحذف من حيث الصناعة اللفظية وأما من حيث المعنى فهو أن المعنى أتم وأكمل على حذف الخبر لأنه يكون قد ذكر حكم الزانية والزاني مجملًا حيث قال : الزانية والزاني ، وأراد : وفيما فرض عليكم حكم الزانية والزاني ، فلما تشوَّف السامع الى تفصيل هذا المجلد ذكر حكمهما مفصلاً فهو أوقع في النفس من ذكره أول وهلة .

٢ - قوله تعالى « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » الطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبية كأنها الجماعة الحافة حول الشيء ، وعن ابن عباس في تفسيرها هي أربعة الى أربعين رجلاً من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعداً وعن عكرمة رجلان فصاعداً وعن مجاهد أقلها رجل فصاعداً ، وقيل رجلان وفضل قول ابن عباس لأن الأربعة هي الجماعة التي يثبت بها الحد والتفصيل في كتب الفقه .

٣ - أقسام الزناة الأربعة :

أ - الزاني لا يرغب إلا في زانية .

ب - الزانية لا ترغب إلا في زان .

ج - العفيف لا يرغب إلا في عفيفة .

د - العفيفة لا ترغب إلا في عفيف .

وهذه الأقسام الأربعة مختلفة المعاني وحاصرة للقسمة ، فنقول اختصرت الآية من هذه الأربعة قسمين واقتصرت على قسمين أخرى من المسكوت عنهما فجاءت مختصرة جامعة ، فالقسم الأول صريح في القسم الأول ويفهم الثالث والقسم الثاني صريح في القسم الثاني ويفهم الرابع والقسم الثالث والرابع متلازمان من حيث أن مقتضي لانهصار رغبة العفيف في العفيفة هو اجتماعهما في الصفة وذلك بعينه مقتضى لانهصار رغبتهما فيه ، ثم يقصر التعبير عن وصف الزناة والاعفاء بما لا يقل عن ذكر الزناة وجوداً وسلماً فان معنى الأول : الزانية لا ينكحها عفيف ومعنى الثانية : العفيفة لا ينكحها زان ، والسري في ذلك أن الكلام في أحكامهم ، فذكر الاعفاء لسلب نقائصهم حتى لا يخرج الكلام عما هو المقصود منه ثم بينه في اسناد النكاح في هذين القسمين للذكور دون الإناث بخلاف قوله الزانية والزاني فانه جعل لكل واحد منهما ثم استقلالاً وقدم الزانية على الزاني - كما تقدم - والسبب فيه أن الكلام الأول في حكم الزنا والاصل فيه المرأة لما يبدو منها من الإيماض والإطماع والكلام الثاني في نكاح الزناة إذا وقع ذلك على الصحة والاصل في النكاح الذكور وهم المبتدئون بالخطبة فلم يسند إلا لهم لهذا وان كان الغرض من الآية تنفير الأعفاء من الذكور والإناث مناكحة الزناة ذكوراً وإناثاً زجراً لهم عن الفاحشة ولذلك قرن الزنا والشرك .

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ
فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمِيسَةُ
أَنْ لَعَنَتِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ
أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنْ
غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

الاعراب :

(والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) كلام
مستأنف مسوق لبيان أحكام اللعان وهو مبسوط في كتب الفقه .
والذين مبتدأ وجملة يرمون أزواجهم صلة وحذف التاء أفصح ولذلك
جمع الزوج على أزواج ويتعين في الفرائض إثبات التاء ، ومتعلق يرمون
محذوف أي بالزنا ، ولم الواو حالية أو عاطفة ولم حرف نهي وقلب
وجزم ويكون فعل مضارع ناقص مجزوم بلم ولهم خبر مقدم وشهداء
اسمها المؤخر وإلا أداة حصر وأنفسهم بدل من شهداء ويجوز أن تكون
إلا بمعنى غير فتكون أنفسهم نعتاً لشهداء وقد ظهر عليها إعراب إلا
على حد قوله تعالى «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» . (فشهادة أحدهم
أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) الفاء واقعة في جواب اسم الموصول
لتضمنه معنى الشرط وشهادة مبتدأ وأحدهم مضاف إليه وأربع شهادات

خبر المبتدأ ، وقرأ العامة بنصب أربع ، فيكون خبر شهادة مقدر التقديم أي فعليهم شهادة أو مؤخر أي فشهادة أحدهم كائنة أو واجبة أو هو خبر لمبتدأ محذوف أي فالواجب شهادة أحدهم ، وأما نصب أربع فهو نصب على المصدر والعامل فيه مصدر مثله وقد ناب عن المصدر عدده ، وبالله جار ومجرور متعلقان بشهادات أو بشهادة ، فالمسألة من باب التنازع ، وإن واسمها وكسرت همزة إن لوجود اللام ، واللام المزحلقة ومن الصادقين خبر إن وان وما بعدها مفعول شهادات أو شهادة أي يشهد أنه صادق وجملة فشهادة أحدهم خبر الذين . (والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) الواو اعتراضية والخامسة مبتدأ أي الشهادة الخامسة وأن وما بعدها في تأويل مصدر خبر ولعنة الله اسم أن وعليه خبر أن وإن شرطية وكان فعل الشرط واسم كان مستتر ومن الكاذبين خبر كان وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله ، ويجوز أن تكون الواو عاطفة والخامسة عطف على شهادة وأن لعنة الله بدل من الخامسة أو نصب بنزع الخافض أي بأن لعنة الله والأول أسهل . (ويدراً عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين) جملة ويدراً عطف على ما سبق ويدراً فعل مضارع معناه يدفع وعنهما متعلقان به والعذاب مفعول به وأن تشهد في تأويل مصدر فاعل يدرأ وأربع شهادات نصب على المصدر فهو نائب مفعول مطلق وبالله متعلقان بشهادات أو بأن تشهد كما تقدم في الأولى وانه لمن الكاذبين تقدم اعرابها . (والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين) تقدم اعراب مشيلتها فجدد به عهداً . (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وإن الله تواب حكيم) لولا حرف امتناع لوجود وفضل الله مبتدأ وخبره محذوف وجوباً كما تقدم وعليكم متعلقان بفضل ورحمته عطف على فضل وان الله تواب ان واسمها وخبرها وهي معطوفة على

فضل وجواب لولا محذوف للدليل على أمر محذوف لا يكتنه لعظمه
وفداحته ، ورُب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به •

البلاغة :

اشتملت هذه الآيات بالاضافة الى ما انطوت عليه من الأحكام
والتشريع الصالح على العديد من فنون البلاغة وقد تقدم البحث فيها
فنجتزىء بالاماع اليها :

١ - الالتفات : في قوله « ولولا فضل الله عليكم » فقد التفت
من الغيبة الى الخطاب لتسجيل المنة ، على المخاطبين بحيث لا تبقى لديهم
أعذار واهية يتشبثون بها إذا هم تجاوزوا حدود ما بيّنه لهم •

٢ - التغليب : فقد غلب صيغة الذكور على صيغة الاناث حيث
لم يقل عليكم وعليكن لأنه بصدد مخاطبة الفريقين أي القاذفين
والمقذوفات •

٣ - الحذف : وقد تكرر حذف المبتدأ والخبر كما رأيت في
الاعراب وحذف جواب لولا أي كأن يقول الله في بيانه : فلان صادق
بالزنا لكون المقذوفة قد زنت في نفس الواقع ، أو يقول فلان كاذب في
قذفه لكون المقذوفة لم تزن في نفس الواقع ، وسدل الستار على ذلك
كله لأن الغرض الأسمى هو الصون ، والصون يتطلب التحوُّط ،
والتحوُّط يستدعي السكوت عما لا يحسن التصريح به •

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ
مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

اللفظة :

(الإفك) : أبلغ ما يكون من الكذب وقيل هو البهتان لا تشعر
به حتى يفجأك وأصله الأفك وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه .

(كبره) : كبر الشيء بكسر الكاف وسكون الباء معطيه ، قال
فيس بن الخطيم يذكر امرأة :

تنام عن كبر شأنها فاذا قامت رويداً تكاد تنغرف

الاعراب :

(إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) الجملة مستأنفة للشروع
في سرد قصة الإفك وتقع في ثماني عشرة آية ستأتي بإطراد وهي تتعلق
بعائشة رضي الله عنها ، وهي صالحة تستحق المديح والثناء فمن رماها
بالسوء فكأنه قلب الحقائق وطمسها . وان واسمها وجملة جاءوا صلة
الموصول وبالإفك متعلقان بجاءوا وعصبة خبر إن ومنكم صفة لعصبة
أي من المؤمنين ولو ظاهراً ، فقد كان عبد الله بن أبي وهو أحد الذين
خاضوا في حديث الإفك من كبار المنافقين ، وجملة لا تحسبوه مستأنفة

والخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان تسلياً لهم ، وستأتي قصة الافك في باب الفوائد . (لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم) لا جازمة وتحسبوه مضارع مجزوم والواو فاعل والهاء مفعول به أول وشرأ مفعول به ثان ولكم متعلقان بشر وبل حرف عطف واضراب وهو مبتدأ وخير خبر ولكم متعلقان بخير ووجه الخير فيه ما يناله صاحب الابتلاء من مشوبة ثم ظهور الكرامة ونصوع الحق بانزال ثنائي عشرة آية في براءتكم والتهويل بالوعيد لمن خاض فيه عن سوء نية وقصد .

(لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) لكل امرئ خبر مقدم ومنهم صفة لامرئ وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة اكتسب صلة ومن الاثم متعلقان باكتسب . (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) الواو استئنافية والذي مبتدأ وجملة تولى كبره صلة أي بالغ فيه وضخم الأمور وزوqها لسوء دخيلته وشر طويته ، ومنهم متعلقان بمحذوف حال وهو عبد الله بن أبي المنافق ، وله خبر مقدم وعذاب عظيم مبتدأ مؤخر والجملة خبر الذي .

الفوائد :

حديث الافك :

جاء في صحيح البخاري ومسلم على لسان عائشة قالت : « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوةٍ بعد ما أنزل الحجاب ففرغ منها ورجع ودنا من المدينة وأذن بالرحيل ليلة فمشيت وقضيت شأني وأقبلت الى الرجل فاذا عقدي انقطع فرجعت ألتسمه وحملوا هودجي

يجسبونني فيه وكانت النساء خفافاً إنما يأكلن العلقمة من الطعام ووجدت عقدي وجئت بعد ما ساروا فجلست في المنزل الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليّ فغلبتني عيناى فتمت وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش فأدلى للاستراحة فسار منه فأصبح في منزله فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني ، وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطىء على يدها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك فيّ وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي ابن سلول » •

تفسير غريب الحديث :

أ - قوله في غزوة : قيل هي غزوة المريسيع وتسمى غزوة بني المصطلق وكانت في السنة الرابعة وقيل في السادسة وسببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث ابن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فاقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم فأفأها وردّها عليهم •

٢ - يأكلن العلقمة : بضم العين وسكون اللام القليل من الطعام.

٣ - صفوان : هو الصحابي الجليل صفوان بن المعطل السلمي.

٤ - عرس : بتشديد الراء المفتوحة أي نزل ليلاً للاستراحة

وهو خاص بآخر الليل •

٥ - أدلج : بتشديد الدال المفتوحة سار من أول الليل •

٦ - باسترجاعه : أي بقوله : إنا لله وإنا إليه راجعون •

٧ - خمرت وجهي بجلبابي : أي غطيته بالملاءة •

٨ - ووطئ على يدها : أي وضع رجله على ركبتها •

٩ - موغرين : في القاموس : الوغرة شدة الحر ووغرت الهاجرة كوعد وأوغروا دخلوا فيها ، والوغر ويحرك : الحقد والضغن والعداوة والتوقد من الغيظ وقد وغر صدره كوعد ووجل وغراً ووغراً بالتحريك وفي المصباح : « ووقع في أرض فلاة صار فيها » •

رواية المستشرقين : هذا وقد شغل حديث الافك المستشرقين فصاغوه في روايات شتى نورد منها هنا للاطلاع رواية بروكلمن المستشرق الألماني صاحب كتاب « تاريخ الشعوب الاسلامية » وفيما يلي نص تعريبه :

« وقام النبي خلال سنة ٦٢٧ أيضاً بحملات عدة على بعض القبائل البدوية ولقد أبعد في إحداها حتى لقارب مكة وكانت هذه الغزوات آمنة الى حد ساعده على أن يصطحب فيها اثنتين من أزواجه ، فاتفق مرة أن أضاعت زوجه المفضلة عائشة بنت أبي بكر - وكانت آنذاك في الرابعة عشرة من عمرها - قلادتها فخرجت تبحث عنها مساء ففاتها فوافل الغزاة ولم تعد الى المعسكر إلا في اليوم التالي وبرفقتها شاب كانت قد عرفته من قبل وتطرق الشك في إخلاص عائشة إلى نفس النبي فردها الى بيت أبويها ولكن الله لم يلبث أن برأها بعد شهر واحد في إحدى الآيات الموحاة الى النبي مضيفاً في الوقت نفسه أن أي اتهام

لامرأة بالخيانة الزوجية لا يؤيده أربعة شهود عيان يعتبر فرية أو قذفاً يستحق عليه صاحبه مائة جلدة ، وكان علي صهر النبي أحد خصوم عائشة الذين ألحوا عليه في طلاقها وليس من شك في أن جذور العداء الذي تكشف عنه عائشة لعلي بعد أن استخلف على المسلمين ترجع الى هذه الحقبة ، ومهما يكن من شيء ، فلم يكن لحادثة العقد هذه أدنى تأثير على وضع المرأة الاجتماعي في الاسلام كما يظن : فالحجاب الذي تصطنعه النساء المتزوجات كان عادة عربية قديمة وكان النبي قد فرضه ، قبل هذه الحادثة ، لأسباب أخرى والواقع أن الحجاب لم يحل بين النساء في الجاهلية وفي الاسلام أيضاً حتى عهد الأمويين وبين الظهور في الناس في كثير من الحرية والتأثير في المجتمع العربي تأثيراً مذكوراً في بعض الاحيان ، إن مؤسسة الحريم التي وضع قواعدها العباسيون على غرار النموذج المسيحي - البيزنطي هي وحدها المسئولة عن انحطاط المرأة في الشرق » ولا تخلو رواية بروكلمن ، على دقتها من خلل وخطأ وتحامل خفي يحاول صاحبه إخفاءه ويأبى إلا أن يظهر ومن ذلك قوله « فردها الى بيت أبويها » .

العودة الى المدينة واللفظ في الحديث :

ولنعد الى رواية عائشة نفسها في تنمة الحديث الآنف الذكر قالت :

« واشتكت حين قدمنا المدينة شهراً والناس يفيضون في قول أهل الافك ولا أشعر بشيء من ذلك ، ويريني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، انما يدخل رسول الله فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ فذاك يريني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع ثم عدت ففشرت أم مسطح في مرطها فقالت : تعس مسطح . »

قلت : بئس ما قلت !! أتسيين رجلاً قد شهد بدرأ ؟

قالت : أي هنتاه أولم تسمعي ما قال ؟

قلت : وماذا قال ؟

فأخبرتني بقول أهل الافك فازددت مرضاً الى مرضي فلما رجعت الى بيتي استأذنت أن آتي أبوي : أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي .

قالت أمي : هوّني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها .

قلت : سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا ؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اکتحل بنوم .

ودعا رسول الله عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد يستشيرهما في فراق أهله فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود وقال لرسول الله : هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً .

وأما عليّ بن أبي طالب فقال : لم يضيّق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك .

فدعا رسول الله بريرة يسألها : هل رأيت من شيء يريبك من عائشة ؟ قالت : والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قد أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن ف تأكله .

...وبكيت يومي ذلك لا يرقاً لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت
ليأتي المقبلة لا يرقاً لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء
فالق كبدي •

فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله فسلم ثم جلس وتشهد ثم
قال : أما بعد يا عائشة فإني قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة
فسيرئك الله وإن كنت ألمحت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن
العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه •

فلما قضى رسول الله مقالته قلص دمعي حتى ما أحسّ منه قطرة
فقلت لأبي : أجب عني رسول الله فقال : والله ما أدري ماذا أقول
لرسول الله ،

فقلت لأمي : أجيبني عني ، فقالت : كذلك والله ما أدري ماذا أقول
لرسول الله ،

قلت : — وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن — :
إني والله لقد عرفت أنكم سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم
به فإن قلت لكم : إني بريئة لا تصدقوني ، وإن اعترفت لكم بأمر ،
والله يعلم أنني بريئة ، لتصديقوني واني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا
كما قال أبو يوسف : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون •

ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، فوالله ما رام رسول الله
مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل على نبيه
فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه ليتحدّر منه مثل
الجمان من العرق في اليوم الشاتي •

فلما سرّي عن رسول الله وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها
أن قال : أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك •

قالت لي أُمي : قومي اليه •

قلت : والله لا أقوم اليه ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي •

وكان أبو بكر ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره فأقسم لا ينفق
عليه شيئاً أبداً فأنزل الله عز وجل : « ولا يأتل أولو الفضل منكم
والسعة أن يؤتوا أولي القربى ... الى قوله : ألا تحبون أن يغفر
الله لكم » ؟

فقال أبو بكر : والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، ورجع الى مسطح
النفقة التي كان ينفقها عليه •

هذا وسيأتي في بقية الآيات ما يتعلق بهذا الحديث •

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا
هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا
بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ
بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

الاعراب :

(لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) كلام مستأنف للشروع في زجر الخائضين في الإفك وتوبيخهم على ما أرجفوا به وستأتي تسعة زواجر مترادفة وهذا هو الزاجر الأول . ولولا حرف تحضيض متضمن معنى الزجر والتوبيخ وذلك كثير في اللغة إذا دخلت على الفعل كقوله تعالى « لولا أخرجتني » وإذا ظرف لما مضى من الزمن متعلق بظن وجملة سمعتموه في محل جر باضافة الظرف اليها وظن المؤمنون فعل وفاعل والمؤمنات عطف وبأنفسهم متعلقان بخيراً وخيراً مفعول به ثان . (وقالوا هذا إفك مبين) وقالوا عطف على ظن وهذا مبتدأ وإفك خبر ومبين صفة والجملة الاسمية مقول القول وسيأتي القول في الالتفات الرائع بهذه الآية . (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء) لولا حرف تخصيص ثان وهذا هو الزاجر الثاني وجاءوا فعل وفاعل وعليه متعلقان بشهداء وبأربعة متعلقان بجاءوا وشهداء مضاف إليه ، فاذ الفاء عاطفة وإذا ظرف لما مضى من الزمن متعلق بالكاذبون ولم حرف نفي وقلب وجزم ويأتوا فعل مضارع مجزوم بلم والجملة في محل جر باضافة الظرف اليها وبالشهداء متعلقان يأتوا . (فأولئك عند الله هم الكاذبون) الفاء رابطة وأولئك مبتدأ وعند الله متعلقان بمحذوف حال أي في حكمه وهم مبتدأ ثان أو ضمير فصل والكاذبون خبر أولئك أو خبر هم والجملة خبر أولئك . (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة) الواو عاطفة ولولا حرف امتناع لوجود وفضل الله مبتدأ حذف خبره وجوباً وهذا هو الزاجر الثالث ، وعليكم متعلقان بفضل ورحمته عطف على فضل وفي الدنيا متعلقان بمحذوف حال والآخرة عطف على الدنيا . (لمستكم فيما

أفضم فيه عذاب عظيم) اللام واقعة في جواب لولا ومسكم فعل
ومفعول به والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وفيما
متعلقان بمسكم وجملة أفضم فيه صلة و « ما » عبارة عن حديث
الافك والافاضة الاندفاع والخوض ويصح أن تكون ما مصدرية أي
لمسكم بسبب إفاضتكم وخوضكم في الإفك ، وفيه متعلقان بأفضم
وعذاب فاعل وعظيم صفة . (إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم
ما ليس لكم به علم) وهذا هو الزاجر الرابع ، وإذ ظرف متعلق بمسكم
أو بأفضم وتلقونه فعل مضارع حذف إحدى تاءيه وهو مرفوع وعلامة
رفعه ثبوت النون والواو فاعل والهاء مفعول به ، والتلقي والتلقف
والتلقن معان متقاربة ، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها والمراد
يرويه بعضكم عن بعض وبالسنتكم متعلقان بتلقونه ، وتقولون عطف على
تلقونه وبأفواهكم متعلقان بتقولون وما مفعول تقولون وجملة ليس صلة
الموصول وليس فعل ماض ناقص ولكم خبر وبه متعلقان بعلم وعلم اسم
ليس . (وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم) وتحسبونه فعل مضارع
وفاعل ومفعول به أول وهيناً مفعول به ثان والواو للحال وهو مبتدأ
وعند الله حال وعظيم خبر هو والجملة حالية .

البلاغة :

١ - التعبير بالأنفس عن الآخرين :

التعبير بالأنفس عن الآخرين ينطوي على أبعد النكت مرمى وأكثرها
حذولا بالمعاني السامية ، فهو أولا يهيب بالمومنين الى التعاطف واجراء
التوبيخ على النفس بدلا من أن يذكره بسوء وذلك أدعى الى اصطناعه
وجعله محمولا على الموالاة والاصطفاء وذلك بتصويره بصورة من

أخذ يقذف نفسه ويرميها بما ليس فيها من الفاحشة • وروي أن أبا أيوب الأنصاري قال لامرأته ألا ترين مقالة الناس ؟ قالت له : لو كنت بدل صفوان أكنت تخون في حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءاً ؟ قال : لا ، قالت : ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنته وصفوان خير منك وعائشة خير مني •

وهذا صحيح كل الصحة وبراءة عائشة واضحة ومفهومة بالبداهة لدى كل منصف يفهم أن امرأة كعائشة لا تعرض نفسها لهذه الريبة أمام جيش وفي وضوح النهار ولغير ضرورة مع رجل من المسلمين يتقي ما يتقيه المسلم في هذا المقام من غضب النبي وغضب المسلمين وغضب الله ، فتلك خلة تترفع عنها من هي أقل من عائشة منبتاً ومنزلة وخلقا وأتفه فكيف بها في مكانها المعلوم ، وهذا هو المفهوم للتعبير عن الآخرين من المؤمنين بالنفس ، حدا بامرأة أبي أيوب الأنصاري إلى أن تنزل زوجها منزلة صفوان وتفسها منزلة عائشة ثم تثبت لنفسها ولزوجها البراءة والامانة حتى تثبت لصفوان وعائشة بطريق الأولى •

وهو ثانياً يحتمل أن يكون التعبير بالأنفس حقيقة والمقصود إلزام سيء الظن بنفسه لأنه لم يعتد بنوازع الايمان ووزائعه في حق غيره وألفاه واعتبره في حق نفسه وادعى لها البراءة قبل معرفته بحكم الهوى لا بحكم الهدى •

٢ - الالتفات :

وفي الكلام عدول عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر وسياق الحديث أن يقول « لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم » وانما اقتضت البلاغة هذا الالتفات والعدول عن الضمير الى

الظاهر للمبالغة في التوبيخ وليصرح بلفظ الايمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن ، وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وكان جديراً بالآخرين الاحتذاء به : سمع حديثاً يلاك بين المنافقين ويسري الى المسلمين بل الى خاصة ذويه الأقربين ، حديثاً يسمعه رجل كعلي بن أبي طالب في بره نحيزته فلا يرى بعده حرجاً من الطلاق والنساء كثيرات ، سمع النبي ذلك الحديث المريب فلم يقبله بغير بينة ولم يرفضه بغير بينة وكان عليه أن يعود زوجه المريضة أو يجفوها الى حين فعادها وبه من الرفق والانصاف ما يأبى عليه أن يفتحها في مرضها بما يخامر نفسه الكريمة ، وبه من الموجدة والترقب ما أبى عليه أن يقابلها بما كان يقابلها به والنفس صافية كل الصفاء وظل يسأل عنها سؤال متعجب ينتظر أن تشفى وأن تأتيه البينة فيشتد كل الشدة أو يرحم كل الرحمة ، ولا يعجله لفظ الناس أن يأخذ في هذا الموقف الأليم بما توجهه الحمية وما توجهه المروءة في آن .

عبد الله بن أبيّ ومسطح :

وإذا قيل إن عبد الله بن أبيّ كان من أصحاب العصية التي بحسب حسابها وتتقى بوادرها فماذا يقال في مسطح وهو مكفول أبي بكر وصنيعته الذي يأكل من ماله ؟ ما الذي أنجاه من السخط والعقاب وكهل له دوام البر والمعونة لولا سماحة النبي الكريم وسماحة أبي بكر وسماحة القرآن ؟

٣ - المبالغة :

تقدم البحث في مثل هذا التعبير « تقولون بأفواهكم » والقول

لا يكون إلا بالقم فما معنى ذكر الأفواه ، ونعيد القول انه هنا للمبالغة والتعريض بأنه ربما يتمسّدق ويقضي يتمسّدق جازم عالم وهذا أشد وأقطع ومعناه أن الشيء المعلوم يكون وعظمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الإفك ليس إلا قولاً يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب .

وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ
هَذَا بَيِّنٌ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ وَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٩﴾ إِنْ
الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَوَ أَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾

الاعراب :

(ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) وهذا هو الزاجر الخامس ، ولولا حرف تحضيض وتوبيخ وإذ ظرف متعلق بقلتم أي كان ينبغي لكم بمجرد السماع الأول أن تقولوا : ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وأن تقولوا سبحانك ، وقال الزمخشري : « فإن قلت : كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم بالظرف ؟ قلت للظروف شأن وهو

تنزلها من الاشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فذلك يتسع فيها مالا يتسع في غيرها » ورد عليه أبو حيان فقال « وهذا يوهم اختصاص ذلك بالظرف وهو جار في المفعول به تقول لولا زيدا ضربت ولولا عمراً قتلت ، وسيأتي سر تقديم الظرف في باب البلاغة . وجملة سمعتموه مضاف اليها الظرف وجملة قلتم لا محل لها لأنها ابتدائية وما نافية ويكون فعل مضارع ناقص ولنا خبرها المقدم وأن وما في حيزها اسمها المؤخر وبهذا متعلقان بتكلم وسبحانك مفعول مطلق وجملة سبحانك في محل نصب حال لأن معناه التعجب والمعنى هلا قلتم ما ينبغي لنا أن تكلم بهذا حال كونكم متعجبين من هذا الأمر العجيب الغريب . (سبحانك هذا بهتان عظيم) وهذا مبتدأ وبهتان خبر وعظيم صفة . (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين) وهذا هو الزاجر السادس ويعظكم وقد ضمن معنى فعل يتعدى بعن ثم حذف الجار أي ينهاكم عن العودة وهي فعل مضارع ومفعول به والله فاعل وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض ومثله متعلقان بتعودوا وأبدأ ظرف زمان متعلق بتعودوا أيضاً ، وقيل لاتضمنين في معنى يعظكم ، وأن وما بعدها مفعول لأجله على حذف مضاف أي كراهة أن تعودوا ، وإن شرطية وكنتم كان واسمها ومؤمنين خبرها وجواب الشرط محذوف أي إن كنتم مؤمنين فلا تعودوا لمثله . (ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) الواو عاطفة ويبين الله فعل وفاعل ولكم متعلقان يبين والآيات مفعول به والله مبتدأ وعليم حكيم خبران الله . (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) جملة مستأنفة مسوقة لايراد الزاجر السابع وإن واسمها وجملة يحبون صلة وأن وما في حيزها مفعول يحبون والفاحشة فاعل وفي الذين آمنوا متعلقان بتشيع . (لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم

لا تعلمون) لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر إن وألیم صفة وفي الدنيا والآخرة صفة ثانية ، ففي الدنيا ثبت بالحد للثقف ، وسيأتي في باب الفوائد تفصيل ذلك . والله مبتدأ وجملة يعلم خبر وأتسم مبتدأ وجملة لا تعلمون خبر . (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وإن الله رؤوف رحيم) وهذا هو الزاجر الثامن ولولا امتناعية وفضل الله عليكم مبتدأ محذوف الخبر وجوباً ورحمته عطف على فضل وإن الله رؤوف رحيم عطف على فضل الله وجواب لولا محذوف أي لعاجلكم بالعقوبة .

الفوائد :

ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم حد القاذفين الأربعة وهم عبد الله بن أبيّ وحسان بن ثابت ومسطح وحننة بنت جحش ، وقعد صفوان لحسان بن ثابت وضربه بالسيف فكف بصره وفي ذلك يقول :

توقّ ذباب السيف عني فإنني

غلامٌ إذا هوجيت لست بشاعر

ولكنني أحمي حمائي وأتقى

من الباهت الرامي البريء الظواهر

وأشيد حسان بن ثابت أبياتاً يشي فيها على أم المؤمنين عائشة

رضي الله عنها - ويرثها مما نسب إليها ومنها :

حصان رزان ما تزنّ بريبة وتصبح غرثي من لحوم الغوافل

حليلة خير الناس ديناً ومنصباً نبيّ الهدى والمكرمات الفواضل

عقيلة حي من لؤي بن غالب كرام المساعي مجدها غير زائل
 مهذبة قد طيب الله جنيها وطهرها من كل شين وباطل
 فإن كان ما بلغت عني قلته فلا رفعت سوطي إليّ أنا ملي
 وكيف وودي ما حييت ونصرتي بآل رسول الله زين المحافل
 له رتب عال على الناس فضلها تقاصر عنها سورة المتناول

البلاغة :

١ - التقديم والتأخير :

في قوله تعالى « ولولا إذ سمعتموه قلتم الخ » قدم الظرف لفائدة هامة وهي بيان انه كان من الواجب أن يتفادوا أول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم ، وجب التقديم . ولعبد القاهر في دلائل الاعجاز بحث عن التقديم والتأخير يقول فيه : باب التقديم والتأخير من الأبواب التي تظهر بها مزية الكلام ويعلو بها أسلوب على أسلوب ويبدو بها إعجاز القرآن .

٢ - سر التعجب :

في كلمة التعجب « سبحانك » سر عجيب وهو أن الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل عند كل متعجب منه .

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ
 خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
 عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ
 وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا
 أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا
 أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ
 الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَدْعُؤُهُمْ اللَّهُ دِينُهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ
 اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْحَبِيبَاتُ لِلْغَابِثِينَ وَالْغَابِثُونَ لِلْغَابِثَاتِ
 وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ
 لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

اللفظة :

(خطوات) : جمع خطوة بفتح الخاء وضمها وسكون الطاء ،
 وكل ما كان على وزن فعل بكسر الفاء أو فعل بفتح الفاء مع سكون

العين جاز لنا إذا أردنا أن نجعله جمعاً مؤنثاً سالماً الاتباع والفتح
والتسكين فنقول في خطوة خَطَوَاتٍ وخطَوَاتٍ وخطَوَاتٍ •

(زكى) : طهر من دنس •

(يأتل) : في المختار « وآلى يؤلى إيلاء حلف وتآلى وائتلى مثله
قلت : ومنه قوله تعالى « ولا يأتل أولو الفضل منكم » والألية اليمين
وجمعها ألياء » وقيل هو من قولهم ما ألوت جهداً إذا لم تدخر شيئاً •

(الغافلات) : السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس
فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولم يرزن الأحوال فلا يظن
لما تظن له المجربات العرافات • قال :

ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعي على أسرارها

لهوت : تلاهيت ولعبت بطفلة بالفتح أي امرأة ناعمة لينة ، يقال
امرأة طفلة الأنامل أي رخصتها لينتها ، وميالة : مختالة ، وبلهاء : غافلة
لا مكر عندها ولا دهاء فلذلك تطلعي على ضمائرها •

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) وهذا هو الزاجر
التاسع والأخير ، ولا ناهية وتتبعوا فعل مضارع مجزوم بلا وخطوات
الشيطان مفعول به • (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء
والمنكر) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويتبع
فعل الشرط وخطوات الشيطان مفعول به والفاء رابطة لجواب الشرط
لأنه جملة اسمية وان واسمها وجملة يأمر بالفحشاء والمنكر خبرها

والضمير في انه يعود على الشيطان أو على المتبع والأول أظهر .
 (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً) لولا امتناعية
 وقد تقدم اعرابها وما نافية وزكى فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو
 يعود على الله ومنكم حال لأنه كان في الأصل صفة لأحد ومن حرف جر
 زائد وأحد مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به وأبداً ظرف
 متعلق بزكى . (ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم) الواو عاطفة
 ولكن واسمها وجملة يزكى خبرها ومن يشاء مفعول يزكى والله مبتدأ
 وسميع خبر أول وعليهم خبر ثان أي أنه سبحانه سميع لمقالهم عليم
 بنياتهم . (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى
 والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) تقدم القول مسهباً في سبب نزول
 هذه الآية وأنها نزلت في شأن مسطح بن أثاثه بضم الهمزة وفتحها .
 ولا ناهية ويأتل فعل مضارع مجزوم بلا وأولو فاعل ملحق بجمع المذكر
 السالم والفضل مضاف إليه ومنكم حال والسعة عطف على الفضل ،
 وأن يؤتوا : أن وما في حيزها نصب بنزع الخافض مع حذف لا النافية
 والتقدير على أن لا يؤتوا وأولي القربى مفعول وما بعدها عطف عليه .
 (رليغفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم)
 الواو عاطفة واللام لام الأمر ويعفوا مضارع مجزوم بلام الأمر
 وليصفحوا عطف والهمزة للاستفهام ولا نافية وتحبون فعل مضارع
 مرفوع وأن وما في حيزها مفعول تحبون والله فاعل ولكم متعلقان بيغفر
 والله مبتدأ وغفور خبر أول ورحيم خبر ثان . (إن الذين يرمون
 المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم)
 كلام مستأنف مسوق لتقريع الخائضين في الإفك ووعيدهم الشديد
 وعتابهم البليغ . وإن واسمها وجملة يرمون المحصنات صلة والمحصنات
 مفعول به والغافلات المؤمنات عطف على المحصنات وجملة لعنوا خبر إن وفي الدنيا

والآخرة متعلقان بلعنوا ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وعظيم صفة . (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) الظرف متعلق بالاستقرار الذي تعلق به « ولهم » ويجوز تعليقه بالمصدر وهو عذاب لأن الظروف يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها ، وجملة تشهد في محل جر باضافة الظرف اليها وعليهم متعلقان بتشهد وألسنتهم فاعل وأيديهم وأرجلهم عطف على ألسنتهم وبما جار ومجرور متعلقان بتشهد وجملة كانوا لا محل لها لأنها صلة ولك أن تجعل ما مصدر وكان واسمها وجملة يعملون خبرها وقد مرت لها قنائر . (يومئذ يوفيههم الله دينهم الحق) الظرف متعلق يعملون أو يوفيههم وقد تقدم البحث في إضافة إذ للظرف والتنوين اللاحق لإذ ، ويوفيههم الله فعل مضارع ومفعول به وفاعل ودينهم مفعول به ثان والحق نعت لدينهم والمراد بدينهم الحق جزاؤهم الواجب عليه وفي الحديث « كما تدين تدان » . (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) ويعلمون عطف على يوفيههم وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يعلمون وهو ضمير فصل أو مبتدأ والحق خبر أن أو خبر هو والجملة الاسمية خبر أن والمبين صفة . (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) كلام مستأنف مسوق لبيان سنة الله في خلقه في أن يسوق كل صنف إلى صنفه وأن يقع كل طير على شكله . والخبيثات مبتدأ وللخبيثين خبره وما بعده عطف عليه وسيرد معنى ذلك في باب البلاغة . (أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) أولئك مبتدأ والاشارة الى الطيبين وسيأتي المزيد من هذا المعنى في باب البلاغة ، ومبرءون خبر أولئك ومما متعلقان بمبرءون لأنه اسم مفعول وجملة يقولون صلة ولهم خبر مقدم ومغفرة مبتدأ مؤخر والجملة خبر ثان لأولئك ورزق كريم عطف عليه .

البلاغة :

١ - المجاز العقلي في شهادة الأيدي والأرجل وقد تقدم بحثه مستوفى .

٢ - أراد بالمحصنات العموم وإن كان الحديث مسوقاً عن عائشة والمقصود بذكرهن على العموم وعيد من وقع في عائشة على أبلغ الوجوه لأنه إذا كان هذا وعيد قاذف آحاد المؤمنين فما الظن بوعيد من وقع في قذف سيدتهن ! على أن تعميم الوعد أبلغ وأقطع من تخصيصه ، ولهذا عمت زليخا حين قالت « ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم » فعمت وأرادت يوسف تهويلاً عليه وارجافاً .

٣ - يحتمل أن يراد بالخيثات النساء وبالخيثين الرجال فيكون الكلام جارياً على حقيقته ويجوز أن يراد الكلمات التي صيغ منها الإفك فيكون الكلام مجازاً بالاستعارة التصريحية .

يٰۤأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا
وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا
فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا
فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) كلام مستأنف مسوق لبيان ما يترتب على مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في أوقات خلواتهن . ولا ناهية وتدخلوا فعل مضارع مجزوم بلا ويوتاً مفعول به على السعة وقد تقدم بحث ذلك وغير بيوتكم صفة لبيوتاً وحتى حرف غاية وجر وتستأنسوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ومعنى الاستئناس الاستئذان على طريق الكناية ، وسيأتي تفصيل ذلك في باب البلاغة ، وتسلموا عطف على تستأنسوا وعلى أهلها متعلقان بتسلموا . (ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون) ذلكم مبتدأ وخير خبر ولكم متعلقان بخير وامل واسمها وجملة تذكرون خبر لعل وجملة ذلكم مستأنفة وجملة لعلكم تذكرون حال معللة لفعل محذوف أي أنزل عليكم هذا آملين أن تتذكروا . (فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) الفاء استئنافية وإن شرطية ولم حرف نهي وقلب وجزم وتجدوا مضارع مجزوم بلم وفيها متعلقان بتجدوا وأحداً مفعول به ، فلا تدخلوها الفاء رابطة لجواب الشرط ولا ناهية وتدخلوها مضارع مجزوم بلا الناهية وحتى حرف غاية وجر ويؤذن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ويؤذن مبني للمجهول وفائب الفاعل مستتر ولكم متعلقان بيؤذن . (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم) الواو عاطفة وإن شرطية وقيل لكم فعل الشرط وجملة ارجعوا مقول القول ، فارجعوا الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه طلبي وهو مبتدأ وأزكى لكم خبر والجملة مستأنفة ، والله الواو استئنافية والله مبتدأ وبما تعملون متعلقان بعليم وعليم خبر الله .

(ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم)
 ليس فعل ماض ناقص وعليكم خبر ليس المقدم وجناح اسمها المؤخر
 وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي في أن
 تدخلوا والجار والمجرور صفة لجناح وبيوتاً مفعول به على السعة وغير
 مسكونة نعت لبيوتاً وفيها خبر مقدم ومتاع لكم مبتدأ مؤخر والجملة
 صفة ثانية لبيوتاً • (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) والله الواو
 استئنافية والله مبتدأ وجملة يعلم خبر وما مفعول به وجملة تبدون صلة
 وما تكتمون عطف على ما تبدون •

البلاغة :

١ - الكناية في قوله تستأنسوا : فإن أصل معناها الاستئناس
 وهو ضد الاستيحاش لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له
 أم لا فهو متردد مستطار القلب مستوحش ، أو كالمستوحش من خفاء
 الحال عليه فإذا أذن له بالدخول استأنس وزايله ترددده واستطارة قلبه ،
 وقد أريد المعنى البعيد منه وهو الاستئذان •

٢ - الإرداف وقد تقدم أنه هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر
 عنه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ الإشارة الدال على المعاني الكثيرة بل
 لفظ هو ردف المعنى الخاص وتابعه قرب من لفظ المعنى الخاص قرب
 الرديف من الردف ، وواضح أن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن
 فوضع موضع الإذن ، ويجوز أن يكون من الاستئناس الذي هو
 الاستعلام والاستكشاف من أنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً
 وعليه يكون المعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم
 أم لا ، والوجه الأول هو البين ، وسر التجوز فيه والعدول إليه عن

الحقيقة ترغب المخاطبين في الاتيان بالاستئذان بواسطة ، وسيأتي في باب الفوائد مزيد بحث عن الاستئذان .

الفوائد :

في القرطبي سبب نزول هذه الآية كما روى الطبراني وغيره عن عدي بن ثابت أن امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتي الأب فيدخل علي ، وانه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال ، فنزلت هذه الآية ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أفرأيت الحافات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن فأنزل الله ليس عليكم جناح ... الآية .

وعن أبي موسى الأشعري انه أتى باب عمر رضي الله عنهما فقال انسلام عليكم أدخل قالها ثلاثاً ثم رجع وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاثاً . واستأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أألج ؟ فقال صلى الله عليه وسلم لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فإنه لا يحسن أن يستأذن قولي له : يقول السلام عليكم أدخل فسمعها الرجل فقالها ، فقال : ادخل . وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيتاً غير بيته : حيثم صباحاً وحيتم مساءً ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد ، فصد الله عن ذلك وعلم الأحسن والأجمل .

أما البيوت التي استثناه الله فهي غير المسكونة نحو الفنادق والربط المسبلة وحوانيت البياعين والمنازل المبنية للنزول واىواء المتاع

فيها واتقاء الحر والبرد وقيل بيوت التجار وحوانيتهم في الأسواق
بدخلها للبيع والشراء .

قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى
لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٢٤﴾ وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ
أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
بِخُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ
أَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ
أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ
أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَا يَظْهَرُونَ عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ
جَمِيعًا إِنَّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٥﴾

اللفظة :

(يغضضن) : الغض : اطباق الجفن بحيث تمتنع الرؤية وفي
المصباح : « غض الرجل صوته وطرفه ومن صوته ومن طرفه غضا من باب

قتل خنض ومنه يقال غض من فلان غضاً وغضاضة إذا انتقصه» وقد أدغم في الأول أحد المثانين في الثاني بخلاف الثاني لأن الثاني في يفضضن متحرك فادغم فيه الأول وفيما سيأتي ساكن فلم يثأت إدغام الأول فيه ، قال جرير :

ففض الطرف إناك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

(زينتهن) : الزينة ما تزينت به المرأة من حللي أو كحل أو خضاب، فما كان ظاهراً منها كالخاتم والفتخة بالتحريك وهي حلقة من فضة لا فص فيها فإذا كان فيها فص فهو الخاتم ، والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل وهو - كما في الصحاح - يشبه عصاة تزين بالجوهر ويسمى التاج إكليلاً والوشاح والقرط فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين.

(بخمرهن) الخمر بضم الخاء والميم جمع خمار بكسر الخاء وهو ما تغطي به المرأة رأسها والستر عموماً ويجمع على أخمرة وخمر بضم الخاء وسكون الميم وخمر بضميتين .

(جيوبهن) : جمع جيب والجيب من القميص طوقه والقلب والصدر وعند العامة الجيب هو كيس يخاط في جانب الثوب من الداخل ويجعل فيه من الخارج .

(أولي الإربة) : أصحاب الإربة ، والإربة الحاجة وفي المصباح : « الأرب : بفتحين والإربة بالكسر والمأربة بفتح الراء وضمها الحاجة والجمع المآرب والأرب في الأصل مصدر من باب تعب يقال أرب الرجل إلى الشيء إذا احتاج إليه فهو أرب على فاعل والإرب بالكسر يستعمل في الحاجة وفي العضو والجمع آراب مثل حمل وأحمال » .

الاعراب :

(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجاً كلياً . وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ومفعوله محذوف وهو أمر آخر مثله وقد حذف لدلالة جوابه عليه وهو يغضوا من أبصارهم ويغضوا فعل مضارع جزم لأنه جواب الأمر المحذوف وهو غضوا أو مقول القول ، ومن أبصارهم : قال الزمخشري : « من للتبويض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار على ما يحل ، وجوز الأخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه » ويجوز أن تكون للبيان أو لابتداء الغاية وعلى كل حال فهي متعلقة بيغضوا وسيأتي السبب في دخول من على الأبصار دون الفروج في باب البلاغة ، ويحفظوا عطف على يغضوا وفروجهم مفعول به . (ذلك أزكى لهم إن الله خير بما يصنعون) ذلك مبتدأ وأزكى خبره ولهم متعلقان بأزكى وإن واسمها وخبرها وبما متعلقان بخير وجملة يصنعون لا محل لها . (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) تقدم اعراب نظيرتها ، أي فلا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة ولا للمرأة أن تنظر إلى الرجل فإن علاقتها به كعلاقته بها وقصدها منه كقصده منها ومن طريف ما يلفت النظر أن هذه الآية اشتملت على عدد كبير من ضمائر الاناث وقد بلغت عدتها خمسة وعشرين ضميراً ما بين مرفوع ومجرور ولم يوجد لها نظير في القرآن في هذا الصدد . (ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها) الواو حرف عطف ويبدن عطف على يغضضن فهو مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة في محل جزم والنون فاعل وزينتهن مفعول به وإلا أداة

حصر وما بدل من زينتهن وجملة ظهر منها صلة والمراد بالظاهر الوجه والكفان فيجوز أن ينظرها الأجنبي إن لم يخف فتنة كما هو مقرر في علم الفقه . (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الواو عاطفة واللام لام الأمر ويضربن فعل مضارع مبني على السكون في محل جزم بالسلام والنون فاعل وبخمرهن الباء زائدة أو تبعيضية أي يلقين خمرهن على جيوبهن أي يسترن الرؤوس والاعناق والصدور بالمقانع جمع مقنعة أو مقنعة بكسر الميم فيهما وهي ما يغطي به الرأس . (ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن) الواو عاطفة ولا ناهية ويبدن مضارع مبني في محل جزم والنون فاعل وزينتهن مفعول به وإلا أداة حصر ولبعولتهن متعلقان يبدن وهذه المستثنيات اثنا عشر نوعاً آخرها الطفل . (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناءهن أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بني أخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن) كلهن معطوفات . (أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) غير صفة للتابعين والمراد بالتابعين غير أولي الإربة موضع خلاف ، قال ابن عباس : التابع هو العنيد الاحق ، وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل هو المجبوب وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهب شهوته وقيل هو المخنث . أقول : والعنيد والمخنث هو المشبه بالنساء والشيخ الهرم وأما المجبوب فهو الذي بقي أنثياه والخصي هو الذي بقي ذكره . ومن الرجال حال وأو حرف عطف والطفل معطوف على ما تقدم وهو يعني الأطفال فالجنسية والطفل يطلق على الواحد والمجموع فلذلك وصف بالجمع وقيل لما قصد الجنس روعي فيه الجمع ، والذين صفة وجملة لم يظهروا صلة وعلى عورات النساء متعلقان بيظهروا . (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) الواو عطف على ما تقدم ولا ناهية ويضربن فعل

مضارع مبني في محل جزم بلا والنون فاعل وبأرجلهن متعلقان بيضربن، كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتققع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين فإن ذلك يورث الرجال ميلاً اليهن ويوهم أن لهن ميلاً الى الرجال ، وقال الزجاج « وسماع صوت هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من ابدائها » • (وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) الواو عاطفة وتوبوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والى الله متعلقان بتوبوا وجميعاً حال وأيها المؤمنون منادى نكرة مفعولة وقد تقدم اعرابه ولعل واسمها وجملة تفلحون خبرها وقد رسمت في المصحف دون ألف والرسم سنة متبعة •

البلاغة :

— من الاسرار التي تدق على الافهام دخول من الجارة على غض الابصار دون الفروج في قوله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم » والسر في ذلك أن أمر النظر واسع لا يني سرح في مراتع الجمال ومواطن الفتنة ، قال الزمخشري بهذا الصدد : « ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن وسوقهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات للبيع وأما أمر الفروج فمضيق » •

— ومن هذه الأسرار تقديم غض الابصار على حفظ الفروج في الآية نفسها وفي الآية التي تليها ، والسر فيه أن النظر يريد الزنا ورائده الذي لا يخطيء • وقد أفاض الشعراء في القديم والحديث فيما تحدثه

النظرة من إلهاب نار الحب ، وتأريث الحرقة التي تدفع الى ارتكاب المحرم ومن أجمل ما قيل فيه قول ابن زيدون :

حسن " أفانين لم تستوف أعيننا
غاياته بأفانين من النظر

وقال ابن الرومي :

عيني لعينك حين تنظر مقتل لكن لحظك سهم حتف مرسل
ومن العجائب أن معنى واحداً هو منك لحظ وهو مني مقتل

وسيرد في كتابنا العجيب منه •

وفيما يلي طائفة من الأحاديث الواردة بهذا الصدد :

« عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني عن ربه : النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه » أي جعلت بدله إيماناً يشعر بلذاته في قلبه •

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة : العينان زناهما النظر والأذان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » • والمعنى أن الله تعالى يعذب العين بالنار يوم القيامة لتطلعها الى محرم بقصد بلا فجاءة ، والخطا بفتح الخاء المشي الى المعصية •

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحم ؟ قال : الحم الموت » رواه البخاري ومسلم ثم قال : ومعنى كراهية الدخول على النساء على نحو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان » .

والحم بفتح الحاء وتخفيف الميم وبإثبات الواو أيضاً وبالهمز أيضاً هو أبو الزوج ومن أدلى به كالأخ والعم وابن العم ونحوهم وهو المراد هنا كذا فسرهُ الليث بن سعد وغيره وأبو المرأة أيضاً ومن أدلى به وقيل بل هو قريب الزوج فقط وقيل قريب الزوجة فقط . قال أبو عبيد في معناه يعني فليمت ولا يفعلن ذلك فاذا كان هذا رواية في أب الزوج وهو محرم فكيف بالغريب ؟ ومعنى الحمو الموت : أي الخوف منه أكثر من غيره والشر يتوقع منه والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول الى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه .

وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ
يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَيْسَتَّعْفِيفُ
الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ
الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا
وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَبِيتَكُمْ عَلَىٰ

الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْتَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْمُنَّ
فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٤﴾

اللفظة :

(الأيامي) : جمع أيم وهي من ليس لها زوج بكرة كانت أو ثيباً
ومن ليس له زوج وهذا في الاحرار والحرائر بقرينة قوله وإمائكم ،
وتجمع الأيم أيضاً على أيائم وأيّمون وأيمات يقال آم يئيم الرجل من
زوجه أو المرأة من زوجها فقدّها أو فقدته ، وأصل الأيامي أيائم كما
قال الزمخشري ومثله يتامى في يتائم وأجاز سيبويه أن يكون غير
مقلوب وأنه جمع على فعالي ، وقال الشاعر :

فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن كنت أفتى منكم أتأيم

يقول لمحبوبته : إن تتزوجي أتزوج وإن لم تتزوجي لم أتزوج ،
وجملة وإن كنت أفتى منكم اعتراضية ، والأفتى الأكثر فتية وشباباً ،
ورفع المضارع في جواب الشرط كما هنا قليل ، وقد ورد في الشعر اذا
كان الشرط فعلاً ماضياً كما هنا ، وفي الحديث : « اللهم إني أعوذ بك
من العيمة والغيمة والأيمة والكزم والقرم » أما العيمة فهي شدة شهوة
البن والغيمة شدة شهوة العطش والأيمة طول العزبة والكزم شدة
شهوة الأكل ، قال في الصحاح : كزم الشيء بمقدّم فيه أي كسره
واستخرج ما فيه ، والقرم شد شهوة اللحم •

(الكتاب) : والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة : هو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على ألف درهم فإن أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك أن تفني بذلك أو كتبت لك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق ، وله أحكام مبسوبة في كتب الفقه . وفي الأساس واللسان : « كتبت عليه كذا : قضى عليه ، وكتب الله الأجل والرزق وكتب على عباده الطاعة وعلى نفسه الرحمة وهذا كتاب الله : قدره ، قال الجعدي :

يا بنت عمي كتاب الله أخرنى عنكم وهل أمنعن الله ما فعلا

(البغاء) : الزناء وبغت فلاة بغاء وهي بغى : طلب للرجال وهن بغايا ومنه قيل للإماء البغايا لأنهن كن يباغين في الجاهلية يقال قامت البغايا على رؤوسهم ، قال الأعشى :

والبغايا يركضن أكسية الاضـريج والشرعبيّ ذا الأذيال

وفي المصباح : « وبغت المرأة تبغي بغاء بالكسر والمد من باب رمى فجرت وهي بغى والجمع البغايا وهو وصف مختص بالمرأة فلا يقال للرجل بغى قاله الأزهري والبغى القينة وإن كانت عفيفة لثبوت الفجور لها في الأصل قاله الجوهري ولا يراد به الشتم لأنه اسم جعل كاللقب والأمة تباغي أي تزاني .

الاعراب :

(وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم)
أنواو استثنائية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حكم النكاح ، والأمر

للعجوب إن كانت المرأة محتاجة للنكاح خوف الزنا أو كان الرجل محتاجاً للنكاح خوف الزنا فإن لم تكن ثمة حاجة كان الأمر للإباحة كما رأى الشافعي ، أو للندب كما رأى أبو حنيفة ومالك ، والتفصيل في كتب الفقه والأيامى مفعول به ومنكم حال والصالحين عطف على الأيامى ومن عبادكم حال وإمائكم عطف على عبادكم . (إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم) إن شرطية ويكونوا فعل الشرط والواو اسمها وفقراء خبرها ويغنيهم الله جواب الشرط ومن فضله متعلقان بيغنيهم والله مبتدأ وواسع خبر أول وعليهم خبر ثان . (وليستغفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله) الواو عاطفة واللام لام الأمر ويستغفف مضارع مجزوم بلام الأمر والذين فاعل وجملة لا يجدون صلة ونكاحاً مفعول به وحتى حرف غاية وجر ويغنيهم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والله فاعل ومن فضله متعلقان بيغنيهم . (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيما نكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً) والذين نصب على الاشتغال أي منصوب بفعل مقدر يفسره المذكور ويجوز إعرابه مبتدأ وخبره جملة فكاتبوهم والأول أرجح لمكان الأمر وجملة يبتغون الكتاب صلة ومما حال وجملة ملكت أيما نكم صلة والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وكاتبوهم فعل أمر والواو فاعل والجملة مفسرة على الوجه الأول وخبر على الوجه الثاني وإن شرطية وعلمتم فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط وفيهم متعلقان بعلمتم وخيراً مفعول به والجواب محذوف دل عليه قوله فكاتبوهم (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) وآتوهم عطف على فكاتبوهم ومن مال الله متعلقان بآتوهم والذي صفة لله وجملة آتاكم صلة للموصول . (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) الواو عاطفة ولا ناهية وتكرهوا فعل

مضارع مجزوم بلا الناهية وعلى البغاء متعلقان بتكرهوا وإن شرطية وأردن فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط وتحصناً مفعول له والجواب محذوف كما تقدم ولتبتغوا اللام للتعليل وتبتغوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والواو فاعل وعرض الحياة الدنيا مفعول به • (ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويكرههن فعل الشرط والفاء رابطة لأن الجواب جملة اسمية وإن واسمها ومن بعد إكراههن حال وغفور خبر إن الأول ورحيم خبرها الثاني •

البلاغة :

الاحتباس : في قوله تعالى « إن أردن تحصناً » فقد أقحم هذا الاعتراض ليبشع ذلك عند المخاطب ويحذره من الوقوع فيه ولكي يتيقظ أنه كان ينبغي له أن يأنف من هذه الرذيلة وإن لم يكن زاجر شرعي ، ووجه التبشيع عليه أن مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه لأنها آثرت التحصن عن الفاحشة وهو يأبى إلا إكراهها ، ولأبي السعود قول جميل في هذا الصدد : « وقوله تعالى إن أردن تحصناً ليس لتخصيص النهي بصورة إرادتهن التعفف عن الزنا وإخراج ما عداها من حكمه كما إذا كان الإكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني أو لخصوص الزمان أو لخصوص المكان أو لغير ذلك من الأمور المصححة للإكراه في الجملة بل للمحافظة على عاداتهم المستمرة حيث كانوا يكرهوهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الأمور الداعية إلى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح » •

هذا ومن المفيد أن نذكر سبب نزول هذه الآية فقد ذكروا أنها نزلت في عبد الله بن أبيّ ، كان يكره جواريه على الكسب بالزنا وكنّ ستاً فشكا منهن اثنتان الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية ، وأسماء هذه الجواري هي : معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة .

الفوائد :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » رواه البخاري ومسلم .

وانما خص الشباب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم الى النكاح بخلاف الشيوخ ، والباءة الجماع واستعمل لعقد النكاح ، قال الجوهري : الباءة مثل الباعة ومنه سمي النكاح باءة ، والوجاء أصله رض الخصيتين . قال النووي في شرح مسلم : « معناه من استطاع منكم الجماع لقدرته على مثوته وهي مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليقطع شهوته ويقطع شر منه كما يقطعه الوجاء » وهناك قول آخر وهو أن المراد بالباءة مؤن النكاح ، سميت باسم ما يلزمها وتقديره من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، قالوا : والعاجز لا يحتاج الى الصوم لدفع الشهوة فوجب تأويل الباءة بالمؤن

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ
 وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤﴾ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ مِثْلُ نُورِهِ ۚ
 كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ
 يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ
 وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ
 اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ
 وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمَهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٢٦﴾ رِجَالٌ لَا
 تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ
 يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٢٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا
 عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٨﴾

اللفظة :

(كمشكاة) : المشكاة : الكوة غير النافذة ، وقيل هي الحديدية
 أو الرصاصة التي يوضع فيها الزيت ، وقيل هي العمود الذي يوضع
 على رأسه المصباح ، وقيل ما يعلق فيه القنديل من الحديد ، وفي
 القاموس وشرحه : المشكاة كل كوة غير نافذة وكل ما يوضع فيه أو

عليه المصباح ، وقيل المشكاة حبشية معربة ، وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغة .

(زجاجة) : الزجاج بفتح الزاي وضمها وكسرهما : جسم شفاف يصنع من الرمل والقلبي والإيناء والقطعة منه زجاجة بتثنية الزاي أيضاً وأراد قنديلاً من زجاج شامي أزهر .

(دري) : مضى ، بضم الدال من غير همز وبالتشديد منسوب الى الدر شبه به لصفاته وإضاءته ، ويجوز أن يكون أصله الهمز ولكن خففت الهمزة وهو فعيل من الدر وهو دفع الظلمة بضوئه ويقرأ بالكسر على معنى الوجه الثاني ويكون على فعيل كسكيت وصديق وفي المختار : « الدرء الدفع وبابه قطع ودرأ طلع مفاجأة وبابه خضع ومنه كوكب دريء كسكيت لشدة توقده وتلاؤوه ، ودري بالضم منسوب الى الدر ، وقرىء دريء بالضم والهمزة ودريء بالفتح والهمز ، وتدارأتم وتدافعتم واختلفتم » وفي الأساس : « وكوكب دُرِّي وطلعت الدراري نسبت الى الدار وهو كبار اللؤلؤ » وفيه أيضاً : « ومن المجاز : درأ الكوكب : طلع كأنه يدرأ الظلام ودرأت النار أضاعت » .

(الآصال) : جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب ويجمع أيضاً على أصائل وأصل وأصلان .

الاعراب :

(ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين) الواو استئنافية والجسلة مستأنفة مسوقة لبيان حقيقة الآيات المنزلة . واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق

وأنزلنا فعل وفاعل وإليكم متعلقان بأنزلنا وآيات مفعول به ومبينات صفة وهي بكسر الياء وفتحها ومثلاً عطف على آيات ومن الذين صفة لمثلاً وجملة خلوا صلة ومن قبلكم حال وموعظة عطف على مثلاً وللمتقين صفة لموعظة • (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الله مبتدأ ونور السموات والأرض خبره ومثل مبتدأ ونوره مضاف إليه والكاف اسم بمعنى مثل خبر ومشكاة مضاف إليه ، ويجوز إعراب الكاف حرف جر والجار والمجرور خبر مثل ، وفيها خبر مقدم ومصباح مبتدأ مؤخر والجملة صفة لمشكاة وسيأتي تحقيق هذا الكلام في باب البلاغة وجملة مثل نوره تفسير لما قبلها فلا محل لها • (المصباح في زجاجة) مبتدأ وخبر والجملة تفسير لما قبلها فلا محل لها • (الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) الزجاجة مبتدأ وكأن واسمها وكوكب خبرها ودري صفة لكوكب والجملة خبر الزجاجة وجملة الزجاجة الخ تفسير لما قبلها فلا محل لها وجملة يوقد صفة ثانية لكوكب وفائب الفاعل مستتر ومن شجرة جار ومجرور متعلقان بيوقد وهي لا ابتداء الغاية على حذف مضاف أي من زيت شجرة ومباركة صفة لشجرة وزيتونة بدل من شجرة ولا شرقية صفة ثانية لشجرة ودخلت للتفيد النفي فلا تحول بين الصفة والموصوف ، ولا غربية عطف وسيأتي المزيد من بيان هذا المعنى في باب البلاغة • (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه فار نور على نور) هذه الجملة صفة ثالثة لشجرة ويكاد فعل مضارع ناقص من أفعال المقاربة وزيتها اسمها وجملة يضيء خبرها ، ولو الواو حالية ولو شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتمسسه فعل مضارع مجزوم بلم وجواب لو محذوف أي لأضاء بدلالة ما تقدم عليه والجملة حال فلو هنا تفيد استقصاء الأحوال أي حتى في هذه الحال وفار فاعل تمسسه ونور خبر

لمبتدأ محذوف أي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف وعلى نور متعلقان بمحذوف صفة لنور مؤكدة له وسيأتي سر تنكير النور في باب البلاغة . (يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير تنفيذ مشيئته سبحانه ، ولنوره متعلقان يهدي ومن يشاء مفعول يهدي وجملة يشاء صلة ويضرب الله فعل مضارع وفاعل والأمثال مفعول به وللناس متعلقان ييضرب ، والله الواو استئنافية أو عاطفة والله مبتدأ وبكل شيء متعلقان بعليم وعليم خبر الله . (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) في بيوت صفة لمشكاة أي كمشكاة في بيوت أو لمصباح أو لزجاجة أو متعلقان بيوقد ، وعلى هذا لا يوقف على عليم ، ولك أن تقف على عليم فتعلقه بمحذوف تقديره سبحانه في بيوت أو يسبح وقال ابن الأنباري : سمعت أبا العباس يقول : هو حال للمصباح والزجاجة والكوكب كأنه قيل : وهو في بيوت ، وقيل متعلقان بتوقد أي توقد في بيوت ، وجملة أذن الله صفة لبيوت وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض أي في أن ترفع ، ويذكر عطف على ترفع بالبناء للمجهول وفيها متعلقان ببيدكر واسمه فائب فاعل . (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) الجملة صفة ثانية لبيوت وله متعلقان يسبح وبالغدو والآصال حال ورجال فاعل يسبح وجملة لا تلهيهم صفة لرجال وتجارة فاعل تلهيهم ولا بيع عطف على تجارة وعن ذكر الله متعلقان بتلهيهم وما بعده عطف على ذكر الله . (يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) الجملة صفة ثانية لرجال أو حال من مفعول تلهيهم ويخافون فعل وفاعل ويوماً مفعول به لا ظرف وجملة تتقلب صفة ليوماً وفيه متعلقان بتقلب والقلوب فاعل تتقلب والأبصار عطف على القلوب . (ليجزيهم الله أحسن

ما عملوا ويزيدهم من فضله) اللام للتعليل ويجزيهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والهاء مفعول به أول والله فاعل وأحسن مفعول به ثان وما مضاف اليه وجملة عملوا صلة ويزيدهم عطف على ليجزيهم ومن فضله متعلقان بيزيدهم • (والله يرزق من يشاء بغير حساب) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يرزق خبر ومن مفعول به وجملة يشاء صلة وبغير حساب حال •

البلاغة :

حفلت هذه الآيات بأفانين شتى من البلاغة والبيان وسنسهب فيها بعض الشيء جريباً على ما درجنا عليه في هذا الكتاب وسنوزع هذه المباحث نجومًا متتالية •

١ - التشبيه البليغ في قوله تعالى « الله نور السماء والأرض » والمراد به المضمرة الأداة وقد سبق ذكره مع أقسام التشبيه وانما سمي بليغاً لحذف واسطة الأداة ولو جازته بسبب هذا الحذف، وقد تكلم علماء البيان مطولاً في هذا التشبيه وحاولوا تجسيد الكيفية التي ساغ فيها هذا التشبيه لأن النور كما هو معلوم كيفية أو غرض يدرك بالبصر فلا يصح حمله على الذات المقدسة ، وأحسن ما يقال فيه أن التشبيه جار على التقريب للذهن ، أي : به تعالى وبقدرته أفارت أضواء السماء والأرض واستقامت أمورها لأن ظهور الموجودات حصل به كما حصل بالضوء جميع المبصرات ، أو انه على التجوز أي منور السماء والأرض ، أو بتقدير مضاف كقولك زيد عدل أي ذو عدول •

٢ - التشبيه المرسل في قوله « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ... الآية » فقد جاء التشبيه هنا بواسطة الأداة وهي الكاف ،

والمراد أن النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناحر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق بقية مسا يقوي التور، واختلفوا في هذا التشبيه هل هو تشبيه تمثيلي أي مركب قصد فيه تشبيه جملة بجملة من غير نظر الى مقابلة جزء بجزء بل قصد تشبيه هدايه واثقانه صنعه في كل مخلوق على الجملة بهذه الجملة من النور الذي تتخذونه وهو أبلغ صفات النور عندكم ، أو تشبيه غير تمثيلي أي غير مركب قصد فيه مقابلة جزء بجزء ، وأجاز القرطبي الوجهين وهذا نص عبارته :

« قوله مثل نوره أي صفة دلالة التي يقذفها في قلب المؤمن والدلائل تسمى نوراً وقد سمي الله تعالى كتابه نوراً فقال : « وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً » وسمى نبيه نوراً فقال : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » وهذا لأن الكتاب يهدي ويبين وكذلك الرسول ، ووجه الاضافة الى الله تعالى أنه مثبت الدلالة ومبينها وواضعها ، وتحتل الآية معنى آخر ليس فيه مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثل به بل وقع التشبيه فيه لجملة بجملة وذلك أن يريد مثل نور الله الذي هو هدايه واثقانه صنعة كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه أتم على هذه الصفة التي هي أبلغ صفات النور الذي بين أيدي الناس فمثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم أيها البشر » •

وأبدع الكرخي في تحديده هذا التشبيه التمثيلي فقال :
 « ... ومثل الله نوره أي معرفته في قلب المؤمن بنور المصباح دون نور الشمس مع أن نورها أتم لأن المقصود تشيل النور في القلب والقلب في الصدر والصدر في البدن بالمصباح والمصباح في الزجاجة والزجاجة في القنديل وهذا التمثيل لا يستقيم إلا فيما ذكر أو لأن نور المعرفة له آلات يتوقف هو على اجتماعها كالذهن والفهم والعقل واليقظة وغيرها

ولأن نور الشمس يشرق متوجهاً الى العالم السفلي ونور المعرفة يشرق متوجهاً الى العالم العلوي كنور المصباح ، ولكثرة دفع الزيت وخلوصه عما يخالطه غالباً وقع التشبيه في نوره دون نور الشمع مع أنه أتم من نور المصباح » •

٣ - الطباق : في قوله تعالى « لا شرقية ولا غربية » وقد تكلم علماء البيان كثيراً عن هذا الطباق والمقصود منه ، قال الزمخشري : « وقيل لا في مضحى ولا في مقناة (وهو المكان الذي لا تطلع عليه الشمس) ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعاً فهي شرقية وغربية » •

ولابن الاثير كلام لطيف في هذا الصدد قال : « أما تمثيل نور الله تعالى بمشكاة فيها مصباح فإن هذا مثال ضربه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدل عليه انه قال : « توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية » واذا نظرت الى هذا الموضع وجدته تشبيهاً لطيفاً عجيباً وذلك أن قلب النبي صلى الله عليه وسلم وما ألقى فيه من النور وما هو عليه من الصفة الشفافة كالزجاجة التي كأنها كوكب لصفائها وإضاءتها ، وأما الشجرة المباركة المباركة التي لا شرقية ولا غربية فانها عبارة عن ذات النبي صلى الله عليه وسلم لأنه من أرض الحجاز التي لا تميل الى الشرق ولا الى الغرب وأما زيت هذه الزجاجة فإنه مضيء من غير أن تمسه نار والمراد بذلك أن فطرته فطرة صافية من الأكدار منيرة من قبل مصافحة الأنوار » •

٤ - التنكير : في تنكير قوله « نور على نور » ضرب من الفخامة والمبالغة لا أرشق ولا أجمل منه فليس هو نوراً واحداً معيناً أو غير معين فوق نور آخر مثله ، وليس هو مجموع نورين اثنين فقط بل هو عبارة عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين . وقد استهوى هذا التعبير شعراءنا العرب فرمقوا سماءه ، قال أبو تمام يصف غربته في مصر :

أخمس أعوام مضت لمغيبه وشهران بل يومان ثكل على ثكل
وقال أبو الطيب المتنبي :

أرق على أرق ومشلي يارق وجوى يزيد وعبرة تترقق
وقال شوقي في العصر الحديث يرثي المرحوم فوزي الغزي أحد
أعلام دمشق :

جرح على جرح حنانك جلق حملت مايو هي الجبال ويرهق

٥ - تشابه الاطراف : وهو أن ينظر المتكلم الى لفظة وقعت في آخر جملة من الفقرة في النشر أو آخر لفظة وقعت في آخر المصراع الأول في النظم فيبتدىء بها ... تأمل في تشابه أطراف هذه الجمل المتلاحقة « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنه كوكب دري » ومن أمثلة الشعر في قول ليلي الأخيلية في الحجاج بن يوسف :

إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة

تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من السداء العضال الذي بها
 غلام إذا هز القناة سقاها
 سقاها فرواها بشرب سجاله
 دمء رجال يحلبون حراها
 وجميل قول أبي تمام :

هوى كان خلساً إن من أبرد الهوى
 هوى جلت في افئائه وهو خامل
 أبا جعفر إنَّ الجهالة أمها
 ولود وأم العلم حذاء حائل
 فكن مضبة فأوى إليها وحره
 يعدد عنها الاعوجي المناقل
 فإن الفتى في كل ضرب مناسب
 مناسب روحانية من يشاكل
 وينسب لأبي نواس قوله :

خزيمة خير بني حازم	وحازم خير بني دارم
ودارم خير تميم وما	مثل تميم في بني آدم
إلا البهليل بني هاشم	وهم سيوف لبني هاشم

وقد يكون تشابه الاطراف معنوياً وهو أن يختتم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى لا في اللفظ كقول محمد بن عبيد الله السلامي :

بدائع الحسن فيه مفترقه	وأعين الناس فيه متفقة
سهام الحافظه مفوقه	فكل من رام لحظه رشقه
قد كتب الحسن فوق عارضه	هذا مليح وحق من خلقه

فالرشق في قافية البيت الثاني يناسب السهام في أوله .
وجميل قول السري الرفاء :

أبريقنا عاكف على قدح	كأنه الأم ترفع الولدا
أو عابد من بني المجوس إذا	توهم الكأس شعله سجدا

فالسجود مناسب للعابد في أول البيت .
وبلغ ابن الرومي الغاية في وصف مغنية :

جاءت بوجهه كأنه قمر	على قوام كأنه غصن
غنت فلم تبق في جارحة	إلا تمنيت أنها أذن

فالأذن تناسب ذكر الغناء في أول البيت .
استدراك على بعض النقاد :

هذا وقد خفيت على بعض علماء البيان أسرار التشابه في الاطراف

فجزم بأنه إذا ذكرت اللفظة في أول كلام يحتاج الى تمام فينبغي أن تعاد بعينها في آخره ومتى عدل عن ذلك كان معيباً ثم مثل ذلك بقول أبي تمام وقول أبي الطيب المتني فقال : إن أبا تمام أخطأ في قوله :

بسط الرجاء لنا برغم نوائب كثرت بهن مصارع الآمال

فحيث ذكر الرجاء في صدر البيت كان ينبغي أن يعيد ذكره أيضاً في عجزه أو كان ذكر الآمال في صدر البيت وعجزه وكذلك أخطأ أبو الطيب في قوله :

اني لأعلم والليب خبير أن الحياة وإن حرصت غرور

فإنه قال « إني لأعلم والليب خبير » وكان ينبغي أن يقول :
إلي لأعلم والليب عليم ليكون ذلك تقابلاً صحيحاً .

هذا ما ذكره الناقد وليس بشيء لأن المعتمد عليه في هذا الصدد أنه إذا كانت اللفظة في معنى أختها جاز .

٦ - المجاز العقلي : في قوله « يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار » فقد أسند إلى القلوب والأبصار التقلب والاضطراب من الهول والفرع .

وفي قوله « يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار » فن الغلو وهو الإفراط في وصف الشيء المستحيل عقلاً وعادة وهو ينقسم إلى قسمين مقبول وغير مقبول فالمقبول لا بد أن يقربه الناظم إلى القبول بأداة التقريب، إلا أن يكون الغلو في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فلا غلو حينئذ ويجب على الناظم أن يسبكه في قالب التخيلات التي تدعو العقل إلى قبولها في أول وهلة كآلية الكريمة فإن إضاءة الزيت من غير مس النار مستحيلة عقلاً ولكن لفظة يكاد قربته فصار مقبولا .

والقسم الثاني وهو الغلو غير المقبول ، كقول ابي نواس :
وأخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التي لم تخلق

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُ لَهُمْ كَسَرَابٌ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ
إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّهٖ حِسَابُهُ ۖ وَاللَّهُ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٢٩﴾ أَوْ كُظُمْتُ فِي بَحْرٍ لَّجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ
مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ
يَرْنَهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٣٠﴾

اللفظة :

(كسراب) : السراب : ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر
كأنه ماء تنعكس فيه البيوت والأشجار وغيرها ويضرب به المثل في
الكذب والخداع يقال : هو أخدع من السراب ، وسمي سراياً لأنه
يتسرب أي يجري كالماء ، يقال سرب الفحل أي مضى وسار ويسمى
الآل أيضاً ولا يكون إلا في البرية والحر فيغتر به الظمآن .

(بقية) : القية بمعنى القاع أو جمع قاع وهو المنبسط
المستوي من الأرض وفي الصحاح : « والقاع المستوي من الأرض
والجمع أقواع وقيعان فصارت الواو ياء لكسر ما قبلها والقية مثل
القاع وهو أيضاً من الواوي وبعضهم يقول هو جمع » وقال الهروي :
« والقية جمع القاع مثل جيرة وجار » وفي الأساس : « هو كسراب

بقية وبقاع ونزلوا بسراب قيعان ولهم قاعة واسعة وهي عرضة الدار وأهل مكة يسمون سفلى الدار القاعة ويقولون : فلان قعد في العرية ووضع قماشه في القاعة ، وقال :

سائل مجاور جرّم هل جنيت لهم

حرباً تفرّق بين الجيرة الخلط

وهل تركت نساء الحي ضاحية

في قاعة الدار يستوقدن بالغبط

وفي القاموس والتاج ما يفهم منه أن القاع أرض سهلة مطمئة قد افرجت عنها الجبال والآكام ويجمع على أقواع وأقووع وقيع وقيعان وقية .

(لحي) : اللحي : العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم البحر هكذا قال الزمخشري ، وقال غيره منسوب الى اللجة بالتاء وهي أيضاً معظمه .

الاعراب :

(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) كلام مستأنف مسوق لبيان حال عمل من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق بعد أن بين حال المؤمنين بضرب مثل لهم وهو « مثل نوره كمشكاة » . والذين مبتدأ أول وجمله كفروا صلة الموصول وأعمالهم مبتدأ ثان وكسراب خبر الثاني والمبتدأ الثاني وخبره خبر الأول وجمله يحسبه الظمآن صفة لسراب وماء منقول به

ثان ليحسبه وحتى حرف غاية وجر وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة جاءه في محل جر باضافة الظرف اليها وجملة لم يجده لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وشيئاً في موضع المصدر أي لم يجده وجدافاً وقيل شيئاً هنا بمعنى ما قدره وظنّه فهي مفعول به ثان ليجده وسيأتي مزيد بحث عنها في باب البلاغة . (ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) الواو حرف عطف ووجد فعل ماض وفاعل مستتر ولفظ الجلالة مفعول به وعنده متعلقان بمحذوف مفعول به ثان لوجد أي كائناً عند السراب أو العمل ، فوفاه الناء عاطفة ووفاه فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول وحسابه مفعول به ثان أي جازاه عليه في الدنيا والله مبتدأ وسريع الحساب خبر . (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب) أو حرف عطف قيل هي للتقسيم أو للتخيير أي أن عمل الكافر قسمان : قسم كالسراب وهو العمل الصالح وقسم كالظلمات وهو العمل السيئ أو أن عمل الكافر لاغ لا منفعة له كالسراب ولكونه خالياً من نور الحق كالظلمات المتراكبة والحنادس المدلّمة . قال الزجاج : « أعلم الله سبحانه أن أعمال الكفار كما أنها تشبه السراب الموصوف بتلك الصفات فهي أيضاً تشبه الظلمات، وانها ان مثلت بما يوجد فمثلها كمثل السراب ، وان مثلت بما يرى فهي كهذه الظلمات التي وصف » وقال أيضاً « إن شئت مثل بالسراب وان شئت مثل بهذه الظلمات ، فأو للإباحة » والجار والمجرور نسق على كسراب على حذف مضاف تقديره أو كذي ظلمات ويدل على هذا المضاف قوله « إذا أخرج يده لم يكدرها » أو على حذف مضافين تقديرهما كأعمال ذي ظلمات ، وفي بحر صفة لظلمات ولجي صفة لبحر وجملة يغشاه موج صفة ثانية لبحر وموج فاعل ومن فوقه خبر مقدم وموج مبتدأ مؤخر والجملة صفة لموج الأولى وجملة من فوقه سحاب

صفة لموج الثانية • (ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكذبها) ظلمات خبر لمبتدأ محذوف أي هذه ظلمات والجملة تفسير لما قبلها فلا محل لها وبعضها مبتدأ وفوق بعض الظرف متعلق بسحذوف خبر والجملة صفة لظلمات وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وجملة أخرج في محل جر باضافة الظرف اليها وفاعل أخرج ضمير الواقع في البحر المرتطم فيه ويده مفعول به ولم حرف نهي وقلب وجزم ويكذب فعل مضارع ناقص مجزوم بلم واسمها ضمير مستتر تقديره هو وجملة يراها خبر يكذب وجملة لم يكذب يراها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم • (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ولم حرف نهي وقلب وجزم ويجعل فعل الشرط والله فاعل وله مفعول به ثان ونوراً مفعول به أول ليجعل والفاء رابطة للجواب لأنه جملة اسمية وما نافية وله خبر مقدم ومن حرف جر زائد ونور مجرور لفظاً مرفوع بالاتداء محلاً والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر المبتدأ •

البلاغة :

وقد انطوت هذه الآية على أفانين من البلاغة ندرجها فيما يلي :

١ - التشبيه المرسل : فقد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة ، ولو قيل يحسبه الرائي ماء لكان بليغاً ، وأبلغ منه لفظ القرآن لأن الظمان أشد حرصاً عليه وأكثر تعلق قلب به وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أحسن التشبيه وأبلغه فكيف وقد تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة الألفاظ وصحة الدلالة وصدق التمثيل •

٢ - التشبيه التمثيلي : وقوله « ووجد الله عنده » تشبيه تمثيلي أي وجد عقابه وزبانية عذابه ، ووجه التشبيه أن الذي يأتي به الكافر من أعمال البر ويعتقد أن له ثواباً عند الله تعالى وليس كذلك فإذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الأليم فعظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمآن الذي اشتدت حاجته الى الماء فإذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه فإذا جاءه لم يجده شيئاً فكذلك حال الكافر يحسب أن عمله نافعه فإذا احتاج الى عمله لم يجده أغنى عنه شيئاً .

٣ - العطف على محذوف : في قوله تعالى « ووجد الله عنده » عطف على مقدر وليست الجملة معطوفة على « لم يجده شيئاً » بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عيناً ولا أثراً ، كأنه قيل حتى إذا جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئاً ووجدوا حكم الله وقضائه لهم بالمرصاد .

٤ - المبالغة في التشبيه : وهذا في قوله : « إذا أخرج يده لم يكذبها » وقد اختلف الناس في تأويل هذا الكلام ويكاد الاجماع ينعقد على أن المعنى أنه لا يرى يده فعلى هذا في التقدير ثلاثة أوجه : أحدها أن التقدير لم يرها ولم يكذب وهذا غير واضح لأنه تقي للرؤية ثم اتبأت لها ، ووجه ثان وهو أن كاد زائدة ولا مساغ له في القرآن فالوجه إذن انه لم يقرب أن يراها فضلاً عن أن يراها ، ومثله قول ذي الرمة :

إذا غيّر النأي المحبين لم يكذب رسيس الهوى من حب مية يبرح

أي لم يقرب من البراح ، والنأي : البعد ، ويقال رس وأرس إذا لزم والرئيس بقية المرض ، ويبرح يذهب ، وروي أن ذا الرمة لما قدم الكوفة اعترض عليه ابن شبرمة في ذلك بأنه يدل على زوال رئيس الهوى فغيره بقوله لم أجد وقال ابن عتبة حدثت أبي بذلك فقال : أخطأ ابن شبرمة وأخطأ ذو الرمة في تغييره وانما هو كقوله تعالى : « لم يكدر يراها » وبعد البيت :

فلا القرب يدنو من هواها ملالة

ولا جها إن تنزع السدار ينزح

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجَعُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ
صَتَفَتْ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ
(١١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ
اللَّهُ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ (١٣) يُقَلِّبُ
اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ (١٤)

اللفظة :

(الطير) : قال أبو عبيدة وقطرب : الطير يقع على الواحد والجمع وقال ابن الأنباري : الطير : جماعة وتأنيثها أكثر من التذكير وفي المصباح : « الطائر على صيغة اسم الفاعل من طار يطير طيراناً وهو له في الجو كشبي الحيوان في الأرض ويعدى بالهمزة والتضعيف فيقال : طئيرته وأطيرته وجمع الطائر طير مثل صاحب وصحب وراكب وركب وجمع الطير طيور وأطيّار » •

(صافات) : باسطات أجنحتهن في الهواء •

(يزجي) : يسوق وفي المختار : « زجى الشيء تزجية دفعه برفق وتزجى بكذا اكتفى به وأزجى الإبل ساقها والمزجى الشيء القليل وبضاعة مزجاة قليلة والريح تزجي السحاب والبقرة تزجي ولدها تسوقه » وفي القاموس وشرحه : « زجا يزجو زجواً وزجى تزجية وأزجى إزجاء وازدجاء ساقه ودفعه برفق يقال : كيف تزجي أيامك أي كيف تدفعها وزجى فلان حاجتي أي سهّل تحصيلها وأزجى الأمر آخره وأزجى الدرهم روجه » ومنه قول النابغة :

إني أتيتك من أهلي ومن وطني

أزجي حشاشة نفس ما بها رفق

(ركاماً) : الركّام بضم الراء المتراكم بعضه فوق بعض وفي المختار : « ركم الشيء إذا جمعه وألقى بعضه على بعض وبابه نصر وارتكم الشيء وتراكم : اجتمع والركام الرمل المتراكم والسحاب ونحوه » •

(الودق) : المطر قليل هو خاص بالضعيف وقليل هو المطر ضعيفاً
كان أو شديداً وهو في الاصل مصدر يقال ودق السحاب يدق من
باب وعد .

(سنا) : في المختار : «السنا مقصور ضوء البرق والسنا أيضاً هونبت
يتداوى به والسنا من الرفعة ممدود والشيء الرفيع وأسناه رفعه
وسناه تسنية فتحه وسهله» .

الاعراب :

(ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض) كلام مستأنف
مسوق لتقرير هذه الحقيقة ، فالهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف
نهي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم والفاعل مستتر تقديره
أنت وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تر لأن الرؤية هنا قلبية
لأن تسبيح المسبحين لا تتعلق به رؤية البصر أي قد علمت علماً يشبه
المشاهدة في اليقين ، وجملة يسبح خبر وله متعلقان بيسبح ومن فاعل
يسبح وفي السموات والأرض صلة من . (والطير صافات كلٌ قد علم
صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون) الواو للعطف والطير عطف على
من وصافات حال ومفعول صافات محذوف أي باسطات أجنحتها ، وكل
مبتدأ وساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم وجملة قد علم خبر كل
وفاعل علم يعود على كل أو على الله ، ويقول أبو البقاء إن عودته على
« كل » أرجح لأن القراءة برفع كل على الابتداء ، فيرجع ضمير
الفاعل اليه ولو كان فيه ضمير اسم الله لكان الأولى نصب كل لأن
الفعل الذي بعدها قد نصب ما هو من سببها فيصير كقولك زيداً ضرب

عمر وعلامه فتنصب زیداً بفعل دل عليه ما بعده وهو أقوى من الرفع والآخر جائز « وصلاته مفعول به وتسيحه عطف على صلته والله مبتدأ وعليم خبر وبما متعلقان بعليم وجملة يفعلون صلة ما . (والله ملك السموات والأرض والى الله المصير) الواو استئنافية والله خبر مقدم وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر والى الله خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر . (ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً) الهمزة للاستفهام التقريرى وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تر وقد تقدم اعراب نظيره ، ثم حرف عطف ويؤلف عطف على يزجي وبينه ظرف متعلق بيؤلف ودخلت بين على مفرد وهي إنما تدخل على المشنى فما فوقه لأنه إما أن يراد بالسحاب الجنس فعاد الضمير على حكمه وإما أن يراد أنه على حذف مضاف أي بين قطعه فإن كل قطعة سحابة ، ثم حرف عطف ويجعله فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به أول وركاماً مفعول به ثان . (فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد) الفاء عاطفة وترى الودق فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنت ومفعول به وجملة يخرج حال لأن الرؤية هنا بصرية ومن خلاله متعلقان بيخرج أي من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبل وجبال ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد تقدم اعرابها ونعيده هنا للتقوية فمن الأولى ابتدائية متعلقة بينزل وكذلك الثانية فهي بدل بإعادة العامل وفيها صفة لجبال ومن برد للتبعض وهي ومجرورها في موضع مفعول الانزال وقيل هي للبيان أي فتكون حالاً وتكون من جبال هي في موضع مفعول الانزال ، وأجمل بعضهم اعراب الآية فقال : والحاصل أن من في من السماء لا ابتداء الغاية بلا خلاف ومن في من جبال فيها ثلاثة أوجه :

الاول : لا ابتداء الغاية فتكون هي ومجرورها بدلا من الاولى بإعادة الخافض بدل اشتمال .

الثاني : انها للتبعيض فتكون على هذا هي ومجرورها في محل نصب على أنها مفعول الانزال كأنه قال وينزل بعض جبال .

الثالث : انها زائدة أي ينزل من السماء جبالا .

وأما من في من برد ففيها أربعة أوجه :

الثلاثة المتقدمة والرابع انها لبيان الجنس فيكون التقدير على هذا الوجه : وينزل من السماء بعض جبال التي هي البرد .

وقال الزجاج : « ومعنى الآية وينزل من السماء من جبال برد فيها كما تقول : هذا خاتم في يدي من حديد أي خاتم حديد في يدي لأنك إذا قلت هذا خاتم من حديد وخاتم حديد كان المعنى واحداً » وعلى هذا يكون من برد في موضع جر صفة لجبال كما كان من حديد صفة لخاتم ويكون مفعول ينزل من جبال ويلزم من كون الجبال برداً أن يكون المنزل برداً .

وذكر أبو البقاء أن التقدير شيئاً من جبال فحذف الموصوف واكتفى بالصفة .

(فيصيب به من يشاء ويصرفه عن يشاء) الفاء عاطفة ويصيب فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر يعود على الله وبه متعلقان بيصيب ومن مفعول به وجملة يشاء صلة الموصول ويصرفه عن يشاء عطف على الجملة السابقة وهي مسائلة لها . (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب

الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الابصار (الجملة صفة لبرد
ويكاد فعل مضارع من أفعال المقاربة وسنا برقه اسمها وجملة يذهب
بالابصار خبرها وجملة يقلب تفسير لما قبلها فلا محل لها والله فاعل يقلب
والليل مفعول به والنهار عطف على الليل وإن حرف مشبه بالفعل وفي
ذلك خبرها المقدم واللام المرحلة وعبرة اسمها المؤخر ولأولي الابصار
صفة لعبرة والأبصار بمعنى البصائر .

البلاغة :

١ - فن العنوان :

في قوله « ألم تر أن الله يزجي سحاباً » الآية فن اتفرد به القليل
من علماء البيان وهو فن العنوان ، وعرفوه بأنه أن يأخذ المتكلم في
غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو عتاب أو هجاء أو غير ذلك من
الفنون ثم يأتي لقصد تكميله وتوكيده بأمثلة من ألفاظ تكون عنوانات
لأخبار متقدمة وقصص سالفة ، ومنه نوع عظيم جداً وهو ما يكون
عنواناً للعلوم وذلك أن تذكر في الكلام ألفاظ تكون مفاتيح لعلوم
ومداخل لها ، والآية التي نحن بصددھا فيها عنوان العلم المعروف
بالآثار العلوية والجغرافيا الرياضية وعلم الفلك ، ومن أمثلته في الشعر
قصيدة أبي فراس الحمداني :

خليلي ما أعددتما لمتيم	أسير لدى الأعداء جاني المراقد
فريد عن الأحباب لكن دموعه	مثن على الخدين غير فرائد
جمعت سيوف الهند من كل وجهة	وأعددت للأعداء كل مجالد
إذا كان غير الله للمرء عدة	أنته الرزايا من وجوه الفوائد

فقد جرت الحنفاء حتف جذيمة وكان يراها عدة للشدائد
وجرت منايا مالك بن نورية حليته الحسناء يا أم خالد
وأردى ذؤابا في بيوت عتبية بنوه وأهلوه بشدو القصائد

فهذه القصص التي استطرد إليها أبو فراس تكسيلاً لقصده وتدعيماً
لرأيه مشهورة ومعروفة ، ويمكن الرجوع إليها في مظانها بكل سهولة .

وقال الفرزدق لجريز :

فهل أنت إن ماتت أتانك راكب
إلى آل بسطام بن قيس فخطاب
وإني لأخشى إن خطيت إليهم
عليك الذي لاقى يسار الكواعب

ومن حديث يسار أنه كان عبداً أسود يرعى لأهله إبلاً وكان معه
عبد يراعيه وكان لمولى يسار بنت فمرت يوماً بإبله وهي ترعى في روض
معشب فجاء يسار بعلبة لبن وسقاها وكان أفحج الرجلين فنظرت إلى
فحجه فتبسمت ثم شربت وأخذت مضجعها فانطلق فرحاً حتى أتى العبد
الراعي وقصّ عليه القصة وذكر فرحه بتبسّمها فقال صاحبه يا يسار ،
كل من لحم الحوار ، واشرب لبن العشار ، وإياك وبنات الأحرار فقال
له : دحكت لي دحكة لا أخيبها ، يريد ضحكت لي ضحكة ، ثم قام إلى
علبة فملأها وأتى إلى ابنة مولاه فنبهها فشربت ثم اضطجعت فجلس
العبد حذاءها فقالت : ما جاء بك ؟ فقال : ماخفي عنك ما جاء بي فقالت : فأبي
شيء هو ؟ قال : دحكك الذي دحكت إلي فقالت حياك الله ثم قامت

الى سبط لها فأخرجت منه بخوراً ودهناً وعمدت الى موسى ودعت
بسجرة وقالت له : إن ريحك ريح الابل وهذا دهن طيب فوضعت
البخور تحته وطأطأت كأنها تصلح البخور وأخذت مذاكيره وقطعتها
بالموسى ثم أشمته الدهن فسلت أفه وأذنيه وتركته فصار مثلاً لكل
جان على نفسه ومتعد طوره .

وزعيم هذا الباب أبو تمام فقد كان من أهم مميزات شعره
استخدامه الحوادث القديمة والحديثة في أماديحه خاصة كقوله يمدح
أبا دلف :

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها
وزادت على ما وطئت من مناقب
فأتم بذي قار أمالت سيوفكم
عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

فقد ارتقى بمديحه الى ذكر قصة قوس حاجب ، وخلاصتها أن
حاجب بن زرارة سيد بني تميم أتى الى كسرى في سنة جلب يستميره
فقال له كسرى : وما ترهنني ؟ قال قوسي ، فاستعظمه وقدم له ما طلب ،
فضرب بقوس حاجب المثل عند العرب ثم كانت وقعة ذي قار واتصر
العرب على العجم الأول مرة وحرروا أرضهم من استعمارهم وكان
الفضل يعود الى بني شيبان الذين يمت اليهم الممدوح بالنسبة ، فقال
أبو تمام منوهاً بذكر هذه الحادثة .

ويطول بنا الحديث إن تقصينا ما ورد في هذا الباب فحسبنا من القلادة ما أحاط بالجيد .

٢ - المبالغة أو الافراط في الصنعة :

وفي قوله « يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » فن سماه ابن المعتز الافراط في الصنعة ، وسماه قدامة المبالغة ، وسماه من بعدهما التبليغ ، والناس على تسمية قدامة ، وعرفه بقوله : « هو أن يذكر المتكلم حالاً لو وقف عندها لأجزأت فلا يقف عندها حتى يزيد في معنى كلامه ما يكون أبلغ في معنى قصده » وقد قدمنا في مكان آخر من هذا الكتاب ضروب المبالغات في الكتاب العزيز فلا حاجة إلى الإعادة ، وتقف عند الضرب الخامس الذي منه هذه الآية وهو ما جرى مجرى الحقيقة وهو قسسان : قسم كان مجازاً فصار بالقرينة حقيقة كهذه الآية فإن اقتران هذه الجملة بيكاد يصرفها إلى الحقيقة فانقلبت من الامتناع إلى الامكان ، وقسم أتى بصيغة اسم التفضيل وهو محض الحقيقة من غير قرينة كقوله تعالى « أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً » وقد تقدم القول فيه .

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ
وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾
وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾

الاعراب :

(والله خلق كل دابة من ماء) كلام مستأنف مسوق لبيان أصناف
الخلق ، والله مبتدأ وجملة خلق خبر وكل دابة مفعول به ومن ماء جار
ومجرور متعلقان بخلق أي نطفة بحسب الأغلب • (فمنهم من يمشي
على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين) الفاء تفرعية ومنهم خبر مقدم
ومن مبتدأ مؤخر وجملة يمشي صلة الموصول وعلى بطنه متعلقان يمشي
ومنهم من يمشي على رجلين عطف على ما سبقه • (ومنهم من يمشي
على أربع) عطف ، وسيأتي سر ذكر من لغير العاقل في باب البلاغة •
(يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) يخلق الله ما يشاء فعل
مضارع وفاعل ومفعول به وجملة يشاء صلة وإن الله ان واسمها وعلى
كل شيء متعلقان بقدير وقدير خبر إن • (لقد أنزلنا آيات مبينات والله
يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) كلام مستأنف مسوق لذكر آياته
سبحانه على طريق الالتفات كما سيأتي في باب البلاغة ، واللام جواب

للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأنزلنا فعل وفاعل وآيات مفعول به ومبينات صفة والله مبتدأ وجملة يهدي خبره ومن مفعول به وجملة يشاء صلة والى صراط متعلقان يهدي ومستقيم صفة • (ويقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان حال المنافقين ، ويقولون فعل مضارع مرفوع وفاعل وجملة آمنا مفعول القول وآمنا فعل وفاعل وبالله متعلقان بآمنا وبالرسل عطف على بالله وأطعنا عطف على آمنا • (ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) ثم حرف عطف ويتولى فعل مضارع مرفوع وفريق فاعل ومنهم صفة ومن بعد ذلك حال ، والاشارة الى القول المذكور ، والواو حالية وما فافية حجازية وأولئك اسم اشارة في محل رفع اسم ما والباء حرف جر زائد والمؤمنين مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ما والجملة حالية • (وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ودعوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل والى الله متعلقان بدعوا ورسوله عطف على الله والمراد رسول الله كقولك أعجبنى زيد وكرمه تريد كرم زيد ، واللام للتعليل ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بدعوا وبينهم ظرف متعلق بيحكم • (إذا فريق منهم معرضون) إذا فجائية وقامت مقام الفاء في ربط الجواب بشرطه وهو إذا الأولى ، وفريق مبتدأ ومنهم صفة وهي التي سوغت الابتداء به ومعرضون خبر فريق • (وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) الواو عاطفة وإن شرطية ويكن فعل الشرط ولهم خبر يكن المقدم والحق اسمها المؤخر ويأتوا جواب الشرط واليه متعلقان يأتوا ويجوز أن يتعلق

بمذعنين ، قال الزمخشري : « وهذا أحسن لتقدم صلتة ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك إلا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك إذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم » ومذعنين حال ، قال الزجاج : الاذعان الاسراع مع الطاعة وفي القاموس : « أذعن له خضع وذل وأقر وأسرع في الطاعة » .

البلاغة :

١ - صحة التفسير :

في قوله تعالى « والله خلق كل دابة » الآية : فيها فن بديع من فنون البلاغة سماه علماءها « صحة التفسير » وسماه ابن الاثير في المثل السائر « التناسب بين المعاني » وحدّده أن يأتي المتكلم في أول كلامه بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه ، إما أن يكون مجملاً يحتاج الى تفصيل أو موجهاً يفتقر الى توجيه أو محتملاً يحتاج المراد منه الى ترجيح لا يحصل إلا بتفسيره وتبيينه ووقوع التفسير على أنحاء تارة يأتي بعد الشرط أو بعد ما فيه معنى الشرط وطوراً بعد الجار والمجرور وآوفاً بعد المبتدأ الذي التفسير خبره . والآية التي نحن بصدددها مما وقع بعد الجار والمجرور فقد ذكر سبحانه الجنس الأعلى مقدماً له حيث قال : « كل دابة » فاستغرق أجناس كل ما دبّ ودرج ثم فسر هذا الجنس الأعلى بالأجناس المتوسطة والأنواع حيث قال « فمنهم » و « ومنهم » مراعيًا الترتيب إذ قدم ما يمشي بغير آلة لكونه الآية سيقت

لبيان القدرة والتمدح بها وتعجب السامعين منها ، وما يمشي بغير آلة أعجب مما يمشي بآلة فلذلك اقتضت البلاغة تقديمه ، ثم ثنى بالأفضل فالأفضل فأتى بما يمشي على رجلين وهو الانسان والطائر لتمام خلق الانسان وكمال حسن صورته وهيئته وجمال تقويمه المقتضي تخصيصه بالعقل ولما في الطائر من عجب الطيران في الهواء الدال على غاية الخفة ونهاية اللطف مع ما فيه من كثافة ، وثالث بما يمشي على أربع لأنه أحسن الحيوان البهيم وأقواه تغليبا على ما يمشي على أكثر من أربع من الحشرات فاستوعبت جميع الاقسام ، وأحسن الترتيب بالاضافة الى الترتيب والاشارة والارداف وحسن النسق .

وعرفه صاحب العمدة بأنه أن يستوفي الشاعر شرح ما بدأ به مجسلاً ، وقلما يجيء هذا إلا في أكثر من بيت واحد ومثل له بيتين للفرزدق وهما :

لقد جئت قوماً لو لجأت اليهم

طريد دم أو حاملاً ثقل مغرم

لألفيت منهم معطياً ومطاعناً

وراءك شزراً بالوشيح المقوم

واشترط صاحب العمدة سلامته من سوء التضمين قال : ومن

جيد التفسير قول حاتم الطائي ويروى لعتيبة بن مرداس :

متى ما يجيء يوماً الى المال وارثي

يجد جمع كف غير ملأى ولا صفر

يجد فرساً مثل العنان وصارماً

حساماً إذا ما هزّ لم يرض بالهبر

وأسمر خطياً كأن كعوبه

نوى القسب قد أربى ذراعاً على العشر

فهذا هو التفسير الصحيح السالم من التضمين لأنه لم يعلق كلامه
بـ « لو » كما فعل الفرزدق ومثله قول عروة بن الورد :

وإن امرأً يرجو تراثي وإن ما يصير له منه غداً لقليل

ومالي مال غير درع ومغفر وأبيض من ماء الحديد صقيل

وأسمر خطي القناة مثقف وأجرد عريان السراة طويل

هكذا أنشدوه بالاقواء ويجوز أن يرفع على القطع والاضمار
كأنه قال : هو صقيل ، أو قال : ولي أبيض من ماء الحديد يعني سيفه •
وقال ذو الرمة في التفسير :

وليل كجلباب العروس ادّرعتـه

بأربعة والشخص في العين واحد

أحمّ علا فيّ وأبيض صارم

وأعيس مهري وأروع ماجد

ففسر الأربعة ما هي ؟ ورفع على شرط ما قدمت من الإضمار كأنه
فيل له : ما الأربعة التي شخصها في العين واحد ؟ فقال كذا وكذا وكذا .
ومضى صاحب العمدة يورد نماذج من التفسير إلى أن قال :
« ومن التفسير ما يفسر فيه الأكثر بالأقل وذلك ما أتت فيه الجملة بعد
الشرح نحو قول أبي الطيب :

من مبلغ الأعراب أني بعدها

جالست رسطاليس والاسكندرا

ومللت نحر عشارها فأضافني

من ينحر البدر التضار لمن قرى

وسمعت بطيلموس دارس كتبه

متملكاً متبدياً متحضراً

ولقيت كل الفاضلين كأنما

رد الإله نفوسهم والأعصرا

نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً

وأنتى فذلك إذ أتيت مؤخراً

فقوله : « نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً » البيت تفسير مليح
فليل النظر في أشعار الناس « هذا وقال الواحدى في شرح البيت
الاخير : « جمع لنا الفضلاء في الزمان ومضوا متتابعين متقدمين عليك
في الوجود فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضل ما كان فيهم مثل
الحساب يذكر تفاصيله ثم تجمع تلك التفاصيل فيكتب في آخر الحساب
فذلك كذا وكذا فيجمع في الجملة ما ذكر في التفاصيل ، كذلك أنت
جمع فيك ما تفرق فيهم من الفضائل والعلم والحكمة » .

وقال أبو الطيب أيضاً في التفسير المستحسن :

إن كوتبوا أو لقوا أو حوربوا وجدوا

في الخط واللفظ والهجاء فرسانا

ففسر وقابل كل نوع بما يليق به من غير تقديم ولا تأخير ، ومن
التفسير الحلو قول كشاجم واسمه محمود بن الحسين :

في فمها مسك ومشمولة صرف ومنظوم من الدر
فالمسك للنكهة والخمر للر يقية واللؤلؤ للشعر

وجميل قول ابن هانئ الاندلسي :

للمدثفات من البرية كلها جسمي وطرف بابليّ أحور
والمشرقات النيرات ثلاثة الشمس والقمر المنير وجعفر

٢ - التنكير :

ونكر الماء في قوله « من ماء » وعرفه في قوله « وجعلنا من الماء كل شيء حي » لأن المقصد في الآية هنا اظهار أن شيئاً واحداً تكونت منه بالقدرة أشياء مختلفة ذكر تفاصيلها في آية النور والرعد ، والمقصد في آية « اقرب » أنه خلق الاشياء المتفقة في جنس الحياة من جنس الماء المختلف الأنواع فذكر معرفة ليشمل أنواعه المختلفة •

٣ - الاستعارة :

الاستعارة في قوله « فمنهم من يمشي على بطنه » فقد سمي الزحف على البطن مشياً على سبيل الاستعارة المكنية كما قالوا في الأمر المستمر : قد مشى هذا الأمر ، ويقال فلان لا يتمشى له أمر •

٤ - التغليب :

وفي قوله « من يمشي على بطنه ومن يمشي على أربع » تغليب للعاقل على غيره وقد مرت له ظائر كثيرة لأنه لما اختلط غير العاقل بالعاقل في الفصل بمن وكل دابة كان التعبير بمن أولى لتوافق اللفظ •

وقيل أوقع « من » على غير العاقل لما اختلط بالعاقل ويحتمل أن تكون من نكرة موصوفة بالجملة بعدها والتقدير فمنهم نوع يمشي على بطنه ونوع يمشي على رجلين ونوع يمشي على أربع على حد : ومن الناس من يعبد الله على حرف ، قال ابن هشام : ويجوز في من أن تكون نكرة موصوفة بالجملة بعدها والتقدير ومن الناس فاس يعبدون الله •

أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا
 دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ
 هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ
 هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٣﴾ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أُمِّرُوا لَيَخْرُجْنَ
 قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

الاعراب :

(أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا) كلام مستأنف مسوق لتقسيم
 الأمر في صدورهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا
 مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين أن يحيف
 عليهم لمعرفة بحاله . والهمزة للاستفهام التقريري ويبالغ به تارة في
 الذم وتارة في المدح وهو هنا من النوع الأول ، وفي قلوبهم خبر مقدم
 ومرض مبتدأ مؤخر وأم حرف عطف بمعنى بل فهي منقطعة وارتابوا
 فعل وفاعل . (أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ
 الظالمون) أم يخافون عطف على ما تقدم وأن يحيف في تأويل مصدر
 مفعول به يخافون والحيف الميل والجور في القضاء وبل حرف اضراب
 وأولئك مبتدأ وهم ضمير فصل أو مبتدأ ثان والظالمون خبر هم والجملة
 خبر المبتدأ الأول أو خبر أولئك . (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا

إلى الله ورسوله ليحكم بينهم) إنما كافة ومكفوفة وكان فعل ماض ناقص وقول خبر كان المقدم والمؤمنين مضاف إليه وإنما ترجع نصبه لأنه متى اجتمع معرفتان فالأولى جعل أوغلهما في التعريف ولكن سيبويه لم يفرق بينهما وسيأتي مزيد بحث في باب الفوائد ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة دعوا في محل جر بإضافة الظرف إليها والواو نائب فاعل وإلى الله متعلقان بدعوا ورسوله عطف على الله واللام للتعليل ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وبينهم ظرف متعلق بيحكم وجعل الزمخشري فاعل يحكم عائداً إلى المصدر لأن معناه ليفعل الحكم بينهم • (أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) أن وما حيزها اسم كان وجملة سمعنا مقول القول وأطعنا عطف على سمعنا والواو حرف عطف وأولئك مبتدأ وهم ضمير فصل أو مبتدأ ثان والمفلحون خبر هم أو خبر أولئك وقد تقدم قريباً • (ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويطع فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر تقديره هو ورسوله عطف على الله ويتقه عطف على يطع بسكون الهاء وكسرهما ومع اشباع وبدونه ، والفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك هم الفائزون تقدم فيه القول كثيراً • (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم) كلام مستأنف لحكاية قول المنافقين لرسول الله أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقمت أقمنا ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا • وأقسموا فعل ماض والواو فاعل وبالله متعلقان بأقسموا وجهد أيمانهم مفعول مطلق ، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب البلاغة ، أو حال تقديره مجتهدين ، وقد خلط الزمخشري الوجهين فجعلهما واحداً ، ولئن اللام موطئة للقسم وإن شرطية أمرتهم فعل وفاعل ومفعول به • (ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير

بما تعملون) اللام واقعة في جواب القسم ويخرجن فعل مضارع مرفوع وحذفت النون لتوالي الأمثال والواو فاعل والنون للتوكيد ولم يبن الفعل لأن النون لم تباشره ، وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولا ناهية وتقسموا فعل مضارع مجزوم بلا وطاعة خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمركم أي أمركم الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ، ويجوز أن يعرب مبتدأ محذوف الخبر أي طاعة معروفة أولى بكم وأمثل من هذه الأيمان الكاذبة ، ومعروفة صفة وجملة إن الله تعليلية لما تقدم وإن واسمها وخبر خير وبما متعلقان بخبر وجملة نعملون صلة .

البلاغة :

١ - الاستعارة :

جهد أيمانكم : لفظ مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها ، وقد استعاره للإيمان وأصله أقسم بالله جهد اليمين جهداً فحذف الفعل وقدم المصدر موضوعاً موضعه مضافاً الى المفعول كضرب الرقاب وإذا جعلته حالاً جعلته مؤولاً باسم الفاعل أي جاهدين .

٢ - صحة التقسيم :

وفي قوله تعالى : « أفى قلوبهم مرض » الآية فن يقال له صحة التقسيم وقد تقدمت الإشارة اليه فإنها لم تبق قسماً يقع في القلوب من الصوارف عن القبول إلا جاءت به ، ألا ترى أنه تعالى بعد قوله « أفى قلوبهم مرض » ذكر الريبة لأنه لا بد أن يكون الصارف عن الإجابة

فحكم الله ورسوله إما بإبطان الكفر وإظهار الاسلام وهو المرض ، أو التشكك والتردد والتذبذب في حكم الله هل هو جار على العدل أو على غيره وذلك هو الريبة ، أو يكون البصارف خوف الحيف الذي لا يشعر به رجاء الانصاف فلم يبق قسم من الصوارف حتى ذكر فيها ثم ختمها سبحانه بقوله « بل أولئك هم الظالمون » فيكون مرشحاً للايغال الذي جاء في فاصلة الآية فحقق الظلم وصفالهم في الرد عليهم ليبقي ثبوته فيهم وجوده في حكمه سبحانه فحصل من ذلك الافتتان وهو جمع الكلام بين فنيّ الفخر والهجاء فإن في وصفهم بالظلم وصف ذاته بالعدل ووصف نبيه بالعدل أيضاً فاذا أضفت الى ذلك أن الكلام قد أفرغ في قالب من النزاهة والاحتشام واشتمل الهجاء المرير على ما لا يوهم الهجاء وهو من أمضى الهجاء وأقذعه فقد أضفت الى ما تقدم فن النزاهة وهو فن مشهور من فنون البلاغة عبر عنه أبو عمرو بن العلاء بقوله : « خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلها » وابن بسام في قوله في الذخيرة : « الهجاء ينقسم الى قسمين : قسم يسمونه هجاء الاشراف وهو ما لم يبلغ أن يكون سباباً أو هجواً مستبشعاً والثاني السباب الذي أحدثه جرير وطبقته » فقد اجتمع في الآية حسن التقسيم والايغال والافتتان والنزاهة .

ومما ورد من الهجاء الموجه وليس فيه لفظ فاحش قول أبي تمام :

بني لهيعة ما بالي وبالكم وفي البلاد مناديع ومضطرب
لجاجة لي فيكم ليس يشبهها إلا لجاجتكم في أنكم عرب

الفوائد :

توسط الخبر بين الافعال الناقصة وبين أسمائهن جائر ، قال ابن

مالك : « وفي جميعها توسط الخبر أجز » قال الله تعالى « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » فحقاً خبر كان مقدم ونصر المؤمنين اسمها المؤخر ، ويؤخذ من كلام المغني أن رفع الخبر ضعيف كضعف الاخبار بالضمير عما دونه في التعريف إلا ان يمنع مانع من تقدم الخبر كحصر الخبر نحو « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » أو كخفاء اعرابها نحو كان موسى فتاك ، وقد يكون التوسط واجباً نحو كان في الدار ساكنها فتحصل ثلاثة أقسام : قسم يجوز وقسم يمتنع وقسم يجب ، وسكتوا عن تقديم أسمائهن لعدم تصوره ، إذ متى تقدم الاسم صار مبتدأ وتحمل الناسخ ضميره فلا يقال ان الاسم تقدم .

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ط فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ط وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
 ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ط يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

الاعراب :

(قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) كلام مستأنف مسوق لخطاب

المأمورين بالطاعة من جهته تعالى • وجملة أطيعوا مقول القول ولفظ
الجلالة مفعول به وأطيعوا الرسول عطف على أطيعوا الله • (فإن تولوا
فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم) الفاء عاطفة وإن شرطية وتولوا
فعل الشرط وهو مضارع حذفته إحدى تاءيه ، فإنما الفاء رابطة
للجواب والجواب محذوف أي إن تتولوا عن الطاعة إثر ما أمرتم بها
فاعلموا أنما عليه السلام ما حمل أي ما أمر به من التبليغ ، وإنما كافة
ومكفوفة وعليه خبر مقدم وما حمل مبتدأ مؤخر وجملة حمل صلة
وعليكم ما حملتم عطف على ما تقدم • (وإن تطيعوه تهتدوا وما على
الرسول إلا البلاغ المبين) الواو عاطفة وإن شرطية وتطيعوه فعل الشرط
وهو فعل وفاعل ومفعول به وتهتدوا جواب الشرط والواو حالية أو
استثنائية وما قافية وعلى الرسول خير مقدم وإلا أداة حصر والبلاغ
مبتدأ مؤخر والمبين صفة • (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) كلام مستأنف مسوق لتقرير المصير
للمؤمنين الذين يعملون الصالحات والتمكين لهم في الأرض • ووعد
الله الذين فعل وفاعل ومفعول به وجملة آمنوا صلة ومنكم حال وعملوا
الصالحات عطف على آمنوا ومفعول وعد الثاني محذوف تقديره
الاستخلاف لدلالة قوله ليستخلفنهم عليه ، واللام جواب قسم مضمرة
أي أقسم ليستخلفنهم وفي الأرض متعلقان بليستخلفنهم ولك أن تنزل
وعد منزلة أقسم فتلقى بما يتلقى به القسم • (كما استخلف الذين من
قبلهم) الكاف نعت لمصدر محذوف أي استخلفاً كاستخلاف الذين
من قبلهم ، والذين مفعول استخلف ومن قبلهم متعلقان بمحذوف صلة
الذين • (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وليمكنن عطف على
ليستخلفنهم فهو مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة
ولهم متعلقان بيمكنن ودينهم مفعول به والذي صفة وجملة ارتضى صلة

والعائد محذوف أي ارتضاه ولهم متعلقان بارتضى • (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً) وليبدلنهم عطف على ما تقدم والهاء مفعول به أول ومن بعد خوفهم حال وأمناً مفعول به ثان • (يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) جملة يعبدونني استئنافية على الأرجح فلا محل لها وكأنها جواب لسؤال مقدر أي ما بالهم قليل يعبدونني واختار بعض المعربين أن تكون حالاً من مفعول وعد أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم فمحلها نصب أو حال من مفعول ليستخلفنهم • وجملة لا يشركون بي شيئاً بدل منها ولك أن تجعلها حالاً من فاعل يعبدونني أي يعبدونني موحدين وهو جيد ولك أن تجعلها استئنافية كسابقها ، وشيئاً مفعول مطلق أو مفعول به وقد تقدم مثله كثيراً ، ومن كفر الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ وكفر فعل ماض فعل الشرط وبعد ذلك متعلق بكفر ، فأولئك هم الفاسقون الجملة جواب الشرط وقد تقدم اعراب نظيرتها •

الفوائد :

ذكر التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بسكة عتر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل : ما يأتي علينا يوم فأمن فيه ونضع السلاح فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تغربون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم الملاً العظيم محتبياً ليس معه حديدة ، فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ، ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الأنعم وفسقوا وذلك قوله صلى الله عليه

وسلم « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكاً
ثم تصير بزّيزى قطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها »
ومعنى بزّيزى قال في الصحاح بزه يزه بزّاً : سلبه والاسم البزّيزى
مثل الخصيّصى •

وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾
لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَهُمْ إِلَّا نَارُ لِبئسَ الْمَصِيرُ
﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَعِذَّكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ
يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ
ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْدَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

الاعراب :

(وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)
كلام معطوف على وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ قال الزمخشري :
« وليس بعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال
لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه » ولك أن تعطفه على

محذوف يقتضيه السياق وتقديره فأمنوا واعملوا صالحاً وأقيموا الصلاة واعرأب الجملة واضح كل الوضوح . (لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض وماوأهم النار ولبئس المصير) لا ناهية وتحسبن فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والذين مفعول تحسبن الأول وجملة كفروا صلة ومعجزين مفعول تحسبن الثاني وفي الأرض متعلقان بسحذوف حال ومتعلق بمعجزين محذوف أي لنا ، وماوأهم عطف على لا تحسبن الذين كفروا عطف خبر إنشاء على رأي بعضهم أو معطوف على مقدر تقديره بل هم مفهرون مدركون وماوأهم ولعله أولى لأنه يكون عطف خبر على خبر ، وماوأهم مبتدأ والنار خبره أو بالعكس ، ولبئس اللام موطئة للقسم وبئس فعل ماض جامد للذم والمصير فاعل والمخصوص بالذم محذوف أي مصيرهم ، يعني النار . (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) جملة مستأنفة مسوقة لبيان حكم الاستئذان وسيأتي في باب الفوائد المزيد منها ، واللام لام الأمر ويستأذنكم فعل مضارع مجزوم بلام الأمر والكاف مفعول به والذين فاعل وجملة ملكت أيمانكم صلة . (والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر) والذين عطف على الذين وجملة لم يبلغوا الحلم صلة ومنكم حال وثلاث مرات نصب على الظرفية أو المفعولية المطلقة فان قدرت بمعنى ثلاثة أوقات فهي ظرف وان قدرت بمعنى ثلاثة استئذانات فهي مفعول مطلق ومن قبل صلاة الفجر بدل من ثلاث مرات ويجوز أن يكون في محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هل من قبل ، وانما وجب الاستئذان في ذلك الوقت لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح الغلائل وما يتنام فيه من الثياب . (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) وحين عطف على محل من قبل صلاة الفجر وجملة تضعون مجرورة بإضافة الظرف إليها وثيابكم مفعول

به ومن الظهيرة حال أي حين ذلك الوقت الذي هو الظهيرة أو بتضعون فتكون من بمعنى في • (ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم) ومن بعد صلاة العشاء عطف على ما قبله وثلاث عورات خبر لمبتدأ محذوف مقدر بعده مضاف وقام المضاف اليه مقامه أي هي أوقات ثلاث عورات وسمي كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها • والعورة : الخل ، وفي الصحاح : أعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب ، والأعور : المختل العين • (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض) جملة ليس عليكم النخ صفة لثلاث عورات والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان وعليكم خبر ليس المقدم وجناح اسمها المؤخر وبعدهن ظرف متعلق بمحذوف صفة لجناح وطوافون خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم وعليكم متعلقان بطوافون لأنه صيغة مبالغة لاسم الفاعل وبعضكم مبتدأ وعلى بعض خبره أي طائف على بعض بدلالة طوافون ويجوز أن يعرب بدلاً من قوله طوافون ، ولأبي حيان كلام مطول فيه لا جدوى منه • (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) الكاف نعت لمصدر محذوف وقد تقدم كثيراً ، ويبين الله لكم الآيات فعل مضارع وفاعل ومفعول به والله مبتدأ وليم خبر أول وحكيم خبر ثان •

الفوائد :

روي أن مدليج بن عمرو وكان غلاماً أنصاريّاً أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو قائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا

وآبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهي إحدى الآيات المنزلة بسبب عمر ، وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قالت: إنا ندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد، وقيل : دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً اطلع من بعض حجر النبي صلى الله عليه وسلم فقام اليه النبي صلى الله عليه وسلم بمشقص أو مشاقص فكأنني أنظر اليه يختل الرجل ليطعنه ، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ولفظه : « ان أعرابياً أتى باب النبي صلى الله عليه وسلم فألقم عينه خصاصة الباب فبصر به النبي صلى الله عليه وسلم فتوخاه بحديدة أو عودة ليفقأ عينه فلما أن أبصره انقمع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أما انك لو ثبت عليك لفقأت عينك » .

والمشقص : بكسر الميم بعد شين ساكنة وقاف مفتوحة هو سهم له نصل عريض وقيل طويل ، وقيل هو النصل العريض نفسه وقيل الطويل .

ويختله : بكسر التاء أي يخدعه ويраوغه .

وخصاصة الباب : بفتح الخاء المعجمة وصادين مهملتين هي الثقب فيه والشقوق ومعناه أنه جعل الشق الذي في الباب محاذياً عنه .

توخاه : أي قصده بتشديد الخاء المعجمة .

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ
 النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
 غَيْرَ مُتَبَرِّجَتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾
 لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ
 وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
 أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
 عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ
 صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا
 فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
 الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

اللفظة :

(والقواعد) : جمع قاعد بغير تاء وفي المصباح : « وقعت المرأة
 عن الحيض أسنت وانقطع حيضها فهي قاعد بغير تاء والجمع فواعد

وقعدت عن الزوج فهي لا تشتهيه » ولولا تخصيصهن بذلك لوجبت التاء نحو ضاربة وقاعدة من القعود المعروف .

(متبرجات) : مظهرات للزينة ، وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج محركة سعه العين يرى بياضها محيطاً بسوادها كله لا يغيب منه شيء إلا انه اختص بأن تتكشف المرأة للرجال بابداء زينتها وإظهار محاسنها للرجال وفي المختار : « والتبرج اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال » فالبرج يعطي معنى الاتساع يقال برج يبرج برجاً من باب تعب اتسع أمره في الأكل والشرب ونحوهما ، وبرجت عينه اتسعت بحيث يرى بياضها محدقاً بالسواد كله ، والبرج الركن والحصن والقصر وكل بناء مرتفع على شكل مستدير أو مربع ويكون منفرداً أو قسماً من بناية عظيمة وجمعه برج بضمتين وأبراج وأبرجة ، والبرج أيضاً أحد بروج السماء وهي اثنا عشر : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ، والبارجة سفينة كبيرة للقتال وتجمع على بوارج ، ومن أقوالهم : ما فلان إلا بارجة قد جمع فيه كل الشر أي انه شرير .

(صديقكم) الصديق يكون واحداً أو جمعاً وكذلك الخليط والقطين والعدو وهو الصادق في المودة والمخالطة ، قال الشاعر :

دعون الهوى ثم ارتسين قلوبنا بأعين أعداء وهن صديق

ومن هنا اختلس أبو نواس معناه في قوله :

إذا امتحن الدنيا ليب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

(أشتاتاً) : جمع شت بمعنى التفرق وفي المختار : « أمرشت بالفتح أي متفرق ، تقول : شت الأمر يشت بالكسر من باب ضرب شتاً وشتاتاً بفتح الشين فيهما أي تفرق » •

الاعراب :

(وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) كلام مستأنف مسوق لتقرير حكم الأطفال الذين خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التي يحكم فيها بالبلوغ في وجوب الاستئذان وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة بلغ الأطفال مجرورة بإضافة إذا إليها ومنكم حال والحلم مفعول به والفاء رابطة لجواب إذا واللام لام الأمر ويستأذنوا مضارع مجزوم باللام وكما نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أي استئذاناً كاستئذان الذين من قبلهم والذين فاعل ومن قبلهم متعلقان بالصلة • (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) الكاف نعت لمصدر محذوف ويبين الله فعل مضارع وفاعل ولكم متعلقان بيبين وآياته مفعول به والله مبتدأ وليم خبر أول وحكيم خبر ثان • (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً) الواو استئنافية والقواعد مبتدأ ومن النساء حال واللاتي صفة للقواعد لا للنساء ، إذ لا يبقى مسوغ لدخول الفاء في خبر المبتدأ وجملة لا يرجون صلة ويرجون فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة والنون فاعل ونكاحاً مفعول به •

(فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة) الفاء واقعة في جواب الموصول لأن الألف واللام في القواعد بمعنى اللاتي

فعدن وجملة ليس خبر القواعد وعليهن خبر ليس المقدم وجناح اسمها المؤخر وأن وما في حيزها في موضع نصب بنزع الخافض أي في أن يضعن ثيابهن بمعنى ينزعن ثيابهن فيجوز النظر الى أيديهن ووجوههن وسيأتي مزيد بسط لهذه الآية في باب البلاغة ، وغير متبرجات حال وبزينة متعلقان بمتبرجات واعتبرها بعضهم بمعنى اللام أي غير مظهرات لزينة واعتبر آخرون الباء للتعدي أي غير مظهرات زينة . وفي حاشية الشهاب على البيضاوي « قوله غير مظهرات زينة أشار به الى أن الباء للتعدي ولذا فسر بمتعد مع أن تفسير اللام بالمتعدي كثير ويؤيده أن أهل اللغة لم يذكروه متعدياً بنفسه ولم نر من قال تبرجت المرأة حليها ، وليست الزينة مأخوذة في مفهومه حتى يقال : انه تجريد كما توهم فمن قال انه اشارة الى زيادة الباء في المفعول به فقد أخطأ » . (وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم) الواو عاطفة وأن وما في حيزها مبتدأ وخير خبر ولهن متعلقان بخير أي والاستعفاف من الوضع خير لهن ، لما ذكر الجائز أعقبه بالمستحب بعثاً منه على اختيار أفضل الاعمال وأحسنها كقوله « وأن تعفوا أقرب للتقوى » « وأن تصدقوا خير لكم » والله مبتدأ وسميع خبر أول وعليم خبر ثان . (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) كلام مستأنف مسوق لأمر اختلف العلماء في تأويله ، وأقرب ما ذكروه من تلك التأويلات : ان هؤلاء الطوائف الثلاث كانوا يتخرجون عن مؤاكلة الاصحاء فإن الأعمى ربما سبقت يده الى أطيب الطعام فسبقت البصير اليه ، والأعرج يتفصح في مجالسه فيأخذ مكاناً واسعاً فيضيق على السليم ، والمريض لا يخلو من حالة مؤذية لقرينه وجليسه ، فنزلت هذه الآية وسيأتي في باب الفوائد بقية الاقوال .

وليس فعل ماض ناقص وعلى الاعمى خبرها المقدم وخرج اسمها المؤخر ولا على الاعرج حرج عطف على ما سبقه وكذلك ما بعده .
 (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) الواو استثنائية وما بعدها كلام مستأنف لتقرير إباحة ما حرموه على أنفسهم ففي القرطبي « انه لما أنزل الله » يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » قال المسلمون : إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل وإن الطعام من أفضل الاموال فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فنزلت « ولا نافية وعلى أنفسكم خبر مقدم وأن وما في حيزها مبتدأ مؤخر ومن بيوتكم متعلقان بتأكلوا . (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو إخوانكم) عطف على ما تقدم وإخوانكم بمعنى إخوانكم . (أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم) عطف أيضاً على ما سبق . (أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم) عطف أيضاً على ما سبق . (أو ما ملكتم مفاتيحه أو صديقكم) ما عطف على ما سبق وجملة ملكتم صلة ومفاتيحه مفعول به والمراد بها أموال الرجل إذا كان له عليها قيم أو وكيل يحفظها له ، والمفاتيح جمع مفتاح وتجمع على مفاتيح والمراد الخزائن ، وأو حرف عطف وصديقكم معطوف على ما سبق . (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) الجملة بدل من الجملة السابقة وأن تأكلوا أن وما في حيزها نصب بنزع الخافض أي في أن تأكلوا وجميعاً حال وأشتاتاً عطف على جميعاً والمعنى أنهم لما تخرجوا في الاجتماع على الطعام والمشاركة فيه لاختلاف الآكلين بسين أنه لا حرج عليهم أن يأكلوا مجتمعين ومتفرقين وسيأتي مزيد بسط لهذا كله في بابي البلاغة والنوائد . (فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة دخلتم في محل جر باضافة الظرف إليها وبيوتاً نصب على المفعولية

على السعة ، وقد اختلف في المراد بهذه البيوت والصحيح أنها عامة لأنه لا دليل على التخصيص ، فسلموا الفاء رابطة وسلموا فعل أمر وفاعل وعلى أنفسكم متعلقان بسلموا وتحية منصوب على المصدر من معنى سلموا فهو مرادفه كقعدت جلوساً وفرحت جزلاً ومن عند الله صفة لتحية أو بنفس التحية ومباركة صفة وطيبة صفة أيضاً أي يرجى بها زيادة الخير وتطيب بها نفس المستمع • (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) الكاف نعت لمصدر محذوف ويبين الله فعل مضارع وفاعل ولكم متعلقان يبين والآيات مفعول به ولعل واسمها وجملة تعقلون خبر لعل •

البلاغة :

١ - عكس الظاهر :

في قوله تعالى : « غير متبرجات بزينة » فن يطلق عليه بعض علماء البيان اسم عكس الظاهر وبعضهم يسميه قبي الشيء بإيجابه وقد سميت الإشارة إليه في كتابنا وهو من محاسن الكلام فإذا تأملته وجدت باطنه قبياً وظاهره إيجاباً ، أو أن تذكر كلاماً يدل ظاهره على أنه قبي لصفة موصوف وهو قبي للموصوف أصلاً ومن أهم أبياته قول امرئ القيس :

على لاحب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود النباطي جرجرا

فاللاحب هو الطريق الواضح والمنار هو العلامة توضع على الطريق للمهتدي وفي الحديث « إن للدين صوى ومناراً كمنار الطريق »

وسأفه شمه والعود المسن من الابل والنباطي : الضخم وجرجر رغا وضج وأخرج جرتة فقوله « لا يهتدى بمناره » لم يرد أن له مناراً لا يهتدى به ولكن أراد أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار .

وكذلك المراد هنا والقواعد من النساء اللاتي لا زينة لهن فيتبرجن بها لأن الكلام فيمن هي بهذه المثابة ، وكأن الغرض من ذلك أن هؤلاء استغفاهن عن وضع الثياب خير لهن فما ظنك بذوات الزينة من الثياب ، وأبلغ ما في ذلك أنه جعل عدم وضع الثياب في حق القواعد من الاستغفاف إيذاناً بأن وضع الثياب لا مدخل له في العفة ، هذا في القواعد فكيف بالكواعب ؟!

٢ - الايضاح :

وفي قوله « ولا على أنفسكم الآية » فن الايضاح وهو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس ثم يوضحه في بقية كلامه ، والإشكال الذي يحله الايضاح يكون في معاني البديع من الألفاظ وفي اعرابها ومعاني النفس دون الفنون ، وقد سبق ذكره في هذا الكتاب ، وهنا في هذه الآية ترد على ظاهرها أسئلة أولها : ما الفائدة في الاخبار برفع الجناح عن أكل من بيته ؟ وكيف يظن أن على من أكل من بيته جناحاً ؟

وثانيها : لم يذكر بيوت الأولاد كما ذكر بيوت غيرهم من الاقارب-القريبة ؟

وثالثها : ما فائدة قوله « أو ما ملكتم مفاتحه » وظاهر الحال أن هذا داخل في قوله « من بيوتكم » ؟

ورابعها : كيف وقعت التسوية بين الصديق وبين هؤلاء الأقارب ؟
والأجوبة التي تتضح بها هذه الاشكالات الأربعة هي :

الجواب الأول :

أما فائدة الإخبار برفع الجناح عن أكل من بيته فإنما ذكر ذلك
نوطئة ليبيني عليه ما يعطفه على جملة من البيوت التي قصد إباحة الأكل
منها ، فإنه إذا علم أن الانسان لا جناح عليه أن يأكل من بيته فكذلك
لا جناح عليه أن يأكل من هذه البيوت ليشير الى أن أموال هذه القرابة
كمال الانسان ، وإذا تساوت هذه الأموال سرى ذلك التساوي الى
الازواج ، فيكون سبحانه قد أدمج في ذلك الحض على صلة الارحام
ومعاملتهم معاملة الانسان نفسه .

الجواب الثاني :

وأما عدم ذكر بيوت الأولاد فإنما ذكر من الأموال ما يظن بأن
الأكل منه محظور فاحتاج الى بيان الإباحة ، وأما أموال الأولاد فتصرف
الوالدين فيها كتصرفهم في أموالهم أنفسهم ، لأن ولد الرجل بعضه
وحكمه حكم نفسه ، ألا ترى أن الشرع يوجب على الولد تفقة الوالدين
إذا كانا محتاجين ؟ وفي الحديث : « إن طيب ما يأكل المرء من كسبه وإن
ولده من كسبه » .

الجواب الثالث :

وأما زعم القائل بأن الكلام فيه تداخل لأن قوله « أو ما ملكتم
مفاتيحه » هو ما في بيوتهم فإنه يحتمل أن يراد بما في البيوت المال التليد

العتيد وما ملك الانسان مفاتحه : المال الطريف، المكتسب الذي يتسبب
الانسان في تحصيله ويتعب في اكتسابه .

الجواب الرابع :

وأما سر التسوية بين الصديق وبين هؤلاء الاقارب فهو تعريف
حق الصديق الذي ساوى باطنه ظاهره في اخلاص المودة ، ولا يسمى
صديقاً حتى يكون كذلك ، فإن اشتقاق اسمه من صدق المحبة وصفاء
المودة وهو الذي أشار اليه سبحانه بقوله « ولا صديق حسيم » فإذا
كان الصديق بهذه المثابة وعلى هذه الصفة ساوى هذه القرابة القريبة
فليس على الانسان جناح إذا تصرف في ماله تصرفه في مال نفسه .

فنون أخرى في الآية الكريمة :

هذا وقد اشتملت هذه الآية الكريمة بعض إيضاح هذه الإشكالات على
تسعة أضرب من فنون البديع ندرجها فيما يلي مع التلخيص والاختصار:

أ - صحة التقسيم : وذلك لاستيعاب الكلام جميع أقسام
الأقارب القريبة بحيث لم يغادر منها شيئاً .

ب - التهذيب : وذلك في انتقال الكلام على مقتضى البلاغة في هذا
المكان ، فإن مقتضى البلاغة تقديم الأقرب فالأقرب كما
جاء فيها .

ج - حسن النسق : وذلك في اختياره « أو » لعطف الجمل وهي
تدل على الإباحة .

د - الكناية : فقد كنى سبحانه عن الأموال بالبيوت التي
هي حرز الأموال ومقرها من باب تسمية الشيء بما
جاوره ، كقولهم : سال الميزاب وجرى النهر .

هـ - المناسبة : وذلك بمناسبة الألفاظ بعضها ببعض في الزنة وهي واضحة في لفظة آبائكم وأخوانكم وأعمامكم وأخوالكم .

و - المثل : وذلك في قوله : « ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً وأشتاتاً » خرج مخرج المثل السائر الذي يصح أن يتشبه به في كل واقعة تشبه واقعته .

ز - التذييل : فإن الكلام الذي خرج مخرج المثل جاء تذييلاً لمعنى الكلام المتقدم لقصد توكيده وتقريره .

ح - المطابقة : وذلك في قوله « جميعاً أو أشتاتاً » فإن هاتين اللفظتين تضادتان تضاداً أوجب لهما وصفها بالمطابقة لأن المعنى جميعاً أو متفرقاً .

ط - المقارنة : وذلك في موضعين : أحدهما اقتران التمثيل بالتذييل كما تقدم بيانه ، والثاني اقتران المطابقة بالتمكين فإن فاصلة هذا الكلام في غاية التمكن .

الفوائد :

ذكرنا في باب الاعراب أقرب الوجوه في تأويل قوله تعالى « ليس على الأعمى حرج » الآية ووعدناك بأن نورد بقية الوجوه التي ذكرها المفسرون : فقد كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت أزواجهم وأولادهم والى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها ، فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا أن يلحقهم

فيه حرج وكرهوا أن يكون أكلاً بغير حق لقوله تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » فقليل لهم ليس على الضعفاء ولا على أنفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك .

وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتخرجون ، حكى عن الحارث بن عمرو أنه خرج غازياً وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهوداً فقال : ما أصابك ؟ قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي أن آكل من مالك فقل لي ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تخرجوا منه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت .

وقيل نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام قوله « ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج » .

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ؕ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ ؕ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ؕ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْ أَدَّاهُمْ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ؕ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي

الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٥﴾

اللفظة :

(يتسللون) : ينسلون واحداً بعد واحد أو قليلاً قليلاً .
(لواذاً) : في القاموس : « اللوذ بالشيء الاستتار والاحتضان به كاللواذ مثلثة واللياذ والملاوذة والاحاطة كالإلاذة وجانب الجبل وما يطيف به ومنعطف الوادي والجمع ألواذ » وكان المنافقون يخرجون متسترين بالناس من غير استئذان حتى لا يثروا ، والمفاعلة لأن كلا منهما يلوذ بصاحبه فالمشاركة موجودة وانما صحت الواو في لواذاً مع انكسار ما قبلها لأنها تصح في الفعل الذي هو لاوذ ولو كان مصدر لاذلكان لياذ مثل صام صياماً وقام قياماً .
(يخالفون) : يقال خالفه الى الأمر إذا ذهب إليه دونه وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه .

الاعراب :

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير حال المنافقين الذين كان يعرض بهم النبي في مجالسه وخطبه .
وانما كافة ومكشوفة والمؤمنون مبتدأ والذين خبره وجملة آمنوا بالله ورسوله صلة الموصول أي هؤلاء هم المؤمنون الكاملو الايمان ، أما

المنافقون فكانوا إذا جلسوا في مجلسه يرامقون أصحابه فإن بدرت لهم منهم غفلة عنهم تسللوا لوإذا وذهبوا خفية من غير استئذان . (وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة كانوا في محل جر باضافة الظرف اليها والواو اسم كان ومعه ظرف متعلق بمحذوف خبر وعلى أمر متعلقان بمحذوف حال ولك أن تعكس الأمر وجامع صفة لأمر كالحروب وصلاة الجمعة والعيدين وسيأتي معنى اسناد الجمع للأمر في باب البلاغة ، وجملة لم يذهبوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وحتى حرف غاية وجر ويستأذنوه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ويستأذنوه فعل وفاعل ومفعول به . (إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) ان واسمها وجملة يستأذنوك صلة ، وأولئك مبتدأ والذين خبره وجملة يؤمنون بالله ورسوله صلة الموصول ، والجملة الاسمية خبر إن . (فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأئذن لمن شئت منهم) الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة استأذنوك مجرورة باضافة الظرف اليها ولبعض شأنهم متعلقان باستأذنوك بمثابة التعليل للاستئذان ، فأئذن الفاء رابطة لجواب إذا وأئذن فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولمن متعلقان به وجملة شئت صلة ومنهم حال وفيه تفويض الأمر لرأي رسول الله . (واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم) واستغفر عطف على فأئذن ولهم جار ومجرور متعلقان باستغفر وجملة ان الله غفور رحيم تعليل للاستغفار فلا محل لها . (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) اضطربت عبارات المفسرين في تفسير هذا التعبير وأقرب ما قيل فيه : لا تجعلوا دعاء إياكم كدعاء بعضكم بعض فتلكثون وتحجبون كما يتلكأ ويحجم بعضكم عن بعض إذا دعاه الأمر فالمصدر

وهو دعاء مضاف الى الفاعل ويجوز أن يكون مضافاً الى المفعول أي دعاءكم الرسول ونداءكم له كدعاء ونداء بعضكم لبعض . ولا فاهية وتجعلوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل ودعاء الرسول مفعول به وبينكم ظرف متعلق بمحذوف حال والكاف بمعنى مثل مفعول به ثان وبعضكم مضاف لدعاء وبعضاً مفعول به لدعاء ونصبه بعضهم بنزع الخافض أي لبعض وذلك متحتم عندما يقدر دعاء مضافاً لمفعوله . (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواداً) قد هنا بمعنى ربما وذلك مطرد في دخولها على المضارع وسيأتي مزيد تفصيل عنها في باب الفوائد، ويعلم الله فعل مضارع وفاعل وجملة يتسللون صلة ومنكم متعلقان يتسللون ولواداً يجوز أن ينصب على المصدر من معنى الفعل إذا كان التقدير يتسللون منكم تسلاً أو يلاوذون لواداً ، ويجوز أن يكون مصدر في موضع نصب على الحال أي ملاوذين . (فليحذر الذين يخافون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) الفاء الفصيحة أو عاطفة على « قد يعلم » لأنها مترتبة عليه واللام لام الأمر ويحذر فعل مضارع مجزوم بلام الأمر والذين فاعل وجملة يخافون صلة ومفعول يخافون محذوف وهو الله تعالى لأنه الأمر وجيء بـ « عن » لتضمنه معنى الصد والاعراض وأن يصيبهم مفعول يحذر وفتنة فاعل أو يصيبهم عذاب أليم عطف على أن تصيبهم فتنة . (ألا إن الله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أتم عليه) قد للتكثير كما تقدم وكما سيأتي ويعلم فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله تعالى وما مفعول به وأتم مبتدأ وعليه خبر والجملة صلة . (ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم) ويوم عطف على مفعول يعلم أي ويعلم ما يرجعون وجملة يرجعون صلة ويرجعون بالبناء للمجهول ، فينبئهم عطف على

يعلم والهاء مفعول وبما عملوا في موضع المفعول الثاني والله مبتدأ
وبكل شيء متعلقان بعليم وعليم خبر •

الفوائد :

تقدم القول في « قد » ونضيف هنا أنها إذا دخلت على المضارع
أفادت التكثير وكانت بمعنى « ربما » ومن ذلك قول زهير بن
أبي سلمى :

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله

ف « قد » هنا للتكثير وإلا لم يكن مدحاً ، والثقة من وثق كالعدة
من وعد ، وإسناد الإهلاك إلى الخمر مجاز عقلي وكذلك إسناده إلى
النائل أي العطاء ، والمراد وصفه بالكرم ، ومن أمثلة « ربما » قول
ابن عطاء السندي يرثي ابن هبيرة :

ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود
عشية قام النائحات وشققت جيوب بأيدي مآتم وخدود
فإن تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود

وواسط موضع الواقعة التي قتل المنصور فيها ابن هبيرة ، والمآتم
مكان الإقامة استعمل في جماعة النساء الحزينات مجازاً وجمعه مآتم ،
يقول : إن كل عين لم تبك عليك ذلك اليوم شديدة الجمود • وعشية
بدل من يوم ، وجيب القميص مخرج الرأس منه أي مزقت الجيوب
والخدود بأيدي النساء ، ثم التفت إلى الخطاب ، وقوله فإن تمس
مهجور الفناء كناية عن الموت ، فربما أي كثيراً أقام بفناء بيتك جموع
من الناس بعد جموع يستمنحونك ، فإن يهجر فناؤك الآن فلا حزن
لأنه كثيراً ما اجتمع فيه الناس ومنحوا خيراً ••

سُورَةُ الْفُرْقَانِ
مَكِّيَّةٌ وَلَانِهَا سَبْعٌ وَشِصْعُونَ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرُهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً
لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا
يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا
إِفْكٌ أَفْتَرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا
أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ
الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾

اللفظة :

(تبارك) : البركة زيادة الخير وكثرته ، والزيادة تكون حسية ومعنوية أي تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في

صفاته وأفعاله ، ثم ان تبارك فعل ماض جامد لا يتصرف فلا يأتي منه مضارع ولا أمر ولا اسم فاعل وليس له مصدر ولا يستعمل في غير الله تعالى وسيأتي بحث الجامد في باب الفوائد .

(الفرقان) : القرآن لأنه فرق بين الحق والباطل وقيل لأنه نزل مفرقاً في أوقات كثيرة وفي المصباح : « فرقت بين الشيئين فرقاً من باب قتل فصلت أبعاضه وفرقت بين الحق والباطل ، فصلت أيضاً ، هذه هي اللغة العالية وبها قرأ السبعة في قوله تعالى : « فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » وفي لغة من باب ضرب وقرأ بها بعض التابعين ، وقال ابن الأعرابي : فرقت بين الكلامين فافترقا مخفف ، وفرقت بين العبدین فتفرقا مثقل فجعل المخفف في المعاني والمثقل في الأعيان . والذي حكاه غيره أنهما بمعنى والتثقيل مبالغة » ولهذه المادة في اللغة شعاب كثيرة ، وسنورد لك منها ما يروق خاطر : فالفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بين الشيئين وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل أو لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقاً مفصولاً بين بعضه وبعض في الإنزال ، ألا ترى إلى قوله : « وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً » والأظهر هو المعنى الثاني لأن في السورة بعد آيات : « وقال الذين كفروا لولا نزلوا عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك » . قال الله تعالى كذلك أي أنزلناه مفرقاً كذلك لنثبت به فؤادك ، فيكون وصفه بالفرقان في أول السورة كالمقدمة والتوطئة لما يأتي بعد ، وقد رأت دائرة المعارف الإسلامية كلمة فرقان مجهولة الأصل ، وهذا خطأ بسّين ، ووهم ظاهر كما رأيت من اشتقاق الكلمة ، يقال فرق لي الطريق فروقاً واتفرق اتفرقا إذا اتجه لك طريقان فاستبان ما يجب سلوكه منهما ، وطريق أفرق : بسّين ، وضم تفريق متاعه أي ما تفرق منه ، وضرب

الله بالحق على لسان الفاروق ، وسطع الفرقان أي الصبح ، وهذا أين من فلق الصبح وفرق الصبح ، وتقول سبيل أفرق كأنه الفرق ، وهو أفرع من فريق الخيل ، وهو سابقها فعيل بمعنى مفاعل لأنه إذا سبقها فارقها ، وبانت في قذاله فروق من الشيب أي أوضح منه ، وماله إلا فرق من الغنم وفريقة أي يسير ، ورأى أعرابي صبيئاً فقال : هؤلاء فرّق سوء ، وما أنت إلا فروقة ، وفرّق خير من حبّ أي أن تهاب خير من أن تحب ، وأفرق المحموم والمجنون ، وهو في أفراق من حمّاه ، ومن المجاز : وقفته على مفارق الحديث أي على وجوهه الواضحة ، وفي اللسان والاساس : « بدا المشيب في منفرقه وفرقه ، ورأيت ويبص الطيب في مفارقهم ، وفرقت الماشطة رأسها كذا فرقاً ، ورأس مفروق ، وديك أفرق : اشرقت رعشته ، وجنل أفرق : ذو ستامين ، ورجل أفرق الأسنان : أفلجها ، وناقة فارق : ماخض فارقت الابل نادّة من وجع المخاض ، ونوق فرّق وفوارق ومفاريق ، وقد فرقت فروقة وتشبه بها السحاب . قال ذو الرمة :

أو مزنة فارق يجلو غواربها تبوّج البرق والظلماء علنجوم

الاعراب :

(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) تبارك فعل ماض جامد كما تقدم في باب اللغة ، والذي فاعله وجمله نزل الفرقان صلة وعلى عبده متعلقان بنزل واللام للتعليل ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل واسم يكون مستتر تقديره هو ونذيراً خبر يكون . (الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً) هذا الموصول يجوز أن يكون بدلاً من الموصول الأول أو خبر لمبتدأ

محذوف فيكون محله الرفع ويجوز نصبه على المدح وما بعده تمام الصلة للموصول الأول ، وله خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ مؤخر والجملة صلة الموصول ولم يتخذ ولداً عطف على ما تقدم . (ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً) عطف على ما سبق وله خبر يكن المقدم وشريك اسمها المؤخر وفي الملك متعلقان بشريك وخلق عطف على ما سبق أيضاً فهو من تمام العلة لما قبله وكل شيء مفعول خلق ، فقدره الفاء عاطفة وقدره فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به وتقديراً مفعول مطلق . (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون) واتخذوا الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حال وعبادة الكفار ، ومن دونه في محل المفعول الثاني لاتخذوا وآلهة مفعول اتخذوا الاول وجملة لا يخلقون شيئاً صفة لآلهة من سبع صفات ستأتي مسرودة متعاقبة ، وهم يخلقون الواو عاطفة وهم مبتدأ ويخلقون بالبناء للمجهول خبر وهذه هي الصفة الثانية ، ومعنى كونهم مخلوقين أن العابدين ينحتونهم ويصورونهم . (ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً) الواو عاطفة ولا يملكون جملة معطوفة على ما تقدم وضراً مفعول به وهذه هي الصفة الثالثة ، ولا نفعاً هي الصفة الرابعة ، ولا يملكون موتاً هي الصفة الخامسة ولا حياة هي الصفة السادسة ولا نشوراً هي الصفة السابعة ، والنشور هو بعث الاموات . (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه) كلام مستأنف مسوق للشروع في حكاية أباطيلهم وإبطالها ودحضها . والذين فاعل قال وجملة كفروا صلة وإن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وإفك خبر هذا وجملة افتراه صفة لإفك . (وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً) وأعانه عطف على افتراه وعليه متعلقان بأعانه ، والضمير للإفك المفترى ، وقوم فاعل وآخرون صفة

قوم ، ويريدون بهم أهل الكتاب الذين أمدوه ، على زعمهم ، بأخبار الأمم الماضية والقرون البائدة ، والفاء الفصيحة وقد حرف تحقيق وجاءوا فعل وفاعل وقد تضمن معنى فعل فعدي تعديته ، وظلماً مفعوله ويجوز أن يكون على بابه فيعرب ظلماً منصوباً بنزع الخافض أو نصباً على الحال المؤولة أي ظالمين وزوراً عطف على ظلماً • (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً) الواو عاطفة وقالوا فعل وفاعل وأساطير الأولين خبر لمبتدأ محذوف وجملة اكتتبها حالية ويجوز اعراب أساطير الأولين مبتدأ وجملة اكتتبها خبر ، فهي الفاء عاطفة وهي مبتدأ وجملة تملى خبر ونائب الفاعل مستتر وعليه متعلقان بتملى وبكرة ظرف متعلق بتملى وأصيلاً عطف على بكرة ، ومعنى تملى عليه تقرأ عليه لينسخها بواسطة من يكتب له ، لأنه عليه السلام ، كان أمياً • (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً) قل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وجملة أنزله مفعول القول والذي مفعول به وجملة يعلم السر صلة الموصول وفي السموات والأرض حال وجملة إنه كان الآية تعليل لما تقدم فلا محل لها وقد تقدم إعرابها كثيراً .

البلاغة :

في قوله تعالى : « فقد جاءوا إفكاً وزوراً » لف ونشر مرتب وقد تقدم في هذا الكتاب أن اللف والنشر فن يتضمن ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين ثقة بأن السامع يميز ما لكل واحد منها ويرده الى ما هو له ، وقد مثلنا لكل من قسميه بما هو كاف ، أما في هذه الآية فإن قوله تعالى : « فقد جاءوا ظلماً وزوراً » فيه جعل الكلام المعجز إفكاً مختلفاً متلقفاً من اليهود أو غيرهم من أهل الكتاب ، وزوراً بنسبة ما هو بريء منه اليه •

الفوائد :

الفعل الجامد :

الفعل الجامد هو ما أشبه الحرف من حيث أدائه معنى مجرداً عن الزمان والحدث الاعتبارين في الأفعال ، فلزم مثله طريقة واحدة في التعبير فهو لا يقبل التحول من صورة الى صورة بل يلزم صورة واحدة لا يزايلها ، وذلك مثل : عسى وليس وهب بمعنى احسب وافرض ، ولم يرد من مادته بهذا المعنى إلا الأمر فهو فعل أمر جامد ، وأما « هب » المشتق من الهبة فماضيه وهب ومضارعه يهب وكذلك هب المشتق من الهيبة فإنه فعل أمر متصرف فماضيه هاب ومضارعه يهاب ، ونعم وبئس وهو إما أن يلزم صيغة الماضي مثل عسى وليس ونعم وبئس وتبارك الله ، أو صيغة المضارع مثل يهيط ومعناه يصيح ويفتح ، يقال ما زال منذ اليوم يهيط هيطاً وهو مضارع لا ماضي له كما في لسان العرب وقاج العروس ويقال : ما زال في هيط وميط بفتح أولهما وفي هياط ومياط بكسر أولهما أي ضجاج وشر وجلبة ، وقيل في هياط ومياط : في دنو وتباعد ، والهياط الإقبال والمياط الإدبار ، والهائط : الجائي ، والمائط : الذاهب ، والمهايطة والهياط : الصياح والجلبة ، ويقال بينهما مهايطة ومسايطة ومشايطة أي كلام مختلف ، ومثل هب وهات وتعال وهلم في لغة تميم لأنه عندهم فعل يقبل علامته فتلحقه الضمائر ، أما في لغة الحجاز فهي اسم فعل أمر لأنها ستكون عندهم بلفظ واحد للجميع وسيأتي بحثها في حينه . ومن الأفعال الجامدة « قل » بصيغة الماضي للنفي المحض وإذا لحقته ما الزائدة كفته عن العمل فلا يليه حينئذ إلا فعل ولا فاعل له لجريانه مجرى حرف النفي نحو : قلما فعلت هذا وقلما أفعله أي ما فعلت ولا أفعل ومنه قول الشاعر :

قلما يبرح اللبيب إلى ما يورث المجد داعياً أو مجيباً .
أي لا يزال اللبيب داعياً • وقد يليه الاسم في ضرورة
الشعر كقوله :

صددت فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

وقد يراد بقولك قلما أفعل اثبات الفعل القليل كما في الكليات
الأبي البقاء ، غير أن الكثير استعمالها للنفي الصرف ، ومثل قلما في عدم
التصرف طالما وكثراً وقصرماً وشدماً فإن ما فيهن زائدة للتوكيد كافة
لهن عن العمل فلا فاعل لهن ولا يليهن إلا فعل ، فهن كقلما • ومن
الأفعال الجامدة قولهم « سقط في يده » بمعنى ندم وتحيّر وزل وأخطأ
وهو ملازم صورة الماضي المجهول قال تعالى « ولما سقط في أيديهم »
وقد تقدم بحثه •

وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ
لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ
لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾
أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ
الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا
﴿١١﴾ إِذَا رَأَوْهُم مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾

الاعراب :

(وقالوا : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق)
كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان قبائحهم التي أرجفوا بها في شأن الرسول وهي ستة كما سيأتي . وقالوا فعل وفاعل وما اسم استفهام مبتدأ ولهذا خبره والرسول بدل من اسم الإشارة وجملة يأكل الطعام حالية وهي الفرية الاولى ، ويأكل الطعام فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة يمشي في الأسواق عطف عليها وهي الفرية الثانية وسيأتي معنى أكل الطعام والمشي في الأسواق في باب البلاغة .
(لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيراً) لولا حرف تحضيض وأنزل فعل ماض مبني للمجهول وعليه متعلقان بأنزل وملك نائب فاعل والفاء فاء السببية ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية لأنها جواب التحضيض واسمها مستتر تقديره هو أي الملك ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف حال ونذيراً خبر يكون أي فهما يتساندان في الإنذار والتخويف وهذه هي الفرية الثالثة . (أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) أو حرف عطف ويلقى فعل مضارع مبني للمجهول وكنز نائب فاعل واليه متعلقان يلقي ، أو تكون له جنة عطف على ما تقدم وجملة يأكل منها صفة لجنة وهذان الفعلان معطوفان على أنزل لأنه بمعنى ينزل ولا يجوز أن يعطفا على « فيكون » المنصوب في الجواب لأنهما مندرجان في التحضيض فيعطفان على جوابه ، وهاتان هما الفريتان الرابعة والخامسة . (وقال الظالمون : ان تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) الواو عاطفة وقال الظالمون فعل وفاعل وإن نافية وتبعون فعل مضارع وفاعل وإلا أداة حصر ورجلاً مفعول به ومسحوراً صفة وهذه هي الفرية السادسة والأخيرة . (انظر كيف ضربوا لك الأمثال

فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً) اظهر فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت وكيف اسم استفهام في محل نصب حال ولك متعلقان بضربوا والأمثال مفعول به ، فضلوا الفاء عاطفة وفضلوا فعل ماض وفاعل ، فلا الفاء عاطفة ويستطيعون سبيلاً فعل مضارع وفاعل ومفعول به . (تبارك الذي ان شاء جعل لك خيراً من ذلك) كلام مستأنف مسوق لتقرير تساميه سبحانه وتعالى عما يقولون . وتبارك الذي فعل وفاعل وقدر الزمخشري والجلال وغيرهما مضافاً محذوفاً أي خير الذي ، وان شرطية وشاء فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وجعل جواب الشرط والجملة الشرطية صلة الموصول ولك مفعول جعل الثاني وخيراً مفعول جعل الأول ومن ذلك متعلقان بخيراً والاشارة الى الذي اقترحوه من الكنز والبستان . (جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً) جنات بدل من خيراً وجملة تجري صفة لجنات ومن تحتها متعلقان بتجري والأنهار فاعل تجري ويجعل فعل مضارع معطوف على محل جعل الواقع جواباً للشرط وسيأتي بحث هام عن فعل الشرط وجوابه في باب الفوائد ولك مفعول ثان وقصوراً مفعول أول . (بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) بل حرف للاضراب فقد أضرب عن توبيخهم بحكاية أراجيفهم السابقة الى حكاية تكذيبهم بالساعة ، وكذبوا فعل وفاعل وبالساعة متعلقان بكذبوا وأعتدنا فعل وفاعل ولمن متعلقان بأعتدنا وجملة كذب بالساعة صلة من وسعيراً مفعول به ، والمعنى : هياًنا لهؤلاء المكذبين ناراً عظيمة ، ووضع الموصول موضع الضمير ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التوبيخ وقد مرت ظائره في أبواب البلاغة ونون سعيراً للتكثير أي ناراً عظيمة كما ذكرنا . (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيّطاً وزفيراً) هذه الجملة الشرطية في محل نصب صفة لسعيراً لأنه مؤنث بمعنى النار . وإذا ظرف مستقبل

متضمن معنى الشرط وجملة رأته في محل جر باضافة إذا اليها ومن مكان متعلقان بحذوف حال وجملة سمعوا جواب الشرط ولها حال لأنه كان في الأصل صفة وتغيظاً مفعول به وزفيراً عطف عليه وسيأتي في باب البلاغة فصل مسهب عن هذا التعبير .

البلاغة :

١ - كنايةان بديعتان :

في قوله تعالى « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق » كناية عن الحدث لأنه ملازم أكل الطعام ، وقد مر تقريره مفصلاً في سورة المائدة فجدد به عهداً ، وفي يمشي في الأسواق كناية عن طلب المعاش ، وانظر بعد هاتين الكنيتين البديعتين إلى حكاية خطراتهم الملتاثرة وهواجسهم المحمومة كيف اقترحوا أولاً بأن يكون ملكاً الى اقتراح أن يكون انساناً معه ملك حتى يتساندا في الإنذار والتخويف ، ثم نزلوا أيضاً فقالوا : وان لم يكن مرفوداً بملك فليكن مرفوداً بكنز يلقي اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ، ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلاً له بستان يأكل منه ويرتزق كما يرتزق المياسير ، فانظر كيف صور خطرات النفس الملتاثرة وحالات ترددها .

٢ - وضع الظاهر موضع المضمرة :

في قوله « وقال الظالمون » وضع الظاهر موضع المضمرة وقد تقدمت الإشارة اليه مع أمثله ، فقد أراد بالظالمين إياهم بأعيانهم فهم القائلون الأولون ، وإنما وضع المظهر موضع المضمرة تسجيلاً عليهم بوصف الظلم وتجاوز الحد .

٣ - الاستعارة : اثبات الرؤية لجهنم والتغيظ المسموع والزفير المتصاعد ، أمر شغل العلماء كثيراً ، فأما أهل السنة فيجعلون ذلك كله حقيقة ولا يحملونه على المجاز ، فإن رؤية جهنم جائزة وقدرة الله تعالى صالحة ، وقد تظاهرت الظواهر على وقوع هذا الجائز وعلى أن الله تعالى يخلق لها إدراكاً حسيّاً وعقليّاً ، ألا ترى الى قوله تعالى « سمعوا لها تغيظاً » والى حاجتها مع الجنة والى قولها « هل من مزيد » والى اشتكائها الى ربها فأذن لها في تفسيرين ، الى غير ذلك من الظواهر التي لا سبيل الى تأويلها إذ لا محوج اليه ، قالوا : « ولو فتح باب التأويل والمجاز في أحوال المعاد لتطوح الذي يسلك ذلك الى وادي الضلالة » أما بصدد سمع التغيظ وهو لا يسمع فقد أجاب عنه أهل السنة بثلاثة أجوبة ندرجها فيما يلي :

أ - انه على حذف مضاف أي صوت تغيظها .

ب - انه على حذف فعل تقديره سمعوا ورأوا تغيظاً وزفيراً فيرجع كل واحد الى ما يليق به أي رأوا تغيظاً وسمعوا زفيراً .

ج - أن يضمن سمعوا معنى يشمل الشئئين أي أدركوا لها تغيظاً وزفيراً .

أما بصدد قوله رأته فقال بعضهم انه من باب القلب أي رأوها ، أو على حذف تقديره رأته زبانيته .

أما المعتزلة فهم يحصلون ذلك كله على المجاز ويجعلون رؤية جهنم من باب قولهم دور بني فلان تراءى وتتناظر فتدخل عندئذ في باب الاستعارة المكنية وقد تقدم القول فيها كثيراً .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله « إذا رأتهم من مكان بعيد » من مسيرة مائة عام ، وذلك إذا أتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام يشد بكل زمام سبعون ألف ملك لو تركت لأتت على كل بر وفاجر « سمعوا لها تغيظاً وزفيراً » تزفر زفرة لا تبقى قطرة من دمع إلا ندرت ثم تزفر الثانية فتقطع القلوب من أماكنها ، تقطع اللهوات والحناجر .

٤ - حسن الاتباع :

هذا وقد رmq الشعراء سماء هذه التعابير البليغة مما يدخل في باب حسن الاتباع ، وهو أن يأتي المتكلم الى معنى اخترعه غيره فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحقه ويحكم له به دون الاول ، وهذا الباب مما يخص كلام المخلوقين ومما أخذ بعضهم من بعض ولا مدخل لشيء من القرآن العزيز فيه فإن القرآن متبع لا مبتع إلا أن الشعراء حين يرمقون سماءه ويحسنون اتباعه صار كأنه داخل في سلك هذا الفن فقال الفرزدق :

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
فأسند أفعال من يعقل الى مالا يعقل وجرى على منواله
أبو تمام فقال :

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه لخرّ يلثم منه موطئ القدم

وحذا البحري حذو أبي تمام فقال :

فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لسعى اليك المنبر

واتبع المتنبي البحتري في ذلك فقال :

لو تعقل الشجر التي قابلتها مدت محية إليك الأغصنا

وهذا باب واسع سيأتي الكثير من أمثاله •

الفوائد :

فعل الشرط والجواب :

لا يشترط في الشرط والجواب أن يكونا من نوع واحد بل تارة :

١ - يكونان مضارعين نحو « وإن تعودوا نعد »

٢ - يكونان ماضيين نحو « وإن عدتم عدنا » •

٣ - يكونان مختلفين ماضياً فمضارعاً نحو « من كان يريد حرث

الآخرة نرد له في حرثه » وإنما حسن ذلك لأن الاعتماد في المعنى على خبر كان وهو مضارع فكأنه قال : من يرد نرد له •

٤ - يكونان عكسه مضارعاً فماضياً وهو قليل ، وخصه بعضهم

بالشعر وورد منه في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم « من يقم ليلة

القدر احتساباً غفر له » رواه البخاري •

هذا وإذا وقع فعل الشرط ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع

كقول زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم

برفع يقول ، قال ابن مالك « وبعد ماض رفعك الخبر أحسن »
والذي حسن ذلك أن الأداة لما لم تعمل في لفظ الشرط لكونه ماضياً
مع قرينه فلا تعمل في الجزاء مع بعده ولذلك قرئ « ويجعل لك قصوراً »
برفع يجعل عطفاً على جعل وقد أراد بعضهم تخطئة شوقي في قوله :

إِنْ رَأْتَنِي تَمِيلُ عَنِّي كَأَنْ لَمْ يَكْ يَنِي وَبَيْنَهَا أَشْيَاءُ

وغايتهم القاعدة المتقدمة .

وَإِذَا الْقَوَا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِقًا مَقْرَنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا تَدْعُوا
الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ
الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا
يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾

اللفظة :

(مقرنين) : من قرنه بتشديد الراء جمعه وشدده يقال قرنت
الأسارى في الحبال وفعله الثلاثي قرن يقرن من باب ضرب يضرب قرناً
الشيء بالشيء شده به ووصل اليه ، وقرن الثورين جعلهما في نير واحد ،
وفرن البعيرين جمعهما في حبل ، وهي في قوله تعالى : « مقرنين » تفيد
شيئين : التصفيد أي تقييد الأرجل وجمع الأيدي والاعناق بالسلاسل .

(ثبوراً) : هلاكاً يقال : ثبره الله : أهلكه هلاكاً دائماً لا ينتعش بعده ومن ثم يدعو أهل النار : واثبوراه ، وما ثبرك عن حاجتك : ما ثبطك ؟ وهذا مشير فلانة : لمكان ولادتها حيث يثبرها النفاس .

الاعراب :

(وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً)
الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة ألقوا مجرورة بإضافة الظرف اليها وهو متعلق بالجواب وهو دعوا ، وألقوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل ومنها حال من مكاناً لأنه في الأصل صفة له ومكاناً ظرف متعلق بألقوا وضيقاً صفة لمكاناً ومقرنين حال من الواو في ألقوا وجملة دعوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم والواو فاعل دعوا وهنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية وهو متعلق بدعوا في ذلك المكان ومعنى دعوا نادوا ، وثبوراً مفعول به لدعوا ويجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً أي مصدراً من معنى دعوا ، وقال الزجاج : واقتصاب ثبوراً على المصدرية أي ثبرنا ثبوراً ، وقيل منتصب على أنه مفعول له ، وقيل منادى أي يقولون يا ثبوراه احضر فهذا أوانك فإن الهلاك أخف عليهم مما هم فيه .
(لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً) الجملة مقول قول محذوف تقديره فيقال لهم وهذا المحذوف معطوف على ما قبله .
ولا ناهية وتدعوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل تدعوا وثبوراً تقدم أنها مفعول به أو مفعول مطلق وادعوا فعل أمر وثبوراً تقدم إعرابها وكثيراً صفة لثبوراً ، وعبر عنه بالكثرة وقى عنه الوحدة لأنه ألوان كل نوع منها ثبور لشدة وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت

جلودهم بدلوا جلوداً غيرها فلا غاية ولا نهاية لهلاكهم • (قل : أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاءً ومصيراً) قل فعل أمر وفاعله مستتر وجوباً تقديره أنت والهمزة للاستفهام للتقرير والتهكم وسيأتي مزيد من بحث بلاغة هذه الآية ، وذلك مبتدأ وخبر خبر وأم حرف عطف وجنة الخلد عطف على ذلك واسم الموصول صفة لجنة الخلد وجملة وعد المتقون جملة فعلية من فعل ونائب فاعل صله وجملة كانت لهم حالية من جنة الخلد ولهم حال لأنه كان في الأصل صفة واسم كانت مستتر تقديره هي وجزاء خبر كانت ومصيراً عطف على جزاء • (لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعداً مسئلاً) الجملة حال ثانية من جنة الخلد ولهم خبر مقدم وفيها حال وما مبتدأ مؤخر وجملة يشاءون صلة وخالدين حال لازمة من الهاء في لهم أو الواو في يشاءون وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر يعود على الوعد المفهوم من قوله وعد المتقون أو على ما يشاءون وعلى ربك حال لأنه كان صفة لوعداً ومسئلاً صفة لوعداً •

الفوائد :

معنى التفضيل :

المفهوم من اسم التفضيل أنه تفاوت بين صفتين مشتركتين ، فكيف قال : أذلك خير أم جنة الخلد ، ومعلوم أن النار لا خير فيها ألبتة ، وقد سبق مثل هذا السؤال ؛ والجواب ما حكاه سيبويه عن العرب : الشقاء أحب إليك أم السعادة ، وقد علم أن السعادة أحب إليه ، وقبل ليس هو من باب اسم التفضيل وإنما هو كقولك عنده خير •

ومما لا مندوحة عن التنبيه إليه هو أن قوله تعالى « لهم فيها

ما يشاءون » ظاهره يقتضي عموم الموصول أنه اذا شاء أحد رتبة من فوقه كالأنبياء قالها فلم يبق بين الناقص والكامل تفاوت ، ويقتضي أيضاً أنه إذا شاء أحدهم الشفاعة لأحد من أهل النار كابنه أو أبيه فإن شفاعته سوف تقبل وذلك يتنافى مع العلم بأن عذاب الكافر مخلد ، وقد أجاب القاضي البيضاوي على هذا الإيهام بقوله « ولعله يقصر هم كل طائفة على ما يليق برتبتها وأنه تعالى لا يلقي في خواطرهم أن يتألوا أكثر مما فالوه أو يطلبوا المزيد على ما يسبحون فيه من أمواه النعيم المترقرة عليهم . والاحاديث مستفيضة في درجات الجنة وتفاوتها ، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض .

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُنْبِئُنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعِبَادَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنْكُمْ نُدِّقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾

اللفظة :

(بوراً) : البور بضم الباء : الفاسد الذي لا خير فيه ، يقال امرأة بور وقوم بور يوصف به الواحد والجمع ، والبور من الارض ما لم

يزرع ويجوز أن يكون جمع بائر كعائد وعود ، وفي الأساس واللسان والتاج : « فلان له نوره ، وعليك بوره أي هلاكه ، وقوم بور ، وأحلوا دار البوار ، ونزلت بوار على الكفار • قال أبو. مكعت الأسدي :

قتلت فكان تظالمًا وتباغيًا إن التظالم في الصديق بوار
لو كان أول ما أتيت تهارشت أولاد عرج عليك عند وجار

جعلها علماً للضباع فاجتمع التعريف والتأنيث ، ومن المجاز :
بارت البياعات أي كسدت ، وسوق بائرة ، وبارت الأيم إذا لم
يرغب فيها •

الاعراب :

(ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله) كلام مستأنف مسوق
لوصل ما ذكره في أول السورة وهو قوله « واتخذوا من دونه آلهة » •
والظرف متعلق باذكر مقدراً معطوفاً على قل وجملة يحشرهم بالياء
والنون في محل جر بإضافة الظرف اليها والهاء مفعول به وما موصول
معطوف على الهاء أو منصوب على المعية وغلب غير العاقل على العاقل
فأتى بما دون « من » لأن بين المعبودين عقلاء ، وقيل إن كلمة ما
موضوعة للكل أو يريد الأصنام لأنها تتكلم بلسان الحال كما قيل في
شهادة الأيدي والأرجل •

وقال الزمخشري : « فإن قلت : كيف يصح استعمال ما في العقلاء ؟
قلت : هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك إذا رأيت
شعباً من بعيد : ما هو فإذا قيل لك : إنسان قلت حيثئذ : من هو » •
وجملة يعبدون صلة ما ومن دون الله حال • (فيقول : أأقم

أضللتهم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) فيقول عطف على يحشرهم وأنتم الهمزة للاستفهام التقريري وأنتم مبتدأ وجملة أضللتهم خبر وعبادي مفعول به وهؤلاء اسم إشارة صفة لعبادي أي المشار اليهم أو بدل من عبادي وأم حرف عطف وهم مبتدأ وجملة ضلوا خبره والسبيل نصب بنزع الخافض لأن ضل مطاوع أضله وكان القياس ضل عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل إلى الطريق وللطريق . (قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) سبحانك مفعول مطلق لفعل محذوف أي تنزيهاً لك عما لا يليق بك وما نافية وكان فعل ماض ناقص وجملة ينبغي خبر كان ولنا متعلقان ينبغي وأن وما في حيزها فاعل ينبغي فيكون اسم كان مستتراً وفاعل ينبغي مستتر ومن دونك مفعول تتخذ الثاني ومن حرف جر زائد وأولياء مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول تتخذ الأول أو بالعكس ، والصحيح أن قوله من أولياء هو المفعول الأول لأنه الذي يجوز أن تكون من فيه زائدة بخلاف الثاني ، تقول : ما اتخذت من أحد ولياً ولا يجوز في الأفصح ما اتخذت أحداً من ولي . (ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً) الواو عاطفة ولكن مخففة مهمله للاستدراك ومتعتهم فعل وفاعل ومفعول به وآباءهم الواو عاطفة أو للسمية وآباءهم عطف على الهاء أو مفعول معه وحتى حرف غاية وجر ونسوا الذكر فعل وفاعل ومفعول به وكانوا كان واسمها وقوماً خبرها وبوراً صفة . (فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفاً ولا نصراً) الفاء الفصيحة لأنها مرتبة على محذوف ولأنها مفاجأة بالاحتجاج والالزام وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول وهذا التعبير بليغ جداً وله ظائر في الكتاب الكريم كقوله تعالى « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من

الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فمجد جاءكم بشير ونذير •
وقول الشاعر :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا

ثم الققول فقد جئنا خراسانا

أي أن هذه البلدة أبعد ما يراد بنا ، وغاية سفرنا ، ثم يكون الققول والرجوع ، وقوله فقد جئنا مرتب على محذوف أي إن صدقوا فقد جئنا خراسان فلم لم تتخلص من السفر ، ويجوز أنه عدل الى الخطاب أي فقولوا لهم اقطعوا السفر بنا وارجعوا فقد جئنا الموعد •

وقد حرف تحقيق وكذبوكم فعل وفاعل ومفعول به وبما متعلقان بكذبوكم وجملة تقولون صلة والواو واقعة على المعبودين والكاف على العابدين ، فما الفاء عاطفة وما فافية وتستطيعون فعل مضارع وفاعل وصرفاً أي دفعاً للعذاب عنكم مفعول به ولا نصراً عطف على صرفاً • (ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويظلم فعل الشرط ومنكم حال أي كائناً منكم أيها المكلفون ونذقه جواب الشرط والفعل وجوابه خبر من والهاء مفعول نذقه الأول وعذاباً مفعول نذقه الثاني وكبيراً صفة •

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَبَاءٌ كُلُّونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي
الْأَسْوَاقِ ۖ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۖ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾
* وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلِيكَةُ ۖ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۚ

لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾

اللفظة :

(حَجْرًا مَحْجُورًا) : ذكرهما سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروكة إظهارها نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك الله وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو متور أو هجوم نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة ، قال سيبويه : « ويقول الرجل للرجل : أنفعل كذا فيقول حَجْرًا وهي من حجره إذا منعه لأن المستعيز بالله طالب منه أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حَجْرًا » .

وقد ساءل الزمخشري فقال : « فإذا قد ثبت أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور ؟ قلت : جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل زائل ، والذيل الهوان وموت مائت والحجر العقل لأنه يمنع صاحبه وفي الأساس : « وفي ذلك عبرة لذي حجر وهو اللب ، وهذا حجر عليك : حرام ، وحجر عليه القاضي حَجْرًا ، واستقيننا من الحاجر وهو منهبط يمسك الماء وفلان من أهل الحاجر وهو مكان بطريق مكة ، وقعد حجرة أي ناحية ، وأحاطوا بحجرتي العسكر وهما جاباه ، وحجّر حول العين بكيفة ، وعود بالله وحجر ، وامرأة بيضاء المحاجر ، وبدا محجرها من النقاب ، واستحجر الطين وتحجّر : صلب

كالحجر ، وتحجر ما وسعه الله : ضيقه على نفسه ، وقراءة العامة على كسر الحاء وقرىء بالضم وهو لغة فيه وحكى أبو البقاء فيه لغة ثالثة وهي الفتح ، قال وقد قرىء بها •

(هباء) : الهباء قال في القاموس والتاج : الغبار ودقائق التراب ساطعة ومنشورة على وجه الأرض والقليلو العقول من الناس وفعله هبا يهبو هبواً « وقال الزمخشري : « والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه الغبار وفي أمثالهم أقل من الهباء » قال : « ولام الهباء واو بدليل الهبوة » قلت وقال المتنبى :

ولا تحسبن المجد زقاً وقينة

فما المجد الا السيف والفتكة البكر

وتضرب أعناق الملوك وأن تثرى

لك الهبوات السود والعسكر المجر

وقال الخليل والزجاج : « هو مثل الغبار الداخل في الكوة يتراءى

مع ضوء الشمس •

الاعراب :

(وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون

في الأسواق) جملة مستأنفة مسوقة لتسلية صلى الله عليه وسلم ، وما

نافية وأرسلنا فعل وفاعل وقبلك ظرف متعلق بمحذوف حال ومن

المرسلين متعلقان بأرسلنا أو بمحذوف صفة لمفعول أرسلنا ، والمعنى :

وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين ، ونحوه قوله تعالى « وما منا إلا له مقام معلوم » على معنى وما منا أحد ، ولعل هذا أولى ، وإلا أداة حصر وجملة انهم حالية ولذلك كسرت همزة إن كما انها كسرت لأجل اللام في الخبر والمعنى إلا وهم يأكلون ، فالاستثناء من أعم الاحوال ، وان واسمها واللام المزحلقة وهي لام الابتداء زحلت الى الخبر وجملة يأكلون الطعام خبر انهم وجملة يشون في الاسواق عطف على ليأكلون الطعام . (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً) وجعلنا عطف على ما تقدم أو تجعلها مستأنفة مسوقة لتسليته صلى الله عليه وسلم أيضاً ، وجعلنا فعل وفاعل وبعضكم مفعول به أول وبعض حال لأنه كان في الأصل صفة لفتنة وفتنة مفعول به ثان لجعلنا ، ومعنى جعل بعضهم فتنة لبعض : أن الغني فتنة للفقير والصحيح فتنة للمريض والشريف فتنة للوضيع والمراد أن الدنيا دار امتحان وبلاء فلا يقلل ذلك في عزمك ولا يضيّق به صدرك ولا تأبّه الأراجيفهم . والهمزة للاستفهام ومعنى الاستفهام الأمر أي اصبروا ومثله « أأسلمتم » معناه أسلموا ، وكان الواو عاطفة أو استئنافية وكان فعل ما ض ناقص وربك اسمها وبصيراً خبرها . (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) الواو عاطفة وقال الذين فعل وفاعل وجملة لا يرجون صلة ولقاءنا مفعول به ولولا أداة تحضيض وأنزل فعل ماض مبني للسجھول وعلينا متعلقان به والملائكة نائب فاعل والجملة مقول قولهم وهم الذين ينكرون البعث وأو حرف عطف وجملة نرى ربنا عطف على جملة أنزل علينا الملائكة فهي من مقول قولهم اقترحوا أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بصدق محمد حتى يصدقوه أو يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه . (لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً) الجملة مقول قوله تعالى في درء الشيهتين اللتين أوردوهما

تعتنا ومكابرة بعد قيام الحجة وسطوع الدليل • واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق واستكبروا فعل وفاعل ، وفي أنفسهم فيه وجهان : أحدهما انه متعلق باستكبروا يعني أنهم لتكبرهم استكبروا أنفسهم أي عدوها كبيرة الشأن وأصله من استكبره إذا عداه كبيراً ونزله منزلة اللازم ، والثاني أنه متعلق بمحذوف حال أي أنهم أضمرنا الاستكبار عن الحق في قلوبهم أي كائناً في قلوبهم ، وعتوا فعل ماض وفاعل وعتوا مفعول مطلق وكبيراً صفة له • (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً) يوم متعلق باذكر مقدرة أو يعذبون أو بلا يبشرون المفهومة ضمناً من لا بشرى أي يوم يرون الملائكة يسنعون البشرى أو يعدمونها ولا تعمل فيه البشرى لأن المصدر لا يعمل فيما قبله ، ولأن المنفي لا يعمل فيما قبل لا • وجملة يرون مجرورة بإضافة الظرف إليها والملائكة مفعول به ولا بشرى لا نافية للجنس وبشرى اسمها وللمجرمين خبرها والجملة مقول قول محذوف أي يقولون لا بشرى وجملة القول حال من الملائكة ويقولون فعل وفاعل وحجراً محجوراً تقدم القول في إعرابها مفصلاً في باب اللغة (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) الواو استئنافية وقدمنا فعل وفاعل وإلى ما متعلقان بقدمنا وجملة عملوا صلة ومن عمل حال أي عمل خير كصدقة وصلة رحم أو إغاثة ملهوف ، والفاء عاطفة وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به أول وهباء مفعول به ثان ومنثوراً صفة •

البلاغة :

شبه أعمال الكفار الحسنة بالهباء ، ووجه الشبه قلته وحقارته وعنده وأنه لا ينتفع به ، ثم أي هباء ؟ انه قد يكون منتظماً مع ضوء

الشمس فإذا حركته الرياح تطاير وذهب كل مذهب ، ولذلك قال منشوراً أي جامعاً لحقارة الهباء والتناثر ومثله « كونوا قردة خاسئين » أي جامعين للمسوخ والخسء ، وأتى بالعامل منكراً ليتناول هذا الوعيد كل من سولت له نفسه البقاء على الكفر وعمل مثل عملهم •

وللرمانى في كتابه « اننكت في إعجاز القرآن » بحث طريف في هذا التشبيه بعد أن يلحقه بباب الاستعارة يقول فيه : « حقيقة قدمنا هنا عمدنا ، وقدمنا أبلغ منه لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر لأنه من إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم ثم قدم فرآهم على خلاف من أمرهم ، وفي هذا تحذير من الاغترار بالافهام والمعنى الذي يجمعهما العدل لأن العمد لإبطال الفاسد عدل والقدم الى ابطال الفاسد عدل والقدم أبلغ لما بيننا ، وأما هباء منشوراً فبيان ما قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه » •

فاظر اليه كيف استجمع الصور القرآنية في ذهنه وكيف أوحى اليه لفظ قدمنا المستعار من معان ثم كيف كشف عن خبايا التعبير القرآني في استعارة القدم للعمد وفضل الاول في بعث الخيال وإثارته ليربط بين المعنى الأول في الآية والمعنى المستعار ، وصورة أخرى ربطية تشور في الخيال وهي صورة المسافر الغائب الذي يأتي فيرى القوم على خلاف فيضرب ليعدل ويصلح الفاسد •

وقال الواحدى : « معنى قدمنا عمدنا وقصدنا يقال : قدم فلان إلى أمر كذا إذا قصده أو عمدته ومنه قول الشاعر :

وقدم الخوارج الضلال إلى عباد ربهم فقالوا

إن دماءكم لنا حلال

المحتوى

٥	تتمة اعراب سورة الكهف - الآية ٧١
٥٣	اعراب سورة مريم
١٦١	اعراب سورة طه
٢٧٩	اعراب سورة الانبياء
٣٨٥	اعراب سورة الحج
٤٩٤	اعراب سورة المؤمنون
٥٥٦	اعراب سورة النور
٦٦٣	اعراب سورة الفرقان

انتهى المجلد السادس

ويليه المجلد السابع بدءاً من الآية « ٢٤ » من سورة الفرقان